بسم الله الرحمن الرحيم

هذه النسخة مهداة إلى الأخ الكريم الأستاذ عبدالله الناصر الوليعي مع أطيب تحياتي.

الباحث: عبدالرحمن بن علي العريني

٢٥/٦/١٤٠٤هـ

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية العلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

الحياة الاجتماعية

لدى بادية نجد

وأثر الدعوة السلفية فيها

منذ القرن العاشر الهجري وحتى سقوط الدرعية

«٩٠١هـ/١٤٩٤م - ١٢٣٣هـ/١٨١٨م»

رسالة ماجستير في التاريخ الحديث

إعداد

عبدالرحمن بن علي العريني

المعيد بقسم التاريخ في الكلية

إشراف

الدكتور / عبدالله بن يوسف الشبل

الأستاذ المشارك بقسم التاريخ في الكلية

الأمين العام للجامعة

العام الجامعي

١٤٠٣هـ / ١٤٠٤هـ

١٩٨٣م / ١٩٨٤م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أ)

ان الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نتوب اليه و أسأله العون و التوفيق و أصلى و أسلم على رسوله نبينا محمد وعلى آله و أصحابه و التابعين لهم باحسان الى يوم الدين ، وبعد :

فقد كثرت الدراسات التاريخية العامة عن منطقة نجد فى الآونة الاخيرة ، و تلك بلا شك علامة صحوة علمية تدل على عناية المهتمين من أبناء المنطقة و غيرهم بتاريخها فى نطاق تكامل الدراسات التاريخية فى العالم الاسلامى عن كل منطقة أو بلد ، و بلا شك أن قيام أبناء هذه المنطقة أو تلك بهذه المهمة سيجعل البحث التاريخى يتسم بشئ من العمق و الاستقصاء لان " أهل مكة أدرى بشعابها " على الا يجر ذلك الى التعصب الاقليمى ، بل يجب أن يدفع الى تكامل مثل هذه الدراسات عن مناطق و بلدان و شعوب العالم الاسلامى ، ولنا فى أسلافنا من المؤرخين المسلمين أسوة حسنة حيث كانت الدراسات التاريخية الاقليمية تلقى اهتماما كبيرا منهم الى جانب عنايتهم بالدراسات التاريخية العامة ، ومن هنا تكمن الضرورة الى وجود دراسات تاريخية تفصيلية لكل منطقة فى اطار التاريخ العام لعالمنا الاسلامى ، ولا يعنى هذا الانتقاص من الدراسات التاريخيه التى قام بها بعض الباحثين لبعض المناطق – و منها نجد – وهم من غير أهلها فقد سدت هذه الدراسات فراغا فى المكتبة التاريخية ، و أيقظت الرغبة فى البحث التاريخى عند أبناء هذه المناطق .

و اذا كان الباحث يعانى من صعوبة فى الحصول على المعلومات التاريخية فى كثير من موضوعات البحث فى تاريخ نجد ، فان منشأ ذلك قلة ما كتب عن فترات هذا التاريخ من معاصريها ، و ندرته فى بعض الفترات ، و ربما انعدامه عن البعض الآخر [1] ، وعلى قلة هذه الكتابات أو ندرتها و نقل بعضها من الآخر فهى ليست

---

(1) الفاخرى : الأخبار النجدية ص ٣ من مقدمة المحقق الدكتور عبد الله الشبل

بالتفصيل الذى يطمح اليه الباحث ، و يجده فى تواريخ البلدان الأخرى ، على أنه يمكن التماس العذر لمؤرخينا المحليين الذى كان من أبرز مسبباته قسوة الحياة العامة التى كانت تضيق بخناقها كثيرا على النجديين فى تلك الفترات السابقة ، و يكفيهم فخرا أنهم استطاعوا أن يرصدوا بعض أحداث هذا التاريخ رغم تلك القسوة، ولو لم يكن ذلك بالتفصيل المرضى الذى يمكن أن يسد النقص فيه بالمقارنة بتواريخ البلدان المجاورة بل و غير المجاورة أحيانا لتفصيل قضية اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية بحكم التأثير المتبادل بين نجد و هذه المناطق ، كما يمكن سد هذا النقص بالاطلاع على المصادر الأخرى غير التواريخ المحلية ككتب الفقهاء، و الشعر الشعبى ، و رحلات المغربيين .

وقد لقيت قضايا التاريخ السياسى اهتماما أكبر من مؤرخينا المحليين مما تشح معه أو تندر أو تنعدم الاشارة الى جوانب التاريخ الأخرى فى بعض الأحيان، و ليس هؤلاء المؤرخون بدعا من المؤرخين المسلمين السابقين الذين كانوا يركزون اهتمامهم على القضايا السياسية حيث يعانى الباحث فى القضايا الأخرى أشد من المعاناة فى التاريخ السياسى على اختلاف بينهما فى درجة هذه المعاناة بالنسبة لقضايا التاريخ غير السياسية ،و تتأكد هذه المعاناة و تزداد حين البحث فى قضايا التاريخ النجدى غير السياسية و خاصة القضايا الاجتماعية التى يلفها الغموض من أغلب الجوانب ، و رغم وجود جذور لهذه العادة الاجتماعية أو تلك على اعتبار أن كثيرا من العادات و التقاليد فى نجد لم تتعرض للتغيير منذ فترة متقدمة و حتى وقت قريب مما يعد و معه امكانية دراسة هذه العادات المعاصرة و تطبيقها على الفترات السابقة، فان ذلك لا يغنى عن البحث فى المصادر القديمة ، ولا يسمح بدراسة هذه العادات الحاضرة دراسة تفصيلية على أنها أمثلة للعادات القديمة الا بمقدار ما يتطلبه الربط التاريخى بين هذه الظواهر الاجتماعية ، أو حين تشح علينا المصادر القديمة بتفصيل واف عن هذه العادة أو تلك .

و بقدر ما يعانيه الباحث الاجتماعى المعاصر فى دراسته للقضايا الاجتماعية المعاصرة فان معاناة المؤرخ الاجتماعى تتأكد و تزداد لان الباحث الاجتماعى يتعامل

مع أفراد المجتمع الأحياء ، و فئاته الموجودة ، وهو اذ يلاقى بعض العنت من جراء رفض بعض الأفراد و الفئات الادلاء بمعلومات صحيحة أو اعطاء بيانات واضحة و دقيقة فانه يمكنه اللجوء الى عدة أساليب لتحقيق أغراضه بينما يفقد المؤرخ الاجتماعي أى أسلوب من هذا القبيل عدا أسلوب البحث و التنقيب فى المصادر المكتوبه أوالمرويه ان وجدت ،على أن درجة اشباعها لنهم الباحث تختلف بحسب قربها أو بعدها من عصرنا الحاضر حيث تشح تلك المصادر فى فترة ما قبل الدعوة السلفية ، و يعدم الباحث معلومات الا فى مجالات من هذه المصادر .

و تختلف معاناة الباحث الاجتماعى المعاصر ، و المؤرخ الاجتماعى فى البحث عن الحياة الاجتماعية لدى بعض الفئات الاجتماعية النجدية عن بعضها الآخر ، اذ بينما يستطيع هذان الباحثان الغوص فى بعض تفاصيل الظواهر الاجتماعية لدى حاضرة نجد الى حد ما ، يجدا المعاناة العلمية فى دراسة ظواهر الحياة الاجتماعية البدوية أشق ، على أن المؤرخ الاجتماعى تتأكد لديه المشقة و تزداد أكثر من الباحث الاجتماعى بل أكثر من تاريخه للحياة الاجتماعية الحضرية ، و ذلك راجع لشح المصادر فيما يتعلق بحياة البدو عموما ،وفى مجالات معينة من هذه الحياة ، و اختلاف العادات و التقاليد بين قبيلة و أخرى بل بين فخذ وآخر .

وفى ضوء ذلك كله تم اختيارى موضوعا لرسالة الماجستير هو " الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد و أثر الدعوة السلفية فيها منذ القرن العاشر الهجرى و حتى سقوط الدرعية (٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م – ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م) ، وقد تم هذا الاختيار بعد مشاورات متعددة مع أستاذى المشرف الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل ، الذى عانى معى فى مراحل هذا الاختيار حتى خرج هذا البحث بعنوانه الأخير .

ولقد كان لاختيارى هذا الموضوع عدة أسباب منها :

١- أن البادية هى الأصل الاجتماعى لأى وجود حضرى فى أى أمة و خاصة العرب ،

" وعليك بالأعراب فانهم أصل العرب ومادة الاسلام "(١)، وتعتبر هذه الحقيقة من أبرز معالم الاجتماع التاريخي اذ أن البدو أصل للحضر وسابقون عليهم، والمراحل الأولية للتحضر ناشئة عن البداوة حيث تتداخل تلك المراحل بالمراحل الأخيرة للبدو فيحدث أن يمارس البدوى فى البداية حياة متداخلة بين البداوة والتحضر حتى اذا تغلبت مظاهر التحضر تناسى باديته وعاش فى القرى والبلدان أصبح حضريا بطبعه المكتسب، بدويا بأصله ومنشأه، وقد قرر هذه الحقيقة ابن خلدون فى مقدمته فعقد لها فصلا بعنوان " فصل فى أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه، وأن البادية أصل العمران والأمصار مدد لها "(٢)، وتتضح هذه الظاهرة فى المجتمع النجدى حيث ترجع الأسر النجدية المتحضرة الى القبائل البدوية سواء تلك التى تحضرت منذ أمد بعيد كبنى حنيفة وبنى تميم، أو تلك التى تضم بين أفخاذها وأفرادها بادية وحاضرة كبقية قبائل نجد.

٢- أن نسبة البادية عالية اذا ماقورنت بنسبة الحاضرة فى تلك الفترة، ولئن كنا نجهل هذه النسبة على وجه التحديد فمن المؤكد أنها كانت مرتفعة نظرا لعدم وجود مغريات قوية لحركة التحضر فى نظر البدوى الذى كان متشبثا بصحرائه الى أقصى حد يؤيد ذلك قلة التحولات البدوية الى الحياة الحضرية.

٣- طبيعة الحياة العامة فى نجد فى تلك الفترة اذ تكاد تكون فرص المعيشة متكافئة فى البادية والحاضرة بل ربما كانت فى البادية مهيئة أكثر منها فى الحاضرة.

٤- الدور السياسى الأكبر الذى كانت تمارسه بعض القبائل البدوية فى نجد سواء على حاضرتها أو باديتها، وهودور أضفى على القبائل الأخرى قوة سيادة بجانب ضعف القرى والبلدان النجدية أمام سيادة البدوى أيا كانت قبيلته، وقد حفل التاريخ

---

(١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٤/٢١٢ من وصية الخليفة عمر بن الخطاب لعثمان بن عفان رضى الله عنهما.

(٢) المقدمة ص ١٠٣ وانظر الفصل الثانى من الباب الثانى من هذا البحث.

النجدى منذ القرن العاشر بوجود عدد من القبائل البدوية مرهوبة الجانب والتى سيمر فى الباب الأول طرف من أخبارها وتاريخها السياسى فى نجد[1] .

٥ - ماكانت تقوم به البادية فى شبه الجزيرة من أدوار تربوية مهمة سواء كان ذلك فى الجاهلية أو الاسلام حينما كان الوجهاء والأمراء من الحضر يبعثون بأبنائهم الى الصحراء ليقيموا فترة من الزمن بين أبناء البادية حتى يكتسبوا من عادات البدو الأصيلة التى لم تلوثها الحضارة وحتى يكتسبوا فصاحة فى اللسان وبلاغة فى البيان بأخذ اللغة من منابعها الأصلية ومن هنا فقد أطلق على البادية " مدرسة الأمراء ومقوّمة الألسن "[2] فقد بعث عبد المطلب حفيده نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم كما بعث بابنه حمزة الى بادية بنى سعد بن بكر للاسترضاع والتفصح فى اللغة واكتساب العادات الأصيلة ، كما زاول النبى وغيره من الأنبياء مهنة من أهم مهن البادية وهى رعى الغنم حيث رعاها فى بنى سعد ، ورعاها على قراريط لأهل مكة ، وقال " مامن نبى الا ورعى الغنم قالوا وأنت يارسول الله قال وأنا . الحديث "[3] .

٦ - الدور الاقتصادى البارز الذى كانت تقوم به البادية فى التأثير على الحياة الاقتصادية فى نجد سواء باثراء أسواقها بمنتجات البادية التى تشكل عناصر مهمة لتنشيط التجارة فى نجد ، أو باستهلاك مافى هذه الأسواق من السلع والمواد الغذائية مما يؤثر تأثيرا بالغا على الحياة الاقتصادية باختفاء بعض المواد المهمة كالتمر مثلا كما سيأتى[4] .

٧ - أن نسبة كبيرة من الحاضرة فى نجد كانت تمارس جل الحرف البدوية حيث كانت هذه الحاضرة تعيش حياة متداخلة بين البداوة والتحضر ، ولعل من أبرز هذه

---

(١) انظر الفصل الأول من الباب الأول
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ٣/ ٢٨٦ ، ٢٦٩ ، وموضوع موقف الاسلام من البدو والبداوة فى أول الباب الاول من هذا البحث.
(٣) ابن هشام: السيرة ١/ ١٦٨-١٧٧ ، ابن القيم: زاد المعاد ١/ ٣٣
(٤) انظر الفصل الثانى من الباب الثانى من هذا البحث فقرة المآكل .

الحرف رعي الابل والأغنام وتتبع المناطق الخصبة للرعي والاعتشاب فيحدث من جراء ذلك اقفار في بعض البلدان النجدية من أهلها وخاصة في فترة الربيع، ومن هنا تنسلخ عن هؤلاء الحضر أهم سمة فيهم وهي الاستقرار، وتبرز فيهم أهم صفة في البدوي وهي الارتحال من منطقة لأخرى وتتبع مناطق الخصب والكلأ .

٨- أن اعتبار الصلب فئة بدوية يضفي على البحث في البادية شمولا أكثر حيث يتفق الصلب مع عامة البدو في اجتواء القرى والبلدان، والارتحال من منطقة لأخرى، والعيش في الصحراء " التخلوي"، وان كانت هذه الفئة تختلف عن البدو اختلافا شاسعا من حيث الأصل الاجتماعي وبعض الصفات الجسمية وكذا العادات والتقاليد التي يدل بها البدوي على الحضري الأصيل، وتعتبر أدنى اجتماعيا في نظر النجدي بين حاضرة وبادية .

أما عن تحديد بداية البحث بالقرن العاشر الهجري ونهايته بسقوط الدرعية سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٧م فلذلك أسباب منها :

١- أن القرن العاشر هو بداية العصر الحديث بالنسبة لتاريخ العرب حيث انضوت البلاد العربية تحت الحكم العثماني .

٢- أن هذا القرن هو بداية وصول الكتابة التاريخية النجدية الينا، ولهذا فليس مصادفة أن تبدأ السنوات السابقة عند ابن بشر (السوابق)(١) بالقرن العاشر .

٣- أن معرفتنا بالأوضاع القبلية الحديثة لبادية نجد كان في القرن العاشر حيث أبرزت لنا أخبار هذا القرن ومابعده، أهم القبائل البدوية التي كان لها صولة وجولة على منطقة نجد، ويستطيع الباحث في هذا القرن ومابعده متابعة التحولات القبلية التي طرأت على مركز الزعامة لدى بادية نجد كما سيأتي(٢).

---

(١) الواقع أن السوابق ابتدأت سنة ٨٥٠هـ وهو بدء عمران العيينة ولكن حصل انقطاع في السوابق حتى سنة ٩١٢هـ ثم بدأت سنوات السوابق تتابع تقريبا .

(٢) انظر الفصل الأول من الباب الأول .

٤- أن معرفتنا بالشعر العامي بدأت تزداد منذ القرن العاشر وحتى قيام الدعوة السلفية حيث يصوّر هذا الشعر أصدق تصوير بعض نواحي الحياة الاجتماعية في نجد قبل قيام الدعوة التي بدأ تاريخنا المحلي ينتظم شيئا فشيئا بعدها.

٥- أنه بقدر ما كان قيام الدعوة السلفية وانتشارها في نجد معلما بارزا في تاريخ المنطقة أثر بشكل مباشر على كافة نواحي الحياة وخاصة الاجتماعية حيث أدخلت هذه الدعوة المجتمع النجدي في تنظيم وتوحيد لم تكن تعرفه المنطقة من قبل فان سقوط الدرعية يشكّل هو الآخر معلما بارزا في تاريخ المنطقة اذ بدأ بعده الانحدار في الحياة الاجتماعية الى ما قبل الدعوة، علاوة على دخول بعض المؤثرات الخارجية التي صاحبت وتلت هذا السقوط، وتدل قصائد الرثاء الفصيحة والشعبية التي قيلت في هذا الحدث على أهميته كمعلم بارز في التاريخ النجدي الحديث، وقد أجاد قائلو هذه القصائد في تصوير رنة الأسى والحزن التي أصابت النجديين، والتي تشبه في قوتها الى حد ما تلك القصائد التي قيلت في سقوط بغداد على أيدي التتار، أو سقوط الدولة الاسلامية في الأندلس.(١)

وقد قسمت هذا البحث الى مدخل جغرافي وتاريخي حتى قيام الدعوة السلفية، وثلاثة أبواب وثمانية فصول، وفي البداية تحدثت في المدخل الجغرافي عن أهمية موقع نجد مبتدئا بتحديدها جغرافيا عبر فترات التاريخ حتى الآن من خلال أقوال الجغرافيين السابقين والمحدثين موضحا بعض الملابسات التي رافقت تحديد نجد اداريا، ثم استعرضت بعض الأبيات الشعرية القديمة والحديثة الفصيحة والعامية التي تشيد بموقع نجد وجوها وأبرز معالمها، ثم

(١) عن أبرز ما قيل في رثاء الدرعية وتصوير حادثة سقوطها: الفاخري: ١٥ ابن خميس: معجم اليمامة ٤٢١/١-٤٢٤، الدرعية: العاصمة الأولى ٤٣٦-٤٤٦، وانظر أرجوزة ابن دعيج في هذا المقام: مجلة الدارة ع ٤/ س ٨/ ص ١٦٢-١٧٧ مع استعراض لها بقلم الدكتور محمد الشويعر.

تحدثت عن أهم المعالم التضاريسية لمنطقة نجد مبتدئا من الغرب الى الشرق مستعرضا أهم الجبال والهضاب والأودية ثم تطرقت الى المناخ وقد فصلت فيه بعض الشيء لأنى ركزت على تأثيره على الحياة الاجتماعية والاقتصادية وهو ما تطلب منى ايجاد ربط بين القواعد المناخية للمنطقة من واقع كتب الجغرافية وابراز بعض الأحداث المناخية وتأثيراتها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية من واقع كتب التاريخ ، وتحدثت فى المدخل التاريخى عن أبرز ملامح الفترات التاريخية للمنطقة منذ سكنى طسم وجديس لها حتى قيام الدعوة السلفية وقد تطلب ذلك منى استعراضا عاما لتاريخ المنطقة فى الجاهلية والاسلام عبر دوله المتوالية مبيّنا أهم الأحداث التى مرت بالمنطقة وأبرز الأمراء الذين حكموها اما بغردها أو بالتبعية مع بلدان أخرى متحدثا عن أبرز القوى السياسية التى خضعت نجد لها .

وفى الباب الأول تحدثت عن الفئات الاجتماعية فى نجد وقدمت له بمقدمة عامة شملت كل الفئات الاجتماعية لتقتصر فصول هذا الباب على أهمها الا أنى قبل الدخول فى تفصيل الكلام عن أبرز هذه الفئات ضمنت هذا الباب نبذة موجزة عن نظرة الاسلام للأنساب حيث أن المجتمع النجدى يولى قضية الأنساب أهمية خاصة ، ونظرا لان هذا الباب يتحدث عن أبرز الفئات الاجتماعية ، ولان قضية الأنساب تشكل المحور الأساسى فى التقسيم الفئوى للمجتمع النجدى ، ثم تحدثت بعد ذلك عن موقف الاسلام من البدو والبداوة باعتبار مكانة البادية فى المجتمع النجدى للأسباب السابقة ولجهل كثير من النجد بين حاضرة وبادية بل بعض المتعلمين لأسس التعامل الاجتماعى بين البدو والحضر فى ضوء الاسلام وحتى تكون تلك النظرتان هما وجهة نظرى فى هذا البحث ، ونظرا لكونهما غير داخلتين فى هذا الباب بشكل مباشر فلم أدرجهما تحت فصوله الثلاثة التى تكلمت فى أولها عن وضع بادية نجد القبلى حتى قيام الدعوة السلفية وقمت فيه باستعراض تاريخى عام عن أبرز القبائل البدوية التى قطنت نجدا منذ العصر

الجاهلي وحتى قيام الدعوة حيث ركزت فيما بعد القرن العاشر على تلك التي تبوأت مركز الزعامة في نجد وهي بنو لام ثم عنزة فمطير فقحطان التي كان دخولها الدعوة السلفية عاملا مهما في تبوئها للزعامة القبلية في نجد ، ثم خصصت الفصل الثاني عن الصلب حيث تضمنت الدراسة الحديث عن أصلهم والآراء التي قيلت فيه ثم استعراضا لحياتهم الاجتماعية شاملة لمعتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومدى تأثير الدعوة السلفية فيهم ، ثم تحدثت في الفصل الثالث عن حاضرة نجد بفئتيها معروفة النسب ومجهولته ، وقد أثبت في هذا الفصل رأيي الشخصي في هذا التقسيم الفئوي للحاضرة ، ولما كان الحديث عن هذه الفئة مجاله واسع ، ويجب أن تستأثر البادية بأكبر قدر ممكن من البحث في هذا الباب لأن البحث كله عنها فقد قصرت البحث فيه عن حاضرة نجد باعطاء استعراض عام لحركة التحضر التي مرت بها المنطقة وركزت على بناء القرى والبلدان باعتباره محور الحركة الحضرية ، وواضح من استعراض فصول هذا الباب ومقدماته استئثار البادية والصلب بأكثر جوانب البحث فيه مما يجعله بابا رئيسيا من أبواب هذه الرسالة ، رغم كونه مخصصا للحديث عن الفئات الاجتماعية .

أما الباب الثاني فقد تحدثت فيه عن الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد قبل الدعوة السلفية وقسمته الى فصلين بحثت في الفصل الأول عن أبرز ملامح الحياة الدينية لدى تلك البادية قبل الدعوة وحرصت في هذا المجال على الاقتصار على المصادر المحلية مركزا على تحليل الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه لأبرز ملامح هذه الحياة لأنها تعد الموجه الرئيسي للحياة الاجتماعية ، ونظرا لشح المادة في هذا الفصل وكونه فصلا غير رئيسي فقد اكتفيت باعطاء ملامح عامة عنه .

وفي الفصل الثاني من هذا الباب بحثت عن أبرز ظواهر الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد لدى بادية نجد قبل الدعوة ، وهي ما تكفي لتصوير الحياة

الاجتماعية البدوية من غير تفصيل فى كل المظاهر لان كل ظاهرة تحتاج بحثا مستقلا ، وشح المادة فى هذا المجال علاوة على أن ما هو موجود منها يتحدث عن المظاهر الاجتماعية البدوية بشكل عام كل هذا يجعل من الضرورى الاقتصار على ما ذكرت على أنى حاولت ابراز ما تختلف فيه بعض القبائل عن البعض الآخر فى بعض الظواهر كالغزو مثلا أما فيما سوى ذلك فيستحيل ابراز مواطن الاختلاف بين القبائل بله الأفخاذ .

وقد ابتدأت هذا الفصل بالتحدث عن نظرة البدوى للحضرى تلك النظرة التى أبرز ملامحها احتقار حياة الحضر والاستقرار لان ذلك سبيلا لاماتة روح الشجاعة التى تعتبر من أهم صفات البدوى ، وقد زخر تاريخ العلاقات الاجتماعية بأحداث تبين كره البدوى للعيش داخل البلدان وقد استعرضت جانبا من هذه الاحداث لدى بادية نجد وقرنتها بما وجدته من أمثلة تاريخية ، على أن هذه العلاقة تتسم أحيانا بالصفاء والدليل على ذلك كثرة التزاوج بين الفريقين ، ثم تحدثت عن وضع المرأة البدوية وأنها تلقى التكريم والتقدير من مجتمع البادية لولا ما يشوب هذا التكريم أحيانا من اهانة كالتحجير مثلا .

ثم تطرقت الى الرق والأرقاء وقدمت له بمقدمة ضافية عن حكم الاسلام فى الرق ولمحة عن الرقيق فى الخليج والجزيرة العربية فى العصر الحديث وتحدثت عن وضع الرقيق والخدم لدى بادية نجد والمعاملة الكريمة التى يجدونها من ابن البادية .

ثم قدمت أمثلة لبعض العادات والتقاليد البدوية كالكرم الذى يشكل معلما بارزا فى الحياة الاجتماعية لدى البدوى ،ثم المسكن ، والملبس ، والمأكل والمشرب الذى بحثت فيه دخول بعض المشروبات المستجدة كالقهوة والتبغ، ثم بحثت عن الخوة من جانبها الاجتماعى وهى ما يمكن أن يطلق عليها دبلوماسية البدو ، ثم أعطيت ملامح عامة عن نظام الغزو وما يتبعه أحيانا من السلب والسرقة ، وختمت هذا الباب بنظام الدخيل .

أما الباب الثالث فقد خصصته للبحث عن آثار الدعوة السلفية على الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد وقسمته الى ثلاثة فصول تحدثت في الأول عن مواقف بادية نجد من الدعوة السلفية وهو استعراض تاريخي للغزوات التي شنتها حكومة الدرعية ضد بعض قبائل تلك البادية والمحاولات السلمية التي تمت لاخضاعها وتطرقت فيه للغزوات التي حدثت من بعض القبائل ضد الدولة السعودية سواء كانت الغزوات من تلك القبائل منفردة أو متحزبة فيها مع غيرها من القبائل، أو باشتراكها مع القوى الخارجية ضد الدعوة ودولتها، وتحدثت فيها عن نهاية المطاف لهذه الغزوات سواء من جانب الدولة أو تلك القبائل، وقد ركزت في هذا الفصل على أبرز القبائل البدوية والتي توفرت لدى معلومات عنها وهي سبيع والسهول ومطير وعنزة والظفير وشمر والدواسر وقحطان وعتيبة وحرب على أساس أن الأخيرتين قبيلتان حجازيتان نجديتان، وحاولت في الفصل الثاني أن ألتمس آثار الدعوة السلفية على الحياة الدينية لدى بادية نجد بابراز ما استطعت ابرازه من تلك المعطيات الخيرة لتلك الدعوة المباركة في توجيه الحياة الدينية لدى البادية نحو المعتقد السلفي الصحيح، والتشريع الرباني المحكم، واستعرضت في هذا الفصل بعض نتائج الفصل الذى قبله على تلك الحياة في الصلاة والزكاة وسائر أركان الاسلام علاوة على القضايا العقدية مشيرا الى دور أهم جهة مسئولة عن تنفيذ البرامج الدينية وهي هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي الفصل الثالث حاولت أن ألتمس آثار الدعوة على بعض مظاهر الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد وابتدأت بأهم قضية تشغل بال المجتمع النجدي وهي قضية الأمن بمفهومه العام وخاصة الأمن في المسالك وهو ما كانت تعكره البادية بالدرجة الأولى حيث أبرزت فيه جهود الدولة في تخفيف الروافد التي كانت تمد الفوضى وتعكير الأمن، وتوسيع المنافذ التي تؤدى الى الرخاء الاقتصادي باعتبار أن الهدف الاقتصادي من أهم أهداف الغزو عند البدو اذا لم يوجه هذا الغزو نحو الأهداف الخيرة وهي التي جهدت الدعوة ودولتها في توجيهه

اليها ، ثم تحدثت عن أثر الدعوة على الخـــوة اجتماعيا بـا حلال الأخـــوة الاسلامية محل الأخوة القبلية و العرقية أو على الأقل عدم التعصب للأخيرة علـــى حساب الأولى ، ثم تطرقت الى أثر الدعوة على التحرك الجماعى و زعامة القبيلـــة عرضت فيه بعض نتائج الفصل الأول من حدوث هجرات شبه جماعية من بعـــض القبائل التى لم تطب لبعض أفخاذ ها مظاهر الحياة الجديدة ، أو حـــدوث بعض الهجرات المعاكسة باتجاه نجد من بعض القبائل التى والت الدعوة وتسللت بشكل أكبر الى نجد ، كما تحدثت عن أثر الدعوة فى زعامة القبيلة و أخذت مثـــلا لذلك من الدواسر و قحطان اللتين كان تعيين القيادة العامة فيهما بتدخل من الدولة السعودية و هذا التدخل لم تكن هذه الدولة بدعا فيه اذ أن اختيـــار شيخ القبيلة يعد من مسئوليات الامام فى الاسلام، وان كانت الدولة السعودية مثلهـا فى ذلك مثل الخلافة الاسلامية من قبل لا تعين للأمارة العامة الا أحـــد أفراد القبيلة ، أو تكتفى باقرار ما تتفق عليه القبيلـــة (1) ، و تطرقت بعد ذلك الـــى أثر الدعوة على نظامى الربيط و الدخيل باختصار حتمه شح المادة لدى ، كمـــا ألمحت الى أثر الدعوة على وضع المرأة ببحث العلماء لأهم قضية كانت تعانى منهـــا المرأة البدوية وهى التحجير ، ثم تعرضت الى رأى علماء الدعوة فى اللباس علـــى اعتبار أن كثيرا من أبناء البادية الداخلين فى الدعوة اعتقدوا أن ذلك يفرض عليهم نوعا معينا من اللباس حيث بين هؤلاء العلماء أن ليس هناك لباس مخصوص للداخلين فى الدعوة ، ثم بينت رأى الدعوة فى المشرب و خاصة أهم المشروبات التى جــدت على حياة البدوى و هما القهوة و التبغ و ختمت هذا الفصل برأى الدعوة فـــى بعض الاعتقادات الطبية و أساليب الترويح عن النفس ، و أنهيت هذا البحـــث بخاتمة لخصت فيها أبرز الأفكار التى خرجت بها من هذا البحث .

وقد رجعت فى ذلك كله الى بعض المصادر و المراجع الرئيسية و الفرعية استعرض بايجاز أهمها و ألمح بشكل عام الى بعضها ، فقد استفدت من مؤلفات

---

(1) دوزى : تاريخ مسلمى أسبانيا ١/٣٥، ٣٦

الشيخ أحمد بن محمد المنقور وخاصة كتاب " المسائل العديدة فى المسائل المفيدة " وقد طبع أخيرا على نفقة الأستاذ عبد العزيز عبد العزيز المنقور أحد رجال الأعمال السعوديين ووزعه مجانا وقد تفضل على فأهدانى نسخه منه وميزة الكتاب جمع فتاوى العلماء النجديين قبل الدعوة بشكل رئيسى مع بعض العلماء من غير نجد ، وللمؤلف فيه بعض الآراء ويستطيع الباحث أن يرصد فيه كثيرا من القضايا الاقتصادية والاجتماعية التى ترد بشأنها بعض الفتاوى علاوة على بحث ما استجد على الحياة الاجتماعية فى نجد كالقهوة والتبغ ويعرف فى الأوساط الفقهية النجدية بمجموع المنقور ، وكذلك اطلعت على تاريخه الذى حققه الدكتور عبد العزيز الخويطر والكتاب على اختصاره يصور كثيرا من جوانب الحياة العامة فى نجد قبل الدعوة ، علاوة على أن مؤلفه فقيه موثوق به مما يجعل الباحث يثق كثيرا بما كتبه فيه (١) ، أما كتابه " جامع المناسك الثلاثة الحنبلية " فهو يدل على حسن تنظيم المؤلف للحديث عن المناسك وهو يصور بعض الأمور الدينية الخاصة بالحج مما يعتبر من الأمور البدعية (٢) ، وعلى أنه يصور الحياة الدينية لدى الحاضرة بشكل مباشر فان استفادتى منه هنا غير مباشرة ، وقد اطلعت على تاريخ الشيخ حمد بن محمد بن لعبون واستفدت منه فى جوانب البحث ، وكانت استفادتى مباشرة وقوية من كتاب الأخبار النجدية للشيخ محمد عمر الفاخرى والذى قام أستاذى المشرف باعداد دراسة وتعليق وتحقيق عنه ونشرته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، وكانت استفادتى من تعليقات المحقق لا تقل عن استفادى من الكتاب نفسه سواء كان فى فترة ما قبل الدعوة أو ما بعدها ، فيما يتعلق بالمتغيرات المناخية وبعض القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية وقد رجعت الى عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر فى كثير من مواضيع الرسالة سواء كان فى سوابقه لفترة ما قبل الدعوة ، أو بقية الأحداث التاريخية فيه لما بعدها وقد اعتمدت ـ بمشورة أستاذى المشرف ـ على طبعة وزارة المعارف الأخيرة سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م التى حققها الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف

---

(١) د. عبد الله الشبل : أهم المصادر النجدية لتاريخ الدولة السعودية ص١٥

(٢) أنظر على سبيل المثال ص٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٣٧ ، ١٣٩ من هذا الكتاب

آل الشيخ على أنى أقارن بين بعض الطبعات الأخرى و هذه الطبعة أحيانا اذا شككت فى قضية قد يكون للطباعة دور فى تحريفها [1] ، و سبب اقتصارى على هذه الطبعة شمولها عن بقية الطبعات الأخرى نظرا لذكرها استدراكات المؤلف على نفسه ، ولصدور فهارس شاملة لها من اعداد أحد باحثى دارة الملك عبد العزيز ، ولم أكن فى ذلك كله بعيدا عن ملاحظات الباحثين على ابن بشر كملاحظات أستاذى المشرف فى دراسته لأهم المصادر النجدية والدكتور عبد العزيز الخويطر فى كتابه عن عثمان بن بشر و الشيخ مقبل الذكير فى مخطوطه العقود الدرية .

ومن أبرز المصادر التى رجعت اليها فى فترة ما بعد الدعوة تاريخ ابن غنام المسمى " روضة الأفكار و الأفهام لمرتاد حال الامام و تعداد غزوات ذوى الاسلام " وقد اعتمدت على طبعة المكتبة الأهلية بالرياض عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م حرصا منى على تأصيل البحث و توثيقه لانها كتبت بأسلوب المؤلف ولغته ، وكان اعتمادى على ابن غنام كبيرا فى بيان مواقف بادية نجد من الدعوة السلفية لانه لم يذكر أى جانب من جوانب التاريخ النجدى قبل الدعوة الا اشارات قليلة فى أول الكتاب تصور بعض الجوانب السيئة فى الحياة الدينية لدى حاضرة نجد ، و يبدو أنه كان يعتقد أن فى ذكر جوانب من ذلك التاريخ قبل الدعوة تقليل للدور العظيم الذى قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومن هنا يمكن فهم عدم عناية بعض مؤيدى الدعوة بدراسة تاريخ نجد قبل الدعوة دراسة تفصيلية و ابراز الجوانب المشرقة فى هذا التاريخ ، والمفروض أن لا تجرنا هذه الدراسة الى التقليل من ذلك الدور الكبير ، بل تدفعنا الى عقد مقارنة بين الوضع المتردى قبل الدعوة و الحياة المثلى بعدها ، وأن لا نغفل الجوانب المشرقة فى الحياة الاجتماعية فى نجد قبل الدعوة ، تلك الحياة التى لا شك أن لها أكبر الأثر فى حياة الشيخ محمد نفسه اذ لم يكن الا ابنا من أبناء هذا المجتمع هزته الجوانب المشرقة

---

(١) انظر على سبيل المثال ص ٣٧٤ من هذا البحث .

فيه بأعجب بها ، وأثارت فيه الجوانب السيئة محاولة الاصلاح فقام بالتجديد الديني فيه ، ويلمح الباحث اعجاب الشيخ بالجوانب المشرقة في هذا المجتمع في كثير من كتاباته ، وخاصة حين المقارنة بين البادية والحاضرة ، ومن هذا المنطلق كانت استفادتي كبيرة من مؤلفات الشيخ محمد نفسه سواء الرسائل الشخصية أو بقية المؤلفات حيث عكفت على قراءتها بعد أن حصلت عليها مجتمعة عن طريق أسبوع الشيخ محمد الذي أقامته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية كما اطلعت على البحوث التي ألقيت في هذا الأسبوع واستفدت من بعضها استفادة مباشرة وبعضها الآخر استفادة عامة ، والبحث والتعمق في مؤلفات الشيخ ضروري لكل من يريد أن يبحث في التاريخ النجدي باعتبار أن الدعوة السلفية محور هذا التاريخ في العصر الحديث ، وباعتبار أن نظرات امامها تشكل عمقا تحليليا في رصد كثير من نواحي الحياة العامة في نجد ، كذلك كان استفادتي كبيرة من الدرر السنية في الأجوبة النجدية التي جمعها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم التي تعتبر مجموعة فتاوى وتقريرات علماء نجد منذ قيام الدعوة السلفية الى وفاة المؤلف في مجالات العلم الشرعي المختلفة وكان مجال استفادتي منها في رأي الدعوة وأثرها على بعض نواحي الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد وصلبها ، على أن هذا الكتاب يحوي بعض آراء لبعض علماء نجد قبل الدعوة وان كان ذلك قليلا .

وتشكل المأثورات العامية من أمثال وقصص وقصائد مصدرا رئيسيا من مصادر هذا البحث وخاصة حينما تشح المصادر التاريخية وغير التاريخية المكتوبة باللغة الفصحى ، وما من شك أن النواحي الاجتماعية لدى البادية النجدية شحيحة في المصادر الفصيحة سواء لما قبل الدعوة أو ما بعدها ، ومن هنا فقد حفل هذا البحث بقدر من هذه المأثورات وقد استفدت منها في مصادرها المكتوبة والمروية ، ولا يعني هذا الاهتمام بهذه المأثورات تأييد الباحث للدعوات المعادية للغتنا الفصحى لغة القرآن التي يعتبر نشرها والتحدث بها من الوسائل الرئيسية لنشر الاسلام ، الا أنه وقد بدأ اللحن في الأمة الاسلامية

منذ فترة متقدمة ثم شاع حتى طغت العامية فان الاصطدام بقطاع كبير في المجتمع يتكلم تلك اللغة من الصعوبة بمكان ولا يحقق الأهداف المرجوة من المحاولات الجادة لنشر اللغة الفصحى على حساب العامية وفي هذا السبيل فلا بد من الأخذ بفكرة القضاء على العامية بدراستها و تأصيل بعض كلماتها و بيان مالم يكن له أصل فصيح ، و هذه الفكرة أخذت بها و أنا أقوم بتحليل بعض القصائد العامية في الهوامش هذا التحليل الذى كان ضروريا لما تحمله بعض كلمات هذه القصائد من معان اجتماعية لابد من توضيحها ، وقد رجعت في هذا المجال الى بعض المعاجم اللغوية المعروفة كالقاموس المحيط للفيروزابادى ، وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى ، وقاموس رد العامي الى الفصيح تأليف أحمد رضا العاملي .

ومن المصادر التى رجعت اليها : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب تأليف حسن بن جمال الريكي (١) (نسبة الى بندر رَيْك على الساحل الايراني من الخليج العربي) ورغم أن الكتاب قد حفل بقدر كبير من المغالطات والأوهام التاريخية فهو يعد مصدرا جيدا من مصادر الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى باعتباره معاصرا لأحداثها ، ويزيد في أهمية الكتاب اهتمامه في القضايا الاجتماعية والاقتصادية وفيما عدا مغالطاته وأوهامه فيما يتعلق ببعض القضايا العقدية والسياسية بالنسبة للدعوة ودولتها فهو قد سجل بعض معالم الحياة الاجتماعية والاقتصادية في نجد قبل الدعوة وبعدها لدى حاضرة

---

(١) رغم أن محققي هذا الكتاب لم يكشفا لنا عن شخصية واسم هذا المؤلف وهل هذا الاسم (الريكي) للناسخ او للمؤلف ولم يكلفا نفسيهما في بذل جهد من هذا القبيل- وهو من اهم قواعد التحقيق- رغم كل ذلك فقد ترجح لدى ان حسن بن جمال بن احمد الريكي هو مؤلف هذا الكتاب وربما ناسخه كذلك وذلك لما ياتي :-

١- ترجيح الشيخ حمد الجاسر لذلك في مقالة عن هذا المؤلف في مجلة العرب جـ ١٠/س ٤/ ص ٩٤٠ .

٢- ترجيح الدكتور منير العجلاني لذلك في كتابه البلاد العربية السعودية (١/ ٤٤) .

٣- تاكيد عبد الواحد راغب (احد باحثي دارة الملك عبد العزيز) لذلك في مقاله عن هذا الكتاب ومؤلفه نشرها في مجلة الدارة ع ٢/س ٢/ ص ٢٣٨-٢٤٩ وقد اورد عددا من الادلة المقنعة في نظرى في هذا المجال ليس هنا مكان البسط فيها وفي غيرها .

٤- ان التعمق في قراءة الكتاب يؤكد ان الريكي هو المؤلف وربما المؤلف والناسخ معا وعلى سبيل المثال انظر ص ٧١ ، ١٩٧ .

نجد وبادیتها وبسط فی بعض جوانب تلك المعالم مما لم یتوافر فی المصادر المحلیة وما لا یجد المتعمق فی قضایا المجتمع النجدی أی ملاحظات جوهریة علیه من تلك التی یجدها فی القضایا العقدیة والسیاسیة بل ینم ذلك عن معرفة جیدة من المؤلف ببعض تلك الجوانب الاجتماعیة وتعتبر دراسته عن قبائل بادیة نجد — علی قلة المعلومات فیها — من أحسن الدراسات عن هذه القبائل وتدل علی معرفته ببعض أوضاعها القبلیة ودرجة نفوذها فی نجد وبعض مواقف تلك القبائل من الدعوة السلفیة وجانب من التحولات الاجتماعیة نتیجة لتلك المواقف علی ما سیمر ذكره فی الفصلین الأول والثالث من الباب الثالث من هذا البحث .

ومن المصادر المعاصرة التی رجعت الیها كتاب " كیف كان ظهور شیخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب" وهو وان لم یكن فی مستوی ابن غنام والفاخری وابن بشر من حیث كثافة المعلومات التاریخیة عن نجد والدعوة السلفیة والدولة السعودیة وكذلك دقة هذه المعلومات فانه قد حفل بقدر لا بأس به من الجوانب التاریخیة المفیدة عن تلك الفترة وخاصة الی ما بعد وفاة الامام عبد العزیز بن محمد بسنوات قلیلة (١) ، وكنت قد حصلت علی صورة لمخطوطته من الدكتور عبد الله الصالح العثیمین الذی جلبها من باریس الا أنها لما لم تكن بالوضوح المرضی فقط طلبت من الكلیة تمكینی من الحصول علی صورة أخری لها من أصلها مباشرة فأرسلت الكلیة مشكورة — بعد أن أعطیتها رقم المخطوطة فی المكتبة الوطنیة بباریس — الی الملحق الثقافی السعودی بفرنسا وطلبت منه تصویرها من الأصل مباشرة فتم ذلك وأرسل الی الكلیة الصورة واستفدت منها استفادة جیدة خاصة فی الفصل الأول من الباب الثالث ، ولما قام الدكتور العثیمین بتحقیق هذه المخطوطة وطبعتها الدارة فی هذا العام فقد قمت بتغییر ترقیم الصفحات فی الهوامش بما یتمشی مع النسخة المطبوعة المحققة وبما یحقق استفادی من تحقیقها ، وقد بذل المحقق جهدا فی التعرف علی شخصیة المؤلف ولكن لم یتوصل الی ذلك سواء فی دراسته عنها فی أحد أعداد مجلة العرب أو فی مقدمته عنها .

---

(١) مقدمة الدكتور العثیمین فی تحقیق الكتاب ص ١٠

أما الكتب الأجنبية فقد ترجمت أجزاء من كتاب :

(Notes on the Bedouins and Wahabys) (١)
تأليف بركهارت نظرا لصلته المباشر بموضوع الرسالة ، واستفدت من هذه الترجمة في ثنايا هذا البحث .

وقد كرم أستاذي المشرف فجلب لي معه أثناء زيارته لجامعة اكستر في بريطانيا جزءا من رسالة الدكتور محمد الشنيان مما له صلة بموضوع الرسالة ، وترجمت هذا الجزء واستفدت منه .

ثم قمت برحلة علمية الى العراق وبعض أقطار الخليج العربي وجمعت مادة من بعض المصادر الموجودة فيها والمتعلقة بهذا البحث ، وانتهزتها فرصة لتجميع عدد لا بأس به من الكتب التي تبحث في تاريخ هذه البلدان من مكتباتها التجارية ، ومما لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بالتاريخ النجدي .

هذا استعراض عام لأبرز المصادر التي رجعت اليها في اعداد هذا البحث أما بقية المصادر المساعدة والتي رجعت اليها في المواضيع الفرعية من هذا البحث فقد أعددت ثبتا بها في آخر الرسالة شاملا لها وللمصادر التي تحدثت عنها في هذه المقدمة ، ولن أتحدث عنها أو عن الصعوبات التي واجهتني أثناء اعداد هذا البحث فان أي جهد علمي لا يكون له طعم العلم ولذة الابتكار الا اذا كان قد صاحبه مصاعب ومتاعب ، ولابد أن تشكل هذه المصاعب جزءا رئيسيا من مراحل اعداد أي بحث علمي ، تاركا تقدير ذلك للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة ولمن يطلع بعدهم على هذه الرسالة .

---

(١) هو المستشرق السويسري جون لويس بوركهارت ولد في لوزان ١١٩٩هـ / ١٧٨٤م ودرس في المانيا وبريطانيا التي تجنس بجنسيتها ورحل الى الشرق فاتقن العربية وقرأ القرآن وتفقه في الدين الاسلامي ويقال انه اسلم وحج وتسمى بالحاج ابراهيم المهدي بن عبد الله بركهارت سجل مشاهداته في كتابه رحلة الى جزيرة العرب ، وملاحظات عن البدو والوهابيين ، والرحلة الى الشام ، والنوبة وله بعض المؤلفات الأخرى توفي في القاهرة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م وهناك مستشرق آخر يحمل اسم

(=)

ويسرني في ختام هذه المقدمة أن أتوجه بالشكر الجزيل الى من كان خلف أي فكرة ناجحة في هذه الرسالة لأستاذي المشرف الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل الأستاذ المشارك بقسم التاريخ بالكلية الأمين العام للجامعة ، والذي كان لتوجيهاته القيمة ونصائحه السديدة الدور الاكبر في وصول هذه الرسالة الى هذه الدرجة التي أرجو أن تحوز رضا الأساتذة المناقشين ، علاوة على تذليله كافة الصعاب التي كانت تعترضني أثناء اعداد هذه الرسالة سواء كان ذلك بفتح مكتبته العامرة أمامي لأستعير منها استعارة مطلقة ، أو بانتهازه أي فرصة تتيح لي مزيدا من المعلومات حول هذا البحث عن طريق اطلاعه على ما يجد سواء داخل المملكة أو خارجها ، وما افادته لي في الجوانب العلمية والمنهجية لهذا البحث عبر مراحله الا مظهرا بسيطا من مظاهر معاناته الشخصية لاخراج هذا البحث في صورته الأخيرة فله مني عظيم الشكر وجزيل الامتنان ومن الله سبحانه الأجر والمثوبة ، وطول العمر في الأعمال الصالحة ان شاء الله وأن يديم عليه سبحانه الصحة والعافية ويجزيه عني خير الجزاء ، كما أتوجه بالشكر الجزيل الى أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا مشكورين فاقتطعوا جزءا من وقتهم الثمين لقراءة هذه الرسالة والذين ستكون لملاحظاتهم وتوجيهاتهم الدور الكبير في تقييم هذا البحث وسد الثغرات الموجودة فيه ، ومن هنا فان ملاحظاتهم سواء على المادة أو المنهج أو الأسلوب تشكل عوامل رئيسية لنجاح هذا البحث فيما بعد ، وأرجو أن أكون عند حسن ظنهم .

كما لا يفوتني أن أشكر عمادة كلية العلوم الاجتماعية ممثلة في عميدها السابق الشيخ محمد بن عرفة ، وعميدها الحالي الدكتور محمد سالم العوفي وكذلك أساتذتي في قسم التاريخ وزملائي في الكلية عامة وقسم التاريخ خاصة ، وكل من أسدى الي معروفا يتعلق بهذا البحث والله يجزيهم كل خير ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

(=) بركهارت كذلك ، للتفصيل (نجيب العقيقي : المستشرقون ٢/٥٢ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، الزركلي : الاعلام ٩/٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ابحاث الندوة الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ٢/٤٥٣-٤٦٣ بحث الدكتور محمد سعيد الشعفي عن بركهارت) .

المدخل :

أبرز ملامح نجد الجغرافية والتاريخية حتى قيام الدعوة السلفية .

أ : نجد : الموقع والملامح الطبيعية :

١ - الموقع .

٢ - التضاريس .

٣ - المناخ وأثره على الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

ب : استعراض عام لتاريخ نجد قبل الدعوة .

أ - نجد بالموقع والملامح الطبيعية :

١ - الموقع :

تطلق العرب النجد والجلس - قليلا - على ماصلب من الأرض وشرف بحيث لا يصل فى ذلك الى ارتفاع الجبل ، كما تطلقه على الطريق المرتفع أو الطريق عامة (١) ومنه قوله تعالى : " وهد يناه النجد ين" (٢) أى طريق الخير وطريق الشر حيث اقتضت مشيئته سبحانه هداية الانسان لسلوك أيهما شاء (٣) .

والنجد بهذا المعنى يطلق على عدة مواضع الا أن أشهرها هو نجد المنطقة التى تقع فى وسط شبه الجزيرة العربية ، والتى لا ينطبق عليها كلها مفهوم النجد الا أن كثرة المرتفعات والهضاب بجانب المنخفضات جعلها تشتهر بهذا الاسم دون غيرها من النجود حتى أصبحت تشكل اقليما جغرافيا له كيان اجتماعى تتماثل عاداته وتتشابه تقاليده ، كما تشكل فى فترات الجدب والفاقة مصدرا بشريا للبلاد المجاوره عبر التاريخ اذ منها خرجت الموجات السامية التى عمّرت الأرض فى الهلال الخصيب وبلاد الرافدين بل قد انتقل قسم من هذه الموجات الى مصر وافريقية ، كما خرج منها معظم جيوش الفتح بعد الاسلام (٤) .

ونظرا لاختلاف مستوى الأرض فى نجد فان العرب تقول فيما ولي سراة الحجاز وسراة تهامة وهى العليا : " النجد " وتقول فيما ولى العراق وهى السفلى : "أرض نجد" (٥)

---

(١) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، طبع ونشر دار صادر ودار بيروت: لبنان ١٣٧٧/٣ ، ٥ / (٢٦١ ، ٢٦٢) ، عبد المؤمن البغدادى : مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ط (١) دار المعرفة . بيروت ، نشر الباز مكة المكرمة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م ١/ (٣٤ ، ٣/ ١٣٥٧-١٣٥٩) ، محمد بن يعقوب الفيروز ابادى : القاموس المحيط . نشر دار العلم للجميع . بيروت ١ / ٣٤٠ ، محمد ابن على الشوكانى : فتح القدير ط (٢) مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى مصر ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م ٥ / ٤٤

(٢) سورة البلد آية (١٠)

(٣) الشوكانى : المصدر السابق ٥ / ٤٤٤ ، سيد قطب : فى ظلال القرآن ط (٥) دار احياء التراث العربى . بيروت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م ٨م/ ٣٠ج /ص ١٩٥

(٤) عمر فروخ : تاريخ الجاهلية مطابع دار الكتب . بيروت نشر دار العلم للملايين بيروت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م ص ٣٦

(٥) الحسن عبد الله الاصفهانى : بلاد العرب تحقيق حمد الجاسر وصالح العلى ط (١) نشر دار اليمامة . الرياض ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ص ٣٣٦ ، الحسن ابن احمد الهمدانى : صفة جزيرة العرب . تحقيق محمد الاكوع . نشر دار اليمامة . الرياض ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م ص ٣٢٨ .

ولما كانت نجد تقع فى وسط شبه الجزيرة فقد أطلق عليها : " قلب شبه الجزيرة العربية (١) " وتشمل عدة مناطق . ففى الشمال منطقة حائل " جبل شمر " ومنطقة القصيم ، وفى الوسط منطقة العارض والشعيب وسدير والوشم والمحمل وهي ما يطلق عليها اداريا : المنطقة الوسطى ، وفى الجنوب منطقة الخرج والأفلاج ، ووادى الدواسر (٢) ، ويمكن القول : ان منطقة العارض تشكل قلب نجد وكانت تكون مع المنطقة الواقعة الى الجنوب منها منطقة اليمامة من الناحية الجغرافية فى حين يشكل شمالها منطقة نجد فى مسماها القديم الى أن غلبا سم نجد على ها تين المنطقتين بعد أن كانتا الى القرن الثامن الهجرى يطلق على كل منها اسمها القديم (٣) .

وتحد نجد من جهة الغرب بجبال الحجاز والسراة وهو ما يعرف قديما بالحجاز الأسود ، وما يتصل بهذين الجبلين المتلاصقين من حرار (٤) تتخفض تدريجيا حتى تنتهى شرقا الى أرض لا يميزها عما حولها من الأرض ارتفاع ظاهر فتلتقى بأرض نجد غرب جبل " حضن " (٥) ويروى عن العرب : " أنجد من رأى حضنا "

---

(١) ك ، س . توبتشيل ، ادوارد ج . جورجى : المملكة العربية السعودية ترجمة شكيب الاموى ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م ص ١٦ .

(٢) وتضم نجد حاليا ثلاث مناطق ادارية كبيرة هى : امارة منطقة الرياض وتضم مناطق العارض والشعيب وسدير والوشم والمحمل والخرج والافلاج ، ووادى الدواسر ، ٢- منطقة القصيم ، ٣- منطقة حائل .

(٣) ذكر ابن بطوطه فى عام ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م اليمامة باسمها وعاصمتها حجر ، ويبدو ان هذا الاسم بدأ يتضاءل تدريجيا ليندرج تحت اسم نجد . (محمد ابن عبد الله بن بطوطه : رحلة ابن بطوطة ، طبعة دار صادر . بيروت ص ٢٨٠ ، وراجع : امين سعيد : الخليج العربى ط مطابع الغد نشر دار الكاتب العربى . بيروت ص ٤٨ .)

D.R.M. THE ALTENYAN, HISTORY WRITING IN NAGD p.117

(٤) الحرار : جمع حرة وهى الأرض التي فيها حجارة سود مجتمعة مكونة من مصهورات اللافا والصخور البركانية متناثرة فى شبه الجزيرة على امتداد جبال الحجاز والسراة من جهة الشرق الا انه يوجد حرار فى مواضع اخرى كحرة رماح فى الدهناء ، الا ان المشهور منها ماكان غرب نجد ، وقد فصل الجغرافيون المسلمون القول عن هذه الحرارة ، (الاصفهانى : بلاد العرب ١٤ ، ١٥ ، عبد الله البكرى : " معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع تحقيق مصطفى السقا ط (١) مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م ، ٢ / ٤٣٥-٤٣٨ ، ياقوت ، ٢ / ٢٤٥-٢٥٠ ، عبد المؤمن البغدادي ١ / ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٤-٣٩٦ . د . محمد ابو العلا : جغرافية شبه جزيرة العرب ط (٣) مؤسسة سجل العرب . القاهرة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ٢ / ٣٨ ، د . محمد بيومى مهران " دراسات فى تاريخ العرب القديم . المطابع الاهلية للاوفست ، الرياض ، نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، المكتبة التاريخية (١) ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ص ١٠٦-١٠٨ ، عمر فروخ : المرجع السابق ٢٩ ، ٣٠ ، د . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب قبل الاسلام مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ص ١١-١٣ .)

(٥) حضن : قال البكرى : جبل فى ديار عامر ، ومن اقبل منه فقد انجد ، أى شاهد هذا الجبل فقد صار فى نجد لانه فى اعلى نجد ، وهو يقع شمال تربة غرب الخرمة ، قديما كان لباهلة ، وقيل لجشم والان للبقوم ، يوجد مواضع اخرى تحمل هذا الاسم ما بين مورد ماء وقرية وجبل الآن أشهرها هذا الجبل الذى قال فيه الشاعر

(=)

كما أن بعض الجغرافيين المسلمين قد حددوا غرب نجد بذات عرق (١) التى هى نهاية الحجاز من جهة نجد وهذا التحديد يدخل فى نطاق التحديد العام لغرب نجد الذى خصه هؤلاء الجغرافيون بالتفصيل (٢) .

أما من الشرق : فان أرض نجد تبدأ بالانخفاض تدريجيا حتى تتصل بأرض هجر" الأحساء" ولا يشاهد المرء أى ظاهرة طبيعية توحى بأن أرض هجر منفصلة عن أرض نجد بل يعتقد أن هجرا جزء لا يتجزأ من أرض نجد (٣) ، حتى أن الجغرافيين المسلمين قد حددوا نجدا من الشرق بالخليج العربى من محاذاة عمان جنوبا الى البصرة شمالا حتى ينتهى الى آطام الكوفة ومن هنا جاء قولهم : كل ماوراء الخندق الذى خندقه كسرى سابور قرب الكوفة ـ فهو نجد الى

(=) حلت سليمى بذات الجزع من عدن .. وحل اهلك بطن الحنو من حضن (الاصفهانى : ١١ ، الهمدانى : ٣١٩ ، البكرى : ٢/٤٥٥ ، ياقوت ٢/٢٧١ ، ٢٧٢ ، عبد المؤمن البغدادى ١/١٠٤١ ، حمد الجاسر : مقدمة المعجم الجغرافى للبلاد السعودية ط(١) مطبعة نهضة مصر ، نشر دار اليمامة الرياض ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ١/٣٢٩-٣٣١ ، شمال المملكة ، المطبعة العربية الحديثة ، القاهرة . نشر دار اليمامة الرياض ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، ١/٤٤٢ ، ٤٤٣ ، عبد الله بن خميس ، المجاز بين اليمامة والحجاز . نشر دار اليمامة . الرياض ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ص ٢٠١ ، ٢١١) .

(١) ذات عرق : مهل أهل العراق سميت بذلك لانها تشرف على جبل عرق الذى بطريق مكة ويوجد عدد من الجبال والقرى والامكنة بهذا الاسم أشهرها هذا الموضع ، تعرف الآن باسم الضريبة حيث تقع على واد بهذا الاسم فى أعلى نخلة الشامية ، وهى ملتقى حجاج شمال نجد بحجاج العراق وكانت الضريبة فى الأصل جزءا من ذات عرق ، أما اليوم فالضريبة أشهر من ذات عرق ، حيث تقع على واد بهذا الاسم (ابراهيم بن اسحاق الحربى المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، ط مطبعة المتنبى . بيروت . نشر دار اليمامة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م من ٣٤٧-٣٤٩ ، الاصفهانى ٣٣٩ ، الهمدانى ٦٤ ، ياقوت ٣/٤٥٦ ، ٤/١٠٧ ، ١٠٨ ، عبد المؤمن البغدادى ٢/٨٦٨ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، حمد الجاسر : مقدمة المعجم الجغرافى ٢/٨٠٤-٨٠٧ ، عاتق بن غيث البلادى : معجم معالم الحجاز ط(١) دار مكة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ٥/١٩٩ ، ٢٠٠) .

(٢) البكرى ١/١٣ ، ١٤ ، ياقوت ٥/٢٦٢ ، مجلة العرب س ١ / ع ١ ص ٢٠ من مقال للاستاذ محمد الفهد العيسى

(٣) مجلة العرب ، العدد السابق والصفحة السابقة

أن تميل الى الحرة (١) ، ولئن كان هذا التحديد لشرق نجد يتفق مع طبيعة الأرض، فانه لا يتمشى مع التحديد الذى مر لأقاليم منطقة نجد الذى يخضع للمؤثرات الاجتماعية وأساليب الحياة العامة.

أما من الشمال فان أرض نجد تحد بسواد العراق ومشارف الشام حيث تفصل صحراء النفود الكبير بين هضبة نجد وهاتين المنطقتين والى هذا أشار الهمدانى بقوله :" وطرف نجد العليا ومراعى هذه البلاد واعداد مياههما ود حولها وجبالها وقراها وبواديها . الى أطراف الحجاز وأشراف الشام وسواد العراق" (٢) وتمتد هضبة نجد بصورة سهلية شمال حائل حتى بادية الشام (٣).

ومن الجنوب تقف الكثبان الرملية الكبرى التى تمتد من عمان الى اليمن وهى رمال الربع الخالى أو ماتسمى قديما :" رمال الأحقاف" أو" رملة يبرين". تقف هذه الكثبان حاجزا بين هضبة نجد فى الشمال ومرتفعات حضرموت وظفار فى الجنوب حيث يشكل هذا الربع حوضا تحيط به جدران أربعة هى هضبة نجد فى الشمال ومرتفعات حضرموت وظفار فى الجنوب ومرتفعات عمان فى الشرق ومرتفعات جنوب غرب المملكة وشمال غرب اليمن فى الغرب (٤) ويتخلل منطقة التداخل بين

---

(١) البكرى ١/ ١٣ ، ياقوت ٢/ ٣٩٢، ٥/ ٢٦٢- (٢) الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ص ٢٧٩

(٣) د . عمر الفاروق السيد رجب: دراسات فى جغرافية المملكة العربية السعودية ط (٢) شركة الخدمات الصحافية والطباعة بيروت، نشر دار الشروق . جدة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ص ٤٤.

(٤) الأصفهانى ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، الهمدانى ٣١١ ، البكرى ١/ ١١٩ ، ١٢٠ ، ٤/ ١٣٨.٦ ١٣٨٧ ، وذكر انه يقال لها : يبرون ، ياقوت ١/ ١١٥ ، ١١٦ ، ٥/ ٤٢٧ ، ويشير الى أن "ابرين " لغة فيها ، د . محمود ابو العلا : المرجع السابق وذكر الهجرى انها كانت لبنى سعد من تميم فغلبهم عليها القرامطة ؛ (حمد الجاسر، ابو على الهجرى وابحاثه فى تحديد المواضع ط (١) نشر دار اليمامة . الرياض ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ص ٣٨٩).

نجد والربع الخالي وادى الدواسر الذى يستمد مياهه من وادى تثليث(١) من السفوح الشرقية لمرتفعات عسير حتى تنتهى هذه المياه شرقا عند أطراف الربع الخالي قرب خط الطول ٤٦ شرقا تقريبا (٢).

ومن الجدير بالذكر هنا التفريق بين التحديد الادارى والجغرافي حيث أشار بعض الجغرافيين المسلمين الى تحديد منطقة نجد فى كتبهم الجغرافية من الناحية الادارية فأخرجوا بعض مناطقها وضموها الى مناطق ادارية أخرى مما يتوهم معه بعض القراء أنهم اخطأوا فى تحديد نجد أو يتوهم بعضهم أن هذه المناطق هى فعلا خارج منطقة نجد، وكان هؤلاء الجغرافيون يستندون الى أن أجزاء من منطقة نجد كانت تضم اداريا الى ولاة المناطق المجاورة لها فقد كانت القصيم وأجزاء من شمال نجد تضم الى والى المدينة فى العهد الأموى، والى والى طرق الحج فى العهد العباسى (٣) مما جعل هؤلاء الجغرافيين يخرجون القصيم وأجزاء من شمال نجد كالحفر ومناطق من اقليم جبال شمر.

---

(١) قال الهمدانى: تثليث: واد بنجد وهو على يومين من جرش فى شرقيها الى الجنوب، وعلى ثلاث مراحل ونصف من نجران الى ناحية الشمال، وتثليث لبنى زبيد وهم فيها الى اليوم وبها مسكن عمرو بن معد يكرب الزبيدى (ت ٢١هـ/٦٤٢م) اهـ وقد ذكر البكرى عددا من القبائل قطنوها وذكر منهم بنى تميم وبيد و أن ذلك فى فترات متتالية، والوادى الآن من أشهر أودية المملكة فيه قرى كثيرة وامارة وتتبع امارة عسير (الهمدانى: ٢٥٣، ٣٢٩؛ البكرى ١/٣٠٤، ٣٠٥؛ ياقوت ١٥، ١٦ واشار الى أنها موضع بالحجاز وذكر تثنيث موضع بالسراة ولعله يقصد به تثليث، عبد المؤمن البغدادى ١/٢٥٥؛ حمد الجاسر: مقدمة المعجم الجغرافى ١/١٩٤).

(٢) د. محمود ابو العلا ٢/١٠٠، د. عمر الفاروق: ٤٤، محمود شاكر: نجد ط المكتب الاسلامى. بيروت، دمشق ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م: ص ٥١، ٥٢

(٣) الأصفهانى: ٣٤٠ من حاشية المحقق.

ومن هنا جاء قولهم : " اذا جاوزت عجلز (١) من ناحية البصرة فقد أنجدت واذا بلغت من ناحية سميراء (٢) أو دونها فقد انجدت " وقال بعضهم : " اذا جاوزت الحفر (٣) فأنت فى نجد " و" حد نجد من النباج (٤) " : و" اذا جزت القصيم فأنت فى نجد "

---

(١) عجلزة : الفرس الشديد ، وجمل عجلز وناقة عجلزة ، وتطلق على النفود الذى بازاء الحفر وفيه ماء ، وقال البكرى : انه فى طريق الحج بين قريتى ابن عامر قرب عنيزة ، ويفهم من كلامه وكلام ياقوت انه يمتد من الحفر الى شرق عنيزة ويميل العبودى الى ان عجلز هو مورد الزبيب الذى يقع فى رمال الغميس مستندا الى قول المتقدمين : ان عجلز فوق القريتين ، وانه بالقصيم ، وانه فى طريق الحج والله اعلم (الحربى : المناسك ٥٩١ ، الاصفهانى ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ ، البكرى ٨٧٢/٣ ، ٩٢٢ ، ياقوت ٨٦/٤ ، عبد المؤمن البغدادى ٩٢١/٢ الفيروز ابادى ١٨١/٢ ، ١٨٢ ، حمد الجاسر : ابو على الهجرى ٢٦٧ ، محمد العبودى : بلاد القصيم . مطبعة نهضة مصر . القاهرة نشر دار اليمامة الرياض ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ١٠٢/٣ ، ١٠٩١) .

(٢) سميراء : بالفتح ، وينطقها العامة بالكسر مع القصر : كانت مورد ماء على طريق الحج بين البصرة ومكة ، قيل : انها سميت برجل من عاد يقال له سميراء ، وقيل لانها تقع بين جبال وأكام سوداء ، عسكر فيها طليحة الاسدى ، يبدا تاريخها الحديث منذ ٥٠٠ سنة عند ما عمرها احد الشبارمة مع اسرة من الحميران من تميم ، وهى الان تتبع امارة منطقة حائل حيث تبعد عن حائل ١٣٠ كيلا جنوبا ويقطنها مع الشبارمة أسرمنها الجلاعيد من الدهامشة من عنزة ، وهناك مواضع بهذا الاسم بعضها بضم أوله (الحربى ٣١٣-٣١٦ الاصفهانى ٥١ ، ٥٢ ، الهمدانى ٢٨٦ ، البكرى ٧٥٧/٣ ، ياقوت ٣٥٥/٣ ، ٣٥٦ ، عبد المؤمن البغدادى ٧٤٠/٢ ، حمد الجاسر : شمال المملكة ٦٩٣/٢-٦٩٥ ، عبد الله بن صقيه : بنو تميم فى بلاد الجبلين المطابع الاهلية للاوفست ، الرياض باشراف دار اليمامة . الرياض ١٤٠١هـ - ١٩٨١م من ص ٦٨-٧٣) .

(٣) الحفر : بفتح الحاء والفاء يطلق على الحفرة والتراب المستخرج منها ، والمقصود بها ركايا احتفرها ابو موسى الاشعرى رضى الله عنه (٢١ ق هـ/٦٠٢م - ٤٤هـ/٦٦٥م) على طريق مكة البصرة عند توليه امارتها ١٧هـ ، وتقع الحفر الان شمال شرق المملكة وتعرف باللام او باضافتها الى الباطن الوادى المعروف قديما بفلج حيث تقع على ضفافه وهى تتبع الان امارة المنطقة الشرقية ، وهناك عدة مواضع بهذا الاسم الا ان اشهرها هذا الموضع (الحربى ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٧٦ ، ٥٨١ ، وذكر انه كان يسمى الحفير قبل ابى موسى ويروى قصة حفر ابى موسى لها ، الاصفهانى ٢٤٧ ، ٢٧٦ ، ٢٩٤ ، وذكر انه سمى بعد حفر ابى موسى له بحفر العنبر حيث قد قطنه أناس من بنى العنبر من بنى تميم ، الهمدانى ٢٨٦ ، البكرى ٤٥٧/٢ ، ١٠٢٧/٣-١٠٢٩ ، الفيروزابادى ٢٧٥/٢-٢٧٧ ، ٢٧٢/٤ ، عبد المؤمن البغدادى ٤١٢/١-٤١٤ ، حمد الجاسر : شمال المملكة ٤٤٧/٢ ، مقدمة المعجم الجغرافى ٣٣٤/١ ، ٣٣٥ ، العبودى : بلاد القصيم ١٦١/١ ، ١٦٢) .

(٤) النبّاج : شدة الصوت ، ونباج الكلب : نباحه ، وأنبج الرجل : خلط فى كلامه والنباج : الاكام العالية ، وقد ذكر الاصمعى : عبد الملك بن قريب (١٢٢هـ/٧٤٠ - ٢١٦/٨٣١م) انها سميت بذلك لكثرة اهلها ، وكثرة الاصوات ، ولعل فى ذلك بعض الصحة الا ان الهمدانى ذكر انها عيون (=)

و: "القصيم من عمل المدينة" و"كل ما ارتفع عن بطن الرمة فهو نجد"[(١)]. وكل هذه التحديدات وما شابهها لا تعدو أن تكون ضمن التقسيمات الادارية للولايات الاسلامية فى فترة من الفترات.

وبعد: فلعل أشمل تحديد لنجد ذكره الجغرافيون المسلمون هو قولهم: "نجد هو اسم للأرض العريضة التى أعلاها تهامة واليمن وأسفلها العراق والشام"[(٢)] وهو الذى يتمشى مع التحديد الحالى الذى يحدد نجدا من الغرب بجبال الحجاز ومن الشرق برمال الدهنا وماسامتها، ومن الجنوب باليمن ومن الشمال بالشام والعراق[(٣)].

ويقرر ياقوت الحموى - وهو حجة فى هذا العلم - أن الشعراء لم يذكروا موضعا أكثر مما ذكروا نجدا، نرغم الجو القارى القاسى بحرارته وبرودته صيفا وشتاء الا أن لنجد سحراً وروعة جعلت عددا كبيرا من الشعراء يتغنون بها ويبدو أن ذلك لمراعيها الجيدة التى تشتهر بها والتى كان يربى عليها أجود الخيول العربية[(٤)] ولنقاء جوها رغم قسوته اذ يخلو من الأوبئة التى تكثر فى المناطق ذات الكثافة السكانية

(=) تنبع بالماء، وقد أيده الجاسر والعبودى على اساس أن الأسياح حاليا تطلق على المنباج قديما، واول من انبج ماءها عبد الله بن عامر بن كريز الاموى وهو صحابى وفاتح وأمير فى العهد الراشدى والاموى (٤هـ/٦٢٥م-٥٩هـ/٦٧٩م) وسميت بعد ذلك بعيون ابن عامر، ويبدو ان عيون الجواء من عيون ابن عامر كذلك، اما تاريخ النباج والاسياح الحديث فيبدا منذ ان حفر محمد بن فهيد جد آل فهيد - اول عيون الاسياح فى اوائل القرن ١٣هـ/اواخر القرن ١٨م، وهى الان تتبع امارة القصيم اداريا وهناك اكثر من نباج قديم اشهرها هذا، (الحربى ٥٣٥، ٥٨٦، ٥٨٩، ٦٠٠، ٦٠٧، ٦١٢، الاصفهانى ٢٦٧، ٣٣٩، ٣٤٨، الهمدانى ٢٨٠، البكرى ٤/١٢٩١، ١٢٩٢، ياقوت ٥/٢٥٥، ٢٥٦، عبد المؤمن البغدادى ٣/١٣٥٢، الفيروزابادى (/٢٠٨، حمد الجاسر: مقدمة المعجم الجغرافى ٢/٢٧١ (، شمال المملكة ٣/١٣٠٥، وعن تاريخ وجغرافية النباج بالتفصيل العبودى، بلاد القصيم ١/٣١١-٣٤٥، ٣/١١٩٠/١١٩١)

(١) عن هذه النصوص انظر الاصفهانى ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠

(٢) انظر ياقوت ٥/٢٦٢

(٣) د. عبد الله بن يوسف الشبل: تاريخ نجد والدولة السعودية مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ١/٢٥

(٤) ياقوت ٥/٢٦٢، محمد مبروك نافع: عصر ما قبل الاسلام ط(٢) مطبعة السعادة مصر ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م ص ٢١، وقد اثنى ابن جبير وابن بطوطة على جو نجد فى رحلتيهما للاستزادة: محمد بن احمد بن جبير، الرحلة: طبع دار صادر ودار بيروت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م نشر دار الباز مكة ص ١٨١، ١٨٢ ورحلة ابن بطوطة ص ١٧٣، ١٧٤.

والأنهار التى تكون مياهها عرضة للتلوث، وكذلك أرضها التى تهب منها رياح غير صحية وخاصة حين تتعرض للأمطار أو الرطوبة على أقل تقدير، وقد قرر هذه الحقيقة أحد الشعراء الذى قدم الى بغداد فأصابه وباء جعله يكره العيش فيها رغم رغده حيث قال :

أرى الريف يدنو كل يوم وليلة .·. وأزداد من نجد وصاحبه بعدا

ألا ان بغدادا بلاد بغيضة .·. الىّ، وان كانت معيشتها رغدا

بلاد تهب الريح فيها مريضة .·. وتزداد خبثا حين تمطر أو تندى (١)

ويؤكد هذه الحقيقة شاعرا آخر حيث يقول :

أذا العرش لا تجعل ببغداد ميتتى .·. ولكن بنجد، حبذا بلدا نجد

بلاد نأت عنها البراغيث، والتقى .·. بها العين والآرام والعفر والربد (٢)

وتثير أحد الشعراء النواحى الاجتماعية النجدية التى تتسم بالوضوح والصراحة سواء كان ذلك فى الأمور الدينية أو الدنيوية مما يتوهم معه الذى لا يعرف عادات أهل نجد أن ذلك جفاء وغلظة، فيبدى هذا الشاعر اعجابه بأهل نجد حيث يقول :

ألا حبذا نجد، وطيب ترابه .·. وغلظة دنيا أهل نجد ودينها

ويقول آخر : خليلى هل بالشام عين حزينة .·. تبكى على نجد لعلى أعينها

---

(١) ياقوت ٥/ ٢٦٥، وقد اشادت الليدى آن بلانت بجو نجد - انظر رحلتها الى بلاد نجد ترجمة محمد انعم غالب ط (١) ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م منشورات دار اليمامة، الرياض، ص ٢٣١، كما اشاد لوبون نقلا عن بلغريف بجو نجد مشيرا الى انه لم ير ما هو انفع من جوها للصحة فى العالم. (غوستاف لوبون حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الثالثة دار احياء الكتب العربية القاهرة. نشر دار احياء التراث العربى بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ص ٥٨)

(٢) العين : جمع عيناء وهى المرأة الحسناء، أو واسعة الأعين حسنتهن (الدعجة) ومنه قوله تعالى " وحور عين" الواقعة (٢٢) الآرام : جمع أرم وريم وهو حسن الخلق، جارية مأرومة : جميلة، العفر : جمع أعفر وعفراء، يطلق على الظبى الذى يعلو بياضه حمره أو الأبيض غير الشديد بياضا، والمقصود : نساء بيض خلقه وليس بياضا شديدا، الربد : جمع ربداء وهى العنز السوداء المشوبة بألوان حمراء، والمقصود النساء السمر بميل الى الحمرة (الفيروزأبادى ١/ ١٨٨، ٢٩٣/٢، ٩٢/٤، ٧٤/٢٥٢).

ويقول آخـــر :

ألا هل لمحزون ببغداد نـازح ∴ اذا مابكى جهد البكاء مجيـب

كأنى ببغداد ، وان كنت آمنـا ∴ طريد دم نائى المحل غريـب

فيالائمى فى حب نجد وأهلـه ∴ أصابك بالأمر المهم مصيـب (١)

ويروى أن عشرة من الخوارج جئ بهم الى عبد الملك بن مروان فأمر بضـرب رقابهم وكان ذلك اليوم يوم غيم ورعد وبرق ، فلما ضربت رقاب التسعة وبقى العاشـر نشأت برقة من جهة الجنوب فأنشأ يقول على البديهة هذين البيتين ، ولعله كـان نجديـا :

تألق البرق نجديا فقلت لـه ∴ يا أيها البرق انى عنك مشغـول

بذلة العقل حيران بمعتكـف ∴ فى كفه كحباب الماء مسلـول

فقال له عبد الملك : ما أحسبك الا وقد حننت الى وطنك وأهلك أو قد كنـت عاشقا ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك ، وقد تأثر بهذين البيتيـن لو سبق شعرك قتل أصحابك لوهبناهم لك ، خلّوا سبيله ، فخلوه ، وهكذا كانت قـوة هذين البيتين ، وصدق مشاعر قائلها سببا فى انقاذ حياته . (٢)

ولئن كان من المتوقع أن يكون هؤلاء الشعراء من نجد ، فلا غرابة حينئذ فـى حنينهم الى وطنهم فحب الوطن غريزه وهبها الله فى نفس ابن آدم ، الا أن قـوة ألفاظ هذه الأبيات ، وروعة معانيها تجعل من الأهمية بمكان اثباتها هنا ، والأهـم من ذلك أن نجدا قد تغنى بها من ليسوا من أهلها ، فهذا حافظ ابراهيـم (٣)

---

(١) ياقوت ٥/٢٦٣ ، ٢٦٤

(٢) عن الابيات السابقة وغيرها مما قيل فى نجد قديما أنظر: ياقوت ٥/٢٦٢ - ٢٦٥ ، مجلة كلية الاداب جامعة الملك سعود الرياض سابقا م ١/س١/١٣٩٠ ١٩٧٠م من ص ١٨-٢١ من مقال للدكتور عزة النص.

(٣) هو الشاعر محمد حافظ بن ابراهيم فهمى . أبوه مهندس مصرى ، وأمه تركيـة وجده لامه امين صرة الحج ـ وهو المال الذى كانت تبعث به مصر لخدمـة الحرمين فى موسم الحج ـ ولد حافظ فى الصعيد سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٢م ، توفى أبوه بعد سنتين ، وقيل اربع من ولادته ، ولم يرزق ولدا غيره ، انتقلت بـه امه بعد وفاة ابيه الى القاهرة عند اخيها الذى تولى تربية حافظ ، فادخلـه مدرسة ، وانتقل مع خاله الى طنطا ، وبدا نظم الشعر فى حداثة سنه ، واشتغل محاميا ، وتخرج عسكريا فى الكلية الحربية برتبة ملازم ثان ، تعرف على الشيخ (=)

قد خص نجدا بذكر المعجب بصفاء جوها ، وشاعرية طبيعتها حيث قد خصها ببيت كامل بينما جمع البلدين والثلاثة في بيت واحد ويبدو أنه قد تأثر بجزالة ألفاظ الشعر الذى قيل فى نجد ، فقد قال فيها :

ففن ربوع النيل ، وأعطف بنظرة ∴ على ساكنى النهرين واصدح وأبدع

ولا تنس نجدا إنها منبت الهوى ∴ ومرعى المها من سارحات ورتع(١)

وهذا البهلول(٢) : احد الشعراء الليبيين فى القرن الحادى عشر والثانى عشر

(*) محمد عبده ، امتاز شعره بفضح الانكليز حتى لقب "بشاعر النيل" توفى عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م ، له ديوان ، وترجم جزءين من البؤساء لهيجو ، وكتب فى الاقتصاد وغيرها ، وكتب عنه عدة مقالات وكتب للتوسع :(ديوان حافظ ابراهيم : تحقيق احمد امين واحمد الزين ، ابراهيم الابيارى ، الطبعة الثانية طبع ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م مقدمة الطبعتين الاولى والثانية ١/ ٩-٩٣ ، خيرالدين الزركلى : الاعلام . الطبعة الثالثة . بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩ ج٦/ ٣٠٤ ، ٣٠٥)

(١) ديوان حافظ ابراهيم ١/ ١٢٨ ، والمقصود بالنهرين : دجلة والفرات ، دكتور محمد بن سعد بن حسين : الشيخ محمد بن بليهد وآثاره الادبية الطبعة الاولى : مطابع اليمامة . الرياض ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ ١/ ٥٤٨ .

(٢) هو الشاعر الليبى احمد بن حسين بن احمد وينتهى نسبه بسيد الناس ؟ اشتهر بالبهلول وهو لقب له ولوالده وربما لاسرته ، ويطلق لغويا على الضحاك والجامع لكثير من صفات الخير ، وللبهلول نصيب من الصفة الثانية ، ولد بطرابلس فى اوائل القرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادى ، ونشأ نشأة دينية صوفية ، والده من مؤرخى ليبيا ، رحل الى مصر وتعلم على أيدى بعض علمائها له مكانة علمية وادبية لدى الليبيين ، له درة العقائد سبعون بيتا و"المعينة" منظومة فى فقه ابى حنيفة ، و"المقامات النورية" على نمط مقامات الحريرى ، و(العِزِّية) فى فقه مالك وعدد من الرسائل ، وديوانه الملئ بالقصائد الرائعة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم لولا ما فيها من الغلو المنهى عنه شرعا ، توفى فى رجب ١١١٣هـ/ ١٧٠١م وهناك اكثر من بهلول . منهم بهلول بن بشر (توفى ١١٩هـ/ ٧٣٧م) احد الخوارج ، والبهلول بن راشد (١٢٨هـ/ ٧٤٥م)-١٨٣هـ/ ٧٩٩م) احد زهاد المالكية ومن اوائل ناشرى المذهب المالكى فى تونس ولعله من اجداده ، بهلول بن عمرو (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٦م) الشاعر واحد عقلاء المجانين ، وشيخ الادب فى الشام فى القرن الثانى عشر الهجرى ، عبد الرحمن بن محمد البهلول : توفى ١١١٣هـ/ ١٧٤٩م ، للتوسع :(موطا الامام مالك . قطعة منه برواية ابن زياد : تقديم وتحقيق محمد الشاذلى النيفر الطبعة الثالثة ، دار الغرب الاسلامى . بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ص ٧ ، ٢٣ ، ٣٦ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ١٠٣ - الفيروز ابادى ٣/ ٣٣٩ ، أحمد البهلول : ديوان البهلول ، شرح وتحقيق الطاهر احمد الزاوى : الطبعة الرابعة . نشر مكتبة القاهرة ، القاهرة ، والمكتبة الاسلامية بالبحرين ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م من ٣-٥ ، أحمد البديرى الحلاق حوادث دمشق اليومية ، تنقيح محمد القاسمى : تحقيق ونشر د : احمد عزت عبد الكريم : الطبعة الاولى : مطبعة لجنة البيان العربى . القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م ص ٩ ، ٤٠ ، ١٢٣ ، ١٣٩ ، الزركلى : الاعلام ١/ ١١٥ ؛ ٢/ ٥٥ ، ٥٦ ، على مصطفى المصراتى : ابن غلبون ، مؤرخ ليبيا ، الطبعة الثانية دار العودة ، ومطبعة المتنبى ، بيروت ، نشر دار مكتبة الفكر - طرابلس ليبيا ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢ ص ٥٠ ، ٥١) .

الهجريين قد تغنى بصبا نجد وأشاد بذكر نجد المنطقة، فى معرض ذكره لطريق حجه وحنينه الى الحجاز ويبدو أن الشاعر قد أعجب بصفاء عقيدة أهلها كصفاء جوها اذ أبرز حنينه وحنين ناقته اليها بعد أن أطنب فى ذكر أشواقه الى بلد الحجاز مهد الاسلام، وهو فى هذا قد نظر الى التكامل الجغرافى الحيوى بين المنطقتين، وقد قال فى مدح نجد أبياتا منها :

قصد تكما عوجا بنجد وسلما ∴ على مدنف أضحى من الحب مغرما

خذوا من صبا نجد حديثى اذا سرى ∴ ليخبركم عن شرح حالى وما جرى

وقد حث حادى العيس بالبيد أينقا

اذا ما رأت نجد يحن حنينها ∴ ويعلو اذا جن الظلام أنينها

الى نحو وادى الخيف ترنوعيونها ∴ قوائمها تشكو الوجى وجفونها

شكت مدمعا لولا الزفير لأغرقا (١)

وقال : وغصن شبابى بالقطيعة قد ذوى ∴ جزى الله خيرا جيرة الحى واللوى

ومن حل فى نجد ورملة عالج (٢)

وقال : يحن الى الوادى اذا ناح طيبه ∴ وان ذكرت نجد يزيد نحيبه

محب جفاه نومه، وحبيبه ∴ صدى فى حشاه ليس يطفى لهيبه (٣)

ومدائحه لمنطقة نجد مبثوثه فى ديوانه سواء كان ذلك تلميحا، أو تصريحا بذكر نجد أو مناطق معينة منها تصور الشاعر وكأنه من أهلها يعرف مناطها المغمورة (٤)

---

(١) عوجا : عرجا ، مدنف : مريضا ملازما ، مغرما : أسير حب، أينق : جمع ناقة وادى الخيف : المقصود الخيف ما انحدر من الجبل وارتفع عن المسبل ويقصد هنا منى ، الوجى : ماصلب من الأرض (ياقوت ٢ / ٤١٢، ٤١٣ ، الفيروزابادى ٣ / ١٤٠ / ١٤١، ٢٧٨، ٤ / ١٥٦، ٣٩٨ ، وعن الابيات : ديوان البهلول ١١٤، ١١٥)

(٢) اللوى : منقطع الرمل ، ووادى اللوى من أودية بنى سليم فى بلاد العرب وهناك اكثر من لوى بعضها فى نجد ، رملة عالج : هى صحراء النفود الكبير فى شمال المملكة (ياقوت ٤ / ٦٩، ٧٠، ٥ / ٢٣، ٢٤ حمد الجاسر : شمال المملكة ٣ / ٨٧٢-٨٧٥، وعن الأبيات: ديوان البهلول ص ٣٥)

(٣) لعل المقصود بالوادى وادى الخيف . الديوان ص ٩٣، ٢٨١

(٤) انظر على سبيل المثال ص ٢٢، ٤٠، ٥٨، ٨٩

ويبدو أن الشاعر قد تعامل مع أهلها فأعجب بهم، أو درس منطقة نجد وما قيل فيها في كتب الأقدمين وشعرهم أو أن الشاعر كذلك لم يتعرض لغارات قطاع الطرق فيما بين نجد والحجاز.

اما الشعر الشعبى فقد أجاد قائلوه بذكر قلب الجزيرة العربية النابض، والاشادة بمحاسنه التى عوضه الله بها عما افتقدته من الأشجار والأنهار والغابات، الا أن هذا الشعر لا يرقى الى مستوى الشعر الفصيح جزالة لفظ وقوة معنى، وسرعة فهم لأهل العربية عامة، وهذا ماحدابى الى عدم ايراد أغلب ماقاله الشعراء الشعبيون فى هذا المجال، لكن هذه الأبيات التالية التى قالتها احدى شاعرات نجد الشعبيات يمكن أن ترقى الى مستوى الشعر الفصيح الذى قيل فى نجد فى قوة الأداء وصدق الاحساس اللذين يؤديان دورا فى هذا الشعر يعوض مايفتقده من جزالة اللفظ الذى يتمتع به الشعر الفصيح، ولا غرابة فى ذلك فالشاعرة تتحدث عن بلدها وموطن أهلها وعشيرتها حيث قالت:

ياحبى اللى من سما نجد غطاك .·. سحايب زرقا وصدر حنونى

فيها ربيت ومنها أصلك ومنشاك .·. غطتك نجد بضافيات الردونى

يانجد قلبى لك حبيب ويهواك .·. كم عشت بك من ضافيات الشجونى

ياللى رعيتينا عسى الله يرعاك .·. ويسقى ثراك من الحيا والمزونى

ياقلب لا تبعد عن الدار بخطاك .·. خلك قريب من مظنة عيونى

عش وسط نجد اللى بها ايام مرباك .·. أيام والله غالية ماتهونى

فى وسطها شوفك وحبك ونجواك .·. ربيعها لك يافؤادى فتونى

يانجد يادبرة هلى كيف أبنساك .·. منساك أنا يانجد لويبعدونى (١).

(١) الردون: جمع ردن وهما آخر الأكمام وهى عادة ماتكون واسعة وهى فصيحة لكن المفروض جمعها يكون على اردان او ردن، ولما كانا اثنين فالصحيح ان لا يجمعا بل يقال ردنان، ويبالغ فى سعتها احيانا حتى توصف بالضفاء ومثل البيت المثل "بردان طاح على متلحف ردونه" وهى من طرز اللباس النجدى القديم. (الفيروزابادى ٤ / ٢٢٧ العبودى، الامثال ١ / ٢٥٥ رقم ٣٧٣)، ابنساك: ابى: فصيحة بمعنى رض والمعنى كيف ارضى بنسيانك مثل منساك: مجموعة من ما بمعنى لا وانساك والمعنى لا يمكن أن انساك، الفيروزابادى ٤ / ٢٩٧، وعن الابيات، اغاريد السعودية: صدى الذكرى (=)

ولو تتبع الباحث ماقيل فى نجد قديما وحديثا ، شعرا ونثرا ، من أهلها أو من غيرهم لضاق المجال لانه يحتاج بحثا مستقلا ، ولكنها المامه لا بد منها بعد ذكر موقع نجد المتميز فى شبه الجزيرة العربية الذى دلت هذه الأقوال على أهميته كقلب حنون لأمة الاسلام على أساس أن نجدا قلب الجزيرة العربية مهد الاسلام، وعلى أساس أن اللغة التى نتكلم بها والأدب الذى نتغنى به قد نشأ فيها ، ومنها خرجت الموجات السامية التى عمّرت الأرض فى مصر والعراق والشام، كما خرجت منها معظم جيوش الفتح الاسلامى ، وفيها جرى معظم التاريخ الذى ندرسه قبل الاسلام.(١)

(*) ديوان شعر ، الطبعة الأولى ، المطابع الاهلية للاوفست، نشر دار الناصر، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص ١٠

(١) عمر فروخ : تاريخ الجاهلية ص ٣٦ ، وعن بعض مدلولات كلمة نجد ، محمود شاكر ، نجد من ص ١١-١٦

٢- التضاريس:

يمكن اعتبار منطقة نجد هضبة صحراوية بشكل عام حيث تضم مختلف أنواع الصحارى وحيث تختلف ارتفاعاتها بين ٤-٦ آلاف قدم فوق سطح البحر لتنخفض الى ألفي قدم شرقا حيث تنتهي الى أكثبة الدهناء الحد الفاصل بين نجد وشرقي شبه الجزيرة.(١)

واستنادا الى عدة عوامل جيولوجية، وتضاريسية، ومناخية مرت بشبه جزيرة العرب وما حولها عبر حقبها التاريخية القديمة،(٢) يمكن تقسيم سطح نجد الى قسمين رئيسيين هما:

١- القسم الغربي : وهو الامتداد الشرقي للدرع العربي الذى نشأ عن الانكسار العظيم الذى انفصلت بسببه شبه الجزيرة عن افريقية حيث كانتا تشكلان جزءا رئيسيا من قارة جوندوانا القديمة، وكان تأثر غرب نجد بهذا الانكسار أشد من شرقها،(٣) ويمتد هذا القسم من النفود الكبير شمالا حتى الربع الخالي جنوبا، ومن الهضاب الغربية غربا حتى الحافات الصخرية التي تقع غرب نفود السر والدهي شرقا،(٤) ويتكون هذا القسم من التكوينات العرقية القديمة(٥) من الصخور النارية التي أثرت فيها عوامل التعرية

---

(١) د. عمر الفاروق : المرجع السابق ص ٤٤، وعن أنواع الصحارى. مجلة كلية الآداب جامعة الرياض العدد السابق من مقال للدكتور عزة النص.

(٢) عن هذه العوامل بالتفصيل : محمود شاكر: نجد من ص ١٧- ١٩

(٣) د. عبد الرحمن الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية ط(١) مطبعة نهضة مصر نشر دار المريخ ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ١/٥٢، محمود شاكر: المرجع السابق ص ١٧.

(٤) د. محمود أبو العلا : المرجع السابق ٢/ ٣٩، ٤٢.

(٥) يبدو أن كلمة ERG محرفة من العرق الذى يجئ بمعنى الكثيب المتطاول كما يجئ بمعنى الجبل الغليظ لا يرتقى لصعوبته بينما يخطئ كثير من الجغرافيين فيقولون : أركي وأركية وهي عرقية، كما أن الصحراء الحجرية "الحمادة" اخذها الغربيون عن العربية فسموها Hamad أو Hamada ويبدو أنها محرفة عن الهمود من قوله تعالى "وترى الأرض هامدة" الآية ٥ الحج (=)

فأوجدت بين هذه التكوينات أحواضا ملأتها الرياح بصفار الحصا" الحصباء" تشكل منها صحراوات حجرية " حمادات" تكون وعرة المسالك قليلة النبات وذلك في غرب هذا القسم، أما في شرقه فتملأ الرياح هذه الأحواض بالتراب بعد أن سقط منها صفار الحصا لتشكل منها أكثبة رملية على شكل حافات رملية مستطيلة، أو عروق، أو قبابية الشكل أو هرمية أو أشكالا أخرى غير منتظمة حيث تضم الكثيب الصغير الى جانب الكبير وتبدو بديعة أمام الناظر.[1]

وأهم مظاهر السطح فى القسم الغربى من هضبة نجد هى :

أ - جبال أجا وسلمى، وتعتبر جبال أجا أكثر ارتفاعا من جبال سلمى، وتمتد أجا حوالى ٦٥ كيلا من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى، وهى مجموعة كبيرة من الكتل الجبلية، وتتراوح ارتفاعات قممها بين ١٤٠٠ متر الى ١٧٠٠ متر فوق سطح البحر كما يتراوح عرضها بين ١٠-٢٠ كيلا، وأعلى سلاسل جبال أجا وأشدها تقاربا الى بعضها هى الوسطى منها، أما الجنوبية فهى مقسمة الى جبال متفرقة، أما جبال سلمى فتقع الى جنوب شرق جبال أجا، وتمتد حوالى ٥٥ كيلا من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى، وهى أضيق من سلاسل أجا حيث يبلغ أقصى عرض لها ٧ أكيال بحيث تبدو أمام الناظر أقل ارتفاعا وامتدادا من أجا حيث ترتفع ١١٠٠ متر فوق سطح البحر وتتألف أجبال سلمى من عدد من الجبال والتلال، كما يوجد الى الجنوب منها عدد من الحرات، ويشكل ما بين أجا وسلمى حوضا واسعا تتجمع فيه مياه الأمطار، ويبلغ أقصى بعد بينهما ٥٠ كيلا.[2]

(=) وهى التى لا حياة فيها ولا عود ولا نبات ولا مطر، وقد عرفت الحمادات كمواضع فى نجد ويطلق على الحمادة البيضاء" العبلاء" وقد يطلق ذلك على الحمادة عموما سواء كانت حجارتها بيضاء او سوداء، كما يطلق عليها الارض العزاز وينطقها عامة نجد باسقاط الزاى الاخيرة. (ياقوت: ٢/ ٢٩٨، ٤/ ٨٠، الفيروزابادى: ١/ ٣٤٨، ٣/ ٢٦٣، ٢/ ١٨٢، ٤/ ١١، مجلة كلية الآداب، العدد السابق ١٨.)

(١) د. محمود ابو العلا ٢/ ٣٩، ٤٠، ٤٢

(٢) حمد الجاسر، شمال المملكة ١/ ٤٠٦-٤٢٦ عن الحرار والحزون فى شمال (=)

ب - تلال رملية يتخللها تلال صخرية على شكل جبال صغيرة، وتمتد من وادى الرمة شمالا الى وادى تثليث واتصاله بوادى الدواسر جنوبا، وقد قطعت هذه التلال عدد من الأودية الصغير والكبيرة أبرزها وادى الرمة[1] ووادى الدواسر.

٢- القسم الشرقي :- يمتد هذا القسم من نفود السر والدحى غربا الى الدهناء شرقا ويشمل تكوينات رملية على شكل نفد[2]، وتلال صخرية على شكل جبال[3] ويمكن ترتيبها على النحو التالى :

١- تكوينات رملية تشمل نفود السر ونفود الدحى وصعافيق[4] وتنتشر فيها بعض

(=) المملكة، د . ابو العلا : ٢/٢٤٢، ٢٤٣، د . عبد الرحمن الشريف، المرجع السابق ٥٢، حسين حمزه بندقجي : جغرافية المملكة العربية السعودية ط(٢) المطبعة الفنية الحديثة. نشر مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، مجلة العرب جـ ٥، ٦/س ٩ القعدة والحجة ١٣٩٤هـ، ص ٣٤٧، جـ ٧، ٨/٩ س محرم وصفر ١٣٩٥هـ/ ٥٦٤، ٥٦٥، جـ ٩/١٠ س ٩ الربيعان ١٣٩٥هـ/ ص ٦٧٧، ٦٧٨، جـ ٧/٨ س ١٠ محرم وصفر ١٣٩٦ هـ ص ٥٥٦، ٥٥٧ من ترجمة الكتاب" شمال نجد " للمستشرق موزل، وعن قصة أجا وسلمى وما كتبه الجغرافيون المسلمون عنهما : البكرى ١/١٠٩-١١١، ٣/٧٥٠، ياقوت : ١/٩٤-٩٩، ٣/٢٣٨

(١) د . ابو العلا ، المرجع السابق ٢/٢٤٣.

(٢) نفد : جمع نفود وهو كثيب الرمل الواسع نسبيا، قال فى القاموس:" فيه منفد عن غيره : اى مندوحة وسعة، وتجد فى البلاد متنفدا : اى مراغما (الفيروزابادى ١/٣٤١)

(٣) حسين بندقجي : المرجع السابق ٧٠، ٧١، د . عبد الرحمن الشريف: المرجع السابق ٥٢.

(٤) صعافيق : قال البكرى صعفوق وصعفوقة قرية باليمامة سكانها يسمون آل صعفق او الصعافقة، وهى تقع فى منطقة سدير قرب مبايض، وافاد ياقوت بوجود قناة تجرى فيها بنهر كبير، كما ذكر بانها تطلق على اللئيم من الرجال وجمعها صعافيق، ويوم صعفوق من ايام العرب بين بنى بكر وتميم، وتطلق فى لهجة النجديين على الاحمق او الذى لا يستقر على راى او سلوك معين، اما صعافيق المقصود هنا والذى ذكره الهمدانى باسم الشعافيق والذى يبدو ان العامة قد سموه بصعافيق لان رماله تتحرك كثيرا فيقع شرق الزغيبية التابعة لعنيزة ويمتد غربى نفود الشماسية حتى نفود السر جنوبا. (الهمدانى ٢٩٠، ٢٩٣، احمد بن عبد ربه الاندلسى : العقد الفريد . دار الفكر

(=)

الواحات الزراعية .

٢- تلال صخرية مرتفعة نسبيا وتقع شرق المنطقة السابقة وتنتشر بين هذه التلال كذلك الواحات الزراعية .

٣- تكوينات رملية وتقع شرق المنطقة السابقة وتشمل نفود الثويرات والمظهور وقنيفدة فى الشمال وامتداد الدحى فى الجنوب .

٤- تلال صخرية متناثرة أبرزها جبال طويق "العارض" الافلاج و"العويرض" والعرض" ويجرى فى هذه المنطقة بعض الأودية أبرزها وادى حنيفة ، ونساح ، وودبان الأفلاج وتنتشر فى هذه المنطقة الواحات الزراعية .(١)

٥- تلال صخرية تفصلها عن التلال السابقة تلك الواحات الزراعية والأودية السابقة وتوجد فيها بعض الصدوع أو " الخفوس" وأبرزها هيت ، ومجزل ، وجبيل ، وتوجد بعض الهضاب كالعرمة والبياض ، وهريسان .

٦- جدار الدهناء الرملى الذى هو عبارة عن شريط من الكثبان الرملية المتوازية ويفصل بينها عروق صخرية قليلة الارتفاع ، ويقع هذا الجدار بين التلال السابقة غربا والدبدبة والصمان شرقا ، ويعتبر الدهناء آخر امتداد لنجد من الشرق ، وتختلف اتجاهات أكثبة الدهناء تبعا لاتجاهات الرياح السائدة فى المنطقة حيث تتجه فى القسم الشمالى منها من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى ، وفى القسم الجنوبى من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى حتى تتصل برمال الربع الخالى على شكل قوس من الشمال الى الجنوب .(٢)

(=) بيروت ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م ٣م/ج ٦/ ٥٥، ٥٦ ، البكرى ٣/ ٨٣٣ ، ياقوت ٣/ ٤٠٧ ، الفيروزابادى ٣/ ٢٥٣ ، عبد الله بن خميس: **معجم اليمامة ط (١) مطبعة الفرزدق الرياض ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ٢/ ٧١ ، وعن تحديد صعافيق (العبودى ، بلاد القصيم ٤/ ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، وافادة من استاذى الدكتور عبد الله الشبل)**

(١) د . ابو العلا ، المرجع السابق ٤٤ ، ٤٥ ، بند قجى ٧١

(٢) أبو العلا ٤٥ ، ٤٦ ، محمود شاكر . نجد ٢٨ ، ٢٩ ، بند قجى ٧٢ وللتفصيل فى تضاريس نجد . محمود شاكر . المرجع السابق ٣٠ - ٨٥ .

٣- المناخ وأثره على الحياة الاجتماعية والاقتصادية :-

من الممكن ادخال معظم جزيرة العرب مناخيا ضمن البلاد الصحراوية اذ ليس للبحار المحيطة بها من أثر كبير عليها ، ذلك أن البحر الأحمر محاط بالجبال المرتفعة على جانبيه اضافة الى ضيقه وعمقه مما يجعل تأثيره مقصورا على تهامة ، والخليج العربى ضيق أيضا مع ضحالة مياهه الى جانب وجود جبال عالية فى شرقه تحد من هبوب الرياح عليه واذا هبت عليه بعض الرياح فانها لا تؤثر الا على السواحل الغربية فقط. ويبقى التأثير الوحيد نسبيا لبحار شبه الجزيرة عليها من بحر العرب الذى يؤثر فى سقوط بعض الأمطار على الجنوب الا أنه وان كان أكثر تأثيرا من غيره فانه يبقى محدود الأثر نسبيا ليتركز التأثير من البحر الأبيض المتوسط رغم بعده وبيد وأن ذلك لسعته ولأنه يشكل منطقة ضغط منخفض حيث يصل تأثيره المناخى حتى جنوب الرياض (١) .

أما نجد فلها مزاج مناخى عجيب شأن تاريخها العجيب فى حقبه المتتالية المتألق حينا والدامس حينا آخر فى جوانبه السياسية والاقتصادية ، هذا المزاج لا يستطيع الباحث تحديد قاعدة مناخية له ، اذ تشتد البرودة شتاء حتى ليجمد المطر على أهداب عيون الابل وفى الصهاريج (٢) وحتى داخل غرف البيوت التى يفترض فيها الدفء ، وكان يهلك من الزرع ماكان فى سنبله ، وتتضرر النخيل وثمارها منه ، حيث تتعرض عسبانها لليبس وثمرتها للتلف أو الشح (٣) .

---

(١) د. ابو العلاء : المرجع السابق ٢/ ٦٤-٦٨ ، محمود شاكر. المرجع السابق ٢٣ ، ٢٤

(٢) الصهاريج : جمع صهريج ينطقها العامة صهروج تصحيفا ، وهو حوض يجمع فيه الماء والمصهرج المعمول بالصاروج " معرب " وهى النورة ، ويبدو أنه من المواد الفخارية .(الفيروزابادى ١/ ١٩٧) .

(٣) محمد بن عمر الفاخرى : " الاخبار النجدية " دراسة وتحقيق وتعليق د. عبد الله بن يوسف الشبل ط مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، نشر لجنة البحوث والترجمة والنشر بالجامعة ص ٨٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١٧٠ . عثمان بن عبد الله بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد . تحقيق وتعليق عبد الرحمن بن عبد اللطيف ال الشيخ ط (٣) ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م على نفقة وزارة المعارف السعودية ، بشر ١/ ٣٧ ، ٦٤ ، ٢/ ٥٨ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ٢٣٠ ، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البسام : تحفة المشتاق فى اخبار نجد والحجاز والعراق مخطوط منقول عن الاصل (=)

وتشتد الحرارة صيفا ويتلظى حرها وتقضى على الأخضر واليابس حيث يجف العشب وتتساقط أوراق الشجر، فاذا انحبس المطر عم القحط والمحل غالب نجد فيهلك كثير من المواشي من العطش والجوع ويصيب السكان من جراء ذلك مشقة عظيمة، فيضطر كثير من النجديين الى الرحيل عنها سواء بمفردهم لطلب العيش والعودة أو بأسرهم الى مناطق الخصب والنماء فى شرق الجزيرة أو جنوب غرب العراق وخاصة البصرة والزبير حيث كانت هاتان المنطقتان منطقتى جذب لسكان نجد اذ انقلبت نجد الى منطقة طرد لهم، ومن هنا جاء استئثار العراق وشرق الجزيرة باهتمام مؤرخى نجد (١).

وكانت هذه الحرارة الشديدة كفيلة بضياع أى تأثير لأى كمية مطر تنزل على أرض نجد فبالاضافة الى الجدب الذى كان يتعرض له سطح الأرض، فان باطنها كان يتعرض للغور فيشير ابن بشر فى سوابقه أن الآبار غارت فى سنة ١١٢٨هـ/١٧١٥م، وكان غور الآبار سببا من أسباب نزوح أهل نجد الى خارجها، فقد ضرب بعض أهل نجد رقما قياسيا فى النزوح بسببه ففى سنة ١١٣٦هـ/١٧٢٣م غارت آبار منطقة سدير مما كان سببا فى جلاء كثير من أهلها الى المناطق السابقة حيث لم يبق فى بعض بلدانها الا أربعة رجال فقط ولم يبق فيها الا بئران فقط، بينما فقدت بعض بلدانها آبارها كلها (٢)، هذا رغم أن استهلاكهم للماء كان ضئيلا جدا، ولكنها الحرارة الشديدة وشح المطر يجعلان الأرض تبخل بما فى باطنها من ماء.

(=) بخط نور الدين شريبه عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م ص ٢٢، ٤٢، وقد ركز هؤلاء المؤرخون على ضرر هذا البرد على الزروع حيث انها تشكل المصدر الرئيسى والوحيد للغذاء فى نجد، مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود مجلد ١ السنة ١ ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ص ٩

(١) الفاخرى ٤٧/٤٨ من مقدمة المحقق ٨٧/١، ابن بشر ٢/٢١٢، ٢١٣، ابراهيم صالح، ابن عيسى تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد. منشورات دار اليمامة، الرياض، ص ٦٦، عبد الله محمد بن بسام: تحفة المشتاق ١٩، ٣٧.

(٢) يذكر الفاخرى ٩٨، وابن بشر ٢/٢٣٥ انه لم يبق فى بلدتى العودة والعطار الا بئران فى كل بلد منهما، وانه لم يبق فى العطار من السكان الا اربعة (=)

أما الأمطار فانها تسقط بشكل عام فى نجد شتاء ولكنها تتذبذب بين عام وآخر[1] ، فبينما تكثر الأمطار غيثا فى سنة من السنوات فتخصب الأرض، وتخرج من كنوزها الغذائية للانسان والحيوان وتتسع رقعة الأرض الزراعية نتيجة اعتماد الزراعة على مياه الآبار التى تتأثر بمستوى غزارة وشح الأمطار، كما أن هناك نوعا من الزراعة تعتمد على الأمطار وهى الزراعة البعلية فترخص نتيجة لذلك الأسعار، وينتشر الرخاء فى معظم انحاء نجد وينعم به البدو والحضر على حد سواء[2] بينما يحصل ذلك تشح الأمطار فى سنة من السنوات فيعم الجدب وينحط اقتصاد المجتمع، فيسود الغلاء لتكون الحياة شديدة على فئة كبيرة من المجتمع حيث تنعدم المواد الغذائية لديها ويستحيل حصول هذه الفئة عليها مما يدفعها الى أكل الجيف التى ترمى عادة فى الصحراء بل بلغ الحال ببعضها أن أكلت جيف الحمير، والكلاب، وهذا أثر بشكل مباشر على الصحة العامة، وصحة البيئة حيث تنتقل الأمراض المعدية نتيجة انتشار الجيف وأكلها، ولهذا كانت ترتفع نسبة الوفيات[3].

(=) رجال، بينما يذكر ابن عيسى ص ٩٥ فى السنة نفسها أن العودة لم يبق فيها ماء ولم يبين هل هذا على الاطلاق أم بقى فيها قليل ماء، وبين هو والفاخرى أن جلاء بعض أهل نجد كان متتابعا فى هذه السنة والتى بعدها

(١) د. ابو العلا : المرجع السابق ٩٢/٢

(٢) كمثال على بعض هذه السنوات، الفاخرى، ٤٩، ٥٠ من مقدمة المحقق، ابن بشر ١٨٩٨/٢، ٢٩٣، ٢٩٤ ٢/١٢٦، ١٢٧، ٢١٩، ٢٣٦، ٢٤١، ابن عيسى ٧٠، ٧٢، ٨٩، ٩٠، عبد الله البسام : تحفة ١٨، ١٩، ٢١، ٢٦، ٣٠، ٣٢، ٣٥، ٤٠، ٤٣

(٣) يذكر الفاخرى ص ٧٤ أنه فى عام ١٠٧٧هـ/١٦٦٦م اشتد الغلاء فى نجد وأكلت الميتات والكلاب، ويبين فى ص ٩٩ أنه فى ١١٣٧هـ/١٧٢٤م أكلت جيف الحمير، وذكر ابن بشر ذلك ٢٣٦/٢ فى ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م وأن لحوم الحمير والجيف بيعت بأغلى ثمن، وأكلت الكلاب، واستمر هذا الغلاء والجوع فى نجد نحو ست سنين ١٨٣/١، كما أفاد ابن عيسى ص ٩٧ أنه أكلت جيف الحمير كذلك، ومات كثير من الناس جوعا بسبب ذلك، وللاستزادة : (عبد الله بن بسام : تحفة ١٨، ١٩).

ويحدث فى سنة من السنوات أن يفتح الله السماء بماء منهمر يضرب عاليها ويغمر سافلها ، وتتعرض البلدان النجدية للخراب وغرق بعض منازلها ، (حتى انه كان ينقل بعض أنقاض المنازل والنخيل الى القرى المجاورة) ، فيحدث ضياع للأملاك والأمتعة والأموال ، كما تتعرض الزروع والمحصولات الأخرى كالنخيل وثمارها للتلف مما يؤثر على المستوى الغذائى ، وتاريخ نجد حافل بأمثال هذه السنوات التى تتعرض فيها بعض البلدان لما يشبه الفيضانات التى قد تضطر ساكنيها بعد خراب بيوتهم المبنية من الطين الى اللجوء الى الصحراء وبناء بيوت الشعر فيها والخوف من الغرق يلازمهم، وكان يأتى فى بعض السنوات عاما لمعظم منطقة نجد .(١)

بينما تمر سنة من السنوات التى ليست عجافا ولكنها قليلة المطر وهى رغم قلة مطرها وتفرقه الا أن تأثيرها على مستوى الحياة أخف من سنى القحط والشدة حيث تؤثر على انتعاش فئة من المجتمع بحضرها وبدوها وان كان يحصل حولها حروب ومقاتل وهذه وأخف من سنى الغرق ، وليست فى مستوى سنى الغيث من حيث المردود الاقتصادى على أهل نجد ، بل قد تتسبب قلتها فى رحيلهم عنها .(٢)

---

(١) أحمد بن محمد المنقور تاريخ المنقور. تحقيق ونشر د . عبد العزيز الخويطر ط(١) مطابع الجزيرة. الرياض ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ص ٧١ وذكر فيها خبر السيل العرم الذى خرب حريملاء عام ١١٠٦هـ/ ١٦٩٤م، ص ٧٩ وقصة السيل الذى خرب جزءا من العيينة عام ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م، ص ٨٠ ، وبيّن ضرر المطر على التمر فى ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م بينما ذكر الفاخرى ص ٨٦ أن المطر الأول كان فى الصيف ونقل أخشاب حريملاء الى ملهم التى تقع شمال شرق حريملاء ، كما تعرضت حريملاء عام ١١٢٣هـ/ ١٧١١م لمطر أطاح بقسم من منازلها وبيوتها ، كما تعرضت ثادق وحريملاء عام ١١٣١هـ / ١٧١٨م الى مطر خرب بعض منازلهما ، كما تعرضت الخرج عام ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م الى مطر خرب بعض منازلها ، وفى سنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠ هطل على حريملاء أمطار جرفت التربة واقتلعت الاشجار وهدمت بعض المنازل ، الفاخرى ٨٦، ٩٤، ٩٧، ١٠٤ ، ابن بشر ٢ / ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٦ ، ٢٤١ ، ابن عيسى : ٨٥، ٨٦، ٩٢، ١١٧، ١٤٧ ، صالح بن ناصر، الطعيس: مدينة حريملاء مطابع المجد بالرياض ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ص١/ ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٥٦

(٢) الفاخرى ١٠٣ ، ابن بشر ٢ / ٢٤٠ ، البسام : تحفة ١٩، ٢٦

وتتعرض منطقة نجد أحيانا أثناء الأمطار الى سقوط البَرَد : وهى قطع ثلجية تتجمد فى طبقات الجو العليا على أحجام مختلفة لتنزل الى الأرض، البرد وان كان يساعد على زيادة كمية الماء النازل مما يؤثر على استفادة باطن الأرض وسطحها منها فهو قد يسبب أضرارا بالغة - اذا كان كبير الحجم أو صاحبته الريح - للمجتمع وخاصة الزروع حيث تتعرض سنابله للانكسار والتلف مما يؤثر على الحياة الاقتصادية، وقد يأتى أحيانا هذا الضرر على زروع احدى البلدان النجدية فقط مما يجعل ضرره محددا، الا أنه فى بعض الأحايين يأتى شاملا لكثير من البلدان النجدية متلفا لزروعها وثمارها مما يؤدى الى ندرة المواد الغذائية فى مختلف أنحاء نجد(١) وقد يتعدى ضرر البرد المواد الغذائية وخاصة اذا كان كبير الحجم - ليهلك ماوقع عليه من الطيور والبهائم، ويخسف السطوح ويهدم الجدران فيسقط البيوت والأوانى، ويكسر الأشجار والنخيل ويهلكها وذلك كما حصل فى حريملاء(٢) فى شتاء عام ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م وعام

---

(١) الفاخري ٩٣، ابن بشر ٢/٢٣٠، ابن بسام: تحفة: ٢٤ حيث ذكر أنه فى سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م وقع برد كبير كان شاملا اذ أتلف زروع الخرج، وغالبية زروع العارض وضرما والمحمل وسدير.

(٢) حريملاء: ذكرها البكرى باسم حرملاء وذكر أنها موضع تلقاء ملهم وحريملاء تصفير لها، وسميت بهذا الاسم لان موضعها يكثر فيه شجر الحرمل الذى يستعمله أهل نجد لعلاج بعض الامراض الجلدية، ويروى ان سبب تصغيرها هو المثل القائل" خل حريملاء في كبد اهلها" حينما قال احمد ابو ريشه لابنه يوسف عند ماوصف له حرملاء طالبا منه القدوم الى الشام فى قصة طويلة، ثم عمرها بعد ذلك ال ابو رباع من عنزة فى القرن ١١هـ، ثم اصبح لها مكانة تنافس العيينه مما حدا بالشيخ عبد الوهاب بن سليمان ان يهاجر اليها بعد خلافه مع ابن معمر، ثم وصل اليها ابنه محمد بعد ذلك مما يوحى بانها اصبحت المدينة الثانية فى نجد بعد العيينة، وحريملاء الان قاعدة منطقة وادى الشعيب المعروف قديما بقران وهى تتبع امانة منطقة الرياض وانجبت عددا من العلماء، ولها تاريخ حافل للاستزادة، (البكرى ٢/٤٤٠، ابن بشر ٢/٢٠٥، ابن عيسى ص٥٢، ٥٣، حمد الجاسر: مدينة الرياض عبر اطوار التاريخ ط(١) نشر دار اليمامة، الرياض ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ص٤٧-٤٨، معجم انساب الاسر المتحضرة فى نجد ط(١) مطبعة نهضة مصر القاهرة، نشر دار اليمامة، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م (١/٢٩٨-٣٠٠، عبد الله ابن عبد الرحمن البسام: علماء نجد خلال ستة قرون ط(١) مؤسسة الخدمات الطباعية، بيروت، نشر مكتبة النهضة الحديثة مكة ١٣٩٨هـ ٣/٧٥٤، ٧٥٥، عبد الله بن محمد بن خميس: معجم اليمامة ١/٣٢٢، ٣٢١، ٣٢٢ عبد الكريم الجهيمان الامثال الشعبية ط(٢) دار (=)

١٢١١هـ/١٧٩٦م حيث اعتبرت من خوارق العادات فى نجد (١)، بل قد يتجاوز ذلك ليهدم البيوت، ويعرض الناس لموت محقق فيشردهم كما حصل لملهم (٢) عام ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م حيث لجأ أهلها الى الجبال خوفا من الموت، وقد صور الشاعر عبد الله بن خميس هذه الحادثة فى قصيدة مطلعها :

ماذا جرى فى الأرض أيتها السما ∴ لنرى أديمك عابسا متجهما (٣)

(=) الثقافة، بيروت، نشر دار اشبال العرب ١٣٩٩هـ ٣/٣٩، ٤٠ مثل رقم ٢٢٤٦، ناصر الطعيس: مدينة حريملاء، الكتاب بأكمله) وعن وادى قران "الشعيب" (البكرى ٣/١٠٦٣، ياقوت ٤/٣١٨، ٣١٩، عبد الله بن خميس المرجع السابق ٢/٢٦٨-٢٧٣)

(١) الفاخرى، ١٢٢، ١٢٣، ابن بشر ١/١٠٧، ١٤٧، د. عبد العزيز الخويطر عثمان بن بشر، منهجه ومصادره ط(٢)، مطابع اليمامة، الرياض ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ص ٤٨

(٢) ملهم : عرفت كقرية منذ القرن (٢هـ) حيث أشار اليها الحربى كما أشار اليها الهمدانى مضيفا بأنها لبنى غبر بن يشكر وأنها تشتهر بكثرة النخل وجودته، وذكر ذلك عنها ياقوت أيضا، وتقع ملهم فى أسفل وادى قران والشعيب وأحيانا يضاف أسفله اليها فيقال" وادى ملهم" كما يسمى" وادى الحنو" وهى تقع شمال شرق حريملاء وتبعد عنها حوالى ١٥ كم، وهى تتبعها اداريا للاستزادة :(الحربى ٦٧٨، الهمدانى ٣٠٨، البكرى ٤/١٢٥٩، ياقوت ٥/١٩٥، ١٩٦، ابن بشر ١/٩٨، ٢/١٨٣، ١٨٩، ١٩٦، ٢٠٥، ٢٣٠، حمد الجاسر: مدينة الرياض ص ٤٧، عبد الله بن خميس : معجم اليمامة : ٢/٣٩٠، ٣٩٤، صالح الطعيس : حريملاء ١٣، ٢٢٠).

(٣) عبد الله بن خميس: المرجع السابق ٢/٣٩١

وتتعرض منطقة نجد لعنصر مناخي يترك آثارا سيئة واضحة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية وهو الريح العاصف أو "العجاج" والعاصوف" باللهجة النجدية، وكان أكثر ما يتعرض لضرره النخيل والأثل التي يسقط منها بسببه عدد كبير قد يصل الى ألف نخله مما يؤثر على شح أهم مادة غذائية وهي التمر كما كانت تتعرض للسقوط بسببه القصور، والأبراج مما يؤثر على مستوى الحياة الأمنية، ولخطورة هذا التأثير ولعلو هذه الأبراج ووقوعها في بعد عن العمران فقد ضرب النجديون مثلا للريح الشديدة السيئة بقولهم: "عجاج يشيل المراقب" (١) وكانت هذه الريح العاصف موضع اهتمام مؤرخي نجد، فيسجلون تاريخ حدوثها ويحصون ما أحدثته من خراب سواء كان ذلك في مساكن الناس، أو في مزارعهم المحصودة وغير المحصودة، أو في مرابعهم حيث أنها تقضي على كل أثر للربيع. وكانت تأتي أحيانا شاملة لمنطقة بأكملها بل قد تشمل مناطق نجد كلها، ومن العجيب أن ضررها في النخل قد يقتصر أحيانا على قصارها ويسلم من ذلك طوالها، وقد اعتبرها ابن بشر من خوارق العادات التي عم ضررها، وقد تتعرض نجد لاعصار فيه نار، وريح فيها صر تصيب الحرث فتهلكه كما حدث في عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م. (٢)

وهذه الريح العاصف غالبا هي التي تتكون في جنوب شبه الجزيرة العربية على الربع الخالي وهي التي تسمى الكتلة الهوائية المدارية القاربة حيث تندفع العواصف الرملية من الربع الخالي الى شمال المملكة مرورا بنجد محملة بالغبار والأتربة وتكون شديدة السرعة على شكل أعاصير، وتقل أو تنعدم معها الرؤية الأفقية، وتأتي غالبا في أواخر فصل الربيع. (٣)

---

(١) محمد بن ناصر العبودي: الأمثال العامية في نجد: المطابع الأهلية للاوفست، الرياض نشر دار اليمامة، الرياض ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ٢/ ٨٠٦ مثل رقم ١٢٦٧

(٢) الصر: البرد الشديد، أو النار المحرقة التي للهبها صوت، والحرث: الزرع (الشوكاني: فتح القدير ١/ ٣٧٤، عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق محمد زهري النجار، القاهرة نشر المؤسسة السعيدية: الرياض ١/ ٤١٢) ولمعرفة بعض سنوات الريح العاصف: (المنقور: التاريخ: ٦٣، الفاخري: ٥٠، ٨٢، ٩٣، ابن بشر ١/ ٣٠٣، ٢/ ٥١، ٢١٨، ٢٣٠، ابن عيسى ٨٢ د. عبد العزيز الخويطر: عثمان بن بشر: ٥٥)

(٣) د. محمود أبو العلا: المرجع السابق ٢/ ٧١

الا أن منطقة نجد الى جانب هذه الريح العاصف تتعرض لرياح تحمل معها الأمطار التى يتسبب فيها التقاء رياح باردة برياح دافئة محملة ببخار الماء اذ أن منطقة الضغط المنخفض جنوب خط الاستواء تخرج رياحا جنوبية أو جنوبية غربية دافئة محملة ببخار الماء وتلتقى بالرياح الشمالية الشرقية الباردة القادمة من منطقة الضغط المرتفع على غرب ايران فتنزل الأمطار - بقدرة الله ومشيئته - على منطقة نجد مكان التقاء هاتين الكتلتين من الرياح، ومن هنا كان اعتقاد النجديين بأن الرياح الشمالية الشرقية فى الشتاء رغم برودتها فانها مصدرا للخير والغيث، ولعل ذلك ناشئ من اعتقادهم أنها عامل جذب للرياح الجنوبية والجنوبية الغربية الدافئة المحملة ببخار الماء فتلتقى بها فتسقط بسبب ذلك الأمطار (١)، وقد أطلقوا على الرياح الشمالية الشرقية لنجد نسرية أو نسرى، وصوروا اعتقادهم الخير بهبوبها بهذا المثل القائل: "النسرى معه الخير يسرى" يريدون الريح التى تأتى من جهة مطلع النسر أى أنها اذا هبت هذه الريح فى الشتاء، فانها وان كانت باردة فان الغالب أن يتكون معها سحاب ممطر يسرى فى الليل أى يستمر ممطرا (٢).

وقد وصف الخلاوى (٣) حركة السحاب، وتصريف الرياح له مما هو مظنة الغيث باذن الله ومشيئته وبما تواتر لدى الناس عادة فيقول:

---

(١) د. محمود أبو العلا: مرجع سابق ٢/ ٦٧

(٢) محمد العبودى، الأمثال العامية ٤/ ١٥٠٧ مثل رقم ٢٥٠٩

(٣) هو الفلكى والشاعر الشعبى راشد الخلاوى النجدى وقد اختلفوا فى نسبه هل هو صلبى أو خالدى أو رشيدى لعل ارجحها أنه صلبي من تواتر ذلك لدى الناس ومن استفاضة الحديث عن الصلب فى شعره، وقيل أنه عاش فى القرن التاسع، وقيل فى القرن العاشر او الحادى عشر وقيل فى الثانى عشر وثار جدال بين عدد من الكتاب حول ذلك، الا ان اشارة الخلاوى للاحداث التي وقعت بين أهل أشيقر عامة وال مشرف خاصة وبين النواصر أهل الغرعة والتى اشار اليها مؤرخو نجد فى السنتين ١١٣٥هـ/ ١٧٢٣م، ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م اشارته لذلك فى شعره حيث رثى رئيس ال مشرف - والذى يبدو انه كان صديقا للشاعر - تدل دلالة اكيدة على ان الشاعر كان عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م حيا كما قرر ذلك استاذى الدكتور عبد الله الشبل فى رسالته للدكتوراه التي لم تنشر بعد، فيكون قد عاش اواخر القرن الحادى عشر هجرى واوائل القرن الثانى عشر هجرى، وعلى اى حال فالشاعر ملم بعلوم النجوم ومواقع البروج والفصول الاربعة وهبوب الرياح ومواسم الامطار (=)

اذا صار منشاها جنوب ويممت ∴ شمال ، فهى مثل الخريش المرامح
واذا صار منشاها شمال ويممت ∴ جنوب ، لقيت الما على الحزم سايح (١)

وتنخرم القاعدة المناخية لنجد أحيانا ، فعلى الرغم من تعرضها للبرد القارس فى الشتاء فانها تتعرض للبرد نفسه أحيانا فى الصيف بدء من أوله حيث يتضرر من ذلك الزرع الذى لم يشتد فى سنبله بعد وخصوصا الزرع الصيفى مما يؤثر على كمية مادة من أهم المواد الغذائية فى نجد ، وتنتشر موجة البرد الصيفية فى مناطق من نجد حيث تضيف الى قلة الأمطار عاملا رئيسيا فى وقوع الغلاء وشح

(=) فى نجد ، وقد لازم منيع بن سالم احد امراء بادية بنى خالد فى الاحساء الذى لولا مدح الخلاوى له لما عرف كما مدح احد شيوخ بنى حنيفه ، كما مدح محمد الربيعى من بنى خالد الا ان صداقته كانت متميزة مع منيع ، وبعد فالشاعر طويل النفس قد تتجاوز قصائده الالف بيت كما فى قصيدته البائية فى الروضة ، وشعره مصدر من مصادر الحياة الاجتماعية والدينية فى نجد خاصة لدى البدو والصلب ، للتفصيل . (الفاخرى ١٠٠ ، ابن بشر ٢/ ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ابن عيسى : ٩٥ ، ١٠٠ ، عبد الله بن خالد الحاتم : خيار ما يلتقط من الشعر النبطى . الطبعة الثالثة نشر ذات السلاسل ، الكويت ١٩٨١م جـ ١/ ١٩-٢٩ ، عبد الله بن خميس : راشد الخلاوى نشر دار اليمامة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ، الكتاب باكمله ، عبد المحسن ابابطين : المجموعة البهية من الاشعار النبطية ط(٣) مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٨٧م ص ٢٣-٣٠ ، محمد القاضى ، روضة الناظرين ٢/ ٣٦٧ وذكر انه من بنى هاجر من قحطان وانه توفى ١٠١٠هـ والله اعلم . د . عبد الله ابن يوسف الشبل : اهم المصادر النجدية لتاريخ الدولة السعودية . دراسة تحليلية ، رسالة دكتوراه من جامعة الاسكندرية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ص١٧-١٩).

(١) منشاها : هو منشأوها مخففة من الهمزة اى جهة تكوين الله للسحاب الممطر قال تعالى : "وينشئ السحاب الثقال" (الرعد ١٢) يممت : بتشديد الميمين مع الفتحة اتجهت ، الخريش : على وزن فعيل من الخرش وهو داء يصيب الابل فلا تستقر بمكان او مرعى او مع قائد كانها مضروبة بالمخراش وهو المجن والخريش المصاب بالخرش او الخراش الذى هو فى الانسان قلة النوم من خفة بعقل او لذعة من حية غير قاتلة واصلها فصيح وفى المثل النجدى "تصبح خريش" دعاء بان يصبح مخروشا من قلة النوم ، المرامح : رمحة الفرس : رفسه والدابة تضرب من دنا اليها برجلها ، والرمح خاص بالابل عند النجد بين اذ الصقل للحمير ، والرفس للخيل والمقصود تشبيه السحابة الجنوبية بالخريش المرامح فى عدم الاستقرار ، (الفيروزابادى ٩/ ٢٢٣ ، ٢/ ٢٧١ ، ٢٧٢ ، عبد الله ابن خميس : راشد الخلاوى ١٠٩ ، ١١٠ ، ٣٦٧/ ٣٧٣).

الغذاء فى سنته والسنوات التى تليها الى أن يغيث الله المنطقة فتخصب الأرض، وتكثر المواد الغذائية البشرية والحيوانية وهكذا [١].

ولئن كانت منطقة نجد تشتهر بالامطار فى فصل الشتاء كما مر، فانها تتعرض أحيانا لسحب صيفية لا تنقشع كما هى العادة بل ينهمر منها مطر غزير قد يستمر لمدة عشرين يوما كما فى عام ٨٧٩هـ/١٤٧٤م حيث دخل على الزروع المحصودة فى مخازنها فأعطنها وأنبتها فى هذه المخازن من كثرته مما أثر على فساد كمية من هذه الزروع وأدى الى حرمان أهلها من الاستفادة منها كمادة غذائية، كما تتضرر منه المساكن والمحلات التجارية وخاصة للبلدان التى تقع على ضفاف الأودية كما حصل لعدد من البلدان النجدية عام ١٢١١هـ/١٧٩٦م [٢].

كما انه قد تمتد فترة المطر من الوسم مرورا بفصل الشتاء حتى آخر الصيف حيث يكثر الخصب ويخرج الله من كنوز الأرض الغذائية مايضفى على الحياة البشرية والحيوانية رخاء وجوا من البهجة والحبور، كما تكثر المياه التى يستفيد منها باطن الأرض، ويستغل الاهالى تجمعه فى الوديان لسقيا زروعهم وقد يؤثر هذا على زيادة الكمية المزروعة قمحا حيث يرخص سعره ويستفيد منه كافة فئات المجتمع، وقد حصل هذا التتابع فى المطر فى الأعوام ٩١٠هـ/١٥٠٤م، ٩١٧هـ/١٥١١م، ٩٣٠هـ/١٥٢٣م، ٩٧٠هـ/١٥٦٢م، ١١٢٢هـ/١٧١٠م [٣].

وتبعا لذلك فان نجدا تتعرض كذلك أحيانا الى وقوع البَرَد فى فصل الصيف، والذى قد تكون قطعه كبيرة فيقضى على أغلب محصول القمح الرئيسى فى نجد، حيث تتأثر بذلك الضرر عدد من مناطق نجد وليس منطقة واحدة فيعود شبح الشح الغذائى حقيقة واقعة، فترتفع أسعار القمح ليصبح عسير المنال على الفئات الفقيرة

---

(١) الفاخرى ١٧٧، ابن بشر ٢/١٣٧، ١٤٣، عبد الله البسام: تحفة ص ٢٦، ٣٠
(٢) ابن بشر ١/١٤٧، عبد الله البسام : تحفة : ٢٠، ٢١
(٣) الفاخرى : ٩٤ وذكرها سنة ١١٢٣هـ/١٧١١م، ابن بشر ٢/٢٣٠، عبد الله البسام : تحفة : ٣٠، ٣٢، ٣٥، ٤٣.

ومتوسطة الحال ، اذ يفسد هذا البرد ما تعب الانسان النجدى مدة طويلة في حرثه وبذره وسقيه وما قام به الغيث من دور كبير في اتساع كمية الأرض المزروعة[١]، ولئن كان من المتوقع نسبيا أن يعوض التمر النقص في القمح في المجتمع النجدى آنذاك ، فان النخيل تكون قد حملت عذوقها في الوقت الذى يكون فيه القمح قد زهى مما يجعلها هي الأخرى تتعرض لضرر البرد فيشح المصدر الثاني من المصادر الغذائية النجدية فيلجأ النجدى الى أكل الجيف أو الى مأكول الحيوان من الأعلاف وما شابهها[٢] أو الى الجلاء عنها الى مراكز الخصب والنماء السابقة كما مر.

وكانت العوامل المناخية تؤثر على تأخير اثمار النخيل وبعض الأشجار الاخرى وذلك راجع الى تأخر دخول فصل الصيف مناخيا وان دخل فلكيا أو الى تعرض ثمار النخيل الى برد شديد وهي لم تخرج من أكمامها ، وقد حصل في عام ١١٠٨هـ/١٦٩٦م أن تأخر نضج الرطب في النخيل تأخرا ملحوظا ، ولم يبد فيها الا ثمار الا بعد مضى شهر تقريبا من اثماره عادة ، واذا أدركنا أهمية التمر كمصدر غذائى رئيسى أدركنا الى أى مدى تكمن أهمية تسجيل مثل هذه الحادثة[٣].

وتظهر في سماء نجد بعض الظواهر الفلكية التي تكون سببا في تركيز المفاهيم الدينية في أفراد المجتمع ولعل أبرزها خسوف القمر وكسوف الشمس اللذين هما آيتان من آيات الله يخوّف الله بهما عباده فيلجأون اليه بالصلاة الخاصة بهما " صلاة الكسوف" وقد حدث أن خسف القمر وكسفت الشمس في شهر واحد هو ربيع الأول عام ١١٠٧هـ/١٦٩٥م كما حدث ذلك أيضا في محرم ١٢٠٨هـ/١٣٩٣م

---

(١) عبد الله البسام: تحفة ، ٤٠ وقد ذكر ان ذلك حدث عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م.

(٢) المنقور: التاريخ ٦٦ ، وقد ذكر أن ذلك سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٨م حيث سميت تبنان لكثرة أكلهم التبن.

(٣) ابن بشر ٢/ ٢٢٣ ، ولعل امتداد موسم الأمطار الذى يؤدى الى خفض درجة الحرارة في فصل الصيف سبب رئيسى لذلك.

كما قد خسف القمر مرتين عام ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٤م وعام ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م كما كسفت الشمس فى شهر رمضان عام ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م، وقد حرص مؤرخو نجد على تسجيل مثل هذه الحوادث لما لها من تأثير على المجتمع فى تسجيل حالات الولادة والوفاة، والأحداث السياسية والاجتماعية الهامة بالمقارنة بهذه الآيات السماوية، وانطلاقا من نظرة المجتمع الدينية بأن ذلك اختلال فى نظام الكون له أسباب تفسر فى أعمال البشر قربا أو بعدا من طاعة الله عز وجل (١).

وهناك ظواهر فلكية أخرى تظهر فى السماء النجدية تثير الفزع والخوف والتساؤلات التى تجر الى جدل ومناظرة دينية لتفسير هذه الظاهرة أو تلك، فقد حدث فى عام ١٠٢٧هـ/ ١٦١٧م وعام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م أن ظهر فى السماء عمود أبيض مستطيل من الأفق الى وسط السماء، كما ظهر بعده نجم له ذنب يصدر ضوءًا لعله نتيجة تحركات بعض النجوم فى ساحة السماء الفسيحة (٢)، ويستفيد النجديون من هذه الظاهرة فى تسجيل أحداثهم وبخاصة الاجتماعية والسياسية بقدر ما تخيفهم وتشل حياتهم العملية بعض الشئ ولو مؤقتا، ويحتدم النقاش حول هذه الظاهرة مما دفع بالعلماء الى التدخل لعودة الحياة الى مجاريها، وأن هذه الظواهر لا تعدو أن تكون آيات من آيات الله يخوّف الله بهما عباده (٣)، ولا يجب أن تؤثر على الحياة الاجتماعية بقدر ما تؤثر على الجانب السلوكى منها بين الانسان وربه وبين الانسان وأخيه، وقد حرص مؤرخو نجد على تسجيل مثل هذه الظواهر وخاصة المذنبات على اعتبار أنها ظاهرة غريبة تدعو الى الاعتبار ومحاسبة الانسان نفسه فى سلوكه مع الله سبحانه، ومع ابناء مجتمعه، كما أن هناك فكرة نجدية

---

(١) المنقور: التاريخ : ٦١، ٦٦، الفاخرى ٥١ و ١٢٥، ابن بشر ١٣٣/١، ١٩٢، ٢/ ٢١٧، ٢٢٢، د. عبد العزيز الخويطر : عثمان بن بشر ص ٤٤

(٢) ابن بشر حيث ذكر حدوث ذلك فى سنوات أخرى ٢/ ٨٧، ١٣٧، ١٩٦، ٢١٤، د. عبد العزيز الخويطر: المرجع السابق ص ٤٥

(٣) ابن بشر ٢/ ١٣٧، ١٩٦

أن هذه المذنبات لا تظهر الا فى سنى القحط والجدب والفتن والأمراض (١).

وتتعرض سماء نجد الى ظواهر فلكية أخرى تخفى الشمس عن ارسال أشعتها الى الأرض مع فترة فى الجو حتى يظن الناس أن الشمس قد غابت وهى لم تغب، كما يتغير لون أشعة الشمس حتى لتبدو وكأنها قطعة خضراء وأحيانا حمراء وأحيانا ذات الوان أخرى اضافة الى ظهور ألوان فى أماكن متفرقة من السماء ليس منها الشفق أو جهة الفجر كما هى العادة، وقد تستمر بعض هذه الألوان أشهرا مما يثير الفزع والخوف ويبعث فى النفس تلمس أسباب حدوثها (٢).

وليس من المستغرب على مؤرخى نجد أن يعطوا الظواهر الفلكية اهتماما خاصا لأن عماد الحياة الزراعية لدى الحضر هو معرفة الأنواء، كما أن قلة أو انعدام الناحية العلمية لدى البدو جعلهم يشغلون فراغهم بمعرفة النجوم التى تساعدهم فى معرفة الجهات فى مفاوز الصحراء فأصبحت معرفة النجوم والأنواء فن قائم بذاته لدى حضر نجد وبدوها على حد سواء، ساعدهم على ذلك صفاء سماء نجد وخلوها من الأنوار الصناعية، وللمناخ تأثير كبير فى هذا اذ أن الفوارق الحادة بين فصوله وأنوائه وأثرها على الحياة العامة، والظواهر الفلكية الملفتة للنظر التى تصاحب هذه الفوارق جعلت النجدى شديد الملاحظة لما يجرى فى الجو والسماء (٣).

ويذكر ابن بشر أنه فى عام ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م وبعد منتصف ليلة الثلاثاء تاسع عشر جمادى الآخرة تطايرت النجوم فى السماء كالجراد وكأنها شعل من النار قد حت مع جميع جهات السماء لينقض منها شهب تضئ الأرض، ويبقى موضع الشهاب فى الأرض مدة قبل زواله، ويبدو وأنه بقى نور فى الأرض لمدة ساعة حيث لم يشر

(١) الفاخرى: ٥٠، ١٧٢، ابن بشر ٢/٨٧، ٨٨، ويؤكد المثل النجدى: "مثل ابوعيب ما يظهر الا فى السنين الردية" وجود هذه الفكرة. عبد الكريم الجهيمان: الامثال الشعبية ٧/٢٧٠ مثل رقم ٤٦٧٢

(٢) المنقور: التاريخ ٤٥، الفاخرى ٦٩، ١٧٠، ابن بشر ٢/٥٣، ٥٦

(٣) د. عبد العزيز الخويطر: المرجع السابق ٤٥، ومتابعة للتواريخ النجدية السابقة تؤكد هذه الحقيقة.

ابن بشر الى نوع هذا التأثير على الأرض، الا أنه أشار أن الناس قد انزعجوا حيث قد استمر نوره حتى طلعت الشمس فأضاع نوره النهار، كما روى أنه أخبره من يثق به أنه رأى شهبا تنقض بعد طلوع الشمس كأنها الدخان، وذكر لهاتين الحادثتين أشباها ذكرها بعض المؤرخين المسلمين، وابن بشر فى هذا لا يبين لنا أسبابا لذلك هل كان ذلك نتيجة لخروج نوء أو دخول آخر، أو كان عقب أمطار أو بروق، وان كان الذى يبدو أن ذلك نتيجة تحركات النجوم فى السماء الا أنه وهذا هو المهم أشار الى تأثير ذلك على المجتمع وهو الانزعاج والخوف والرجوع الى الله تعالى ومحاسبة النفس.(١)

ومما سبق يتبين أثر المناخ على الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى نجد وأن هذا التأثير واضح من تأثير التضاريس مما جعل لدى النجديين وعيا مناخيا واهتماما بأحوال الطقس يستأثر بكثير من تفكيرهم حتى الآن اذ أن طلوع نوء، ودخول آخر وطلوع فصل مناخى ودخول آخر قل أن يمر دون أن يتكلم عنه عامة النجديين فى مجالسهم، بحيث أن كثيرا منهم يستطيع أن يعطيك ملامح الطقس العامة لكل نوء أو فصل، وأثر ذلك على الحياة الزراعية، وتوقيت الغرس والبذر فيها مما أعطى هذه الزراعة نجاحا نسبيا بالرغم من قلة الامكانات المتاحة آنذاك، وتذبذب الظواهر المناخية، وقسوتها فى بعض الأحيان.(٢)

---

(١) ابن بشر ٢/٥٦ وقد أشار اليها الفاخرى اشارة خفيفة ١٧٠.

(٢) عن الفصول والأنواء العربية وتعريفاتها النجدية. عبد الله خميس: راشد الخلاوى من ٩٦-٩٨ ومن ١٠٧-١١٨ ومن ٣١١-٣٤٩، وعن وعى النجديين المناخى د: عبد العزيز الخويطر، المرجع السابق ص ٤٦، ولقد كان تسجيل الظواهر الفلكية والمناخية من الأساليب التى اتبعها المؤرخون المسلمون فعلى سبيل المثال انظر ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ط(٢) دار الكاتب العربى، بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ٦٠/٨، ابن كثير: البداية والنهاية ط(٣) مكتبة المعارف بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ٦١/١١

ب ـ استعراض عام لتاريخ نجد قبل الدعوة :

لقد تواتر لدى المؤرخين قديما وحديثا أن أول من ابتدأ العمران في اليمامة التي هي أحد أقاليم نجد الآن ـ هم قبيلتا طسم وجديس، هذا العمران الذى يسمى حضور طسم وجديس أو بتل اليمامة (١) ، ويقال ان طسم كانت تسكن الخضراء (٢) ، وتسكن جديس الخضرمة (٣) ، وقد تسنمت هاتان القبيلتان الزعامة

---

(١) البتل : جمع بتيل : مساكن وحصون على شكل صوامع مستطيلة تبني من طين على ارتفاع مائة او مائتي متر، ومن ارفعها كانت تنظر زرقاء اليمامة لجيش تبع القادم الى نجد انذاك ، ويقرن بعض الباحثين بين اسلوب بناء بتل اليمامة، وبين بناء الماذن الاسلامية الاولى المربعة الشكل ، وقيل : ان بتيل مكونة من "بت" بمعنى بيت، و"ايل" بمعنى الله فالمعنى بيت الله، وهذا يعني انها اماكن عبادة، وقيل : ان بتيل حجر جبل باليمامة سمى بذلك لارتفاعه وانقطاعه عما حوله من الجبال ، ويبدو أن هذه الحصون سميت باسمه لارتفاعها ، وهى كثيرة ولكن لم تعرف اماكنها حتى الان .
(الهمدانى ٢٨٤ ، البكرى ١/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ياقوت ١/ ٣٣٦ ، حسين خلف الشيخ خزعل : حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : مطابع دار الكتب بيروت ص ٤٠ ، حمد الجاسر : مدينة الرياض : ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ ، عبد الله ابن خميس: معجم اليمامة ١/ ١٣٥ ، ١٣٦ ، وسعد زغلول عبد الحميد : في تاريخ العرب قبل الاسلام طبع دار النهضة العربية . بيروت ١٩٧٦م ص ٣٩٨ ، ٣٩٩).

(٢) الخضراء : هى حجر قديما ثم عرفت بها من باب تعريف القديم بالحديث ولئلا تختلط بغيرها فيقال خضراء حجر التي هي الرياض حاليا وفيها عين ، بهذا الاسم، وهناك اكثر من موضع يحمل هذا الاسم بعضها بال وبعضها بدونها الا ان الذى في اليمامة معرفا هو خضراء حجر او الخضراء، وخضراء موقع آخر باليمامة (الهمدانى ٢٨٤ ، ياقوت ٢/ ٣٧٦ ، حمد الجاسر : المرجع السابق ٢٠ ، ابن خميس : المرجع السابق ١/ ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٨٦ .

(٣) الخضرمة او الخضارم : تقع في جو الخرج أسفل وادى الخرج أو قرب موضع بلدة اليمامة حاليا ، ازدهرت في عهد بني حنيفه والاخيضريين ، وقد نازعت حجرا السيادة ، وهناك اكثر من موضع بهذا الاسم اشهرها هذا الموضع (الهمدانى ٢٨٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ، البكرى ٢/ ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ياقوت ٢/ ٣٧٧ حمد الجاسر : المرجع السابق ٤٤-٤٨ ، ابن خميس : المرجع السابق ٢/ ٣٨٦-٣٨٩).

فى اليمامة قرونا حتى أصبحت الغلبة لطسم على جديس حتى فنيتا على يد أحـــد تبابعة اليمن فى القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد فى تفصيل ليس هنا مجالـــه اضافة الى مايشوبه من الخرافات القصصية (١) .

ويبدو أن هؤلاء التبابعة قد اصطنعوا قبيلة كندة التى اندفعت من اليمن الى نجد مؤسسة مملكة كندة فيها والتى امتدت من منتصف القرن الخامس الميلادى ، الى نهاية القرن السادس الميلادى (٢)

ثم سكن بنو حنيفة من بنى بكر بن وائل اليمامة ، وكان أول من سكنها منهـم هو عبيد بن ثعلبة بن الدّول بن حنيفة متخذا من الخضراء عاصمة له ، ثـــم توافدت أفخاذ بنى حنيفة فنزلت قرى اليمامة الأخرى ، وذلك فى القرن الخامـــس الميلادى ، وقد ازدهرت حجر اليمامة فى عهد بنى حنيفة حتى أصبحت قصبـــة اليمامة الى أن بدأت الخضرمة قبيل ظهور الاسلام تنازع حجر السيادة على اليمامـــة بعد ما مر بها حوادث أضعفت مكانتها لعل أبرزها تحريقها من قبل بنى قيـــس ، وحوادث أخرى زادت من هذا الضعف حتى أخذت الخضرمة السيادة منها (٣) .

---

(١) عن اقصوصة طسم وجديس. محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الأمم والملـوك تصدير دار الفكر ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م عن المطبعة الحسينية المصريـــة م ١ / جـ٢ / ص ٣٨ ، ٣٩ ، محمد بن على بن حزم : جمهرة أنساب العـرب تحقيق عبد السلام هارون طبع ونشر دار المعارف. مصر ١٣٨٢/١٩٦٢ م ٤٣٤ ، ٤٦٢ ، ٤٨٦ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ١/٢٠٣-٢٠٥ ، محمد مبروك نافع : تاريخ العرب قبل الاسلام ٣٧-٣٩ ، حمد الجاسر ، المرجـــع السابق ١٨-٣٤ ، د . سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ١٢٠ـ ١٢٧ .

(٢) للتفصيل فى مملكة كندة : عمر فروخ : تاريخ الجاهلية من ص ٨٢-٩٤ ، جونارا ولندر : ملوك كندة. ترجمة وتحقيق د . عبد الجبار المطلبـــى ط . دار الحرية ومطبعة الحكومة. نشر جامعة بغداد ١٣٥٣هـ/١٩٧٣م

(٣) الهمدانى : ٢٨٤ ، حمد الجاسر : المرجع السابق ٣٨-٤٨ ، د . عبد الله الشبل : تاريخ نجد ص٩٦ .

ولما ظهر الاسلام كانت زعامة اليمامة لهوذة بن علي (١) وقاعدتـــه الخضرمة، ويبدو أن زعامته كانت عامة لقسم كبير من بني حنيفة اذ لم يذكر المؤرخون الا أن ثمامة بن أثال (٢) كان يساميه في الشرف والرياسة وهو من أهل حجر التي تتنازع سيادة اليمامة مع الخضرمة (٣).

وأرتد بنو حنيفة مع من ارتد من القبائل العربية بعد وفاته صلى اللـــه عليه وسلم منقادين لمسيلمة بن ثمامة وقيل ابن حبيب من بني عدي بن حنيفـــه

---

(١) هو هوذة بن علي بن ثمامة بن عمرو من بني سحيم من بني الدول من بنـــي حنيفة يلقب بذي التاج، كان صديقا لكرى، أرسل له الرسول (ص) كتابـا يدعوه الى الاسلام فاشترط المشاركة في الامر فدعا عليه (ص) فلم يلبـــث بعد ذلك الا قليلا حيث مات سنة ٨هـ/ ٦٣٠م (الهمداني ٢ ٢٨٢، ابن حزم ٣١٠، ٣١١، الزركلي : الاعلام ٩/ ١١١، ١١٢، د. عبد الله الشبل : المرجع السابق ص ٢٧).

(٢) هو ثمامة بن أثال بن النعمان بن سلمه من بني الدول بن حنيفه صحابـي كان احد ملكي اليمامة، كاتبه الرسول (ص) ضمن من كاتب من الملوك يروى انه جيء به في احد السرايا فأسلم، كما يروى انه كان قد أراد قتل النبـي (ص) فلما أسلم منع القمح عن مكة حتى اذن رسول الله (ص) ومدح النبـي النبي بابيات، ثبت على اسلامه حين ارتد معظم بني حنيفه وقد نصحهـم عن اتّباع مسيلمة وقال أبياتا يسبّه ومن اتبعه، وقد اثر بثباته هذا علـى بعض قومه فانضم واياهم الى العلاء بن الحضرمي لقتال مرتدي البحريـن واستشهد بعيد ذلك سنة ١٢هـ/٦٣٣م. للتفصيل :(عبد الملك بن هشام السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا وزميليه ط. مطبعة البابي الحلبي ١٣٥٥هـ ١٩٣٦م : ٤/ ٢٥٤، ٢٨٧، ٢٨٨، ابن جرير : تاريخ الامم والملـوك ٣/ ٢٥٦، ٢٦٠، ابن الأثير: المرجع السابق ٢/ ٢٤٩، ٢٥١، يوسـف بن عبد الله بن عبد البر، الاستيعاب في أسماء الاصحاب ط (١) ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة : مصر ١/ ٢٠٣-٢٠٨، احمد بن حجر العسقلانـي الاصابة في تمييز الصحابة ط (١) مطبعة السعادة، مصر ١/ ٢٠٣، الزركلي الاعلام ٢/ ٨٦).

(٣) حمد الجاسر: مدينة الرياض ٤٨-٥٠، د : عبد الله الشبل : تاريخ نجـد ص ٢٧

المعروف بمسيلمة الكذّاب الذى كان قد أبدى شره قبل وفاته صلى الله عليه وسلم، وتوفى عليه الصلاة والسلام ولما يقض على شره، حتى قضى عليه وملئه ضمن من قضى عليهم من المرتدين فى نجد كمرتدى بنى أسد وبنى تميم فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وانقادت اليمامة للخلافة الراشدة (١) .

ويبدو أن القيادة الاسلامية فى المدينة قد رغبت عن زعامة بنى حنيفة لليمامة ولو مؤقتا خشية من ارتداد آخر، اذ ولّى عليها خالد بن الوليد - ولا يستبعد أن يكون ذلك بأمر الخليفة أبى بكر رضى الله عنهما - سمرة بن عمرو العنبرى من بنى تميم الذين كانوا يشكلون مع بنى نمير وباهلة بادية اليمامة آنذاك، وفى هذا احساس - على مايبدو - من الخلافة بأن البادية فى اليمامة آنذاك أشد اخلاصا من الحاضرة، وان كان من المحتمل أيضا أن يكون الهدف اخضاع البادية كما اخضعت الحاضرة بعد الارتداد ، ومن تتبع أسماء ولاة اليمامة فى الخلافة الراشدة سواء من ولّوا عليها وحدها أو من ضمت اليهم ولايتها بالتبعية يتضح تأكد هذه الحقيقة (٢) ، بل ان الأمويين أيضا قد تملكهم الشعور نفسه فلم يتيحوا لبنى حنيفة حكم اليمامة، مما جعل بعض الحنفيين ينضمون الى الخوارج فى معارضتهم للأمويين ، الا أنه يبدو أن قسوة بعض ولاة بنى أمية على اليمامة وخاصة ابراهيم بن عربى (٣) ، وضعف الدولة الأموية فى أواخر عهدها قد أتاح لبنى حنيفة

(١) للاستزادة، ابن جرير ٣/ ١٦٢، ٢٤٣-٢٣٥، ابن الاثير ٢/ ٢٠٣-٢٠٥، ٢٣١، ٢٣٩ - ٢٤٩، ابن كثير، البداية والنهاية ٥/ ٤٨-٥٢، ٦/ ٣١٧، ٣٢٧، حمد الجاسر: المرجع السابق ٥١-٥٧

(٢) البكرى ١/ ٩٠، د. عبد الله الشبل، المرجع السابق ٢٧، ٢٨

(٣) هو ابراهيم بن عربى الليثى الكنانى أشهر ولاة اليمامة الأمويين تولاها فى عهد عبد الملك بن مروان وامتد زمنه الى عهد هشام بن عبد الملك مع عزله واعادته فى فترات قبل هشام، اتخذ العقير - قرب الطلقى - مقرا له مع بقاء حجر قاعدة لليمامة وكان حكمه لليمامة حازما وقد اطلق عليه الشيخ حمد الجاسر نتيجة لذلك لقب موطد الحكم الاموى فى نجد ، وقد اشتهر بسجنه المخيف المرعب الذى ينفر منه اللصوص والمشهور باسم "دوار" وقد توفى ودفن فى العقير التى يوجد بها بعض آثار يعتقد بانها آثار العقير وقصر بن عربى ، وقد سجل بعض شعراء العهد الاموى الذين لاقوا من عذاب دوار وبلائه (الاصفهانى: بلاد العرب ٣٦١ ، خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق د. أكرم العمرى ط (٢) مطبعة محمد الكتبى (=)

فرصة ولا يةاليمامة بأنفسهم والانفصال عن الدولة الأموية بعد ما هزموا واليها (١) .

ولما سقطت الخلافة الأموية وقامت على أنقاضها الخلافة العباسية سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م صارت ولاية اليمامة تضم فى الغالب الى والى مكة والمدينة واليمن الا أنها كانت ولاية اسمية مما جعل المنطقة تعانى من فراغ قيادى تابع للخلافة سنوات متعددة، بل ان الوالى الأموى على اليمامة ظل يحكمها لفترة من عهد بنى العباس، ويبدو أن كثرة تغيير الولاة العباسيين على اليمامة بين فترة وأخرى اضافة الى وقوع ثورة فى المنطقة التى بين اليمامة والبحرين عام ١٦٧هـ/٧٨٣م قام بها بعض العرب، جعل اليمامة تنعزل عن الخلافة فترة، ولعل الخلافة انتهت بعد ذلك الى ضرورة وضع وال خاص لليمامة والبحرين لكن سرعان مازال هذا الاهتمام لتضم اليمامة الى وال يحكم عدة أقاليم منها اليمامة بالتبعية، وأحيانا كانت تضم الى والى البصرة أو مكة أو المدينة أو الى والى البحرين وان كان هذا قليلا (٢) .

ومن تتبع أخبار اليمامة فى العصر العباسى الأول يتبين مايلى :

١- عدم اهتمام الخلفاء العباسيين بشئون اليمامة مما جعلها تعيش فراغا قياديا أدى الى استقلالها فيما بعد .

٢- اذا عين وال مستقل لليمامة فان ولايته لها شكلية وغالبا ماتضم الى والى البصرة أو والى مكة أو والى المدينة ومن غير المتوقع أن يجعل الوالى مركزه اليمامة بل من المتوقع أن يجعل مركزه اما احدى المدينتين المقدستين أو البصرة، هذا بالاضافة الى أن بعض الولاة كان بمجرد تعيينه على اليمامة

(=) نشر دار القلم ومؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ص ٢٩٨، ٣١١، ٣٣٣، ٣٣٦ ياقوت ٤/ ١٣٨ ، حمد الجاسر: المرجع السابق ٦١، ٦٢ ، عبد الله بن خميس : معجم اليمامة ١/ ٤٥٠، ٤٥١، ٢/ ١٦٩، د .عبد الله الشبل ، المرجع السابق ٣١ .

(١) ابن الاثير ٣/ ٣٥٢-٣٥٤، ٤/ ٢٧٢-٢٧٤ ، حمد الجاسر : المرجع السابق ٦١-٦٧، د . عبد الله الشبل : المرجع السابق ٢٩-٣٢

(٢) ابن الأثير ٥/ ٦٩، د . عبد الله الشبل : المرجع السابق ٣٣-٣٥

بالتبعية يسندها الى وال آخر، وقد يتركها هذا مكتفيا بالاسم وهو يعيش خارجها مما جعل اليمامة تعيش ظلالا قاتمة من الاهمال أتاح لبني الأخيضر الاستقلال بها كما سيأتي، ولعل الخلفاء العباسيين في تصرفهم هذا حيال هذه المنطقة يدفعهم أحد هذه العوامل أو كلها مجتمعة (١).

١- لم تكن المنطقة تشكل موردا اقتصاديا - ولو بسيطا - للدولة الاسلامية فهي منطقة داخلية لا تقع على بحار حتى تكون منفذا تجاريا ولا يوجد فيها أنهار حتى تزدهر فيها الزراعة.

٢- بعد المنطقة عن مركز الخلافة قلل من اهتمام الخلافة بها وجعل بالتالي أهالي المنطقة لا يوالون الخلافة سياسيا (٢).

٣- لم يكن يوجد بالمنطقة مركز ديني أو علمي يمكن أن يشد اليها الأنظار بخلاف كثير من البلدان الاسلامية آنذاك سواء داخل الجزيرة أو خارجها فقد كانت الأمية والجهل مسيطران على نجد، واذا وجد بعض العلماء فانهم لا يعرفون الخلافة بمزايا منطقتهم (٣).

٤- يبدو أن الخلافة العباسية لم تكن تخشى من قيام ثورة فيها كما كانت تخشى الدولة الأموية اذ لم يشر المؤرخون الى ثورة عدا ما سبق وهي في المنطقة ما بين اليمامة والبحرين مما جعل الخلافة تطمئن الى الوضع السياسي فيها وانه لم يكن موال لها كليا فعلى الأقل لن يثور عليها.

ولقد كان العلويون يرون أنهم أحق من العباسيين، وأصبحوا من كبار المعارضين للخلافة العباسية محاولين الخروج عليها كلما سنحت الفرصة ممثلة اما في ضعف الدولة، أو انشغالها بالفتن الداخلية أو بعدو خارجي، وقد ساعدهم أن العصر العباسي الثاني (٢٣٢هـ/ ٨٤٧م - ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م) يعتبر

---

(١) د. عبد الله الشبل: المرجع السابق ٣٥

(٢) المرجع السابق ص ٢

(٣) المرجع السابق ص ٣، ٤

عصر انحلال الدولة العباسية، وبداية التحولات السياسية ضدها، وظهور الدول المستقلة داخل جسم الخلافة الاسلامية وظهور الحركات السياسية والدينية التى بدأت تنخر فيها حتى أفقدتها القدرة على صد الأعداء فى الخارج، أو قمع المناوئين فى الداخل، وليس هذا مجال التفصيل فى محاولات العلويين الخروج عن الدولة العباسية سواء داخل الجزيرة العربية أو خارجها، بله التفصيل فى الدول المستقلة عن العباسيين، أو الحركات السياسية أو الدينية (١)، ولكنها العامة للدخول الى العهد الأخيضرى فى اليمامة، الذى نجم عن نظرة العلويين للعباسيين، واسقاط العرب من الديوان، واهمال منطقة اليمامة هذا الاهمال الذى جعلها تعيش فراغا قياديا وخاصة فى الفترة التى سبقت قيام دولة الأخيضريين العلوية بقليل اذ بقيت اليمامة بدون وال من الخلافة حيث لم تشر المصادر التى بين يدى الآن الى تسمية والى اليمامة العباسى فى هذه الفترة (٢).

استغل محمد الأخيضر بن يوسف من بنى الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه هذه الظروف سواء تلك التى تعيشها منطقة اليمامة خاصة أو التى تعيشها الخلافة العباسية عامة فاستولى على اليمامة سنة ٢٥٣هـ / ٨٦٧م بعد فراره من هزيمته أمام الجيش العباسى متخذا الخضرمة قاعدة لحكمه الذى توارثه أبناؤه وأحفاده من بعده حتى بعد منتصف القرن الخامس الهجرى بعد منتصف القرن الحادى عشر الميلادى (٣).

---

(١) للتفصيل فى الدول المستقلة عن الخلافة العباسية د. حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ط (٧) مطبعة السنة المحمدية، القاهرة. نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٥م، ٣/ ٦٤-١٩١، وعن الحركات السياسية والدينية ٣/ ١٩٢-٢٣٠.

(٢) د. عبد الله الشبل، المرجع السابق ٣٦-٣٩، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ع ٦ س ١٣٩٦هـ من ص ٤٥٩-٤٦١

(٣) على بن الحسين المسعودى، مروج الذهب تحقيق محيد محى الدين عبد الحميد ط (٤) مطبعة السعادة، نشر المكتبة التجارية الكبرى. القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ٤/ ٧٦، ١٧٧، ١٨٠، حمد الجاسر: المرجع السابق ٦٩، د. عبد الله الشبل ٣٩، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ع ٦ س ١٣٩٦، ٤٦١، ٤٦٢، مجلة العرب ج ١، ٢ س ١٤ ص ١٠٢، ١٠٣

والأخيضريون شيعة على مذهب الزيدية ويقولون فى ندائهم للصلاة : حى على خير العمل ومحمد وعلى خير البشر (١) ، والزيدية وان كانوا أخف فرق الشيعة تعصبا وبغضا لأهل السنة ، فانهم يلتقون مع عامة الشيعة فى الولاء السياسى لمبدأ التشيع ومن هنا كان الاخيضريون على علاقة وطيدة مع القرامطة ، ويشير أحد الباحثين الى أن حصن الأخيضر القريب من كربلاء ربما سمى باسم أحد أحفاد الأخيضر الذى عينه القرامطة أميرا على الكوفة عام ٣١٥هـ/ ٩٢٨م (٢) .

ولئن صحّت هذه الاشارة فانها تفيد أن للاخيضريين دورا فى نشر دعوة القرامطة فى شرق شبه الجزيرة ، ويعضده مايجمع بينهما من التشيع لآل البيت ، ومعاداة الدولة العباسية ، وما تمخض عنه أو صاحبه من تيارات سياسية ومعتقدات شيعية جعلتهما تنظران الى سائر الأمة الاسلامية بمنظار الحقد والكراهية .

ويؤكد هذه الحقيقة طبيعة السياسة التى اتبعوها فى حكم اليمامة التى اتسمت بالجور والقسوة وسوء السيرة ، فقد اضطر قسم كبير من أهل اليمامة الى مغادرتها تاركين وراءهم أموالهم الى البصرة بسبب حيف لحقهم من ابن الأخيضر عام ٣١٠هـ/ ٩٢٢م فأصبحت سياسة الاخيضريين عامل طرد للنجديين من بلادهم تماما كما يفعل الجدب والقحط ، واضطر قسم آخر من النجديين الى الجلاء عنها بسبب هذه السياسة الى مصر فى مجموعات كثيرة مما جعل اليمامة تقفر من أهلها نسبيا طيلة فترة الأخيضريين (٣) .

---

(١) حمد الجاسر المرجع السابق ص ٧٦ ، د . عبد الله الشبل المرجع السابق ٤٠

(٢) المسعودى ، التنبيه والاشراف نشر دار التراث ببيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م . ص ٣٣١ ، دائرة المعارف الاسلامية نقلها الى العربية محمد ثابت الفندى وزملاؤه ٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م ١/ ٥٣٠ ، ٥٣١ د . عبد الله الشبل المرجع السابق ص ٣٩ ، ٤٠ ، عبد الجبار الراوى : البادية ، الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م من ص ٥١-٥٦ وقد فصّل فيها الكلام عن قصر الاخيضر وقدم صورة له لكنه لم يشر الى انه يرجع للأخيضريين بل اشار الى انه ربما بنى قبل الاسلام وربما كان فارسيا .

(٣) ياقوت ٤/ ٣١٩ ، حمد الجاسر ، المرجع السابق ٧٠ ، ٧٢ وعبد الله الشبل . المرجع السابق ص ٤٠

وقد كان للأخيضر محمد سابقة فى الجور والاضطهاد قبل أن يقدم اليمامة اذ غلب على مكة والمدينة بعد وفاة أخيه اسماعيل فنال الناس منه عنتا شديدا ، ومات كثير من أهل المدينة جوعا بسبب حصاره لها عام ٢٥٣هـ/٨٦٧م ، وانقطعت الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة حتى بعثت الخلافة العباسية جيشا هزم الأخيضر، فهرب الى اليمامة فى السنة نفسها ليمارس السياسة نفسها التى يبدو أن بعض الثائرين يمارسونها على العامة فيسقطون العنت الذى يلقونه من الخلافة على هؤلاء العامة الذين لا حول لهم ولا قوة. (١)

ومن المعتقد أنه بالاضافة الى عدم تقبل النجديين لمبادئ الشيعة فقد أعطت هذه السياسة السيئة عاملا مهما فى عدم تثبيت أقدام المذهب الشيعى فى نجد ذلك أن النجدى رجل صحراوى لا يعرف الا الصراحة والوضوح فى الأمور الدينية كما مر، ولا تعرف التقية التى هى من أهم مبادئ الشيعة اليه سبيلا . (٢)

ومن المتوقع - وان لم يشر المؤرخون الى ذلك - أن بعض النجديين الذين فروا من سياسة الأخيضريين قد عادوا الى بلادهم بمجرد انتهاء هذا الحكم القاسى بعيد منتصف القرن الخامس الهجرى حيث انتهى هذا الحكم بنهاية مجهولة الأسباب لكن ليس منها استيلاء القرامطة كما يشير بعض المؤرخين ، وبقيت أقسام كبيرة من تلك التى هربت ولم تعد الى نجد وخاصة تلك التى هربت الى شمال افريقيا وبشكل خاص بعض من بنى تميم وعامر وهلال حيث بقيت فى تلك المناطق الى اليوم . (٣)

على أن هذا الوجود الأخيضيرى فى نجد قد أثمر بقاء بعض الأسر الشريفية التى اندمجت فى المجتمع النجدى والتى ترجع فى أصولها الى الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وهم يتركزون فى جنوبى نجد ، وقد جاوروا بالحلف بنى حنيفة ولا يبعد أن تكون الأسر الشريفية الأخرى المتفرقة فى نجد من بقايا الأخيضريين وحافظت على أصلها الشريفى، ولم توافق بنى الأخيضر فى الاعتقاد بالمذهب الشيعى. (٤)

---

(١) المسعودى ٤/١٧٦، ١٧٧(٠، ١٨٠، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٤٦
(٢) انظر ص ٨ من هذا المدخل
(٣) د . عبد الله الشبل المرجع السابق ص (٤-٤٤، ابن خميس: اليمامة ١/٤١، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية العدد السابق ٤٦٣-٤٤٦
(٤) حمد الجاسر : معجم انساب الأسر المتحضرة ١/١٥٢، ١٥٤، ٢/٧٧٠ ، ابن خميس : المرجع السابق ١/٣٩

وقد كانت الأحساء وشرق الجزيرة فى القرن الثالث وأوائل الرابع الهجرى تابعة لليمامة من الناحية الادارية ، ويبدو أنها تبعية مذبذبة حسب قوة الحاكم فى هاتين المنطقتين (١) ، لكن الوضع انعكس منذ أواخر القرن الخامس الهجرى أى منذ سقوط الأخيضريين وحتى قيام الدولة السعودية اذ أصبحت اليمامة تابعة للأحساء ، وتعرضت للتفكك والانقسام الى امارات صغيرة مجزأة ، وأصبحت تعانى من عدم استقرار الحكام فى بعض بلدانها وتناحرهم فيما بينهم ، واعتداء القبائل بعضها على بعض ، وغزوات القوى المحيطة بالمنطقة (٢) .

وفى الوقت الذى بدأت فيه دولة الأخيضريين فى الاحتضار ، كان الضعف والانهيار قد بدأ يدبان فى أوصال القرمطية فى الأحساء ، ولعل هذا من الموافقات التاريخية العجيبة اذ سلمت شبه الجزيرة العربية من شرهما فى وقت متقارب ، ونتيجة لضعف القرامطة فقد استغله العيونيون - من بنى عبد القيس - لينهوا حكم القرامطة للأحساء بعد الاستعانة بالخليفة العباسى القائم بأمر الله (٣) والسلطان السلجوقى ملكشاه (٤) حيث انتزع العيونيون الاحساء من القرامطة فى حدود عام

---

(١) قال الأصفهانى فى بلاد العرب ص ٣٢٦ : " منبر الاحساء . احساء هجر ، يدعى عليه لصاحب اليمامة ، وواليها من قبل عامل اليمامة ، ثم ذكر ان جباية زكاة الاحساء ترد اليمامة .

(٢) د. عبد الله الشبل : المرجع السابق ص ٤٥ ، حمد الجاسر : المرجع السابق ص ٧٩ .

(٣) هو القائم بأمر الله عبد الله بن أحمد القادر بالله ابن الامير اسحاق بن المقتدر العباسى يكنى بابى جعفر احد خلفاء بنى العباس ولد سنة ٣٩١هـ/١٠٠١م ، ولى الخلافة بعد ابيه القادر بالله سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م فى عهده تجددت الفتنة ببغداد بين السنة والشيعة عدة مرات ، واعتورت الخلافة فترة ضعف ، وفى عهده كذلك حدثت وحشة بينه وبين البساسيرى ادت الى خروجه على الخلافة وقتله سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ، امه أرمينية وقيل رومية تسمى قطر الندى ، توفى سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م وتولى بعده ابنه المقتدى بامر الله ، وكان القائم ورعا دينا زاهدا محبا للادب مؤثرا للعدل ، للتفصيل (ابن الاثير : الكامل ٧/٢١١ حوادث سنة ٣٩١هـ ، وص ٣٥٤-٣٥٧ ، حوادث سنة ٤٢٢هـ ، جـ ٨/٢-١٢٠ حوادث سنة ٤٢٣ - ٤٦٧هـ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١/٣٢٩ حوادث سنة ٣٩١هـ ، جـ ١٢/٣١-١١٠ الزركلى : الاعلام ٤/١٩٠) .

(٤) هو ملكشاه بن ألب ارسلان بن شغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق ، أحد سلاطين سلاجقة العراق ، ولد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م تولى السلطنة بعد مقتل أبيه سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م ، وكان عمره حين وليها سبع عشرة او ثمانى عشرة سنة ، استوزر نظام الملك ، بدا عهده باضطرابات (=)

٤٦٩هـ/ ١٠٧٦-١٠٧٧م (١) وأقاموا فيها حكومة تدين بالتبعية للخلافة العباسية في بغداد، وقد بلغ العيونيون من القوة السياسية في شرق شبه الجزيرة ما جعلهم يمدون نفوذهم الى نجد (٢) التي يبدو أن اسمها الحالي بدأ يحل محل الاسم القديم "اليمامة".

وقد استمر حكم العيونيين حتى منتصف القرن السابع تقريبا حين أثرت فيهم هجمات بني عامر بن عقيل الذين كانوا قد ساعدوا القرامطة أثناء هجوم عبد الله العيوني مع جيش الخلافة عليهم (٣)، اضافة الى الصراعات بين أمراء البيت العيوني نفسه. هذه الصراعات التي يبدو أن بني عامر قد استغلوها بعد أن صاهروهم - بدافع سياسي على مايبدو - فأخذوا يؤيدون هذا الأمير

(=) في اطراف البلاد الخاضعة للسلاجقة، اهتم بالجوانب الحربية والحضارية الانشائية والعلمية، تزوج الخليفة المقتدى ابنته، يلقب بالسلطان العادل وبابه كان مفتوحا لكل شخص، ويجلس للمظالم بنفسه، توفي ٤٨٥هـ/١٠٩٢م وبموته انتهى العصر السلجوقي الأول العصر الذهبي للسلاجقة.(ابن الاثير ٨/١١٢-١٦٥، حوادث سنة ٤٦٥هـ - ٤٨٥هـ، ابن كثير ١٢/١٠٦ - ١٤٣، د. حسن ابراهيم حسن. تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ٤/٢٥-٣٣).

(١) وقيل سنة ٤٦٦هـ. حمد الجاسر "المنطقة الشرقية ط(١) مطبعة نهضة مصر. نشر دار اليمامة. الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ١/٨٦، وقيل عام ٤٦٧هـ، د. عبد الله الشبل، المرجع السابق ٤٦.

(٢) حمد الجاسر: مدينة الرياض ص ٧٩، د. عبد الله الشبل: ٤٥، ٤٦، د. عبد اللطيف الناصر الحميدان: امارة العصفوريين: مستل من مجلة كلية الآداب. جامعة البصرة العدد ١٥ عام ١٩٧٩م مطبعة جامعة البصرة ص ٧٨-٨١.

(٣) يبدو أن علاقة بني عامر بن عقيل بالقرامطة كانت منذ وجود القرامطة في شرق الجزيرة فقد أشار ابن جرير (١١/٣٦٤ سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م) الى أن بعض الاعراب قد ساعدوا ابا سعيد الجنابي القرمطي في البحرين وصرح ابن الاثير ٦/٩٣هـ بان بني عقيل من القبائل التي ساعدت أبا سعيد اما ابن خلدون ٤/٩٨، ٩١ فقد ذكران القرامطة كانوا يستنجدون بقبائل من العرب في البحرين ويستعينون بهم في حروبهم ضد اعدائهم.

على حساب الآخر حتى اشترك بعض أمراء بنى عامر مع بعض الأمراء العيونيين فى اغتيال الحاكم العيونى الذى استعان ابنه بأحد أمراء بنى عامر أيضا وهكذا بدأ بنو عامر يسيطرون على دفة الحكم العيونى حتى استأثروا به عام ٦٥١هـ/١٢٥٣م وقد استمروا فى حكم "البحرين" "المنطقة الشرقية" حتى عام ٩٣٢هـ/١٥٢٥م(١) وحكم منهم خلال هذه الفترة ثلاث أسر هى :

١- العصفوريون : بعد تعرض حكم العيونيين لحالة التمزق كما سلف اجتمع أعيان الأحساء واتفقوا على تسليم السلطة للشيخ عصفور بن راشد بن عميرة زعيم بنى عامر على أن يقوموا من جانبهم بخذلان الحاكم العيونى الفضل بن محمد بن مسعود واقناعه بعدم جدوى مقاومة بنى عامر، فقبض الشيخ عصفور على الأمير الفضل وطرده من الأحساء، وهكذا تم لبنى عامر ممثلين فى الشيخ عصفور الاستيلاء على السلطة فى الأحساء وكان ذلك على فترات بدأت بالعقد الثانى من القرن السابع الهجرى حتى العقد الرابع منه، أو منتصف هذا القرن /العقد الثانى أو منتصف القرن الثالث عشر الميلادى، وقد تداول بنو عصفور الحكم حتى أوائل القرن الثامن الهجرى/ أوائل القرن الرابع عشر الميلادى والذى يعنينا هنا هو امتداد حكمهم الى نجد (٢).

٢- الجروانيون : تنتسب هذه الأسرة الى جروان، ولعله ابن ابراهيم بن عبد الله ابن جروان من بنى مالك أحد بطون بنى عامر بن عقيل من بنى عبد القيس(٣) ، وقد قام حكمهم على أنقاض حكم أقربائهم العصفوريين الذى يبدو أن سعيد بن

---

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م ٩٢/٤، حمد الجاسر: المنطقة الشرقية ٨٨/١،د . عبد الله الشبل : المرجع السابق ص ٤٦، والحميدان المرجع السابق ٨١، ٨٤.

(٢) اشار ابن خلدون ٩٢/٢ الى أن حكام الأحساء فى القرن ٧هـ هم بنو عصفور،د . عبد الله الشبل ص ٤٦، والحميدان ٨٥-٨٨، ٩٢، والبحث كله عن بنى عصفور.

(٣) د . الحميدان : ١١٩، ١٢٣

مغامس الذى يقال انه من ذرية الشريف رميثـــة (١) قد استولى عليه لفترة قصيرة (٢) من مطلع القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى حتى انتزع الحكم منه جروان المحتمل انه ابن ابراهيم فى عام ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥-١٣٠٦م ثم اعقبه ابنه ناصر فحفيده ابراهيم الذى أخضع حكم الجروانيين لحكومة هرمز (٣) التى كانت تسيطر بقوة على سواحـل الخليج العربى وأنه بقى حاكما للاحساء تابعا للهرمزيين فى عام ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م ويبدو أن بنى جروان قد انصرفوا الى النشاط الاقتصادى وأن دفعوا مقابلا لذلك نقل ولاءهم السياسى وقوتهم العسكرية الى هذه القوة الجديدة (٤) .

---

(١) الشريف هو رميثة بن ابى نمي محمد بن الحسن بن علي الحسنى أبو عرادة ولي مكة بالاشتراك مع اخيه حميضة ثم اختلفا وتقاتلا حتى استقل بامـارة مكة عام ٧١٥هـ/ ١٣١٥م ثم قبض عليه عام ٧١٨هـ/ ١٣١٨م فهرب ثم سجن عام ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م حيث قتل المماليك اخاه حميضة ثم انفرد اخوهمـا عطيفة بالامر، ثم سجنه المماليك بمصر واعادوا رميثه فحكم من سنـة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م - ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م، حيث ترك الامارة لابنيه ثقبـة وعجلان ثم توفى بمكة عام ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م قيل انه اظهر الزيدية فانكـر عليه الناصر قلاوون وارسل اليه عسكرا ثم امنه، كانت امارة مكة فى وقته تتبـع مماليك مصر، للتفصيل (احمد زيني دحلان : خلاصة الكلام فى بيان أمراء البيت الحرام. تصوير عن الطبعة الاولى . المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٥هـ ١٨٨٧م من ص ٢٨-٣٠، الزركلى : الاعلام ٣/ ٦١، على بن حسين السليمان العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك طبع الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة، توزيع دار حواء، القاهرة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م الصفحـات ٣٣-٣٥، ٣٩، ٤٦، ٢٦١، ٣٠١، ١٣٢، ١٨٤، ٢٥٣) والقول بان سعيدا من ذرية رميثة تدحضه المقارنة بين التواريخ المتعلقة بعهد بين الشخصين.

(٢) بينما رجح د. الحميدان ص ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، انه من ذرية الشريـف رميثه، اشار الشيخ حمد الجاسر: المنطقة الشرقية ١/ ٨٩، انه من بنى عامر والله اعلـم.

(٣) هى حكومة قامت فى منطقة مضيق هرمز سنة ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م واتسعـت لتشمل ساحل الخليج العربى من ظفار جنوبا حتى البصرة شمالا. للتفصيل (د. الحميدان ١٠١-١٠٧ وعن علاقة العصفوريين بها من ص١٠٨-١٣٣، وعن علاقة الجروانيين بها ص ١٢٣). وقد مر ابن بطوطة بهذه الدولة، وذكر امتداد سيادتها لعدد من بلدان الخليج وخاصة فى عهد السلطـان قطب الدين تمهتن بن طوران شاه الذى اثنى على كرمه وتواضعه واتسـاع ملكه (رحلة ابن بطوطة ١١٧، ٢٣١، ٢٦١، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٨).

(٤) د. عبد اللطيف الحميدان ١١٩، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، د. عبد اللـه الشبل : المرجع السابق ص ٤٦، وقد ذكر ابن بطوطة فى رحلته انه قـدم الى اليمامة فى هذه الفترة وذكر حسنها وخصبها وان فيها انهار- ولعلها جداول من الابار، واشجار، وذكر ان فيها عدد من قبائل العرب يمثـل بنو حنيفة اغلبهم، وان الامارة فيهم لطفيل بن غانم - ولعله من بنى حنيفه- وسافر ابن بطوطة برفقته الى مكة لاداء الحج وذلك سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م . (رحلة ابن بطوطة ٢٨٠).

ولئن كان من الصعب الجزم - فى ضوء المصادر المتوفرة - بما اذا كان نفوذ هذه الأسرة قد امتدت الى بلاد نجد ، الا أن سيطرتها مع عموم بنى عامر على طريق قوافل الحج والتجارة من مكة حتى ايران يعنى أن لها هيبة وسلطة على قبائل نجد الواقعة على هذا الطريق ، وان كانت هذه السيطرة تحت الحكم الهرمزى (١) .

٣- الجبريون : ركز بنو عامر اهتمامهم على الناحية التجارية باستغلال طرق القوافل متحينين الفرصة المناسبة لاسترجاع مكانتهم السياسية السابقة ، وقد تم لهم أخيرا على يد الفخذ الثالث وهم بنو جبر الذين استرجعوا سلطة بنى عامر على بلاد البحرين فى حدود منتصف القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى ويبدو أنهم أنفوا أن يكون بنو عمومتهم الجروانيون عمالا للهرمزيين (٢) .

وقد بدأ حكم هذه الأسرة عندما انتزع سيف بن زامل الامارة من آخر ولاة بنى جروان ثم تولاها أخوه أجود بن زامل الذى وسع حكمه على حساب مملكة هرمز والذى لقب برئيس نجد ورأسها مما يؤكد أن نفوذ هذه الأسرة قد امتد الى نجد (٣) ، وتشير بعض القصائد الشعبية كذلك الى امتداد هذا النفوذ الى نجد (٤) الذى استولى عليه راشد بن مغامس (٥) بعدما دب النزاع بين أفراد هذه الأسرة عقب مقتل مقرن بن أجود بن زامل على يد البرتغاليين عام ٩٢٧هـ / ١٥٢١م ، وكان استيلاء راشد على حكم الجبريين عام ٩٣٢هـ/١٥٢٥م لكن لم تطل مدة حكمه

---

(١) د . عبد الله الشبل : المرجع السابق ٢٧ ، د . عبد اللطيف الحميدان ١٢٤

(٢) د . عبد اللطيف الحميدان ١٢٤

(٣) ابن بشر ٢/ ١٩١ ، ١٩٢ ، د . عبد الله الشبل : المرجع السابق ٤٧ ، د . عبد الله العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب . مطبعة نهضة مصر . القاهرة نشر دار العلوم ، الرياض ص ٩

(٤) تاريخ حمد بن محمد بن لعبون . ٧ (١) مطبعة أم القرى ١٣٥٧هـ ص ٣٢ ، حمد الجاسر . مدينة الرياض ٨٣ ، عبد الله الحاتم : خيار ما يلتقط مجلة الدارة ع ٤ / س ١ ص ١ / ٥٥-٦٣ ، ٦٧ ، ٦٨ د . عبد الله الشبل ٤٧

(٥) وقد أشار ابن بشر (٢/ ٢١١) بأنه رئيس آل شبيب .

حيث استولى العثمانيون على هذه المنطقة بعيد منتصف القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي (١) .

وبعد انضمام الأحساء للعثمانيين وانضمام الحجاز قبل ذلك . أصبحت نجد محاطة من جميع جهاتها تقريبا بمناطق نفوذ عثمانية مما أتاح لاشراف مكة استغلال هذا الوضع لصالحهم فبدأت غزواتهم لنجد ، ففي سنة ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨ م غزا الشريف حسن بن ابي نمي (٢) بلدة معكال (٣) في جمع يزيدون على ٥٠,٠٠٠ بعد أن اخترق نجدا وأقام في معكال فترة أسر فيها جماعة من أهلها ،

---

(١) ابن لعبون : التاريخ ٣٢ ، ابن بشر ١٩٢/٢ ، ٢١١ وان كان قد أخطأ في تحديد نهاية حكم الجبريين حيث ذكر أنه عام ١٠٠٠هـ/ حمد الجاسر: مدينة الرياض ٨٣ ، المنطقة الشرقية ٨٩/١ ، د . عبد الله الشبل : المرجع السابق ٤٧ ، الدارة ع ٤ /س ١ /ص ٦٨ .

(٢) هو الشريف الحسن بن ابي نمي محمد بن بركات ولد بمكة في ٧ ربيع الأول ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م ، تولى امارة مكة ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م وتوفي غازيا لنجد ١٠١٠هـ/ ١٦٠١م ، للتفصيل :(أحمد زيني دحلان خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام من ص ٥٦-٦١ ، الزركلي ، الاعلام ٢٣٥/٢ ، الفاخري : الأخبار النجدية . تحقيق د : عبد الله الشبل ص ٦٢ من حاشية المحقق).

(٣) معكال : كان بلدا منفصلا عن حجر " الرياض" التي ضعفت فأصبحت عدة قرى منها معكال هذا وقد طغى ذكر معكال هذا على المدينة الأم (حجر) في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ، ويدل الشعر الشعبي على وجود حرب بينها وبين بلدة مقرن القريبة منها ، ومنذ عرفت الرياض كمدينة وهو أحد أحيائها القديمة ، ويقع الآن بين شارع آل فريان شرقا وشارع مكة غربا وشارع الأعشى جنوبا وميدان دخنة شمالا ، ويبدو أنه كان يضم حي دخنة .

للتفصيل :(ابن عيسى ص ٥١ ، حمد الجاسر : مدينة الرياض من ص ٨٧-٩٠ ، عبد الله بن خميس معجم اليمامة ٣٧٩/٢ ، ٣٨٠)

وقتل آخرين ، ورجع بغنائم وفيرة بعد أن اتفق معهم على أن يدفعوا له مخصصا سنويا وأمر فيهم من يضبط الأمور لصالحه (١) .

وفي سنة ٩٨٩هـ/١٥٨١م غزا بلدان منطقة الخرج في جيش كثيف وبرفقته مدافع ففتح هذه البلدان واتفق معهم على شروط وأموال وعيّن فيها أمراء من قبله لتنفيذ ما اتفق مع أهلها عليه (٢) .

وكانت غزوات الأشراف أحيانا غير محددة الاتجاه في نجد (٣) لأنه يهمهم أن يغزوا أكبر قدر ممكن من بلدانها ، وأحيانا تكون مقصودة أصلا الى بلد معين اما لقطع أهله الميرة عن مكة أو تعرضهم لقوافل الحجاج الذين يشتكون الى الشريف ذلك ، أو الحصول منها على غنائم (٤) .

وقد حفلت كتب التاريخ النجدي بالحديث عن معاملة الأشراف لهذه البلدان النجدية بالقسوة التي تتمثل أحيانا في اخلاء بعض البلدان من أهلها ثم هدمها (٥) . والتي يبدو أن سببها تأخر هذه البلدان عن دفع المبلغ المفروض

---

(١) الفاخري ٦٢، ٦٣ وقد أشار الى أن ذلك كان عام ٩٨٨هـ/١٥٨٠م بينما أشار العصامي في سمط النجوم العوالي" ٤/٣٦٨ أن ذلك كان عام ٩٨٦هـ/١٥٧٨م ووافقه ابن بشر ٢/١٩٥ ، حمد الجاسر: مدينة الرياض ٨٨، عبد الله بن خميس، معجم اليمامة ٢/٣٨٠ .

(٢) الفاخري ٦٣ واشار الى ان ذلك كان عام ٩٨٨هـ بينما أشار العصامي ٤/٣٦٩ أن ذلك كان عام ٩٨٩هـ ووافقه ابن بشر ٢/١٩٥ .

(٣) الفاخري ٦٤، ابن بشر ٢/١٩٥

(٤) الفاخري ٧١، ابن بشر ٢/٢٠٨، د . عبد الله العثيمين، الشيخ محمد ابن عبد الوهاب مطبعة نهضة مصر، القاهرة ، نشر دار العلوم الرياض ص ١٠ .

(٥) المنقور: التاريخ ٦٢، ابن بشر ٢/٢١٧، ابن عيسى ٧٠، وقد أشاروا الى غزوة الشريف أحمد بن زيد (١٠٥٢هـ/١٦٤٢م- ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م) لعنيزة وقد اتفق المنقور وابن عيسى على أن ذلك كان عام ١٠٩٧هـ/١٦٨٥م بينما ذكر ابن بشر أن ذلك كان عام ١٠٩٦هـ، وقد فصل ابن عيسى في ذكر مافعله بأهل عنيزة مبينا أنه أخلى العقيلية - محلة من محلات عنيزة - من أهلها وهدمها بينما لم يفصل المنقور وابن بشر في ذلك مكتفين بقولهما " فعل مافعل".

عليها ، أو تأخرها عن جلب التمور والحبوب الذى كانت نجد تصدره الى مكة منذ العهد الجاهلى (١) .

وان تعبير المؤرخين النجديين عن معاملة الأشراف لهذه البلدان كقولهم : " وفعلوا من القبح والفساد مالا يعلمه الا الله " و " فعلوا الأفاعيل " و " فعلوا القبح والفساد " (٢) هذا التعبير كما يوحى بأن هناك قسوة وفظاعة فى معاملة الأشراف للنجديين بعد الانتصار عليهم ، فانه فى الوقت نفسه يعطى تصورا عن حجم هذه القسوة ، كما يعطى تصورا عن بغض النجديين للأشراف (٣) .

وقد كان من أهداف الأشراف فى غزواتهم الى البلدان النجدية أيضا هو محاولة فرض سيادتهم على بعض البلدان النجدية ، كما حدث عام ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م حينما سار الشريف زيد بن محسن (٤) الى روضة سدير (٥) وقتل رئيسها ،

---

(١) أشار المؤرخون المسلمون الى قصة ثمامة بن أثال الحنفى مع القرشيين عند ما اسلم وانه عند ما اراد ان يعتمر اراد واضربه لاسلامه فقال احدهم دعوه فانكم تحتاجون الى اليمامه لطعامكم فخلوه ، وانه لما اسلم كذلك قال له القرشيون : اصبوت يا ثمام فقال لا ولكنى اتبعت خير الدين دين محمد ، ولا والله لا تصل اليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما ذهب الى اليمامة منع قومه من ارسال القمح الى مكة حتى اشتكى القرشيون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر ثمامة بارسال القمح الى مكة (ابن هشام ، السيرة ٤ / ٢٨٨ ، ابن عبد البر : الاستيعاب ١ / ٢٠٥ واشار الى ان ميرة قريش ومنافعهم من اليمامة ، ابن حجر ، الاصابة ١ / ٢٠٣ ، قلت وهذا دليل على ان نجدا كانت مصدرا غذائيا لمكة . الفاخرى ٦٤) .

(٢) انظر ابن بشر ٢ / ٢٠٨ ، ابن عيسى ٧٠

(٣) من الناحية السياسية فقط والا فنجد تضم أسرا شريفة لها مكانتها العالية بين الاسر النجدية .

(٤) هو الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن ابى نمى - ولد فى مكة ١٠١٤هـ/١٦٠٥م ويقال : انه حسن السيرة لولا مافعله فى نجد ، وحدثت فى عهده فتن منها منع الحجاج الايرانيين من الحج بموجب أمر سلطانى ، وفتن اخرى تمكن من قمعها واستمر فى الحكم مدة خمس وثلاثين سنة وشهر توفى عام ١٠٧٧هـ/١٦٦٦م (ابن بشر ٢ / ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، احمد دحلان : خلاصة الكلام ص ٧٤-٧٩ ، الزركلى : ٣ / ١٠١) .

(٥) الروضة أو روضة سدير : ذكرها الأصفهانى مشيرا الى انها لبنى العنبر من تميم ، كما ذكرها الهمدانى باسم روضة الحازمى وذكر ان فيها (=)

وولى عليها رميزان بن غشام (١) وأجلى قسما من أهلها ليضمن ولاء البلدة لــه (٢) ،

(=) نخيل وحصون بينما ذكرها ياقوت باسم روضة الفقى نسبة الى وادى الفقــى الذى تعتبر الروضة أعلى بلدة فيه ، والروضة الحديثة من أكبر بلدان سدير أسسها مزروع التميمى بعد أن اشتراه وتداوله ذريته من بعده ، ويبدو أن عمرانها لم يستكمل الا عام ١٠٧٦هـ/١٦٦٥م وأمراؤها منذ تأسيســـها حتى الآن هم آل ماضى من آل تميم من بنى خالد الا فى فترة حكم رميــزان فقط وللروضة تاريخ حافل فقد مرت بها أحداث كثيرة كما خرجت عددا مــن العلماء والشعراء. للتفصيل : الأصفهانى :(بلاد العرب ٢٦٢ ، الهمدانى صفة جزيرة العرب ٢٨٦ ، ياقوت ٩٣/٣ ، ابن بشر ٢٧/١ ، ٢٨ ، ٥٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٢/ ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ابن عيسى ٢٨٥ ، مقبل عبد العزيز الذكيــــر ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م - ١٣٦٣/ ١٩٤٤م طوق الحمامة فى اخبار اليمامـــة مخطوط فى كلية الدراسات العليا كلية الآداب، جامعة بغداد برقم ٩٦٩ ، ورقـــة ١٥٤ ، ١٥٥ ، معجم اليمامة عبد الله بن خميس ٤٨٥/١-٤٨٩)

(١) هو الشاعر رميزان ابن غشام من آل أبى سعيد بن مزروع بن حميد بن حماد من بنى عمرو ابن تميم ، كان رئيسا لبلدة أم حمــار قرب الحولة حتى أخرجــه منها ابن معمر عام ١٠٥٢ وقد ابعد عن امارة الروضة حيث عادت لآل ماضى حتى قتل عام ١٠٧٩هـ ، وأخطأ من قال عام ١٠٧٤هـ ، وقد جزم مقبـــل الذكير بأنه لم يقتل عام ١٠٧٩هـ لأنه مدح دولة آل حميد ، وقد مدح براك ابن غرير الذى مات سنة ١٠٩٣هـ ، ولعل السبب فى مقتله هجاؤه المقـذع أو كونه صنيعة للاشراف خاصة وأن الذى قتله من آل ابى هلال ، وكـــان لرميزان صولات فى الشعر بينه وبين خاله جبر بن سيار الذى يعد مــع رميزان من مصادر تاريخ فترة ندرة المصادر. (المنقور: التاريخ ٤٥ ، ٤٧ ، ٦٨ ، الفاخرى ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٨٤ ، ابن بشر ٢٠٦/٢ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ١٤ ، ابن عيسى ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٧٥ ، عبد الله البسام : تحفة المشتاق ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٨ ، الزركلى ١٠١/٣ ، عبد الله البسام : علماء نجد ٥٤٢/٢ ، محمد بن عثمان القاضى : روضة الناظرين ط(١) مطبعة الحلبى . القاهـــرة ١٤٠٠/ ١٩٨٠/ جـ٢/ ٣٦٧ ، عبد الله الحاتم: خيار مايلتقط ١٠٣/١ ، - ١٣١ ، مقبل الذكير: طوق الحمامة ١٥٤ ، عبد المحسن البابطيـــن : المجموعة البهية من الأشعار النبطية ١٠٢-١٠٦ ، حمد الجاســـر : معجم أنساب الاسر المتحضرة ٣٨١/١ ، ٣٩٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، مجلة العـرب جـ١١ ، ١٢ س١١ ص ٨٥٠

(٢) المنقور: التاريخ ٤٧ ، الفاخرى ٧١ ، ابن بشر ٢٠٨/٢ ، ابن عيسى ٥٦

وقد أشار ابن بشر الى تكرار هذا الصنيع من هذا الشريف فى منطقة سدير(١) .

وكما كانت غزوات الأشراف تتجه الى المدن والقرى النجدية فانها كانت تقصد كذلك القبائل البدوية التى يأتى تعرض قوافل الحجاج من قبلها سببا رئيسيا لهذه الغزوات، اضافة الى مايهدف اليه الأشراف من الحصول على الغنائم ورفض البدو تلبية طلبات الشريف المتمثلة فى الحصول على كرائم الابل، وأصائل الخيل، كما أن من أسبابها اعتداء القبائل النجدية على القبائل الشريفية أو الموالية للشريف التى تقطن فى المنطقة مابين نجد والحجاز(٢) .

وعلى أى حال فلم تكن هذه الغزوات ضد بادية نجد بكثرة ما يشن على حاضرتها .

ومن متابعة غزوات الأشراف لنجد يتضح أن النصر كان حليف الأشراف نتيجة لضعف بلدان نجد وقلة مواردها وتفرقها، ولرغبة الأشراف الجدية فى تقوية قبضتهم على نجد اما بايعاز من الدولة العثمانية أو بحكم مسئوليتهم المباشرة لتأمين طرق الحج والتجارة، ولعل أوضح معطيات هذه الغزوات أن نجدا أصبحت فى حكم التابع للاشراف، وأن الأشراف قد بسطوا نفوذهم على ما استطاعوا الوصول اليه من الأراضى النجدية متمثلا ذلك فى جباية الأموال وأخذ الهدايا، وفوق هذا وذاك ابعاد الأمراء المحليين وتعيين ممثلين (٣) من قبل الأشراف كما سبق،

---

(١) ٢/٢٠٩

(٢) ذكر مؤرخو نجد عدة وقعات بين الأشراف وبادية نجد وللتفصيل فى ذلك: (المنقور: التاريخ ٥٥، ٧٧، الفاخرى : ٧٥، ٧٧، ٧٨، ١٠١، ابن بشر ٢/٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢٣٨، ابن عيسى : ٦٦، ٦٧، كما حفظ لنا الشعر الشعبى قصة وقعة عظيمة بين أحد اشراف مكة فى تلك الفترة (القرن الحادى عشر الهجرى) وبين قبيلة زعب السلمية، وللتفصيل : عبد الله بن محمد بن رداس: شاعرات من البادية طبع باشراف دار اليمامة الرياض ص ٨٢ - ٩١، محمد بن احمد الشميرى : الفنون الشعبية فى الجزيرة العربية. المطبعة العمومية دمشق ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م من ص١٧٨-١٨٦)

(٣) الفاخرى ٦٢، ٦٣ من حاشية المحقق، وعبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم الدولة السعودية الاولى دار نافع للطباعة نشر معهد البحوث والدراسات العربية. القاهرة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ص ١٢٤، صالح بن حمد العقيلى العلاقات السياسية لاشراف مكة بنجد من النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجرى. رسالة ماجستير من كلية العلوم الاجتماعية لم تنشر بعد ص ١٨، ١٩ .

بل تجاوز ذلك الى أحداث شرافة خاصة بنجد في محاولة منهم لضم نجد الى مكة كما توحى بذلك عبارة ابن بشر أنه في سنة ١٠٧٨هـ/١٦٦٧م "كان شريف نجد أحمد الحرث" (١) وان كانت هذه الشرافة شكلية ولم تكن مستقرة سياسيا كشرافة مكة، بل كان الهدف منها اضفاء نوع من السيادة الشريفية على نجد .

ولم تتعرض نجد لغزوات الأشراف فحسب، بل تعرضت لغزوات قبيلة بني خالد التي أخذت طريقها للزعامة في منطقة الأحساء بعد طرد العثمانيين عام ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م (٢) .

وبعد أن تمكن بنو خالد من فرض سيطرتهم على الأحساء، ومدوا نفوذهم من قطر جنوبا الى الكويت وحدود العراق شمالا رنوا بانظارهم الى منطقة نجد، فبدأوا يشنون عليها الغارات اذ في السنة التي تلت استتباب حكمهم (١٠٨١هـ - ١٦٧٠م) غزوا نجدا، وتتابعت غزواتهم لها بعد ذلك كما حصل سنة ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م، وسنة ١٠٩٨هـ/١٦٨٦م، وقد نجحت هذه الغزوات وغيرها في مد النفوذ الخالدى الى أجزاء من منطقة نجد (٣)، مما جعله ينافس النفوذ الشريفي الذى تشير الأحداث الى بدء تضاؤله بعد بدء الغزوات الخالدية على نجد كما تشير الى احتكاكه ببني خالد حول منطقة نجد قبل أن يشق بنو خالد طريقهم للزعامة في شرق شبه الجزيرة حينما أرادوا قطع طريق الرجعة على الشريف حسن بن أبي نمي في غزوته على نجد عام ٩٨٩هـ/١٥٨١م التي مر

---

(١) ٢/٢١٠ وهو خطأ مطبعي والصحيح أحمد الحارث.

(٢) الفاخرى ٧٥، ابن بشر ٢/٢١١، ٢١٢، ابن عيسى ٦٣، وعبد الله الشبل تاريخ نجد ٤٨، مجلة الدارة ع ٤/س ١/ص ٦٩ من مقال للدكتور عبد الله العثيمين

(٣) الفاخرى ٧٥، ٧٨، ٨١، ابن بشر ٢/٢١٢-٢١٤، ٢١٨، ابن عيسى ٦٤، ٦٨، ٧٣، عبد الله العثيمين : المرجع سابق، وأحمد أبو حاكمة : تاريخ الكويت، مطبعة حكومة الكويت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ١/٧٤، مجلة "الدارة" العدد السابق : ٦٩

ذكرها حيث تقابل الجيشان وكانت الدائرة على بني خالد فانهزوا ، وغنم منهم الشريف ابلا وخيلا ، ويبدو أن هذا الاحتكاك هو بداية التصادم بين القوتين الشريفية والخالدية ، وأن نتيجته قد دفعت بني خالد للانتقام ومنافسة الأشراف على نجد التي غدت مسرحا للغارات الشريفية والخالدية التي كانت تشن في وقت واحد تقريبا (١) ، وطى بادية نجد وحاضرتها على حد سواء .

ونتيجة لانشغال الدولة العثمانية بالحروب البلقانية والفتن الداخلية فقد تلاشى وجودها تقريبا في شبه الجزيرة العربية في هذه الفترة ، فلم تعد الغزوات الشريفية التي يسندها العثمانيون بالكثرة التي كانت عليه قبل ظهور بني خالد ، وهذا ما أعطى الوجود الخالدى في نجد بالاضافة الى تعاطف أهل نجد النسبي مع بني خالد فرصة توسيع النفوذ (٢) .

وقد مكنت هذه الفرصة بني خالد من جعل النجديين يعترفون بأن نفوذ بني خالد هو النفوذ الأقوى في نجد ومن جعلهم يسعون الى ارضاء زعيمه بالهدايا وتقديم فروض الطاعة والولاء ، وقد استغل بنو خالد هذا الاعتراف لاصطفاء بعض أمراء نجد الأقوياء كآل معمر أمراء العيينة - كبرى المدن النجدية آنئذ - وكان تأخر أو امتناع شيوخ القبائل أو امراء المدن والقرى عن تقديم الهدايا لزعيم بني خالد سببا في شن غزوات كبيرة تعيد الخالديين محملين بالغنائم ، وتجعل النجديين يثوبون الى ولائهم لبني خالد (٣) .

ولعل مايفسر العلاقة الخاصة التي أولاها النجديون لبني خالد بعكس الأشراف أن بني خالد كانوا يسيطرون على المنفذ التجارى الشرقي لنجد ، كما أنهم يلتقون معهم في عدم الولاء للدولة العثمانية بالقدر الذى يوليه الأشراف لها ،

---

(١) ابن بشر ٢ / ١٩٥ ، د . عبد الله العثيمين : المرجع سابق ١١ ، مجلة الدارة العدد السابق ص ٦٩ .

(٢) د . عبد الله العثيمين : المرجع السابق ص ١١ ، مجلة الدارة : العدد السابق ص ٦٩ .

(٣) الفاخرى ٩٥ ، ابن بشر ٢ / ٢٣١ ، ابن عيسى ٩١ ، د . أحمد أبو حاكمة تاريخ الكويت ١ / ٢١٥ .

،وان استعانة الأشراف بالعثمانيين فى غزواتهم لنجد جعلتهم لا يجدون من قبائل نجد وقراها الا العناد والا ستبسال فى الدفاع(١).

كما أن هناك عاملا آخر أمال مشاعر النجديين نحو بنى خالد وهو أن الأحساء وشرقي شبه الجزيرة والعراق كان عامل جذب لسكان نجد اذا انقلبت نجد الى منطقة طرد لهم فى سنى الشدة وانكسار الحال (٢) ،اضافة الى وجود عدد من الأسر النجدية ترجع الى قبيلة بنى خالد تفوق عدد الأسر التى ترجع الى الأشراف، كما أنه يبدو أن حكم الأخيضريين الجائر لنجد جعل سكانه يكرهون حكم من ينتسب اليهم، ويحرصون أن لا يكون له موضع قدم فى منطقتهم.

واذا كانت نجد لم تخضع - ولو شكليا - فى تلك الفترة للعثمانيين، فانها لم تخضع خضوعا مباشرا للأشراف، كما أنها لم تشهد استقرارا سياسيا داخليا ابان نفوذ بنى خالد بل بقيت الحروب القبلية على أشدها ، وظلت النزاعات بين القرى والبلدان النجدية قائمة ممتدة، بل انها تتطور فى بعض الأحيان لتقوم بين أفراد القرية الواحدة، وأبناء الأسرة الواحدة (٣).

وان قراءة للأحداث التاريخية فى هذه الفترة لتكشف لنا عن جوانب مهمة فى الحياة السياسية الداخلية فى نجد ، تلك السياسة التى كان القتل أبرز مظاهرها ، والعنف أوضح معالمها.

يقول المنقور(٤) فى تاريخه: " وشاخ - أى فى سنة ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م درّاس

---

(١) الدارة : العدد السابق ص ٦٩

(٢) المرجع السابق : العدد السابق ص ٦٩

(٣) د. عبد الله الشبل : المرجع السابق ٤٩، د. عبد الله العثيمين : المرجع السابق ص ١٠، لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى ترجمة عجاج نويهض مع اضافات شكيب ارسلان الطبعة الرابعة دار الفكر : بيروت. القاهرة ١٣٩٤هـ/١٩٧٣م ١/٢٦١.

(٤) هو الشيخ أحمد بن محمد بن احمد بن حمد المنقور من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، يرجع نسبه الى أسرة منقر بن عبيد التى أنجبت مشاهير من ابرزهم قيس بن عاصم المنقرى (ت نحو ٢٠هـ/٦٤٠م) - من سادات الجاهلية وحلمائها حرم الخمر على نفسه أسلم ومدحه الرسول صلى الله عليه وسلم -، ولد الشيخ أحمد فى الثاني عشر من ربيع الاول ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م فى حوطة سدير، فقد امه وعمره اثنتى عشر سنة، وفى الثانية

(=)

ابن حمد في العيينة وقتل عمه ناصر*، وفي السنة التي بعدها قتل دوّاس(١).

ولم يكن من المستغرب في المجتمع النجدي آنذاك أن يتطاول الأبناء على آبائهم - في غياب الوازع الديني والسلطة القوية، وحبا في الزعامة تحت تأثير بعض القوى النجدية التي تهدف الى توسيع نفوذها في ماجاورها من البلدان التي تكون مسرحا لفتن بين الأسر النجدية يتطور الى مواجهة قتالية هي انعكاس لتطاحن

(=) والعشرين من عمره توفي أبوه، وقد جد في طلب العلم على شيخه عبد الله ابن محمد بن ذهلان قاضي الرياض (ت ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م) وكان كثيرا ماينقل عنه قضايا فقهية في الفواكه، واشتهر بالورع والديانة والقناعة والصبر على الفقر حيث كان يقاسي من عمله بالزراعة ويحضر الدروس في الرياض بعض الأحيان في رحلاته الخمس الى الشيخ ابن ذهلان وحج أربع مرات وتتلمذ عليه عدد من العلماء وألف عددا من الكتب ابرزها مجموعه المعروف باسم الفواكه العديدة في المسائل المفيدة الذي يعتبر مرجعا فقهيا وتاريخيا واجتماعية لنجد، وكذلك تاريخه الذي حققه معالي الدكتور عبد العزيز الخويطر، ومنسك شامل، توفي في بلدته الحوطة في السادس من جمادى الأولى عام ١١٢٥هـ/١٧١٣م وعمره ٥٨ سنة وأشهر أبنائه الشيخ ابراهيم ولد في ١/١٢/١١٠٣هـ/١٦٩١م وتوفي ١١٧٥هـ/١٧٦٢م ومن أحفاده الشيخ ناصر المنقور سفير المملكة في بريطانيا وقبلها في اسبانيا واليابان، والشيخ عبد المحسن المنقور مدير عام الحرس الوطني بالمنطقة الشرقية - سابقا - وجد في الوسيطى قرب حائل اسرة من المنقور ولكنهم يضيفون ياء في آخر النسب نزحوا من سدير الى سميرا فالمستجدة فالوسيطى وهي اسرة لها مكانة في الوسيطى.

(١) الفواكه في المسائل المفيدة، الطبعة الثانية نشر دار الآفاق الجديدة بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م من ص هـ - ز من مقدمة الشيخ محمد المانع، تاريخ المنقور: مقدمة الدكتور عبد العزيز الخويطر من ص ١١ - ٢٠، جامع المناسك الثلاثة الحنبلية تحقيق محمد زهير الشاويش الطبعة الثالثة. المكتب الاسلامي ببيروت دمشق ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ص هـ، و من المقدمة، محمد بن عبد الله بن حميد - السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة. نسخة مصورة عن مخطوطة خدا بخش بتنه رقم ٣٤٦٨ ورقة ٦٤، عبد الله بن عبد الرحمن البسام: علماء نجد ١/١٩٥-١٩٧، محمد القاضي، روضة الناظرين ١/٦١، ٦٢، عبد الله بن صقيه: بنوتميم في بلاد الجبلين ص ٥، مجلة العرب ٩، ١٠ سنة ١٢ ص ٦٦٣.

(٣) شاخ: أي أخذ المشيخة وهي امارة القرية، تاريخ المنقور ٣١، ٤٨.

القوى الكبرى فى نجد التى تستغل الخلاف بين الأسر فى البلد الواحد ، وبين الأسرة الواحدة لتنقل خلافها بين بعضها الى هذا البلد أو ذاك (١) .

وان الرغبة فى استجلاء الوضع السياسى قبل الدعوة لتفرض علينا أن نضيف بعض الأحداث التى تلقى الضوء على معاناة سكان نجد من الضياع والفرقة اللذين أثمرا التقاتل بين الأخوة والآباء وأبنائهم ، فهذا مرخان بن وطبان رئيس بلد الدرعية يقتله خنقا أخوه وشقيقه ابراهيم سنة ١١٠١هـ/١٦٨٩م ، والذى قتل هو الآخر سنة ١١٠٦هـ/١٦٩٤م (٢) ، وهذا عثمان بن ابراهيم يقتل ابنه ابراهيم طالبا للزعامة فى بلد القصب (٣) وذلك عام

---

(١) ذكر مؤرخو نجد قصة قبض مانع وسعود ابنى عثمان بن نحيط من بنى العنبر من تميم رئيس بلد الحصون واخراجه منها بتدبير رئيس جلاجل ابن عامر ولم يلبثا ان قتلاه ، وقد ذكر حميدان الشويعر هذه القصة فى قصيدته التى يقول فيها :

مثل راعى جلاجل مع ابن نحيط .٠. أدركه من زمان وهو يسحره
فاظهره من كنينين الذرا بالفضا .. ثم جودوا عنه ساقف المجحره
ثم قال احملوا ياعياله عليه .. واحد بلمه واخر عقره

مبينا فى قصيدة اخرى انه قد حذره حيث يقول فيها :

ياابن نحيط اهم جواب مهذب .. جا من صديق واضح عنوانها

وقد وقعت هذه الحادثة عام ١١١١هـ/١٦٩٩م ، وكان دور كبار الاسرة النجدية يتمثل فى ان ال مدلج اهل التويم قد اخرجوا منها ال تميم من بنى خالد وامروا فيها ابن نحيط ، وكان قد هرب الى الاحساء بعد قتل ال تميم لابيه ثم تزوج من جلاجل وعاد الى الحصون ليتسلم امارتها تحت ظل ال مدلج ، بينما كان ال حماد من الدواسر امراء جلاجل قد ساعدوا ال تميم على اخراج ال نحيط من الحصون وجعل الامارة فى ال تميم ، وذلك عام ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م (المنقور ٥٣ ، ٥٤ ، ٧٤ ، ٧٥ ، الفاخرى ٧٦ ، ٨٨ ، ابن بشر ٢/٢١٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ابن عيسى ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٩ ، ٨٠ ، عبد الله الحاتم : خيار ١/١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، مقبل الذكير : طوق الحمامه ١٤٨ ، الدارة ع ١/س ٤/ ص ٢٣ ، ٢٤) .

(٢) المنقور ٦٦ ، ٧١ وذكر أن مقتل مرخان كان عام ١١٠٠هـ ، الفاخرى ٨٥ ، ٨٦ ابن بشر ٢/٢٢٠ ، ٢٢١ ، ابن عيسى ٧٤ ، ٧٧ حيث ذكر ان مقتل مرخان كان عام ١٠٩٩هـ .

(٣) القصب ذكرها الاصفهانى ضمن بلدان الوشم باسم القصيبة تصغير القصبة وانها لبنى امرئ القيس ابن زيد مناة بن تميم وقد اشتهرت بمناجم الملح من قديم حيث ذكر الهمدانى ملح القصيبه ضمن املاح جزيرة العرب ، وقد خلط البكرى بينها وبين القصيبات الموجودة فى عالية نجد ، وذكر ياقوت عددا من الامكنة تحت هذا الاسم مشيرا الى القصب هذه ، وللقصب تاريخ حافل حيث تعرضت لغزوات الاشراف ، وغزاها جيش الدعوة حتى امنوا بها ، وبها عدد من المعالم الاثرية ابرزها قصر السبايره ، وتنتج القمح وهى بلد الشاعر حميدان الشويعر ، وجبر بن سيار من كبار شعراء العامية فى نجد ، كما انجبت عددا من العلماء ، وتقع الى الشمال الشرقى من شقراء تتبعها (=)

١١٣٨هـ/١٧٢٥م(١) .

وإذا كانت هذه الأحداث وغيرها مما يزخر به تاريخ نجد في هذه الفترة تصور الحياة السياسية والادارية والأمنية في نجد قبل الدعوة، فان في قصة المربوعة تصوير دقيق لتطور النزاع بين أفراد الأسرة الواحدة على الزعامة التي تجعلهم يقسمون بلدا واحدا وصغيرا الى أربعة أقسام، يقول ابن بشر في هذا" وفيها - أي سنة ١١٢٠هـ/١٧٠٨م - قتل حسين بن مفيز صاحب التويم(٢) . البلد المعروف في ناحية سدير قتله ابن عمه فايز، وتولى بعده في التويم، ثم ان أهل حرمه(٣) ساروا الى التويم، وقتلوا فايز المذكور، وجعلوا في البلد

(=) اداريا (الأصفهاني ٢٧١/٢٧٣، ٢٧٤، ٢٨٤، الهمداني ٣٠١، ٣٣٣، الحربي: المناسك ٥١٩، ٥٤٢، ٦٥٢ وذكر فيها القصيبة غير القصب هذه البكرى ١٠٨٧/٣، ياقوت ٣٦٦/٤، ٣٦٧، عبد المؤمن البغدادي ١١٠٢/٣، المنقور: التاريخ ٧١، ٧٥، الفاخرى ٦٤، ٨٦، ٨٩، ٩٤، ابن بشر ٥١/١، ٥٢، ٨٦، ٣٠٣/٢، ١٩٦، ٢٠٥، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٣٦، ابن عيسى ٤٩، ٥٠، ٨١، ٩٠، ٢٠٥، مقبل الذكير: طوق الحمامة ١٧٨-١٩٠، محمد بن عبد الله بن بليهد: صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الآثار الطبعة الثانية. بيروت ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ٩٤/٢، ٥/١٠، ابن خميس: معجم اليمامة ٢٨٦/٢-٢٩٢، وبعض اشعار حميدان وجبر بن سيار)

(١) الفاخرى ١٠٠، ابن بشر ٢٣٦/٢، ابن عيسى ٩٨.

(٢) التويم: بلد قديم ذكره الجغرافيون المسلمون باسم توم، تؤم، وهي غير التوأم التي ذكر البكري انها في البحرين، وذكر ياقوت ان بالتوم روضة، وان بالتوم روضة، وان التويمة ماء لبني سليم وفي القرن ٦ هـ سكن التويم قوم من عائذ حاضرة وبادية وارتحلوا عنها، وفي سنة ٧٠٠هـ تقريبا أعيد بناء التويم على يد جماعة من وائل بزعامة مدلج بن حسين الوائلي بعد ان اجلاهم الوهبة من اشيقر وبعد ان ازدهرت بالعمران اصبحت من مراكز الانتشار السكاني في نجد وخارجها حيث انتقل منها عدد من الأسر الى حرمة وحريملاء والقصيم والحريق والزبير، وللتويم تاريخ حافل حيث مر بها عدد من الاحداث وأنجبت عددا من الشعراء وبعض المشائخ. (الاصفهاني ٢٦٢، الهمداني ٢٨٦، البكرى ٣٢٣، ياقوت ٦٠/٢، ٦٣، المنقور ٤٩، ٥٠، ٥٥، ٦٨، ٦٩، الفاخرى ٦٨، ٧١، ٧٦، ٩٣، ابن بشر ١٠٨/١، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٥، ١٩/٢، ٢٠، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٢، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٩، ابن عيسى ٢٧-٣١، ٥٣، ٥٩، ٦٥، ٧٩، ٨٠، ٨٨، ١٠١، ١٠٢، عبد الله بن خميس المرجع السابق ٢١١/١-٢١٤، مجلة العرب ج ٧/ ٨/س ١٤ ص ٥٨٠-٥٨٤ من نقد للأستاذ سعود الحزيمي لما قاله ابن خميس عن التويم في معجم اليمامة)

(٣) حَرَمَة: بلدة قديمة على مايبدو اذ ذكرها الاصفهاني باسمها" حرمه" انها للرباب وذكر الحربي انها لبني العنبر بن تميم، كما ذكر ذلك ياقوت ايضا وذكر عدة اسماء تحمل هذا الاسم، كما اشار الهمداني الى وجود بلدة تحمل اسم حرمه في منطقة همدان باليمن، وتاريخ حرمه المعروف يبدأ منذ اعادة عمرانها على يد ابراهيم بن حسين المدلج الوائلي بعد ان انتقل

(=)

فوزان بن (١)، ثم غدر ناصر بن حمد في فوزان فقتله، فتولى في التويم محمد بن فوزان فتمالأ عليه رجال فقتلوه منهم المفرع وغيره من رؤساء البلد، وهم أربعة رجال فلم يستقم ولاية لأحد هم، فقسموا البلد أرباعا كل واحد شاخ في ربعها فسموا المربوعة أكثر من سنة، وانما ذكرت هذه الحكاية ليعرف من وقف عليها وعلى غيرها من السوابق نعمة الاسلام والسمع والطاعة، ولا نعرف الأشياء الا بأضدادها، فان هذه قرية ضعيفة الرجال والمال وصار فيها أربعة رجال كل منهم يدعي الولاية على ماهو فيه" (٢).

(=) اليها من التويم مع بعض قرابته ولا يعرف سبب تركه التويم، وقد وحد حرمه أطلال وموارد مياه بعد بني عائذ بن سعيد فعمرها، وقد مرت بحرمة احداث ليس هنا مجال تفصيلها لعل أبرزها وقوفها في وجه الدعوة مؤيدة لشيخها عبد الله المويس (ت ١١٧٥هـ/١٧٦١م) حيث غزاها الامام سعود ابن عبد العزيز (١١٦٣هـ/١٧٥٠م - ١٢٢٩/١٨١٤م) أكثر من مرة وقطع نخل قاضيها المويس وارتحل كثير من أهلها الى المجمعة التي كان بينها وبين حرمة عداء وحروب والزلفي والقصيم والزبير ومن هنا كان لأكثر الاسر في نجد والزبير أواصر لأسر حرمه (الأصفهاني ٢٥١ ٢٥٦، ٢٦١، الهمداني ٢٤٠، ياقوت ٢/٢٤٤، ٢٥١، ٢٥٢، ابن بشر ٥٤، ٨٣، ٨٥، ٨٧، ٢/٨٨، ١٨، ٣٨، ٤٥، ٥١، ٥٨، ١٠٠، ١٦١، ٢٢٩، ٢٤١، ابن عيسى ٣١، ٣٢، ٨٢، ١١١، ١١٢، ١١٧، ١٣٣، ١٦٨، ، ابن خميس : المرجع السابق ١/٣٠٩-٣١١)

(١) بياض في الاصل ولعل الساقط كلمة مغيز: د. عبد الله الشبل : الشيخ محمد بن عبد الوهاب : حياته ودعوته طبع على مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ونشر في اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٦ الحاشية.

(٢) انظر ٢/٢٢٩، وأشار المنقور في فواكهه ١/١٣٣ - ٢/٢٧٠ الى ان روضة سدير قرى متقاربة كل محلة منها قرية لها رئيس وأنها في حكم القرية المنفردة في اقامة الجمعة فلا يلزم ان تقام جمعة في كافة الروضة بل يقام في كل محلة جمعة، ويبدو ان مصدر هذه الفتوى خوف الفتنة بين أبناء القرية الواحدة اذا اجتمعوا لصلاة الجمعة.

ورجوعا الى ماتقدم من الأحداث وبالمقارنة مع هذه القصة العجيبة يتبين مايلي :

١- أن قول ابن بشر: "أكثر من سنة" بعد وأنها تقرب أو تزيد عن العشرين سنة لأن أمير جلاجل قد غزا التويم عام ١١٤٢هـ/١٧٢٩م ومعه ابن عم أمير التويم الذى كان قد التجأ الى جلاجل بعد أن طرده ابن عمه "أمير التويم مفيز بن حسين بن مفيز" هذه الغزوة قد حدثت بعد مضى اثنتين وعشرين سنة على تولى المربوعة امارة التويم، يقول ابن بشر بعد هذه الغزوة: "وهربت المربوعة الذين تقدم ذكرهم، وهم أربعة أمراء فى بلد التويم كل منهم يدعى الرئاسة لنفسه، فبهذه وغيرها يتبين لكل ذى لب نعمة الاسلام والجماعة والسمع والطاعة" (١) .

٢- لم تشر هذه القصة ولا مابعدها من الأحداث الى نوع العلاقة التى كانت سائدة بين المربوعة، وليس من المستبعد أن تكون سيئة شأنها شأن أكثر العلاقات السائدة فى نجد آنذاك.

٣- أن نجدا لم يكن فيها أى مطمع اقتصادى أو غيره لأى قوة خارجية والا لاستغلت مثل هذه الأحداث للانقضاض على جميع البلاد النجدية ، ولعل الله سبحانه وتعالى قد أراد أن تكون أرضا بكرا تتقبل أى حركة محلية تدعو للاصلاح وجمع الكلمة، ولهذا فان المجتمع النجدى قد وجد فى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خير منقذ له من الضياع السياسى واليأس الذى يسبح به دون أن يعرف أو يفكر كيف يتخلص منه (٢) .

وعلى أى حال فان ماسبق من الاحداث لا يعدو أن يكون مثلا لما تزخر به مصادر تلك الفترة التى هى الأخرى لم ترصد كل ماكانت تعانى منه نجد

---

(١) انظر ٢/٢٣٩.

(٢) تاريخ المنقور ٢٢، ٢٣ من مقدمة الدكتور عبد العزيز الخويطر، د. عبد الله الشبل : المرجع السابق ص٦ .

من حوادث مفجعة ووقائع يشيب من هولها - ان بقي - الولدان ، وان أى مطلع على أحداث هذه الفترة ليفاجأ بهذه الحقيقة المروعة التى أوضح مظاهرها أن الحياة السياسية والأمنية فى نجد قبل الدعوة حياة قلق وذعر وخوف وتحفز وثأر لا ينقطع تردى بسببها الى مستوى يزيد على مستوى الجاهلية الأولى سياسيا على الأقل ، وقد قرر الفقهاء النجديون أن مابين قرى نجد فى هذه الفترة مخوف حيث رتبوا على ذلك مجموعة من الأحكام الفقهية منها أن الرجل اذا أمسكه لصوص ليأخذوا متاعه ان كان من بلد معين - لعله بسبب عدائهم لأهله - فحلف بالطلاق ثلاثا أنه من المدينة الأخرى كاذبا لأجل الخوف أنه لم تنعقد يمينه ، وأنه يجوز أخذ اللقطة فى أنحاء نجد فى هذه الفترة للحفظ لأن تركها يؤدى الى تلفها بأخذ الظلمة وقطاع الطرق لها ، وخاصة لمن يأمن نفسه عليها منهم ، وقرروا كذلك فتاوى أخرى تندرج حول هذا الوضع الأمنى فى تلك الفترة (١) .

ولقد كان أقوى امارة ظهرت فى نجد فى تلك الفترة هى امارة آل معمر فى العيينة وخاصة زمن رئيسها عبد الله بن محمد بن حمد بن معمر الذى تولى فى العيينة عام ١٠٩٦هـ/١٦٨٤م وتوفى عام ١١٣٨هـ/١٧٢٥م ، والذى قال فيه ابن بشر : " لم يذكر فى زمانه ولا قبل زمنه فى نجد فى الرئاسة وقوة الملك والعدد والعدة والعقارات والأثاث فسبحان من لا يزول ملكه " (٢) وقد زادت العيينة كبرا فى عهده ، وظهر فيها من التنظيم العمرانى مالم يوجد فى البلدان النجدية الأخرى مما زاد فى عدد سكانها بعد أن أخذ يرتادها كثير من أهل نجد ، كنتيجة حضارية لبروزها كأكبر مدينة نجدية آنذاك مما جعلها منطقة جذب بما توفره من فرص العمل والتجارة والاكتساب (٣) .

---

(١) المنقور : الفواكه العديدة فى المسائل المفيدة ١/٣٩٣ ، ٢/٣٦ ، ٥٤ ، التاريخ : ٢٢ ، ٢٣ المقدمة السابقة .

(٢) ٢/٢٣٦ .

(٣) ابن بشر ٢/٢١٦ ، ابن خميس: اليمامة ٢/٢٠٠ ، ٢٠٢

والذى يبدو أن عبد الله بن معمر هذا كان ذا حنكة سياسية، وأسلوب قيادى حكيم وقوى مكنه من أن يوسع نفوذ امارة العيينة بضم بعض البلدان المجاورة اليها، كما أن امتداد امارته أكثر من أربعين سنة دون أحداث عنف تذكر، فى الوقت الذى كان فيه أمراء البلدان لا يبقون مثل هذه المدة أو قريبا منها، بل ان بعض من سبقوه من أمراء آل معمر لم يستقر لهم الحكم دون ثورة عليهم وتنحيتهم هذا الامتداد مع هذا الاستقرار أتاحا له فرصة الاهتمام بالجانب الحضارى (١).

ولعل مما أضفى على حكمه نوعا من الاستقرار والقوة وجود كبير أسرة آل مشرف العلمية وعلامة نجد فى وقته الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن مشرف (٢) الذى تولى قضاء العيينة فى فترة حكم هذا الأمير ومكث فيه فترة ليست بالقصيرة الى أن عزله خرفاش حفيد الأمير عبد الله اثر خلاف نشأ بين الشيخ وخرفاش، ولعل من الموافقات الحميدة أن ولادة امام الدعوة السلفية كانت فى العيينة فى امارة هذا الأمير الهمام اذ ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١١١٥هـ/١٧٠٣م.

ومن تتبع تاريخ هذه البلدة فى تلك الفترة يستطيع الباحث أن يلمح الدور الكبير الذى كانت تمارسه أمارة العيينة على مختلف البلدان والقرى النجدية وخاصة بلدان وادى حنيفة، هذا الدور الذى جعلها قاعدة فى هذا الوادى بل فى نجد كلها تقريبا تخاف وترتجى من قبل سائر البلدان النجدية بسبب قوتها السياسية والحضارية، وبسبب اصطفاء بنى خالد - أكبر قوة سياسية - محيطة بنجد آنذاك - لأمرائها، هذا الاصطفاء الذى حال بين امارة العيينة واستمرار

---

(١) ابن بشر ٢/٢٠٨، ٢١٦، ٢١٧، ابن عيسى ٦٩، ٧٠، ٧١.

(٢) هو الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن على بن مشرف ولد فى العيينة وتتلمذ على ابيه وولى قضاءها، وبعد خلافه مع خرفاش انتقل الى حريملاء حيث توفى بها عام ١١٥٣هـ/١٧٤٠م له كتابات فى بعض المسائل الفقهية (ابن حميد: السحب ١٩٣ تصوير عن مخطوطة تيمور رقم ١٤٤٥، تصوير مكتبة خدابخش بتنه ورقة ١٧١، عبد الله البسام: علماء نجد ٣/٦٦٩، ٦٧٠، الزركلى: الاعلام ٤/٢٣٣)

ممارستها لدورها السابق عن طريق احتضانها للدعوة السلفية التي دعا اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب اذ لولا الضغط الذى مارسه أمراء بنى خالد (١) على عثمان بن معمر فى أن يطرد الشيخ محمد عن العيينة، ويتخلى عن مؤازرة دعوته، لكان من المؤكد أن يكون لهذه الامارة دورا سياسيا وحضاريا فى نجد أكبر مما كانت تمارسه من قبل بأسلوب عشائرى تحت ظل سيادة ليست نجدية، هذه السيادة التي لو احتضن ابن معمر الدعوة ستحرمه من مخصصاته المالية التي تأتيه من الأحساء، كما ستحول بينه وبين الاستفادة من أملاكه الزراعية التي يبلغ ثمن ريعها ستين ألف ريال اضافة الى منع تجار نجد عامة وتجار العيينة خاصة من الامتياز من منطقة الأحساء والقطيف، ومن جلب البضائع الخارجية عن طريق سواحلها (٢)، ولهذا فان ابن معمر كما راعى مصالحه الشخصية، فانه قد آثر المصلحة الاقتصادية العامة الظاهرة للنجديين خاصة وأن سواحل شرق الجزيرة تكاد تكون المتنفس الوحيد للنجديين فى جلب بضائعهم ومؤنهم الخارجية اذا استثنينا سواحل غرب الجزيرة.

ولئن كان ابن معمر قد آثر المنفعة العاجلة على الآجلة فان هذا بلاشك لحكمة الهية حتى تنتزع الدرعية المكانة الأولى فى نجد، وتحتضن هذه الدعوة لأنها تملك أكبر مقومات النجاح، وهو عدم وجود ولاء سياسى خارجى لها (٣)، وان كانت قد واجهتها عقبات شتى فى نشر هذه الدعوة حيث أنها لم تكن تملك نفوذا فى نجد كذلك الذى تملكه العيينة، والله سبحانه مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء.

---

(١) يعتبر سليمان بن محمد آل غرير (ت ١١٦٦هـ/١٧٥٢م) المسئول الأول عن ابعاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن العيينة (د. أحمد ابو حاكمه تاريخ شرقى الجزيرة العربية. منشورات دار الحياة. بيروت ص ١٦٤).

(٢) حسن بن جمال الريكى لمع الشهاب. تحقيق د. أحمد أبو حاكمه مطابع بيبلوس الحديثة. بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م نشر دار الثقافة. بيروت ص ٣٤.

(٣) لم يشر مؤرخو نجد الى وجود علاقة حسنة بين أمراء بنى خالد وآل سعود امراء الدرعية انذاك بل ذكر ابن بشر (٢/٢٣٣) أن بنى خالد أغاروا على الدرعية ونهبوا فيها بيوتا وذلك عام ١١٣٣هـ/١٧٢٠م بزعامة سعدون بن محمد آل غرير (ت ١١٣٥هـ/١٧٢٢م) فكان معه مدافع، ولا يبعد ان تكون هذه وغيرها قد اوغرت صدور امراء آل سعود ضد بنى خالد اضافة الى عدم تقبل امراء بنى خالد وخاصة سليمان بن محمد لمبادى الدعوة السلفية.

الباب الأول

الفئات الاجتماعية في نجد

- توطئة :
- نظرة الإسلام للأنساب .
- موقف الإسلام من البدو والبداوة .

الفصل الأول : معالم الوضع القبلي لبادية نجد حتى قيام الدعوة السلفية .

الفصل الثاني : الصلب : دراسة تاريخية واجتماعية :

أ : أصلهم . ب - حياتهم الاجتماعية ومدى تأثير الدعوة فيها .

الفصل الثالث : حاضرة نجد : أبرز الملامح العامة لحركة التحضر .

توطئـــة :

من المعلومات الأولية أن العرب قبل الاسلام كانوا ينقسمون الى قسميــن كبيرين :

١- البدو : وهم أصل العرب، وليس لهم سكن مستقر فهم يتنقلون حيث تتوافــر المراعى وموارد المياه.

٢- الحضر : وهم سكان المدن والقرى الذين يشكلون نمطا اجتماعيا منظما بعض الشئ فرضته طبيعة الحياة الاقتصادية التى تتطلب الاستقرار حول الآبــار وموارد المياه للزراعة، والحصول على مورد كاف - ولو نسبيا - للحياة الغذائية.

وبعد ظهور الاسلام طرأ تغيير حضرى أرقى على بعض فئات ذين الفريقيــن بحيث تحضر قسم من البادية، وازداد قسم من الحاضرة تحضرا ، وصاحب ذلــك أن شاب نقاءها القبلى دخول بعض العناصر الأخرى فى تكوينها الاجتماعى نتيجــة انضوائها تحت لواء الدعوة الاسلامية واحتكاكها الحضارى بسكان البلدان المفتوحــة ، وهذا مايفسر اختفاء أسماء بعض القبائل العربية القديمة من قائمة القبائل العربيــة حاليــا.(١)

والى وقت قريب فان غالبية أهل نجد ترجع فى أصولها الى القبائل العربيــة الأولى سواء كانت بدوية أو حضرية(٢)، وقد دعم هذا انعزال أهل نجد عن بقيــة البلدان المجاورة، هذا رغم وجود علاقات تجارية واسعة النطاق بين أهل نجــد والبلدان المجاورة بل وغير المجاورة أحيانا كما مر، الا أن من المعلوم أن فئــة

---

(١) مكى الجميل : البداوة والبدو فى البلاد العربية. مطابع الشركة الثلاثيــة : عمان الأردن ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م ص ٣٥، ٣٦، د . محمود ابو العلا مرجــع سابق ٢/ ١٧٠

(٢) د . عبد الله الصالح العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١١، مجلة الدارة العدد الثالث من السنة الثالثة ص ١٢.

التجار ليست فئة كبيرة في المجتمع بالاضافة الى كون المقام قد يطيب لها في البلد المتاجرة معه أو فيه أو قد تعود منه بعد فترة قصيرة بحيث لا تؤثر على الحقيقة الاجتماعية القائلة بانغلاق المجتمع النجدي آنذاك.

واذا كان قسم من أهل نجد يتعرض للجلاء عنها تحت الظروف القاسية التي تستتبع حالات القحط وانكسار الحال من جوع وخوف ومرض، وخاصة الى البلدان المجاورة مما يعتقد معه بتأثرهم بعادات وتقاليد هذه البلدان الا أن هذا القسم ينطبق عليه ما ينطبق على فئة التجار.

هذا بالاضافة الى عدم وجود ما يغري سكان المناطق المجاورة بالقدوم الى نجد سواء كان ذلك للاستقرار أو الاتجار، وعدم تعرضها لغزوات كبيرة من تلك التي تحدث تغييرا اجتماعيا، كما لم تخضع لحاكم من غير أهلها جعل قاعدة حكمه فيها، وبالتالي فلم تتعرض لمؤثرات اجتماعية من تلك التي تستتبع مجيء هذا الحاكم أو ذاك.

هذه العوامل وغيرها حافظت على الأصالة السلالية لعرب منطقة نجد مما جعلهم أقل العرب تأثرا بالمؤثرات الخارجية لغويا واجتماعيا ومما جعلهم كذلك يحافظون على وحدة واستقلال كيانهم الاجتماعي واللغوي، اذ لم يحصل لسكانها اختلاط واسع بالعناصر غير العربية لبعدها عن مراكز الامتزاج السكاني سواء كان ذلك في غرب الجزيرة حيث الأماكن المقدسة وما ينشأ فيها من اختلاط طبيعي مع الاجناس الأخرى أو في شرقها حيث تبدو مؤثرات الأجناس الشرقية وخاصة الايرانية واضحة، أو في شمالها حيث يمكن أن يحصل تأثير تركي على بعض الاجناس العربية فيه [1].

---

(١) د. محمود أبو العلا: مرجع سابق ٣/١٦٢، ١٦٣، مجلة الدارة، العدد السابق ١٢

وكما أنه من الممكن القول أن عرب نجد غالبيتهم يرجعون الى قبائل معروفة النسب ويمكن ارجاعها الى أصولها العربية الأولى التى تتوقف على معرفتها معرفة أصول القبائل الحديثة فان سكان نجد يمثلون أنقى السلالات السامية، فهم يمثلون العرب الخلص تقريباً.(١)

ورغم ما سبق، ومع أن نظرة النجديين قبلية تماما تتفق فيها البادية والحاضرة على حد سواء فقد ضم المجتمع النجدى بالاضافة الى البدو والحضر الأصلاء المعروفة أنسابهم عددا لا بأس به من الفئات الأخرى مجهولة النسب بعضها عربية ترجع الى أصول قبلية نجدية أو غير نجدية الا أنها ضاعت أنسابها أو جهلت أو سلبت منها تحت أى سبب من الأسباب وأبرز عناصر هذه الفئة الخضيريون كما سيأتى الكلام عنهم فى هذا الباب وبعض هذه الفئات من لا ترجع فى أصولها الى أرومة عربية، وتكون قد قدمت نجدا بطرق مختلفة ـ كالرق مثلا ـ حيث كان للأرقاء فى تلك الفترة أدوار اقتصادية كبيرة فى المجتمع النجدى، ولهذا كان اقتناء الرقيق يدل دلالة أكيدة على غنى المالك مما دفع بالشيخ المنقور الى تسجيل سنة شرائه لعبده مبيريك بما يوحى بأنه يفتخر بذلك لانه علامة على ثرائه، وتحدثه بنعمة الله.(٢)

ويبدو أن النجديين كانوا يحصلون على الرقيق شراءً من أسواق النخاسة فى الحجاز أثناء حجهم، أو من مصادر أخرى كالذى يبقى من رقيق الأوربيين فى شرق أفريقيا ويجلب الى الجزيرة عبر مسقط واليمن، أو من بغداد كرقيق جورجيا(٣)

---

(١) د. محمود ابو العلا، مرجع سابق ٣/١٦٢، مجلة الحرس الوطنى عدد ١١ السنة الثالثة محرم ١٤٠٣هـ/ اكتوبر ١٩٨٢ ص٢ من مقال للشيخ حمد الجاسر حول اصول القبائل العربية الحديثة.

(٢) المنقور: التاريخ ص١٩، ٥٨، د. عبد الله العثيمين: الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ص١٤.

(٣) جورجيا هى احدى جمهوريات قفقاسيا السوفيتية المعروفة عند الجغرافيين المسلمين ببلاد القبق وهى المعروفة قديما كرج بفتح الكاف والراء واهلها هم المسمون بالكرج بضم الكاف وسكون الراء، وجورجيا الحديثة تضم اكثر من جمهورية أكبرها جورجيا المعروف سكانها بالكرج والتى عاصمتها تفليس على نهر كورا، للتفصيل. (ياقوت ٤/٤٤٦، ٤٤٧، محمود شاكر: قفقاسيا ـ طبع مؤسسة الرسالة نشر الشركة المتحدة للتوزيع. بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ص ٦٧ - ٧٢، الموسوعة العربية ٦٦٢).

وأرمينيا (١) أو عن طريق القاهرة أو أسواق الشام (٢).

ولا شك أن كثرة الرقيق ، وخاصة فى البادية تضفى على المالك شيئا من الأبهة وخاصة اذا كان شيخا للقبيلة كما سيأتى ، وتظهر أهمية هذه الأبهة بعد اعتاق هذه الكثرة حيث يدينون لسيدهم بالولاء مشكلين حاشية لهذا السيد يفتخر بهم ، ثم ان هؤلاء الرقيق بعد عتقهم سواء كان ذلك فى البادية أو الحاضرة يشكلون فئة اجتماعية أرفع مستوى من وضعها السابق ، وتؤدى دورا فى المجتمع أكبر من دورها فى حال الرق .

---

(١) أرمينيه : بالألف والتاء المربوطة . قيل انها سميت باسم أرمينا من احفاد نوح عليه السلام من مراكز الازدهار البشرى القديمة اذ سكنت منذ القرن العاشر قبل الميلاد ، وتعرضت لعدد من الغزات القديمة الى ان غزاها المسلمون سنة ١٩هـ/٦٣٩م ، ثم فى سنة ٢١هـ/٦٤٢م ، واكبر غزوة اسلامية لارمينيا سنة ٢٤هـ/٦٤٥م حتى قبلت ان تدفع الجزية ، ثم بعد فترة حكمت من الاتراك السلاجقة ثم من المغول ثم من الصفويين ثم من الاتراك العثمانيين الى ان حدثت حرب القرم بين الروس والعثمانيين ١٢٧٠هـ/١٢٧٣هـ - ١٨٥٣م - ١٨٥٦م التى اعقبها صلح استيفانو فمؤتمر برلين الذى ضم ارمينية الى روسيا مقابل ضم بعض الاراضى الى تركيا ثم مرت بفترات ضم احيانا لروسيا واحيانا الى تركيا الى ان وقعت معاهدة سيفر ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م التي ضمت ارمينيا الى الاتحاد السوفيتي لتصبح احدى جمهورياتها ، الا انها مقسمة بشريا بين ايران وروسيا وتركيا مثل كردستان ، وعاصمتها اريفان وعدد سكانها أكثر من مليونى نسمة يتكلمون الارمينية التى هى فصيلة فرعية من اللغات الهندية الاوربية ، وفيها ٣٤٠٠٠٠ مسلم . للتفصيل : (ياقوت ١/١٥٩-١٦١ ، دائرة المعارف الاسلامية ١/٦٣٧-٦٧ ، محمود شاكر المرجع السابق ص ٦٦ ، الموسوعة العربية ١٢٣ ، ١٢٤).

(٢) ذكر صاحب اللمع انتشار الجوارى الكرجيات (من جورجيا) فى نجد وكذلك الحبشيات والزنجيات ، وخاصة لدى علية القوم ، وأن من مصادر جلبهن اليمن ورأس الخيمة ، وغنائم الغزوات ، اما الارمنيات فليس من المستبعد ان يكن من الغجريات حيث يشكل الغجر فئة اجتماعية فى ارمينية .
(حسن الريكى لمع الشهاب ١٧٥ ، دائرة المعارف الاسلامية ١/٦٦٠) ، ويبدو ان الاسترقاق من قفقاسيا بشكل عام كان قديما فى العالم الاسلامى .
(غوستاف لوبون . حضارة العرب : ترجمة عادل زعيتر ص ٤٦٠)

ومن هذه الفئات من تكون قد هربت من مسترقيها الأوربيين وغيرهم أثناء ترحيلها عبر سواحل شبه الجزيرة العربية الشرقية والغربية والجنوبية فتأتي الى هذه المنطقة المنعزلة لتعيش بأمان محتمية باحد القبائل سواء تعرضت للرق أو لم تتعرض له، وقد تعمل في مهن يحتاج اليها المجتمع النجدي ويأنف منها أبناء القبائل المشهورة فتستغل هذه الأنفة لتمارس ادوارا اجتماعية تحقق لها البقاء.(١)

كما أن هناك فئة تكون قد قدمت شبه الجزيرة للحج أو العمرة أو الزيارة أو المجاورة، ولئن كان أفراد هذه الفئة غالبا ما يستقرون في مدن الحجاز الا أن قسما منهم قد يتخذ من البلدان النجدية مسكنا له، اما في طريق عودته الى بلده، أو تحت عوامل أخرى، ولعل مما يشجع اقامة هذا القسم في نجد أنفة القبائل النجدية بدوية أو حضرية من بعض الحرف، أو جهل بعض أفراد المجتمع النجدي ببعض أنواع التجارة فيتخذ منها مصدر رزق له لا ينافسه فيه أحد من النجديين.(٢)

ولعل من أبرز الفئات النجدية التي كان لها أدوار مهمة في المجتمع هي فئة الصلب أو الصلبة، وتأتي أهمية هذه الفئة اجتماعيا من تعدد الأدوار التي تقوم بها في تسيير دفة الحياة الاجتماعية في نجد بما كانت تقوم به من أعمال ومهن لا يقوم بها غيرها من أبناء القبائل النجدية أنفة وشموخ نفس كالحرف والصناعات وجلو النحاس وما اليها، أو عدم معرفة كالقنص، والدلالة على المفاوز، ومسالك الطرق المجهولة، ومعرفة مواقع النجوم والاهتداء بها على الاتجاهات اضافة الى معرفتهم القوية بقيافة الأثر تماما كمعرفة بني مرة لها.(٣)

---

(١) مجلة الدارة: العدد السابق ١٣، مجلة العرب ج ٣ و ٤ / س ١٤ ص ١٩٥

(٢) الدارة، والعرب. الاعداد والصفحات السابقة

(٣) حمد الحقيل: كنز الأنساب ص ٢١٠، محمد العبودي: بلاد القصيم ٤ / ١٣٦٧، دائرة المعارف الاسلامية ١٤ / ٣١١، ٣١٥، ٣١٧ - ٣١٧، مجلة العرب العدد السابق والصفحة السابقة.

محمد أسد، الطريق الى الاسلام: ترجمة عفيف البعلبكي، الطبعة الثانية (=)

ولا شك أن الصلب بممارستهم لهذه الحرف والصناعات والأعمال الأخرى انما ينطلقون في ذلك من وعي اجتماعي مستغلين استنكاف أو عدم معرفة أبناء القبائل النجدية حاضرة وبادية لهذه الأعمال، ومحاولين في الوقت ذاته ايجاد مكان بارز لهم في المجتمع النجدي بعوض عن النظرة المتدنية من عامة النجد بين تجاههم.

ومن أوضح معالم التعايش بين هذه الفئات الاحترام النسبي لمظاهر الحياة العامة والمهن المزاولة لدى كل فئة حيث تخلو كتب التاريخ النجدي المحلية وغير المحلية من أي اشارة تبين حدوث مايعكر صفو الحياة في نجد من هذا الجانب كحدوث فتن عرقية أو فئوية من تلك التي تحدث في كثير من البلدان، ولم تجر صور الاحتقار التي كانت تمارسها بعض الفئات ضد بعضها الآخر أي فتنة من هذا القبيل نظرا لعدم تطور هذا الاحتقار الى درجة الفتنة الخطيرة بل قد أعطت بعض صور هذا الاحتقار أمانا نسبيا لبعض الفئات كما سيأتي .

وفي هذا الباب سوف أتحدث عن أبرز الفئات الاجتماعية في نجد ممهدا بنظرة الاسلام للأنساب بشكل عام باعتبار أن المجتمع النجدي يولي قضية الأنساب عناية فائقة وتعتبر من أهم أسس التعامل الاجتماعي بين فئاته، وممهدا كذلك بموقف الاسلام من البدو والبداوة بشكل عام أيضا نظرا لكثافة نسبة البادية في المجتمع في تلك الفترة وعلى اعتبار أن هذا البحث عن البادية النجدية ، ولجهل كثير من النجديين لأسس التعامل الاجتماعي بين البدو والحضر في ضوء الاسلام، ثم يتبع ذلك اعطاء لمحة عامة عن وضع بادية نجد القبلي حتى قيام الدعوة السلفية في الفصل الأول ثم دراسة اجتماعية وتاريخية عن الصلب ومدى تأثير الدعوة السلفية فيهم في الفصل الثاني ثم اعطاء معالم تاريخية عامة عن حركة التحضر في نجد ، وتضمين الكلام عن الخضيريين في هذا الفصل نظرا لكون العادات والتقاليد واحدة أو متشابهة الى حد ما لدى حاضرة نجد عموما .

(=) دار العلم للملايين - بيروت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م. ص٢٨١ ولعل من ابرز أدوار الصلب نتيجة لمعرفتهم مفاوز الطرق هو دلالة احدهم لمحمد اسد الكويت عند ما انتدبه الملك عبد العزيز لكشف مصدر الاسلحة الجديدة والنقود حديثة السك التي تصل بكميات كبيرة الى الاخوان حيث استطاع هذا الصلبي ان يسلك به ورفيقه زيد طرقا مجهولة معوجة لا تخلو من موارد مياه، والأغرب من هذا هو ان هذه الطرق تقرب من تجمعات الاخوان حيث راوا هذه التجمعات مرتين من غير ان يراهم احد من الاخوان ليصلوا الكويت من جهة العراق حتى يتوهم من يراهم انهم عراقيون واستطاع محمد اسد كشف الدور البريطاني في امداد الاخوان بهذه الاسلحة والنقود والهدف من ذلك ثم ارجعهما الصلبي الى نجد من طريق آخر، ولا شك ان لاحترام الصلب للسلطة دور في هذا ، وقد اورد محمد اسد هذا في قصة مثيرة مبديا أعجابه بهذا الصلبي الذي قال : سأقودك انت ورفيقك الى الكويت بحيث لا تستطيع طيور السماء ان ترانا ، ولا شك ان هذه الكلمة تبين مدى دقة الصلب في معرفة المفاوز، كما تبين ان هذا الصلبي كان على ثقة قوية من نفسه بهذه المعرفة، وللتفصيل في هذه القصة . محمد اسد : (المرجع السابق ، من ص (٢٨٠-٢٩٠) .

نظرة الاسلام للانساب:

تتسم نظرة الاسلام للانساب بالحكمة وبعد النظر فهو قد اعترف بها مبينا أن معرفتها مطلوبة مشروطة لا لذاتها ولا لما ينتج عن ذلك أحيانا من التفاخر المطغى والتناحر البغيض اللذين يجران الى التقاتل والتطاحن بل ان الاسلام يحارب الأنساب من هذه الزوايا الا أنه ينظر الى أن معرفة الأنساب يجب أن تكون لهدف سام نبيل هو التعارف بين بنى البشر هذا التعارف الذى يهدف الاسلام به الى التعاون المثمر للنهوض بجميع التكاليف والواجبات التى أمر الله بها عن طريق رسله للاهتداء بهديه والتزود للحياة الآخرة وعمارة هذه الحياة الدنيا ، هذه التكاليف والواجبات التى هى معيار التفضيل عند الله سبحانه .

والاسلام فى صورته الأخيرة يحث أتباعه الى معرفة الأنساب والتعرف على القبائل والشعوب فى كافة أنحاء الأرض ادعوتها الى دين الله عز وجل ، واشراكها فى هذا الهدى ، وعدم البخل عليها بأى جانب من جوانبه ، وهو فى هذا يلزم أتباعه بالعطف على سائر الانسانية أن تنحرف عن جادة الحق والحيلولة بين أى قوة داخلية أو خارجية تصرف هذه الانسانية عن التعرف الى دين الله ، (١) واذ يذكر الاسلام عموم البشر أنهم اخوة فى الأصل الانسانى

---

(١) ان الهدف الانسانى للجهاد فى الاسلام هو محور أهداف المسلم من هذا الجهاد . هذا الهدف الذى يستند الى طبيعة هذا الدين اذ أنه يهدف الى تحرير الانسان - كل انسان - فى الأرض - كل الأرض - من العبودية للعباد ، والأهواء وسائر المعبودات الأرضية وغيرها حسية كانت أو معنوية الى العبودية لله وحده ، ومن هنا فالمسلم مأمور بالجهاد بكافة مراحله بدأ بجهاد النفس ، ثم محاولة هداية البشرية الى هدى الله بأسلوب يجمع بين الرحمة والعطف ، والقوة فى تحقيق هذه الرحمة والعطف بحيث لا يستأثر بهذه الهداية لنفسه أو قومه بل يمنحها لأخيه الانسان فى أى مكان كان ، وبأى أسلوب يمكنه تحقيق هذا الهدف به ، ولعل فى تعبير ربعى بن عامر وحذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبه لرستم قبل معركة القادسية ما يؤكد ذلك حين سألهم واحدا بعد الآخر ما الذى جاء بكم ؟ ليكون الجواب: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان الى عدل الاسلام فأرسل رسوله بدينه

لأنهم من أب واحد وأم واحدة ، فهو يخص أتباعه بهذا التذكير لينظروا الى الأنسانية من هذه الناحية ، وأن المراحل التى مرت بالبشرية عبر تاريخها الطويل جعلتها تتفرع الى شعوب كبيرة تضم قبائل شتى متشعبة مجتمعة فى آن واحد كتشعب أغصان الشجرة وهى بالتالى ترجع الى أصول قبلية ، وأن خفاء هذه الأصول أو جهلها أو سلبها عبر التاريخ تحت أسباب متعددة لا ينفى الحقيقة بأن كل بنى البشر يرجعون الى أصول قبلية ، ومن هنا فهم أحرار أصلاء لا فرق بين شعب وشعب أو قبيلة وقبيلة أو فرد وفرد الا بمقدار ما يحمله من هدى الله ، وتسخير كل امكاناته وطاقاته لنشر هذا الهدى بين الناس جميعا ، وهو ما هدفت اليه الآية بـ " ان أكرمكم عند الله أتقاكم ".

وتؤكد الآية الثالثة عشر من سورة الحجرات جانبا من نظرة الاسلام نحو الأنساب حيث يقول الله سبحانه :

" يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم . ان الله عليم خبير "، وسواء قرئت بالقراءة المشهورة " لتعارفوا " أو بالقراءة المروية عن ابن عباس رضى الله عنهما " لتعرفوا " فانها تبين هدف الاسلام من معرفة الأنساب وهو أن يعرف كل انسان أصله ونسبه ، ويتعارف عن طريق النسب مع اخوانه بنى البشر لتحقيق خلافة الله لابن آدم فى هذه الأرض ، وان كانت القراءة المشهورة " لتعارفوا " يمكن أن تحوى المفهومين معا بحيث أن المسلم وان عرف أصله وحسبه فانه لا يتفاخر بذلك ، بل يسخره للتعارف والتعاون (١) .

= الى خلقه ، فمن قبله منا قبلنا منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه ، ومن أبى قاتلناه حتى نغضى الى الجنة أو الظفر " واذا حدثت تجاوزات لهذا الهدف عبر التاريخ الاسلامى فليس هذا عيبا فى هدف الاسلام من هذا الجهاد بقدر ما هو انحراف عن أسلوب تحقيق هذا الهدف كما يريده الاسلام ، والجهاد فى سبيل الله مجاله واسع ليس هنا مكان تفصيله وعلى سبيل الاستزادة ، (سيد قطب: ٣/ ٩ / ١٦٦ - ٢٠١)

(١) الشوكانى ، فتح القدير ٥/ ٦٧ ، ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ط شركة الطباعة الفنية ، نشر مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م - ١٤/ ٤٠٣ .

واذا أمعنا النظر فى ترتيب هذه الآية بالنسبة لسورة الحجرات ومجيئها بعد آية النهى عن الغيبة والتجسس ، واحتقار بعض الناس بعضا ، والنهى عن الظنون الآثمة ، وبعد آية السخرية ، وآية تأكيد الأخوة الايمانية ،أمكننا فهم جانب من مراد الله — والله أعلم بمراده — فى تنبيهه على تساوى البشر فى الشرف بالنسبة الى آدم وحواء ، وأن تفاضلهم انما يكون بالأمور الدينية بطاعة الله عز وجل واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم القائم بهذه الطاعة على الوجه الذى يرضى الله (١) ، اضافة الى تضمن هذه الآية التحذير الشديد من اتخاذ مسألة الأنساب مجالا للفخر ،فالتناحر فالتطاحن ، أو الغيبة والتجسس والسخرية واللمز نتيجة للفخر غير المنضبط بالضوابط الشرعية والآية بالاضافة الى ذلك ترمى الى تحقيق الهدف الأسمى من التقسيم الفئوى للمجتمع المسلم فى اشاعة روح التعارف والتعاون فى سبيل الخير والمصلحة العامة المتضمنة مصلحة كل فرد فى هذا المجتمع ، لا كماتريد المذاهب الأرضية قديما وحديثا فى استغلال وجود أى فوارق اجتماعية فى اشاعة روح الطبقية والبغض بين فئات المجتمع وأفراده .

ومن قبل ومن بعد ففى هذه الآية كمايقول الشيخ عبدالرحمن بن سعدى (٢) رحمه الله : " دليل على أن معرفة الأنساب مطلوبة مشروعة

---

(١) ابن كثير : التفسير ٤/٢١٨ .

(٢) هو الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدى وينتهى نسبه ببنى عمرو أحد كبار بطون قبيلة تميم التى تقطن بلدة قفار جنوب غرب حائل بـ ١٥ كم ، ثم ارتحل قسم من هذا البطن ، وعمر المستجدة جنوب غرب حائل بـ ١٢٥ كم حيث أصبحت أسرة آل سعدى من كبار أسر هذه البلدة ولا تزال ، ووفد قسم من هذه الأسرة الى عنيزة فى القصيم حوالى سنة ١١٢٠هـ/١٧٠٨م ولد الشيخ عبدالرحمن فيها سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م ،وتوفى والده وأمه ولمايبلغ العاشرة من عمره فنشأ يتيما وان كان قد لقى الحنان من زوجة والده وأخيه الأكبر حمد ،الا أن هذا جعله يعتمد على الله ثم نفسه فى العلم والتحصيل فبز أقرانه وزملاءه حتى تتلمذ عليه كثير منهم فتوسع فى الفقه والتفسير والحديث اضافة الى كتب ابن تيمية وابن القيم ففتق ذهنه واتسعت مداركه نظرا لاطلاعه على هذه الكتب اضافة الى كثرة مشائخه واشتهار كل واحد منهم بفرع من العلوم ،

=

لأن الله جعلهم شعوبا وقبائل لأجل ذلك "(١) . ومن هذا المنطلق فـان علماء الأنساب المسلمين يحرصون على وضع هذه الآية في أوائل كتبهم موضحين ،

= حتى أدرك وأصبح مرجعا للعامة والخاصة بسعة أفقه وصرف وقته للتعليم والارشاد والافتاء فتتلمذ عليه عدد كبير ،وألف مؤلفات كثيرة في كافة العلوم الشرعية ومحاسن الاسلام ،والرد على المخالفين أهمها تفسيره المعـروف وكان لتواضعه وزهده وعفته وحبه لنشر العلم أثر كبير في ذياع صيته في سائر بلدان القصيم حتى أطلق عليه لقب : علامة القصيم ، بل قد أطلق عليه أحد المشائخ لقب عالم نجد ، وفي سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م أصيب بضغط الدم وتصلب الشرايين لازمه حتى سبب له نزيفا في المخ توفي على أثره سنـة ١٣٧٦هـ/١٩٦٦م ودفن في عنيزة فضجت القصيم بل منطقة نجد بأكملها لفقده ورثاه أكثر من شاعر وناثر لعل أبرزهم الدكتور عبد الله الصالح العثيمين الذي رثاه بقصيدة منها :

ماذ أقول عن المصاب ومهجتي : ألما تغص وعبرتي تتكسر
ماذ أقول عن المصاب وانني : عما أحاول عاجز ومقصر
كيف التحدث عن مصاب فادح : أكبادنا من هوله تتفطر
كل امرئ فينا يذوب تعاسة : والبؤس في دمه يغور ويزخر
الشيخ يندب بائسا متحسرا : والطفل يبكي نائحا يتعبر
لم لا وقد فقدوا أبا ومهذبا : ورعا بأنواع المفاخر يذكر
لما بدا للحاضرين كيانه : والنعش يزهو بالفقيد ويفخر
هلعت لمنظره النفوس كآبة : وبدا على كل الوجوه تحسر
نظروا اليه فصعدت زفراتهم : والدمع غمر في المحاجر أحمر
كل يحاول أن يغطي دمعه : لكنه يلقى النقاب فيسفر
يتزاحمون ليحملوه كأنهم : سيل يموج وأبحر لا تجزر

والحديث عن الشيخ يطول كما أن هذه القصيدة المعبرة طويلة وللاستزادة ،(عبد الله البسام: علماء نجد ٢/٤٢٢- ٤٣١ ، عبد الرحمن ابن عبد اللطيف آل الشيخ : مشاهير علماء نجد وغيرهم ، الطبعة الأولى باشراف دار اليمامة . الرياض ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ص ٢٥٦ - ٢٦١ ، محمد القاضي : روضة الناظرين ١/٢١٩ - ٢٣٠ ، ابراهيم بن عبيد آل عبد المحسن تذكرة أولي النهى والعرفان ،الطبعة الأولى . مطابع النور . الرياض ، ٤/ ٢٩٣ ، عبد الله بن صقيه : بنو تميم في بلاد الجبلين ٥١ - ٥٥ ، ٥٧).

(١) تيسير الكريم الرحمان : ١٣٩/٧ .

هدف الاسلام من العناية بالأنساب (١) التي كان العرب فى جاهليتهم الأولى يعتنون بها لهدف التفاخر الكاذب والتناحر والاختلاف فجاء الاسلام بتهذيب هذا الهدف على طريقته في ابقاء ما كان يمارسه العرب من عادات طيبة أولا تتعارض فى مبادئها مع أصوله وتوجيهها نحو الوجهة السليمة والهدف الخير، وهو كما نعى على العرب فى جاهليتهم الأولى انصرافهم عن الهدف الأسمى من تشعبهم وقبليتهم فانه - فى الوقت ذاته - يوجه البشرية كلها الى هذا الهدف متى ما انحدرت عنه فى جاهلياتها اللاحقة الى ما كان عليه العرب قبل الاسلام فى هذا المجال .

وتمشيا مع أسلوب القرآن والسنة فى اثارة نزعة الخير لدى الانسان وتوجيهها نحو طاعة الله وتقواه فان هذه الآية تؤكد على هذه الناحية بأن مناط التكريم عند الله سبحانه هو التقوى والعمل الصالح لأن الله سبحانه كما أنه خلق الناس وجعلهم شعوبا وقبائل لتحقيق التعارف والتعاون فى سبيل الخير والبعد عن أسباب الفرقة والاختلاف فان هذا كله لكى يحققوا فى أنفسهم أسباب تكريم الله لهذا المخلوق الأنسانى على كثير ممن خلق ، وفى الوقت نفسه فهو تحذير لمن تسول له نفسه بالانحراف عن تقوى الله وطاعته بأن لن يحظى من الله بأى تكريم لأن أكرم الخلق عند الله هو أتقاهم له .

وتدور آيات القرآن الكريم فى غالبها حول هذا المعنى خصوصا عندما تستثيرفى المسلم الاستعداد للحياة الآخرة " يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه" (٢) بل " ولا يسأل حميم حميما ، يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه ، وصاحبته وأخيه ، وفصيلته التى تؤيه ، ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه" (٣) لتبين أن فى ذلك اليوم تنعدم الفائدة من الأنساب التى يمكن أن يجنى الانسان شيئا منها فى حياته الدنيا سواء كان

---

(١) انظر على سبيل المثال : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص: ١٠
(٢) سورة عبس : الآيات : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ .
(٣) سورة المعارج : الآيات : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

ذلك بالتفاخر أو التعاون اذ تزول كل مظاهر التراحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة ، ويؤكد قول الله سبحانه : " فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون" (١) جانبا من النظرة الشاملة للأنساب فى ميزان الله سبحانه ، والترغيب بهذه النظرة فى الحياة الدنيا ، وتحقيقها فى الآخرة الزاما من جانب النفس - بحكم هول الموقف - وحكما من الله فى ذلك اليوم ، ولعل فى هذه الآية توجيه من الله سبحانه أن تكون نظرة المسلم للأنساب فى الدنيا مقدمة لواقع الحال بالنسبة لأى انسان فى الآخرة ، وبالتالى فهو توجيه بأن تتصف نظرة المسلم فى كل أمور حياته بالاستمرارية فى طريق الخير وعدم التقلب والتخبط وتحقيق الانسجام بين نظريته نسبه فى دنياه وأخراه ويبدو أن المساواة بين الناس فى الأنساب فى ميزان الله سبحانه كما تقرره هذه الآية وغيرها كانت من ضمن الأسباب التى أوجدت فئات لا حصر لها فى العصور الاسلامية تجاهلت أنسابها تحقيقا لمبدأ الأخوة الاسلامية مما أدى الى كثرة التداخل بين القبائل اضافة الى الأسباب المعروفة من حلف أو جوار أو موالاة التى ربما كانت هذه الأخوة من الأسباب التى أدت الى هذه الأحلاف والجوار والموالاة ، ولهذا فمما لا شك فيه أن أصول القبائل قبل الاسلام أصفى منها الآن . الا أن هذه الآية وغيرها من الآيات التى تدور حول مفهومها لا يمكن أن يستدل بها على أن للدين الاسلامى أثر قوى فى عدم العناية بالانساب (٢) ، فهو يهتم بها لكنه يدعو الى عدم المبالغة فى ذلك بل توجيه هذا الاهتمام نحو أوجه الخير كما مر ، وبين هذا وذاك خيط رفيع للتفريق بينهما ، اذ أن

---

(١) سورة المؤمنون : آية : ١٠١ ، أبو السعود : ٤/٥٨٠ .

(٢) مجلة الحرس الوطنى : ١١ع/ ٣س/ محرم ١٤٠٣هـ/ اكتوبر ١٩٨٢م ص٢ ، من مقال للشيخ حمد الجاسر ، حول أصول القبائل العربية الحديثة ، وقد ألمح فيها الى محاربة الاسلام للأنساب من غير تفصيل فى نظرة الاسلام ، الواقعية للأنساب ولم يفرق فى استشهاده بآية المؤمنون ، بين ما تهدف الى تصويره فى يوم القيامه وبين ما تدل عليه آية الحجرات من اهتمام الاسلام بالانساب وتوجيه هذا الاهتمام نحو الخير ، ولا شك أن الشيخ حمد لديه هذا المفهوم لكن كان الأولى به أن يوضح ما فى نفسه للقراء بالنسبة لهذه القضية الخطيرة .

مساواة الاسلام بين الناس في الأنساب لا يمكن أن يفهم منها بحال من الأحوال أن يجعل الاسلام من النظر للأنساب لا قيمة له (١) ، وفرق بين محاربة الاسلام للتفاخر البغيض في الأنساب ، وأمره بالتعارف والتعاون في سبيل الخير عن طريق معرفة كل أنسان لأصله وحسبه من غير غمط الناس حقوقهم اذا جهل بعضهم نسبه أو سلب منه تحت أي سبب من الأسباب كما سيأتي .

وآية المؤمنون اذ خصت الأنساب بنسيانها وتجاهلها في يوم القيامة فانها في الوقت ذاته تبين جانبا آخر من نظرة الاسلام للأنساب في الدنيا وأنه اذا كان قد اعترف بها في هذه الحياة لأنها من أقوى أسباب الترابط البشري فانه يدفع الهمم الى الاقتصاد في الفخر بها لانها لن تغني عن الانسان شيئا في حياته الأخرى اذ رغم قوة قاطعيتها في هذا الترابط فان مايصيب الناس من الأهوال في يوم القيامة يجعلهم ينسون هذه الأنساب ويتجاهلونها ومن باب أولى فان أي سبب آخر من أسباب هذا الترابط سوف يكون أكثر نسيانا وتجاهلا منها (٢) وذلك كالصداقة مثلا التي تنقلب في ذلك اليوم الى عداوة كما في قوله تعالى :

"الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين" (٣) ، وقوله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة" (٤) . كما أن أي اهتمام بشري في الدنيا سيكون نسيانه وتجاهله من باب أولى أكثر من نسيان – أسباب الترابط .

---

(١) مجلة الحرس الوطني : العدد السابق والصفحة السابقة .

(٢) عبد الرحمن بن سعدي : التفسير ٥/ ٣٨٠ .

(٣) سورة الزخرف : آية : ٦٧ . قال ابن سعدي في تفسيره : الأخلاء يومئذ أي يوم القيامة . المتخالين على الكفر والتكذيب ومعصية الله "بعضهم لبعض عدو" لأن خلتهم ومحبتهم في الدنيا لغير الله فانقلبت يوم القيامة عداوة ، "الا المتقين" للشرك والمعاصي فان محبتهم تدوم وتتصل بدوام من كانت المحبة لأجله ٦/ ٦٥٩ ، ٦٦٠ .

(٤) سورة البقرة : آية : ٢٥٤ . قال ابن كثير ١/ ٣٠٥ ولا تنفعه خلة أحد يعني صداقته ولا نسابته كما قال تعالى : "فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم .. الآية" .

وقد أكدت السنة المطهرة جانبا من هذه النظرة الشاملة للأنساب في الاسلام حيث تضيف هدفا آخر لاهتمام هذا الدين بالأنساب على اعتبار أن معرفتها تطلع الانسان على قرابته فتؤدي به بالتالي - ان هدي الى ذلك - الى صلة الأرحام وذوي القربى التي يوليها الاسلام جل اهتمامه في نطاق اهتمامه الشامل بالانساب وتوجيهها نحو الخير ، وفي هذا المجال روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فان صلة الرحم محبة في الأهل ، مثراة في المال ، منسأة في الأجل ، مرضاة للرب " رواه الامام أحمد في مسنده ، والترمذي في سننه ، وحسنه (١) .

وهذا الحديث نص صراحة بالأمر بتعلم الأنساب لتحقيق هدف الاسلام الخير في أمره بصلة الرحم لأشاعة روح المحبة بين الأهل والأقارب والتعاون بينهم في سبيل الخير وتحقيق الاكتفاء بكثير مما يحتاجه الانسان في هذه الدنيا عن عن طريق التعاون في توفير كافة متطلبات الحياة المتاحة بين الأقارب ، ولعل هذا معنى قوله : " مثراة في المال " أما قوله : ومنسأة في الأجل فمن معانيها : ابقاء الذكر الحسن ، أو الخلف الصالح الذي يبقى ذكر سلفه ، أو مباركة الله في عمره باستغلاله في طاعة ربه ، أو نفي الله عن واصل رحمه الآفات في عقله وفهمه بحيث يستغل أوقاته استغلالا تبدو معه أنها في زيادة ،

---

(١) الامام أحمد بن حنبل : المسند ، الطبعة الثانية . دار الفكر ، نشر المكتب الاسلامي - بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ٢/٣٧٤ ، محمد بن عيسى الترمذي : الجامع الصحيح " السنن " تحقيق وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان . طبع ونشر دار الفكر . بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ٣/٢٣٧ ، ويتفق مع الامام أحمد في سنده من عبد الله بن المبارك حتى أبي هريرة ، الا أن الترمذي قال فيه : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، بينما قال ابن حجر في الفتح (٢٢/١٩٥) أن الترمذي قد حسنه ، وقد أثنى على سنده في المسند ، كما أثنى على سنده الألباني في الأحاديث الصحيحة وذكر أكثر من مصدر له ، كما أورد شاهدا له نصه : " اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم ، فانه لأقرب بالرحم اذا قطعت وان كانت قريبة ، ولا بعد بها اذا وصلت ، وان كانت بعيدة " وذكر مصادره مثنيا على سنده (ناصر الدين الألباني : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ط (٢) المكتب الاسلامي . دمشق ، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ١/١٥٣ - ١٥٥)

أما لكون صلة الرحم مرضاة لله سبحانه فلأمره عز وجل بصلة الأرحام فى كثير من آياته (١) كما سيأتى ذكر بعض منها بعد قليل .

وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم لما سئل عن أكرم الناس ومعادنهم وأشرافهم ،أن أشراف وأخيار الجاهلية يبقون على شرفهم وخيارهم فى الاسلام اذا فقهوا فى أحكامه ولم يكتفوا منه الا باسمه لأن الشرف فى الاسلام لا يتم الا بالتفقه فى الدين ، ويزيد هذا المعنى تأكيدا اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب الحكيم فى الاجابة عن هذا السؤال حين قال :"ان أكرم الناس أتقاهم" ،ويوسف نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله ،وحينما قالوا له ليس عن هذا نسألك ، أردف قائلا : " فعن معادن العرب تسألونى ؟ خيارهم فى الجاهلية ،خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا " ،متفق عليه . وفى رواية البخارى : " تجدون الناس معادن خيارهم فى الجاهلية ،خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا "، وهذا الحديث بقصته يبين مدى احترام الاسلام لأصول القبائل وأشرافها وأخيارها بما فيهم من مروءات ومكارم أخلاق وعراقة أنساب وهو فى هذا ينظر الى أن الأصول اذا كانت شريفة فان الفروع غالبا ما تكون كذلك مادة من مواد الخير وعنصرا من عناصره ، واذا كانت الفضيلة فى الاسلام للتقوى والعمل الصالح فانه اذا انضم اليها شرف النسب وعراقته ازدادت فضلا (٢) .

---

(١) ابن حجر: فتح البارى ٢٢/ ٩٥، ١٩٦ .

(٢) ورد هذا الحديث كاملا فى الصحيحين برواية أبى هريرة ،وللتفصيل : فتح البارى ١٣/ ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥ ،صحيح مسلم بشرح النووى ط (٢) دار الفكر ـ بيروت ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ١٥/ ١٣٤، ١٣٥، ١٦/ ٧٨، ٧٩ ، وقد علق ابن حزم فى جمهرته على هذا الحديث بقوله : " وان كان الله تعالى قد حكم بأن الأكرم هو الأتقى ولو أنه ابن زنجية لغية (زانية) وأن العاصى والكافر محطوط الدرجة ولو أنه ابن نبيين ، فقد جعل تعارف الناس بأنسابهم غرضا له تعالى فى خلقه ايانا شعوبا وقبائل فوجب بذلك أن علم النسب علم جليل رفيع اذ به يكون التعارف " ، انتهى ـ(جمهرة أنساب العرب ص ١ ، ٢ من مقدمة المؤلف)

والاسلام في معرض اعترافه بالأنساب بل اهتمامه بها لا ينكر على أي فرد أن يرفع نسبه الى آبائه وأجداده حتى ولو كانوا من أهل الجاهلية - أولى كانت أو أخرى - لأن النبي صلى الله عليه وسلم اعتزى بأجداده وهم رؤوس الجاهلية ولكنهم أشرافها وكرماؤها فمما يؤثر عنه صلى الله عليه وسلم قوله :

أنا النبي لا كذب : أنا ابن عبد المطلب (١)

وكل هذا انطلاقا من قوله تعالى : "ولا تزر وازرة وزر أخرى" (٢) ، وهو في هذا الصدد يتجاوز ذلك الى أحقية الفرد بالفخر بآبائه وأجداده حتى لو كانوا جاهليين متى ما كانت دواعي الفخر وأسبابه متوافرة فيهم ، ومتى كان هذا الفخر منضبطا بالضوابط الشرعية التي لا تتيح للفرد أن يغلو في فخره فيغمط الناس حقوقهم فيسخر منهم أو يغتابهم ، أو يقوم بأعمال من شأنها المساس بمشاعرهم مما حذرت من بعضها آيات سورة الحجرات السابقة لآية النسب ، بل قد اعتبر بعض علماء المسلمين الفخر المنضبط نوعا من التحدث بنعمة الله سبحانه ، وقرنوا به النهي عن الفخر المؤدي للتفضيل الذي يجر الى تنقيص المفضول تصريحا أو تلميحا ، وكذلك الفخر المؤدي الى الخصومة والفتنة (٣) .

ولعل من مظاهر اعتراف الاسلام بالانساب واقعيته في ذكر النسب من مقاصد الزواج لدى الناس ، وعدم انكار ذلك وان كان قد أكد على أن الدين ينبغي أن يكون هو الأساس في هذا المجال ، وقد ورد هذا في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، وجمالها ، ولدينها فاظفر بذات

---

(١) ابن حجر : فتح الباري ١٦/ ١٤٥ عند الكلام عن الأحاديث الواردة في قصة غزوة حنين ، ابن حزم : الجمهرة : ٤ ، ٥ من المقدمة .

(٢) وردت هذه الجملة في عدة آيات وفي أكثر من سورة ، ويتضمن سياق كل آية مناسبة ورودها : الأنعام آية ١٦٤ ، الاسراء آية ١٥ ، فاطر آية ١٨ ، الزمر آية ٧ ، النجم آية ٣٨ .

(٣) النووي : شرح صحيح مسلم ١٥/ ٢٧ ، ٢٨ .

الدين تربت يداك"(١) رواه البخارى ومسلم، وقد ورد فى رواية أخرى النسب مؤكد للحسب فى قوله "على دينها ومالها وعلى حسبها ونسبها" وقد أخذ بعض العلماء من هذا التأكيد أن شريف النسب يستحب له أن يتزوج من نسيبة ، وان تعارض نسيبة غير دينه ، وغير نسيبة دينه قدمت ذات الدين على من فيها كافة الصفات الأخرى الواردة فى الحديث(٢) أو ما سواها مما تعارف عليه الناس فى أى عصر من عصورهم، ولهذا فقد أكد بعض العلماء على الكفاءة فى النسب كشرط لنجاح الزواج بغض النظر عن صحته أو عدمها ، وتأكيد بعض العلماء النجديين على هذا الشرط يوحى بتأصل النظرة الاجتماعية للتقسيم الفئوى للمجتمع فى نجد (٣) ، والفقهاء المسلمون عبر مراحل التاريخ لا ينطلقون فى هذا من نظرة قبلية ضيقة ولكنهم ينظرون اليه كأسلوب لحفظ الأنساب كما يريد الاسلام، الا أن علماء الدعوة وقفوا أمام هذه القضية وقفة حازمة مبينين أن هذا فساد كبير يتعارض مع عموم رسالة الاسلام ومع قوله تعالى : "ان أكرمكم عند الله أتقاكم"(٤) وهم فى هذا كذلك يستندون الى أن قسما كبيرا من فقهاء الاسلام لا تشترط الكفاءة فى النسب فى النكاح (٥) مما ليس هنا مجال التفصيل فيه .

ومن أبرز علامات اهتمام الاسلام بالأنساب أوامره المتكررة فى القرآن والسنة بصلة ذوى القربى والأرحام ابتداء من بر الوالدين وصلتهم

---

(١) ابن حجر: المصدر السابق ١٩/١٦٢ وقد ورد فى صحيح البخارى: "جمالها" بدون لام ،النووى: شرح صحيح مسلم ١٠/٥١،٥٢ وقد وردت فيه "لجمالها" فى حديث أبى هريرة الذى رواها البخارى أيضا بينما وردت "جمالها" فى الحديث الذى رواه جابر بن عبد الله والذى أورد منه البخارى الحث على زواج البكر فقط من دون ذكر مقاصد الزواج ، فتح البارى ١٩/١٤٦، ١٤٧.

(٢) ابن حجر: المصدر السابق ١٩/١٦٢.

(٣) المنقور: الفواكه ٢/٣٢،٣٣٧، محمد أمين السويدى: سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب . نشر دار احياء العلوم . بيروت ص ٥.

(٤) عبد الرحمن بن قاسم: الدرر السنية ط(٢) نشر دار الافتاء بالمملكة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ٦/٣٢٥

(٥) ابن كثير: التفسير ٤/٢١٩، والمتقدمون من اصحاب الامام احمد يرون أن الكفاءة فى النسب شرط لصحة النكاح ، اما المتاخرون فيرونه شرطا للزوم.

والاحسان اليهم الذى قرنه الله سبحانه بعبادته عز وجل فى آيات متعددة (١) الى صلة كافة الأقارب والأرحام على اختلاف درجات قربهم (٢) .

والاسلام فى أمره بصلة الرحم انما ينظر اليها على أنها أسلوب من أساليب معرفة النسب ، كما أنه فى المقابل يحث على معرفة النسب لتتحقق بها أوامره بهذه الصلة التى رتب الاسلام على تركها أقسى عقوبة فى الآخرة وهى عدم دخول الجنة (٣) ، اضافة الى مايلقاه القاطع لأرحامه فى الدنيا من عذاب نفسى نتيجة الوحدة والبعد عن هو فى أمس الحاجة اليهم فى نوائبه ، وان بدا فى الظاهر أنه لا يكترث بهذه الصلة ولا يحسب لها أى حساب فانه يعانى من داخله ذلك العذاب النفسى الذى ربما جر الى الفساد فى الأرض كما قال سبحانه :

" فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم" (٤) ، وهاتان الآيتان وان كانتا قد نزلتا لتقرير حالة المشركين فى مكة فى توليهم عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو من أقربائهم ، فانهما تتجاوزان الزمان والمكان لتقرنا بين

---

(١) ورد ذكر التعامل مع الوالدين فى القرآن الكريم فى سبعة عشر موضعا كلها تندرج تحت البر بهما والاحسان اليهما . سواء كان ذلك بصيغة الأمر أو على سبيل الاخبار أو بصيغة النهى والتحذير من ايذائهما ولو بصيغة التأفف أو تغيير ملامح الوجه ، وفى بعضها يقرن الله سبحانه بين عبادته وحده وعدم الشرك به وبين الاحسان الى الوالدين وكذلك بين الشكر له وللوالدين ، كما ورد ذلك فى أحاديث كثيرة .

(٢) ورد الأمر بصلة الأرحام وذوى القربى فى آيات وأحاديث كثيرة لا مجال لذكرها هنا .

(٣) ابن حجر: ١٤/١٠ ، ٢٢٠/٢٢٤ ، النووى : المصدر السابق ١٦/١١٣ وقد أوردا الحديث : " لا يدخل الجنة قاطع " متفق عليه .

(٤) آية : ٢٢ ، ٢٣ من سورة محمد ، وانظر لتفسيرهما ابن كثير: ١٧٩/٤ ، ١٨٠ .

الفساد فى الأرض وقطيعة الرحم فى مماثلة العقوبة المعجلة فى الدنيا والمؤخرة فى الدار الآخرة (١) .

ويتميز الاسلام بحثه على هذه الفضيلة ليحقق من ورائها مايهدف اليه فى غالب أوامره ونواهيه من تكاتف المجتمع المسلم وتناصحه ذلك أنه اذا حرص كل مسلم على معرفة نسبه وصلة أرحامه عن طريق هذه المعرفة وسخر ذلك لتحقيق التعارف والتعاون بين فئات المجتمع فى الاهتداء بهدى الله ، ونشر هذا الهدى بين من حرموه ، فان المسلم بهذا يحقق جانبا كبيرا من جوانب التكافل الاجتماعى فى الاسلام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو جزء من الجانب المعنوى من هذا التكافل ، اضافة الى ما يتولد عن ذلك من استعداد نفسى لتحقيق الجانب المادى من هذا التكافل فى تقديم كل عون ومساعدة لكل من يحتاجها من أرحامه ثم من سائر أفراد المجتمع المسلم (٢) .

---

(١) ورد فى الحديث الذى رواه أبو بكرة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "مامن ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم" رواه ابن ماجه وأبو داود ، وقد تابع سنده ناصر الدين الألبانى فى مجموعة الأحاديث الصحيحة ووثق رجاله كما ورد عن عائشة رضى الله عنها حديث بمعناه كما روى عن أبى هريرة مرفوعا عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : " من قطع رحما أو حلف على يمين فاجرة رأى وباله قبل أن يموت ". رواه البخارى فى التاريخ وأخرجه البيهقى من طرق متعددة قال عنها الألبانى : "انها صحيحة " . للاستزادة أبو داود ٥/ ٢٠٨ ، ابن ماجه ٢/ ١٤٠٨ ، ناصر الدين الألبانى : سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٧٠٦ - ٧٠٩ ، ٣/ ١١٤ .

(٢) ان نظرة فى فهارس أمهات كتب الحديث تؤكد أن الاسلام يهدف من وراء حثه على صلة الأرحام تعميق أواصر المحبة فى المجتمع ككل مما يعطى تصورا بأن الاسلام فى حثه على صلة الأرحام بمعرفة الأنساب والأصول لا يهدف من وراء ذلك انزواء كل فئة أو قبيلة بأصلها ونسبها عن بقية فئات المجتمع بل يهدف من وراء ذلك الى توسيع قاعدة هذه الصلة لتشمل فئات المجتمع باحترام أصولها ولو ضاعت أو جهلت ثم بالتعاون معها فى سبيل الصالح العام ولهذا فليس مصادفة أن يضع أئمة الحديث صلة الوالدين والبر بهما ثم صلة الأقارب والأرحام المقربين والبعيدين ثم صلة الجار ذى القربى والجار

=

وعلى أى حال فقد حظى علم الأنساب - انطلاقا من كل ما سبق - باهتمام عدد لا بأس به من علماء الاسلام الذين حفظوا لنا عن طريقه - بادئ ذى بدء - نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهمية ذلك فى حياة المسلم الأمر الذى حدا بأحد علماء الأنساب الى اعتبار الشك أو التشكيك فى نسب محمد صلى الله عليه وسلم - عن قصد - كفر ، أو نقص فى الدين ، الا أن يكون ذلك عن شدة جهل يلزمه معها أن يتعلم ذلك (١) .

وقد نظر علماء الأنساب المسلمون الى هذا العلم على أنه علم اسلامى ينبغى على المسلم أن يكون على علم - ولو قليل - منه مستندين فى ذلك الى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم السابق بتعلمه ، اضافة الى أن الخلفاء الراشدين كانوا من المهتمين به الذين يحضون على تعلمه ، وخاصة أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر حسان بن ثابت أن يأخذ عنه ما يحتاج اليه من علم نسب قريش ، لأنه رضى الله عنه كان من نسابى العرب قبل الاسلام (٢) ، كما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد حث على تعلم الأنساب باعتبارها وسيلة لصلة الأرحام (٣) ، وكذلك عثمان وعلى وعدد

= الجنب ثم تعاون المسلمين بعضهم بعضا فى نشر الفضائل والقضاء على الرذائل اضافة الى عدد من الأبواب التى تندرج تحت هذا المفهوم. كل هذا تحت كتاب الأدب كما فى البخارى مثلا ، أو كتاب البر والصلة والآداب كما فى مسلم والترمذى ، أو كتاب الأدب كما فى سنن ابن ماجه ، وأبى داود ، وغيرها من كتب الحديث مما يمكن الرجوع الى فهارسها بسهولة .

(١) ابن حزم : الجمهرة ص ٢ من مقدمة المؤلف ، محمد أمين السويدى : سبائك الذهب ص ٥ .

(٢) ابن حزم : المصدر السابق ص ٥ من المقدمة ، وقد أورد فيها فصلا فى الرد على من قال بأن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر ، عبد الرحمن بن حمد المغيرى : الكتاب المنتخب فى ذكر قبائل العرب . مطبعة المدنى . القاهرة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م ص هـ من مقدمة الناشر ، ص ٣ من مقدمة المؤلف ، حمد الحقيل : كنز الانساب ومجمع الآداب ط (٥) ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ص ١٧-١٩ .

(٣) روى عن عمر ، جزء من الحديث السابق : " تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم " كما روى عنه قوله : تعلموا النسب ، ولا تكونوا كنبطى السواد اذا سئل =

لا بأس به من الصحابة والتابعين من أئمة الفقه (١).

وإذا كان فن الأنساب فن عربي أصيل قد عرفه العرف في جاهليتهم وتعمقوا فيه بحيث أصبح من مظاهر التفاخر والتنافر التي تحتفل بها أسواقهم حتى كان المختصون فيه يلقون المهابة والاحترام، ويلقى رأيهم في نسب أي فرد أو قبيلة القبول والتأييد .. (٢)، إذا كان ذلك كذلك فإن الاسلام جاء بتنظيم هذا العلم وتسخيره لأهدافه العليا بما يحفظ لكل فرد في المجتمع المسلم كرامته التي كان يفتقدها في ظل التفاخر والتناحر البغيض الذي يحدث، في أسواق العرب قبل الاسلام، ومن هنا يمكن فهم ما ورد من الأحاديث والآثار في ذم الأنساب على أنها محمولة على النهي عن التعمق فيه حتى لا يشتغل المسلم بها عما هو أهم منها، وحتى لا تكون مجالا من مجالات الفرقة في المجتمع كما كان يحدث قبل الاسلام، كما يمكن فهم ما ورد في استحسانها، وفضل تعلمها على ما فيها من الجوانب الخيرة التي سبق ذكر بعضها (٣)، والتي فصل الكلام فيها وفي غيرها علماء الأنساب الذين قرروا بسببها أن هذا العلم ضرورة اجتماعية لتسيير دفة الحياة في المجتمع المسلم على أساس أن عددا من الأحكام الفقهية المنظمة لهذا المجتمع تدور حول الأصول والأنساب والأرحام، ومن هنا كان اهتمام أئمة الفقه الاسلامي بهذا العلم باعتباره رافدا من روافد الفقه وأسلوبا من أساليب تحقيق التكافل الاجتماعي كما مر (٤).

= أحدهم عن أصله قال من قرية كذا أو كذا" كما يروى عنه قوله: "تعلموا من النجوم ما تهتدون به، ومن الأنساب ما تعارفون به وتواصلون عليه، ومن الأشعار ما تكون حكما وتدلكم على مكارم الأخلاق". ابن حزم: المصدر السابق ص ٥، ابن حجر: فتح البارى ١٤/ ٤، المغيرى: ص٣، الحقيل ص: ١٥.

(١) ابن حزم: ص ٥، المغيرى: ص هـ من مقدمة الناشر، ص ٤ من مقدمة المؤلف، الحقيل ص ١٥.

(٢) المغيرى: ص هـ من مقدمة الناشر.

(٣) ابن حجر: فتح البارى ١٤/ ٤.

(٤) ابن حزم: الجمهرة: ص ٢، ٣، ٤ من المقدمة، وقد ذكر ابن حزم وغيره من علماء النسب أن عددا من أئمة الفقه كسعيد بن المسيب وابنه محمد، والزهرى، والشافعي، وأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهم كانوا من المهتمين بالنسب.

موقف الاسلام من البدو والبداوة :

يوائم الاسلام فى نظرته العامة نحو البدو والبداوة - بين الجانب الخير فى حياة البدو المتمثل فى وجود عناصر الخير فى هذه الحياة ، وبين الوجه البدوى المتخلف الذى يعيش حياة الجفوة والغلظة ، ومعاداة أى أسلوب من أساليب التحضر والرقى ، وهو فى هذا المجال يهدف الى الجمع بين التناقض العجيب فى طباع هذه الفئة المهمة من الناس .

وغنى عن البيان هنا التفريق بين العرب والأعراب هذه القضية التى قتلها بحثا عدد كبير من العلماء والباحثين قديما وحديثا ، بعد أن كانت هاتان اللفظتان مسرحا للخلط والجدل حول التفريق والجمع بينهما وهو ما استغله عدد من المستشرقين المحدثين المغرضين استنادا الى خلط بعض مفكرى (١) الاسلام السابقين بين هذين اللفظين ومفهومهما ، اضافة الى توسيع دائرة هذا الخلط من الشعوبية (٢) فى العصور الاسلامية

---

(١) كابن خلدون مثلا الذى خلط بين هذين المفهومين خلطا استغله الشعوبيون قديما وحديثا ، وكذلك المستشرقون.

(٢) يبدو أن أساس مفهوم هذه اللفظة ما فسر به بعض المفسرين واللغويين الشعوب في قوله تعالى : " وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا " حيث فسروا الشعوب بأنها بطون العجم والقبائل : بطون العرب ، ثم تطور مفهوم هذه اللفظة لتطلق على كل من ليس عربيا ، ولا يرى للعرب فضلا ، ثم أطلقت على محتقرى العرب عموما ، ومفضلى الأعاجم عليهم ، وقد اقترن لفظ الشعوبية بظهور عدد من الفرق التى كان لها الدور الرئيسى فى تفتيت العالم الاسلامى كالخوارج والشيعة وما تشعب عنهما من فرق وأرتبطت بمفاهيم المروق والزندقة وقد عرف العالم الاسلامى نوعين من الشعوبية هى شعوبية المشرق التى اقترنت بالشيعة والتى بالغ بعض معتنقيها فى شعوبيتهم بقصر اللغة العربية على العلوم الدينية واحياء اللغة الفارسية وجعلها لغة للعلوم والآداب ، أما شعوبية المغرب والتى انتشرت فى الأندلس ، فقد فاخرت بحضارة الاسلام بلغتها العربية
=

السابقة حينما كانت هذه الشعوبية تنظر الى الوجه البدوى المتخلف الذى كان يبرز أحيانا فى عصور الانحطاط الاجتماعى الذى يمنى به العرب ، فتنطلق الموجات الأعرابية مدمرة المدن والقرى بأسلوب السلب والنهب ، وهذا الوجه كما أنه موجود لدى بوادى العرب المتخلفة ، فانه موجود لدى بوادى الأمم الأخرى التى تنقسم الى فئتين رئيستين : بادية ، وحاضرة ، بل ربما برز هذا الوجه المتخلف بصورة أوضح عند بعض الأمم الأخرى أوضح مما لدى العرب، وليس هنا مجال التفصيل فى هذه القضية التى تناولها عدد من الباحثين والعلماء فى القديم والحديث بالدرس والتحليل (١) .

= ومعتقدها السنى الصافى ، ولكنها أنكرت القول بفضل العرب على غيرهم، وهى على أى حال أخف من شعوبية المشرق ويبدو أن هذه الشعوبية بنوعيها كانت تزدهر فى عهود الانحطاط الذى يمنى به العرب نتيجة لبروز الوجه البدوى المتخلف ، أو نتيجة لاحتقار ساسة المسلمين فى المشرق أو المغرب لكل ما هو عربى أو يمت الى العربية بصلة . للتفصيل :(ابن كثير التفسير ٤/ ٢١٨ ، أبو السعود :التفسير ٥/ ١٨٠ ، الشوكانى :التفسير ٥/ ٦٧، ابن حجر: فتح البارى ٤/ ١/ ٥ ، الفيروزابادى ١/ ٨٨ ، محمد مرتضى ابن محمد الزبيدى : تاج العروس من جواهر القاموس، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية - مصر سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م نشر دار مكتبة الحياة بيروت ١/ ٣٢١ ، دائرة المعارف الاسلامية ١٣/ ٣١٥ ، ٣١٦ مادة شعوبية)

(١) مهما كثرت الأبحاث فى هذا المجال فان فهم مدلول أى لفظة لا يتم الا بالرجوع الى مصادر اللغة لأى أمة فيكفينا فى التفريق بين العرب والأعراب الرجوع الى مفهوم هذين اللفظين كما قرر علماء اللغة ، وكما هو متواتر لدى العرب ، قديما وحديثا ، فالعرب تطلق على أمة العرب سواء سكنت البوادى أو الحواضر والقرى ، أما الأعراب والأعاريب فلا تطلق الا على ساكنى البادية ومن لم يفرق بين العرب والأعراب فانه يتحامل على العرب فى تأويله للآيات الواردة فى هذا المجال ، وذكر علماء اللغة أن مما تواتر لدى حاضرة العرب وأعرابها انك اذا قلت لأعرابى يا عربى هش وبش ، والحضرى اذا قيل له يا أعرابى غضب ، أما من تحول من الحضر الى البدو فهو قد تعرب أى صار أعرابيا بعد أن كان حضريا وهو ما ورد النهى عنه ، للتفصيل :(الفيروزابادى ١/ ١٠٢ ، الزبيدى ١/ ٣٧١ مادة عرب ، أبو السعود : التفسير ٢/ ٥٩٣ ، الشوكانى : التفسير ٢/ ٣٩٥ ، ٥٩٦)

وانطلاقا مما سبق فقد اتسمت نظرة الاسلام للبدو والبداوة بمراعاة مقتضى الحال التى تكون عليها طبيعة الحياة الاجتماعية لهذه الفئة فى محاولة منه لرفع المستوى الاجتماعى لهذه الفئة الى مايهدف اليه من كونه عقيدة مرتبطة جوهريا بوضع اجتماعى حضارى متقدم بغض النظر عن مكان أسلوب حياة هذه الفئة (١) ،فحينما تتغلب الجفوة على طباعهم والقسوة على قلوبهم فتبعد بهم عن المعرفة والوقوف عند الحدود والشرائع والأحكام نتيجة لتوحشهم ونشأتهم فى معزل عن مشاهدة المصلحين ،وحينما ينظرون الى أى بذل جسمى أو مادى فى سبيل تقوية الجماعة المسلمة على أنه مغرما وخسارة . حينما يحصل ذلك فان الاسلام يحارب فى هذه الفئة تلك الطباع ،ويجعل من الجماعة المسلمة على وعى تام بحقيقة بعض أفرادها من الأعراب الذين قال الله فيهم :

" الأعراب أشد كفرا ونفاقا ، وأجدر أن لايعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ،والله عليم حكيم ، ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ،ويتربص بكم الدوائر ،عليهم دائرة السوء والله سميع عليم" (٢) واذا كان هذا التعبير بالعموم يعطى وضعا ثابتا متعلقا بالبدو والبداوة كما فهم بعض المفسرين وكما يتبادر الى الذهن ، فان تعبير القرآن أبعد غورا من ذلك اذ أن ذلك من باب وصف الجنس بوصف بعض أفراده كما فى قوله سبحانه :

" وكان الانسان كفورا "(٣) وان ذكر الآيتين : ٩٨ ، ٩٩ بعد الآية الآية الأولى يؤكد تشعب جنس الأعراب الى فئتين ،وعدم انحصارهم فى الفريق المذكور فى آية ٩٧ كما يبدو من ظاهر النص الكريم ،كما يؤكد فى الوقت

---

(١) مجلة العربى الكويتية : عدد محرم ١٤٠٣هـ/نوفمبر " تشرين ثانى " ١٩٨٢م ص ١٥ من مقال للدكتور محمد جابر الأنصارى .

(٢) سورة التوبة : آية : ٩٧ ، ٩٨ ، أبو السعود : التفسير ٢/ ٥٩٣ ، ٥٩٤ عبدالرحمن السعدى : التفسير ٣/ ٢٨٦ .

(٣) سورة الأسراء : آية : ٦٧ ، ومثلها : " ان الانسان لكفور " الحج آية : ٦٦ ، " فان الانسان كفور " الشورى : آية ٤٨ ، " ان الانسان لكفور مبين " الزخرف: آية ١٥ ، " ان الانسان لظلوم كفار " ابراهيم: آية ٣٤ .

نفسه أن المقصودين بشدة الكفر والنفاق هم من يتخذون ماينفقون مغرما ويتربصون بالمسلمين المصائب نتيجة هذا الكفر والنفاق والبعد عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشاهدة معجزاته وسماع الآيات النازلة عليه ، واذا أدركنا سبب نزول هذه الآيات وخصوصيته على من يستطيع الانفاق من البدو دون الفقراء ، وعلى اقتصاره على بعض القبائل البدوية الذين كذبوا الله ورسوله ، وقعدوا فى مرابعهم ولم يكلفوا أنفسهم المجئ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعتذروا اليه من تخلفهم عن احدى غزواته ، اذا أدركنا ذلك تبين لنا أن القرآن لايهدف الى ذم عموم الأعراب بقدر مايقرر حقيقة عن بعضهم قد تتكرر فى فترات التاريخ المتعاقبة (١) ، فلئن كانت العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب ، فان فى الآيتين تنبيه للجماعة المسلمة على مر التاريخ أن تكون على بينة من الوضع الاجتماعى للبدو كأى فئة اجتماعية - ألهمها الله من عناصر الخير والتقوى كما ألهمها من عناصر الفجور والفساد .

وتؤكد الآيات ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ من سورة الحجرات جانبا من نظرة الاسلام نحو البدو والبداوة كما تبين جهل هؤلاء البدو بحقيقة هذا الدين ، وهى فى الوقت ذاته تشير الى تحسن أحوال قسم كبير منهم بمخالطة بشاشة الايمان لقلوبهم فيما بعد ، ففى الآية ١٤ يقول الله سبحانه : " قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ، وان تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم " ، ومرة أخرى فان تعبير القرآن الكريم بالأعراب على صيغة العموم لايعنى بأى حال عامة الأعراب مهما بلغوا من الجفاء ، فقد ذكر عدد من المفسرين أن هذه الآية نزلت فى نفر من بنى أسد احدى القبائل النجدية آنذاك - وليس كل القبيلة فضلا عن عموم الأعراب ، وقد قدم هؤلاء النفر المدينة فى سنة مجدبة مظهرين الشهادتين ، وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حال

---

(١) أبوالسعود : ٢/ ٥٩٤ ، الشوكانى : ٢/ ٣٩٦ ، السعدى : ٣/ ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، سيد قطب : فى ظلال القرآن : م ٤ ، ج ١١/ ص ١٨ - ٢٠ .

قدومهم : أتيناك بالأثقال والعيال ، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وفلان هادفين من وراء ذلك الحصول على الصدقة ، والمنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدخول في الاسلام (١) ، وأن في لفظة " لما " التي تفيد التوقع ما يدل على أن القرآن يستشير في نفوس هؤلاء النفر ، والبدو عموما في أى زمان ومكان ، نزعة الخير وحب الايمان ، ففي هذه اللفظة ما يشعر بامكان حصول هذا الايمان بعد اطلاعهم على محاسن الاسلام وتذوقهم لحلاوة الايمان كما يشعر بأنهم آمنوا فعلا فيما بعد (٢) ، وفي هذه اللفظة ما يطمئن أى داعية تجديدية لهذا الدين بجدوى المحاولة مع هؤلاء البدو ودخول الايمان في قلوبهم متى ما استثيرت نزعة الخير فيهم ، ومتى ما كانت المحاولة معهم منظمة ليست عاطفية أو وقتية ، وقد وهم أحد الباحثين حينما ربط بين قلة الايمان مطلقا مع الاسلام الظاهرى في هذه الآية ، وبين حالة البدو الاجتماعية مما يفهم من كلامه أن الايمان الحقيقي لا يتطابق وحالة البداوة وما فيها من جفاء وغلظة ، وهو في هذا المجال يربط بين الحالة الاجتماعية للبدو وبين الحالة العقدية الأخلاقية على وجه الاطلاق وهو مالا يمكن الاقتناع به كما لا يمكن الاقتناع بربطه الذى قال عنه : انه وثيق بين الكفر والنفاق وحالة البدو الأعرابية مطلقا في آية التوبة السابقة (٣) ، ولا مجال للمقارنة بين الآيتين لأن آية التوبة نزلت في فئة من منافقي الأعراب استحقت التعنيف والتبكيت والفضح ، بينما نزلت آية الحجرات في أولئك النفر الذين لجهلهم ورغبتهم في الايمان أدعوا لأنفسهم هذا المقام الذى هو أعلى مرتبة من الاسلام الظاهرى ولما أنه لم يحصل لهم هذا المقام بعد — وعلم الله سبحانه حصوله منهم بعد ذلك — أدعوا

---

(١) أبو السعود : ٥/١٨٠ ، الشوكاني : ٥/٦٧ ، سيد قطب : م٧/ج٢٦/ص١٤٤ ، محمد على الصابوني : صفوة التفاسير ، الطبعة الأولى . شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة . العمارية ، نشر دار القرآن الكريم . بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م ٥١/١٦ .

(٢) أبو السعود : ٥/١٨١ ، الشوكاني : ٥/٦٨ ، الصابوني : ١٦/٥١ ، ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدى رحمه الله في تفسيره لهذه الآية ٧/١٤٠ : " وفي قوله : " ولما يدخل الايمان في قلوبكم " أى وقت هذا الكلام الذى صدر منكم فكان فيها اشارة الى احوالهم بعد ذلك فان كثيرا منهم من الله عليه بالايمان الحقيقي والجهاد في سبيل الله " .

(٣) مجلة العربي : العدد السابق ص ١٥ من مقال الدكتور الانصارى .

فى هذه الآية وعلّموا أن ذلك لم يصلوا اليه بعد ، ولو كانوا فى مرتبة المنافقين لعنفوا وفضحوا كما فى سورة براءة ، وانما قال الله سبحانه لرسوله : " قـل ": لهؤلاء تأديبا لطيفا : " لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فـى قلوبكم " أى لم تصلوا الى حقيقة الايمان بعد ، وعليكم أن تعملوا على ترسيخ الايمان فى قلوبكم بما يقتضيه هذا الاسلام الذى سيحتسبه الله سبحانه لكم ولـو كان ظاهريا ، ولا شك أن الله سبحانه بابرازه كرمه عليهم فى عدم نقصانه مـن أعمالهم شيئا ما بقوا على الطاعة والتسليم لله ورسوله انما يريد منهم أن يعتبروا هذا الاسلام هو المرحلة الأولية فى هذا الدين والتى سيقبلها الله منهم الـى أن تستشعر قلوبهم الايمان والطمأنينة فيغفر الله لهم جهلهم فى هذه المرحلة ويعمهم برحمته حيث يقبل توبتهم بعد أن يعلنوا صدقهم فيها (١) ، ثم ان القرآن بلمسته الحانية تلك يبين لهم حقيقة الايمان ويدعوهم اليها فى قوله سبحانه : " انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهـم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون " فهو كما ينفى عنهم صفة الايمـان الكامل حال تشهدهم فقط فانه يهيب بهم فى الوقت نفسه أن يتصفوا بصفـة المؤمنين بالله ورسوله الذين أتبعوا ذلك بعدم شك وارتياب بل ثبتوا علـى هذا الايمان المحض وأخذوا يزيدونه شيئا فشيئا الى أن وصل بهم الى مرحلـة الجهاد فى سبيل الله لهداية البشر بعد أن حققوا الجهاد النفسى داخـل جوانحهم فاستحقوا من الله سبحانه لوصف الصدق بمطابقة ما وقر فى قلوبهـم بأعمالهم (٢) ، ويبدو أن هذه الآية بمدحها للمؤمنين بالله عز وجل قـد استثارت فى نفوس هؤلاء البدو نزعة الغيرة والخير فى الوقت ذاته ، فتشـير احدى الروايات أنه لما نزلت هذه الآية جاءوا وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون (٣) ، ولتماديهم فى الجهل بحقيقة الايمان قال اللـه عـز وجـل : " قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض والله بكل شئ عليم " ولا شك أن التعبير بالتعليم فى قوله : " أتعلمون الله " كما يحمل فـى

---

(١) ابن كثير : ٤/ ٢٢٠ وقد رد فيها على البخارى فى رأيه الذى يقول ان هؤلاء الأعراب منافقون يظهرون الايمان ، وانظر سيد قطب م ٧/ ج ٢٦/ ص ١٤٥ .
(٢) ابن كثير : ٤/ ٢٢٠ ، ابن سعدى : ٧/ ١٤٠ ، ١٤١ .
(٣) أبو السعود : ٥/ ١٨١ .

مفهومة قسوة التأديب فانه يدل على التشنيع بعد هذا التمادى فى الجهل مع الله سبحانه الذى لا يطّلع غيره ولا يجب أن يطلع غيره على حقيقة الايمان فى القلب لأن اثبات هذا الايمان ونفيه باللسان من باب تعليم الله سبحانه بما فى القلب وهو سوء ظن وأدب مع الله سبحانه باعلامه بما فى قلوبهم وهو الذى يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وهو بكل شىء عليم ، وما العلم بما فى القلوب ان كانت صالحة أو فاسدة الا هباءة فى علم الله الشامل المحيط.(1) ويكفى هذا تأديبا لهؤلاء البدو ، فاذا كان قصدهم من حلفهم بايمانهم وصدقهم المنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببذلهم واكثارهم للمسلمين بالمتابعة والنصرة ، وأنهم يستحقون على هذه المنة الثواب والثناء ، فان المنة لله عز وجل أن هداهم للايمان اذا كانوا صادقين فى ايمانهم ، لأن الايمان — بما يضفيه من مكاسب ضخمة فى عالم الشعور والتفكير ، وفى عالم الجسد والأعصاب وفى مجال العمل والنشاط — هو كبرى المنن التى ينعم الله بها على عبد من عباده فى الأرض فهو أكبر من منة الوجود الذى يمنحه الله لهذا العبد ، ومن سائر المتعلقات به من نعم الرزق والصحة والحياة وغيرها ، ثم كرر الله سبحانه فى آخر السورة علمه بجميع المخلوقات واحاطته بجميع المكنونات ليقنع هؤلاء البدو ومن على شاكلتهم بسعة علمه سرا وعلنا ظاهرا وباطنا ولعلم الله سبحانه بما يؤديه التكرار من فاعلية بقرع الأسماع والقلوب حتى تلين أو تقوم الحجة عليها (٢).

واذا علمنا أن سورة الحجرات يطلق عليها بعض المفسرين: "سورة الأخلاق والآداب" حيث قد أرشدت الى مكارم الأخلاق ، وفضائل الأعمال

---

(١) ابن سعدى: ٧/ ١٤١ ، سيد قطب: م٧/ ج٢٦/ ص ١٤٦ ، ١٤٧.

(٢) ابن كثير: ٤/ ٢٢٠ ، ٢٢١ وقد قرن بين تأديب الله سبحانه لهؤلاء الأعراب فى هذه الآية وبين تأديب رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار بعد غزوة حنين حينما لم ينفلهم من غنائمها وصار فى نفوسهم شىء من ذلك فقال لهم: "يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بى ؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بى ؟ " . واذا كانت كتب التفسير لم تحفظ لنا رد هؤلاء

وحيث أنها تستقل بوضع أساسات كاملة لعالم نظيف سليم رفيع كريم لقيام مجتمع مسلم يستند الى هذه الأساسات التي تكفل قيامه وصيانته في الوقت ذاته،[1] اذا علمنا ذلك أدركنا الى أي مدى يدخل هذا التوجيه لهذه الفئة من البدو في اطار التنظيم العام والتوجيه الشامل للمجتمع المسلم الذى يركز عليه القرآن في أغلب آياته ، ومن هنا ينتفى أن تكون هذه الآيات قد قصدت أن تعامل هذا الصنف من البدو وسواء الذين نزلت فيهم الآيات أو من يشبههم عبر فترات التاريخ معاملة المنافقين الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكيد له بل عاملتهم معاملة المسلمين الذين لم يستحكم الايمان في قلوبهم فاستعملت معهم أسلوب التأديب الذى حفلت به آيات هذه السورة لتوجيه المؤمنين ، صحيح أنه كان أدبا قاسيا ولكنه كان بحجم الجهل الذى كان عليه هذا الصنف من الأعراب ، والذى قد يكون عليه فيما بعد من شابههم ، ولو كانت تعتبرهم منافقين لفضحتهم وعنفتهم وأوردت مع الفضح والتعنيف نوع العذاب الذى يستحقونه ، ولضمنت الكلام ضمن مع الحديث العام عن المنافقين المبثوث في آي القرآن (٢) ، أو الحديث عن منافقي الأعراب خاصة الذى ورد في سورة التوبة . وان تضمين الكلام عن هذا الصنف من الاعراب ضمن التوجيه العام للمؤمنين في سورة الحجرات اضافة الى طول النفس الذى اتسمت به هذه الآيات في التأديب لهؤلاء الأعراب ومن يأتي بعدهم على شاكلتهم ليؤكد ما ذهب اليه بعض المفسرين من أن هذه الآيات تعتبرهم في عداد المسلمين الذين يرجى أن يخالط

= الأعراب على هذا التأديب الرباني فانها قد حفظت لنا أنهم آمنوا فعلا بينما ذكرت المصادر رد الأنصار على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمن (أى أعظم منة وفضلا)، سيد قطب: ص ١٤٧ .

(١) سيد قطب : م ٧/ ج ٢٦/ ص ١٢٥ ، محمد الصابوني : صفوة التفاسير : ٥٣/١٦ .

(٢) ابن كثير ٢٢٠/٤ ، ابن سعدى : ١٤٠/٧ ، ولقد كان المنافقون يحذرون أن =

الايمان بشاشة قلوبهم(١) ، وهى فى هذا الصدد تضع الاطار العـــام للتعامل من أى دعوة تجديدية لهذا الدين تجاه من هم على شاكلة هؤلاء الأعراب فى أى زمان ومكان مما يستلزم معه على أى مجدد أن يقف طويلا أمام هذه الآيات حتى يستطيع ضم هذا الصنف من الأعراب الى عداد المهتدين.

وتبين الآيات ١١، ١٢ ، ١٥ ، ١٦ من سورة الفتح جانبا آخر من نظرة الاسلام للبدو ، هذه النظرة التى تستند الى الطباع السيئة التى تتميز بها بعض فئات البدو والتى لم تتوافر لها سبل التقويم والترويض ، بـــل تهيأت لها سبل الانقطاع عن الله ، هذه الطباع التى من أبرز مظاهرها ايثار الانشغال بالأموال والأهل والأولاد عن الجهاد فى سبيل الله ، واتباعهـم لمبدأ الولاء والتأييد للأغلب فى منظورهم الغريب ، وهذا ما تؤكـــده الآيتان التاليـــان حيـــث يقـــول سبحانـــــه : سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنـــا . يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا ، بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا "(٢) ولئن كانت هاتان الآيتان قد نزلتا فى أعراب مـــن قبائل حول المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلفوا عنه فـــى عمرة الحديبية (٣) ، فانهما تتجاوزان هذا السبب التاريخى بعموم لفظيهما وتصويرهما لهذه الطباع السيئة فى بعض فئات البدو ممن يظنون بالجماعة المسلمة عبر فترات التاريخ الظن السيء فيقعدون عن الجهاد فى سبيل اللـــه معها متعللين بأموالهم وأهليهم — رغم أن كل الناس لهم أموال وأهل — وهـم

= تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم من الكيد للاسلام وأهله فأنزل الله فيهم عدة آيات تكشفهم وتفضحهم كالآيات التى فى سورة النساء ، وســورة التوبة التى تسمى الفاضحة حيث فضحت أساليبهم فى أكثر من موضع وغـير هاتين السورتين ، اضافة الى سورة كاملة باسمهم هى سورة المنافقين.

(١) ابن كثير: ٤/٢٢٠ ، أبوالسعود: ٥/١٨١ ، ابن سعدى: ٧/٤٠ ، سيد قطب: م٧/جـ٢٦/ص١٤٥.

(٢) سورة الفتح: آية: ١١، ١٢.

(٣) ابن كثير: ٤/١٩٠ ، أبوالسعود: ٥/١٥٨ ، الشوكانى: ٥/٤٨ ، الصابونى: ١٦/٣٤.

في هذا المجال لايتركون أي وسيلة قد تنطلي على الجماعة المسلمة أهدافها الا وأبرزوها مؤكدين صدقهم فهم يستغفرون ويطلبون أن يستغفر لهم لعل هذا الاستغفار يبرزهم صادقين في أنهم موالون لأي دعوة لهذا الدين عبر مراحل التاريخ بغض النظر عن صدق هذا الاستغفار أو كذبه، ولا شك أن هذه الفئة من الأعراب وأشباهها في كل زمان ومكان يقعدون عن تأييد أي دعوة، اعتقادا منهم بعدم الغلبة لأصحابها عندما يبدو لهم ذلك في تصورهم المحدود أو اعتمادا منهم على بروز قوة الباطل الظاهرة (١)، وهكذا تظن هذه الفئة من الأعراب أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون في عمرة الحديبية الى أهليهم أبدا فهم سيقتلون ويستأصلون من قبل قريش وأحلافها، ويظن أمثالها في كل زمان ومكان أن لن ينقلب المؤمنون الى أهليهم أبدا اذا واجهوا الباطل المنتفش بقوته الظاهرة، ولهذا فهم يتجنبون تأييد الجماعة المسلمة على مر التاريخ حبا في السلامة يقينا منهم باستئصال شأفة هذه الجماعة من قوى الأرض المعادية، واذا خيب الله ظنهم، وقلب موازين القوى لصالح بني حزبه واختصهم بمغانم كثيرة يأخذونها فانهم يغضبون على المجاهدين أن لم يشاركوهم الغزوة التي فيها غنائم (٢)، وقول الله سبحانه: " سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لايفقهون الا قليلا" (٣) هو من علم الله سبحانه بمالم يكن وسيكون ذلك أن هذه الفئة من الأعراب بمجرد سماعها اختصاص غنائم خيبر بأهل الحديبية ممن بايعوا رسول الله على القتال في سبيل الله تحت سمرتها، بمجرد سماعها خبر الغنائم والأموال رغبت رغبة شديدة في اتباع المسلمين للحصول منها لكن الله سبحانه أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يشد أمامهم حبل اليأس باستحالة خروجهم مع المسلمين الى خيبر لأن في خروجهم مخالفة لأمر الله وتدبيره من قبل

---

(١) سيد قطب: م٧/ج٢٦/ص١٠٥.
(٢) سيد قطب: م٧/ج٢٦/ص١٠٥، ١٠٦.
(٣) الفتح: آية ١٥.

فى اختصاص غنائم خيبر بأهل الحديبية مهما أشاعوا فى الناس اتصاف النبى وأصحابه بالحسد ، هذه الاشاعة التى كانت ناشئة عن عدم فقههم فى الدين بل فى الأمر كله الا قليلا منه وهو الحرص على الغنائم وأمور الدنيا (١).

وعلى أى حال فرغم أن هذه الآية قد نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا السبب التاريخى المعروف لتريه كيف يكون التعامل مع هذه الفئة من الأعراب ، فانها تتجاوز هذا السبب لتصور طبيعة من طباع بعض فئات البدو عبر التاريخ - هذه الطبيعة التى تستند على الجشع والطمع وايثار الأموال ، ثم هى فى الوقت ذاته تبين الأسلوب الذى ينبغى أن يعامل به من هم على شاكلة هؤلاء الأعراب لترويضهم على الاتباع لأى دعوة اصلاحية لا لمجرد الحصول على الأموال أو أى عرض من أعراض الدنيا بل لما تمنحه من هدى وخير وصلاح ، مع عدم امساك اليد عن الانفاق عليهم لاستمالة قلوبهم نحو الأهداف الخيرة (٢).

ومرة أخرى كما فى سورة الحجرات نلمس طريقة القرآن الكريم فى التربية لمثل هذه الفئة من الأعراب وذلك فى قوله سبحانه :

" قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا ، وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما " (٣). واذا كان القرآن قد كرر ذكرهم بهذه الصفة " المخلفين من الأعراب " مبالغة فى ذمهم وتشنيعا لتخلفهم فانه قد منحهم الفرصة لمراجعة النفس والانخراط فى سلك الجهاد فى سبيل الله لمقاتلة أعداء

---

(١) ابن كثير : ٤/١٩٠ ، أبو السعود : ٥/١٦٠ ، الشوكانى : ٥/٩٥ ، ابن سعدى ٧/١٠٠ ، سيد قطب : ص١٠٧.

(٢) ان نظرة فى تاريخ العلاقات بين بعض فئات البدو والمحاولات التنظيمية الوطنية تؤكد بعد نظر موقف الاسلام من البدو اذ ما ان وطئت قدما محمد على باشا أرض الجزيرة العربية للقضاء على الدولة السعودية الأولى وأغرى بعض فئات البدو بالمال للتحول عن الولاء للدولة السعودية حتى انضوى تحت لوائه أو تحول عن الولاء لآل سعود وآثر السلامة على الأقل عدد من قبائل شبه الجزيرة .

(٣) سورة الفتح : آية ١٦ ، سيد قطب : ١٠٨.

الاسلام سواء داخل الجزيرة العربية أو خارجها ، وسواء كان ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو في عهود خلفائه أو في أى عهد من عهود الاسلام اللاحقة ، ولهذا فليس بذى قيمة كبيرة اختلاف المفسرين في من هم القوم أولو البأس الشديد وهل هم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أم في عهود خلفائه من بعده وان كان الأولى والأقرب أن يكون المقصود به في عهده صلى الله عليه وسلم لتؤدى هذه الآية دورها في امتحان هؤلاء الأعراب حول المدينة وليمحص الله ايمان من كان منهـا على درجة من الايمان ويمحق من كان مترددا أو منافقا أو كافرا ، وبذلك يكون ما يتمخض عنه هذا الامتحان واضحـا للأجيال اللاحقة . والله سبحانه في هذه الآية يهيب بهم أن ينسوا ماضيهم في التخلف ويلبوا داعي الجهاد ليؤتيهم أجرا حسنا - غنيمة ونصرا في الدنيا ،وجنة في الآخرة - والا فان العذاب سيكون أليما مؤلما - أسرا وقهرا وقتلا في الدنيا ونارا في الآخرة - اذا حنوا الى تخلفهم في الحديبية فتخلفوا مثله ، وذلك لتضاعف الجرم ،وتكرار الخطيئة (١) ، ولكن الآيات في هذه السورة ،وهي تطيل النفس مع هؤلاء المخلفين من الأعراب فان ذلك راجع الى علم الله - والله أعلم في توفر عنصر الخير في هذه الفئة من الأعراب ، وبأنهم مادة طيبة من مواد الاسلام وعنصرا مهما من عناصر انتشاره في العالم كما هو الحاصل في أواخر العهد النبوى وبعده من عهود نشر الاسلام ،ومن هنا فان التكرار مع هؤلاء المخلفين بمكاشفة نفوسهم لهم وللمؤمنين هو أسلوب من أساليب يبينه القرآن للنفوس، وعلاجه للقلوب بالتوجيهات الربانية الى قواعد السلوك الايماني القويم (٢) ، ولهذا فان هذه الآية - وغيرها من آيات القرآن التوجيهية - تتجاوز السبب التاريخي الذى نزلت من أجله ليشف الباحث من خلالها نموذجا حيا من نماذج نظرة الاسلام الشاملة نحو البدو ، هذا النموذج الذى يرمي الى توجيه أى صاحب دعوة تجديدية لهذا الدين أن لا ييأس من تكرار المحاولة مع أبناء البادية لضمهم

---

(١) ابن كثير : ٤/١٩١ ،أبو السعود : ٥/١٩٠ ، ١٩١ ،الشوكاني : ٥/٥٠ ،ابن سعدى ١٠١/٧ ،الصابوني : ٣٦/١٦ ،وعن الملاحظة على هذا الاختلاف : سيد قطب م٧/ج ٢٦/ص٨٠ .

(٢) سيد قطب : الجزء السابق والصفحة السابقة .

الى دعوته باعتبارهم قوة معنوية لا يستهان بها متى ما أحسن توجيههم التوجيه الاسلامى الصحيح من غير تعصب أو غلو أو تطرف.

وعلى الجانب الآخر من أسلوب الحياة البدوية فى توافر عنصر الخير فى هذه الحياة يمتدح القرآن الكريم فى قوله سبحانه : " ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا أنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته ان الله غفور رحيم " (١) يمتدح قسما من البدو آمن بالله سبحانه وآمن بيوم البعث والنشور ولم يكتف بذلك الايمان فحسب بل قرنه ببذل سخى بمصاحبة نية صادقة بالتقرب بهذا البذل لله سبحانه لا كما يفعل الفريق الأول الذى لا يريد أن ينفق واذا أنفق رياء وسمعة اعتقد أن ذلك مغرما وخسارة ، ان هذا الفريق الخير وهو ينفق من ماله لتقوية جانب المسلمين ، وتحقيق التكافل الاجتماعى فيما بينهم يحرص أشد الحرص بالاضافة الى توفر النية الصالحة فى الاحتساب بهذا الانفاق وجه الله مما يكون سببا فى التقرب الى الله عز وجل - أن يجعل ذلك وسيلة الى دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وتبريكه لهذا بالقول لأن ذلك دلالة على رضاه - صلى الله عليه وسلم - المنبنى على رضى الله عز وجل وقبوله (٢) ، ثم يسارع القرآن بتضمينه الكلام أداتى ألا وان اللتين تفيدان التنبيه والتحقيق ليقرر لهذا الفريق أن هذه القربى مقبولة عند الله ، وهذه شهادة من جناب الله عز وجل بسلامة نية هؤلاء الأعراب ، وتحقيق رجائهم من دعاء الرسول لهم بعد أخذه نفقاتهم ، اضافة الى أن تنكير القربة يفيد التفخيم المغنى عن الجمع أى قربة عند الله عظيمة لا يعلم كنهها الا هو سبحانه الذى

---

(١) سورة التوبة : آية ٩٩ .

(٢) كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ، ولذلك سن لقابض الصدقة سواء لنفسه أو لغيره أن يدعو للمتصدق عند أخذه صدقته ولكن ليس له أن يصلى عليه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال اللهم صلى على آل أبى أوفى لأن ذلك من خاصيات الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم " التوبة آية ١٠٣ . أبوالسعود ٢ / ٥٩٥ ، الشوكانى ٢ / ٣٩٦ .

سيجعلها قربة لهم لأن هذا غاية قصدهم من التقرب بها الى الله والحرص على دعاء الرسول بعدها ، ثم ان في هذه اللفظة مجتمعة : "ألا انها قربة لهم" من جزالة اللفظ ما يؤكد عظم هذه القربة عنده عز وجل مما يستلزم معه احاطتهم برحمة الله الواسعة وتحققها من الله سبحانه بتوفيقهم لطاعته مع غفرانه لذنوبهم لحرصهم على الاستفادة من أعمالهم الصالحة استفادة المؤمن الذي يريد أن يكسب منها في حياته الأخرى رحمة وغفرانا من الله لا كاستفادة المنافق أو المتردد أو الكافر الذي يريد أن يكسب منها في حياته الدنيا ويتمتع بها كما تتمتع الأنعام فقط (١) .

وان في لفظة " من الأعراب " التي تعني من جنسهم على الاطلاق من الشمول والعموم ما يجعلها تعم كل أعرابي سواء كان عربيا أو غير عربي في أي زمان ومكان متى ما توافرت الدواعي التي جعلت هذا الفريق من الأعراب يحظى بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبول الله لأعماله الصالحة (٢) ، ومن هنا فان هذه اللفظة تجوز بهذه الآية من سببها التاريخي الذي ذكره بعض المفسرين (٣) الى عالم أكثر شمولا وعموما ليدخل في نطاق مدحها كل من خالط الايمان بشاشة قلبه بغض النظر عن أسلوب حياته الاجتماعية ، وهي في هذا المجال تؤكد أن ليس كل من كان أعرابيا فهو مذموم فالله سبحانه معبود في كل مكان وزمان ، ومتى ما أحسن استغلال فطر أبناء البادية ووجهوا التوجيه الصحيح أمكن ادخالهم في عموم هؤلاء الممدوحين ، وفي هذا المجال

---

(١) أبو السعود : ٢/٥٩٥ ، الشوكاني : ٢/٣٩٦، ٣٩٧ ، ابن سعدي : ٣/٢٨٧ ، ٢٨٨ ، سيد قطب : م٤/ج١١/ص٢٠، ٢١ ، محمد الصابوني : ٥/٤٤ .

(٢) أبو السعود : ٢/٥٩٥ .

(٣) ذكر أبو السعود والشوكاني في تفسيريهما أن هذه نزلت في عبد الله ذي البجادين وقومه من بني مقرن من مزينة وقيل هم الذين قال الله فيهم: "ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون" التوبة آية : ٩٢ وقيل نزلت في أسلم وغفار وجهينه . أبو السعود : ٢/٥٩٦ ، الشوكاني : ٢/٣٩٧ .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن سعدى فى تعليقه على هذه الآية : " وفى هذه الآية دليل على أن الأعراب كأهل الحاضرة منهم الممدوح ومنهم المذموم، فلم يذمهم الله على مجرد تعربهم وباديتهم ، انما ذمهم — ويقصد فى الآية السابقة لهذه الآية — على ترك أوامر الله ، وانهم فى مظنة ذلك (١) .

وهكذا يتبين لنا أن النظرة القرآنية للبدو والبداوة — وهى أساس النظرة الاسلامية الشاملة فى كل القضايا — لم تنظر الى فئة الأعراب من زاوية قول الله تعالى : " الأعراب أشد كفرا ونفاقا " فقط وان كانت قد شملت قسما منهم بهذه النظرة لوجود ما يستدعى اطلاق هذه الصفة ، بل نظرت اليهم من زاوية قوله تعالى : " ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق قربات عند الله . الآية" علما أن التدبر فى آيات القرآن التى تحكى هذه النظرة القرآنية بقسميها تعطى الباحث المنصف الحق فى أن يرى تغليب النظرة التى ترى فى البدو عناصر من الخير أكثر مما فيهم من عناصر الشر والجفا والغلظة ، وان كان ذلك فى عموم وايجاز — على طريقة القرآن الفريدة — تاركة هذه النظرة القرآنية هذا المجال مفصلا للسنة النبوية بأقوال الرسول وأفعاله وتقريراته وأوصافه لتفصيل النظرة الاسلامية الشاملة نحو البدو والبداوة ، ومن هنا ينتفى الرأى الذى يقول ان الايمان الحقيقى الذى يتطلبه الاسلام لا يتطابق وحالة البداوة وما فيها من جفاء وغلظة (٢) ، لأن هذا الرأى ناشئ عن عدم فهم لمفهوم قوله تعالى : " قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا " الآية ، هذا فضلا عن عدم الالمام بسببها التاريخي الذى مر ذكره .

وانطلاقا من ذلك فان السنة النبوية بمختلف صورها تعطى وضوحا أكثر وتفصيلا أوفى لنظرة الاسلام الشاملة نحو البدو والبداوة فحينما يكون سكنى

---

(١) تيسير الكريم الرحمان : ٣/ ٢٨٨ .

(٢) مجلة العربى : عدد سابق ص ١٥ .

البادية مدعاة للجفاء في الدين والغلظة والبعد عن مراكز العلم والاصلاح والنفور منها فان الاسلام يدعو الى التحضر ومحاربة البداوة من جانبها السلوكي السيئ الذي يدفع بابن البادية الى الانشغال ببساديته عن معرفة أبسط قواعد الدين ولعل هذا هو مفهوم قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " من بدا جفا .. الحديث " ، وفي رواية : "من سكن البادية جفا ..الحديث"(1) ورغم التصريح بلفظ السكنى في البادية فان المقصود فيما يبدو - والله أعلم - ما يسببه هذا السكنى في البادية من المظاهر السلبية على السلوك الاجتماعي البدوي نتيجة البعد عن المراكز الحضرية ، ولا شك أن هذا الحديث يعني اذا تغلبت الجوانب السيئة في هذا السلوك الاجتماعي على ساكني البادية وهو في هذا المجال يتجاوز هذه الحالة ليشمل كل من تغلبت لديه الطباع السيئة للبدو سواء سكن البادية أم لا ، لأن من معاني " بدا " من اتصف بالبداوة ، وصار فيه جفاء الأعراب (٢) ،ثم ان هذا الحديث فيما يبدو - كان يعالج حالات فردية وان لم يتضح ذلك من سياق الحديث ، ويبدو أن ذلك أيضا كان في بداية الاسلام حينما كان بحاجة الى من يتفهم تعاليمه ويقوم بنشرها بين الناس ، وهذا يتعارض مع كون قسم كبير من الناس بادون في الأعراب ، ولا يمكن بحال أن يفهم من هذا الحديث على أنه ذم مطلق لحالة البداوة لأن هذا أيضا يتعارض مع أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وأوصافه التي حوت مدح البداوة والتركيز

---

(١) ورد هذا الحديث بهذين اللفظين وتكملته بعدهما كل على روايته : " من بدا جفا ،ومن تبع الصيد غفل ،ومن أتى أبواب السلطان افتتن وما ازداد عبد من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ،رواه الامام أحمد في مسنده بسند حسن ٢/ ٣٧١، ٤٤٠، ٤/ ٢٩٧ ، ورواه كذلك مع أبي داود والنسائي بلفظ : " من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ،ومن أتى السلطان افتتن " المسند ١/ ٣٥٧ ،سنن أبي داود ٣/ ٢٧٨ ،سنن النسائي ٧/ ١٩٥، ١٩٦ ، وانظر : الشوكاني : التفسير ٢/ ٣٩٧ وقد تكلم في سنده ،وانظر أيضا الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/ ٢٦٧ وقد أثنى على سنده .

(٢) الزبيدي : تاج العروس ١٠/ ٣٢ .

على الجانب الخير فيها (١) .

ولا شك أن الاسلام عبر هذا الحديث وغيره من الأحاديث التي تضمنت النهي عن التعرب بعد الهجرة (٢) وهو انتقال المهاجر من البلد التي هاجر اليها فينعزل عن المجتمع المسلم ويعيش في البادية منقطعا عنه . لا شك أن الاسلام عبر هذه الأحاديث وغيرها انما يضع الجذور الأولى لتوطين البدو وتحضيرهم سلوكا لا أسلوب معيشة فقط لأنه لا يريد من البدو ترك باديتهم بقدر مايريد منهم أن لا ينعزلوا عن المجتمع المسلم ومن هنا جاء الثناء على التبدي عند حلول الفتن حينما تكون الظواهر الاجتماعية في أي مجتمع حضري خطر على سلوك المسلم ومعتقده (٣) .

---

(١) قمت بجمع عدد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمهات الست وسنن الدارمي ، ومسند أحمد بن حنبل ، وموطأ مالك ، سواء تلك التي تذم حالة البداوة - بالنظر لسلبياتها طبعا - أو تلك التي تثني على هذه الحالة - بالنظر لدواعي هذا الثناء - الا أن عرضها والتعليق عليها يتطلب مجالا أوسع من هذه النبذة عن نظرة الاسلام نحو البدو والبداوة والتي أردت اثباتها في هذا الفصل لتكون هي وجهة نظري في الحديث عن بادية نجد في هذا البحث بأكمله نظرا لحساسية البحث في الحياة الاجتماعية لدى البادية .

(٢) مثل حديث الكبائر والتي ورد منها : " التعرب بعد الهجرة وفراق الجماعة " وان كان علماء الاسلام قد اختلفوا في مفهوم الكبيرة في الاسلام ومدى خطورة بعضها على معتقد المسلم ، وتفاوت هذه الخطورة من كبيرة الى أخرى ومنها : " لعن الله آكل الربا وموكله " . الحديث وفيه : " والمرتد بعد هجرته أعرابيا " . انظر (فتح الباري ٢٥ / ٣٣٦ / ٣٣٧ ، ٢٧ / ٤٧) .

(٣) روى البخاري : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن " ، ويروى الامام أحمد في مسنده أن شهاب بن مدلج نزل البادية فساب ابنه رجلا فقال يا ابن الذي تعرب بهذه الهجرة ، فأتى شهاب المدينة فلقي أبا هريرة فسمعه يقول ، قال : رسول الله صلى الله عليه : أفضل الناس رجلان رجل غزا في سبيل الله حتى يهبط موضعا يسوء العدو ، ورجل بناحية البادية يقيم الصلوات الخمس =

ولقد كان الصحابة انطلاقا من هذا النهي عن الانعزال في البادية يعدون من رجع من دار هجرته الى باديته من غير عذر مقبول كالمرتد تماما يستحق المحاربة (١) ، وكل هذا خوفا من أن تسيطر الأفكار السيئة عليه في باديته فيصبح خطرا على المجتمع المسلم ، ونتيجة لذلك فقد كان كل من يريد منهم أن يسكن البادية يستأذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستوثق الرسول من مدى تطبيقه لأحكام الاسلام في البادية — وخاصة أداء الزكاة — وعدم انعزاله عن المجتمع المسلم ، وقد أخذ العلماء من ذلك أن الهجرة ليست واجبة الا على من أطاقها أما من لم يطقها كالأعرابي المنشغل بباديته وما شيته فانها ليست واجبة عليه بشرط الاستئذان من ولي الأمر بعد المبايعة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (٢) .

= ويؤدي حق ماله ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين فجثا على ركبتيه قال : أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة يقوله قال نعم فأتى باديته فأقام بها .(انظر ابن حجر: فتح الباري ٢٧/٤٨ ، ٤٩ ، والامام أحمد : المسند ٢/٥٢٢)

(١) فتح الباري : ٢٧/٤٧ ، عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م ص ١٠٤ ، مجلة العربي العدد السابق ص ١٤ ، ١٥ .

(٢) روى البخاري ومسلم وغيرهما عن سلمة بن الأكوع أنه دخل على الحجاج ابن يوسف فقال : يا ابن الأكوع ، ارتددت على عقبيك . تعربت؟ قال : لا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي في البدو ، كما روى البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أعرابيا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهجرة فقال : ويحك : ان شأنها شديد فهل لك من ابل تؤدي صدقتها ، قال نعم ، قال فاعمل من وراء البحار فان الله لا يترك من عملك شيئا .(ابن حجر : فتح الباري ٧/٧١ ، ١١/٦٠ ، ١٥/١١٧ ، ٢٢/٣٦٢ ، صحيح مسلم بشرح النووي ١٣/٦ ، الامام أحمد : المسند ٣/٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٤/٥٥ ، سنن أبي داود ٣/٦ ، سنن النسائي : ٧/١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥١ ، ١٥٢)

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد ذم اخلاد الحاضرة الى الزراعة تشاغلا بها عن الجهاد في سبيل الله وذلك في حديث العينة المشهور (١) ، فانه في المقابل قد ذم انعزال البدو وتشاغلهم برعي ابلهم وماشيتهم عن متابعة تعاليم الدين وأداء واجب الجهاد في سبيل الله عندما يغزو المسلمين أعداؤهم وذلك في الحديث الذي يرويه الامام أحمد في مسنده وفيه : "يفترق المسلمون ثلاث فرق فأما فرقة فيأخذون بأذناب الابل ، وتلحق بالبادية وهلكت ، وأما فرقة فتأخذ على أنفسها فكفرت فهذه وتلك سواء ، وأما فرقة فيجعلون عيالهم خلف ظهورهم ويقاتلون فقتلاهم شهداء ويفتح الله على بقيتها" (٢) .

فالرسول صلى الله عليه وسلم يذم في هذا الحديث أسلوبا من أساليب المعيشة لدى البدو وهو رعي الابل لا لذاته فهو ممدوح ولكن اذا اتخذ ذريعة للانشغال عن أداء واجب الجهاد اذا غزى المسلمون في عقر دارهم ، كما أن القطون في البادية هروبا من أداء هذا الواجب يعتبر في نظر الاسلام مذموما لأن فيه تشاغلا عن المسلمين بالابتعاد عنهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم اذ يخص رعي الابل بذلك من دون بقية المواشي لما يتصف به راعي الابل من خشونة وفخر وخيلاء قد يمنعه نفسيا من اجابة أي

---

(١) العينة أن يبيع شيئا من غيره بثمن مؤجل ويسلمه للمشترى ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن أقل من ذلك القدر يدفعه نقدا أما حديثها فهو عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "اذا تبايعتم بالعينة وأخذتم (وفي رواية تعلقتم – وفي رواية اتبعتم) أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه الله منكم حتى ترجعوا الى دينكم" وفي رواية لأحمد وتتوبون الى الله وواضح من هذا الحديث أن حلول الذل ليس لمجرد الزرع والحرث بل الانشغال بهما عن التدرب على القوة وأداء الجهاد في سبيل الله ، اضافة الى مايلحق المزارع من حقوق وديون وخراج وعشر قد لا يستطيع القيام بها فيصيبه الذل والا فالقيام على الزراعة أمر محمود في الاسلام كما قال صلى الله عليه وسلم: "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة" (فتح الباري : ٩/٦٧– ٦٩ ، ٢٢/٢٢٣ ، ٢٢٤ ، وعن حديث العينة : الامام أحمد : المسند ٢/٨٤ ، سنن أبي داود ٣/٧٤ ، ٧٤١ الألباني : الأحاديث الصحيحة ١/١٥ ، ١٦ ، ١٧)

(٢) الامام أحمد : المسند : ٥/٤٥ .

داع (١) كما أن رعى الابل كذلك يتطلب انقطاعا عن المجتمع بعدا فى المكان والزمان لأن الابل لاتكفيها المراعى القريبة ، اضافة الى أنها تمكث فى المرعى أياما فتجعل راعيها فى معزل عن المجتمع فيؤثر هذا على درجة جفائه ، هذا بخلاف رعى الغنم وبقية المواشى الذى يضفى ولينا على ممتهنه ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قد زاول مهنة رعى الغنم بل لم يبعث نبى الا ورعى الغنم كما قال صلى الله عليه وسلم مما أكسبه وأكسبهم جميعا عليهم الصلاة والسلام حلما وشفقة على أممهم والناس أجمعين (٢) .

وفى مجال تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من بعض عادات البدو نهيه عن معاقرة الأعراب فى قول ابن عباس رضى الله عنهما قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاقرة الأعراب ، وفى رواية : "المتباريان لايجابان ولا يؤكل طعامهما " وفى رواية : "لاتأكلوا من تعاقر الأعراب فانى لاآمن أن يكون مما أهل به لغير الله " وفى رواية "لاعقر فى الاسلام" وتتلخص هذه العادة السيئة فى أن يتبارى رجلان فى الجود والسخاء فيعقر هذا عددا من الابل ويعقر الآخر مثله ويظلان يتزايدا حتى يعجز أحدهما الآخر وكانوا يفعلون ذلك رياء وسمعة وتفاخرا ومباهاة ولا يقصدون بذلك وجه الله فشبهه بما ذبح لغير الله ، وقد يكون سبب التحذير منه دخوله فى جملة ما نهى الله عنه من أكل أموال الناس بالباطل ، والتبذير الشديد الذى نهى الله عنه (٣) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى : ٢/ ٣٠ - ٣٤ .

(٢) روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : " ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم فقال أصحابه : وأنت ؟ فقال نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة " . وقد فصل ابن حجر فى شرحه على هذا الحديث: (١٠/ ٥ ، ٦)

(٣) أبو داود : السنن ٣/ ٢٤٦ ، وأورده فى ٤/ ١٣٢ بلفظ التبارى ، الزبيدى التاج : ٣/ ٤١٥ ، مادة عقر ، الألبانى : الأحاديث الصحيحة ٢/ ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

ويبدو أن من أسباب تحريم المعاقرة كذلك أنه قد جرت عادة بين الأعراب أن يعقروا عددا من الابل على قبور موتاهم مكافأة لهم وراحة فى قبورهم اذ الفكرة أنه لما كان صاحب القبر يعقر الابل ثم يذبحها (١) ، للأضياف فى حياته فينبغى مكافأته بمثل صنيعه بعد وفاته .

وعلى أى حال فرغم تعدد الأسباب الموجبة لهذا التحذير فان التفاخر والمكارمة تبقيان الهدف الرئيسى من وراء هذا التحذير لأنهما مرتبطان بعادة رئيسية من عادات البدو وهى الكرم الذى قد يجر بهذه المفاخرة والمكارمة نزاعات ومشاحنات ربما تطورت الى حروب لأن العجز عن مثل هذه الحالة يعتبر مسبة فى أوساط المجتمع البدوى ، وهى قديمة فى الأعراب فى الجاهلية بل قد استمر التنافس فيها حتى بعد الاسلام لدى فئة من البدو ولم تستطع قلوبهم التفاعل مع هذا التحذير الشديد عنها (٢) ، بل بقيت لدى فئة من البدو حتى عصرنا الحاضر عنوانا للكرم ودلالة على الجود والسخاء (٣) مما جعلهم يتشبثون بها رغم تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم عنها وعن تشجيعها ، أما عقر عدد من الابل أمام القبور فيبدو أن الاسلام أزالها لأنها تتعلق بأمور لا مجال للتهاون فيها لأثرها البالغ على معتقد الانسان ، ولأن العلم بالنهى عنها مما يعلم من الدين بالضرورة ، ولا يعذر فى الجهل به بعد مجيئ الاسلام.

---

(١) أصل العقر كشف عرقوب البعير وربطه أو فعل أى شيئ بها حتى تسقط فينحرها بتمكن ثم أطلق على النحر ، وقيل ان العرب فى جاهليتهم كانوا اذا أرادوا نحر الابل عقروها بقطع أحد قوائمها حتى لا تشرد ثم تنحر وقد نهى الاسلام عن ذلك فى كيفية نحر الابل . الزبيدى: ٣/ ٤١٥ .

(٢) ذكر الزبيدى فى التاج : أن غالب بن صعصعة أبا الفرزدق الشاعر عاقر بصوأر قرب الكوفة — سحيم بن وثيل الرياحى ، فعقر سحيم خمسا من الابل ثم بداله وعقر غالب مائة وفى هذا يقول جرير هاجيا الفرزدق بأبيه بذم يشبه المدح حيث قال :

لقد سرنى ألا تعد مجاشع : من الفخر الا عقر نيب بصوأر

الزبيدى : التاج ٣/ ٣٢٢ ، ٤١٥ مادة صوأر ، وعقر .

(٣) لكن ذلك ليس فى مستوى الأعراب فى جاهليتهم الا أنه تبار على اكرام الضيف والصديق مقرونا بالتفاخر والتزايد فى عدد ما يذبح من المواشى فاذا قدم ضيف أو صديق فان من يكرمه لاحقا يحرص على أن يزيد عمن سبقه أو لا يقل عنه وكل هذا من باب التفاخر والتبارى بالكرم .

وادراكا من الاسلام بوجود فوارق اجتماعية سلوكية بين الحاضرة والبادية ناشئة عن اختلاف أسلوب حياة كل منهما عن الآخر، وجهل البدوى بأسلوب التعامل بين الحضر فقد ورد فى الحديث عدم جواز قبول الشهادة من بدوى على حضرى كما روى ذلك أبو هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" لا تجوز شهادة بدوى على صاحب قرية "(١).

وقد علل هذا النهى بعض العلماء لما فيهم من الجفاء فى الدين والجهالة بأحكام الشرع مما يترتب عليه عدم ضبطهم الشهادة على وجهها وعدم اقامتها على حقها وتحملها وأدائها بغير زيادة ولا نقصان، وعلل بعضهم ذلك باحتمال بعدها عن الحقيقة تحاملا على الحضرى أو تعاطفا معه حتى ألحق الربيعة الامام مالك رحمه الله بكل من أشهد بدويا وترك جيرته من أهل الحضر، وقال الامام أحمد رحمه الله : أخشى ألا تقبل شهادة البدوى على صاحب القرية لهذا الحديث(٢)

---

(١) ابن ماجة : السنن ٢/٧٩٣ حديث ٢٣٦٧، أبوداود : السنن ٤/٢٦، ٢٧ حديث رقم ٣٦٠٢ واثنى محققها على رجال اسناده بقوله : احتج بهم مسلم فى صحيحه، وقد اورد الحديث . الزبيدى فى التاج ١٠/٣٢، مادة بدا، وانظر مجلة العربى : العدد السابق ص ١٥ وصحيفة الجزيرة عدد ٣٣٥٣، الأحد ١٢ محرم ١٤٠٢هـ/ ٨ نوفمبر ١٩٨١ ص ١٧ " فتاوى اسلامية ".

(٢) ابوداود : المصدر السابق ٤/٢٦ من حاشية المحقق، الزبيدى : المصدر السابق ١٠/٣٢، قائلا ان هذا مذهب مالك والناس خلافه وليس كذلك اذ هناك من يرى هذا الراى غير الامام مالك، وانظر صحيفة الجزيرة العدد السابق والصفحة السابقة والعربى العدد السابق ص ٥ (وعلل صاحب المقال اخذ الامام مالك بهذا الراى لانه بحكم البيئة اقرب ائمة الفقه الى فهم الطبيعة الاعرابية البدوية مع العلم ان الامام احمد فى رواية قد راى هذا الراى، وهو اقرب من مالك فى فهم هذه الطبيعة الا ان هذا الراى ـ سواء بالنسبة لمالك او احمد لا يعد وان يكون تخريجا لهذا الحديث بغض النظر عن هذه التاويلات البعيدة.

وقد ذهب آخرون الى جواز شهادة البدوى على صاحب القرية اذا كان عدلا يقيم الشهادة على وجهها حاملين الحديث على من لا تعرف عدالته من أهل البادية أو من اشتهر بعدمها مما يرى منه معها مايدعو الى رد شهادته وهم فى هذا ينطلقون من حكم جيد بأن ليس كل أهل البادية جفاة بل فيهم من هو أرق عاطفة من كثير من أهل الحضر، ويبدو أن عامة العلماء الذين رأوا هذا الرأى قد تركوا للقاضى فهم الطبيعة التى يكون عليها البدوى من غلظة أو رقة وتحامل أو تعاطف أو حياد مع الحضرى حتى يمكن النظر فى الشهادة من قبولها أو ردها كما فى هذا الحديث. (١)

وعلى أى حال فالذى يظهر لى - والله أعلم - أن ليس فى عدم قبول شهادة البدوى على الحضرى مايقدح فى عدالته اذ هناك فرق بين القدح فى العدالة وبين عدم قبول الشهادة الذى له أكثر من مانع يمكن أن يدرج فيها اختلاف أسلوب الحياة بين الحضرى والبدوى مما يجعل البدوى يجهل أساليب التعامل فى الحاضرة فقد يخدع فى استشهاد لاحقاق باطل أو ابطال حق، ففى هذا الحديث مندوحة للبدوى فى الاعتذار عن الشهادة ألا يأتى بها على وجهها، والحديث بعد هذا وذاك يعطى المبرر لنظرة كل من البدو والحضر كل فريق نحو الآخر باختلاف أسلوب حياة كل منهما عن الآخر الذى لا يجب أن يبرر النظرة السيئة بين كل منهما ولا يجب أن يفهم من هذا الحديث تغذيتها لأن هذا ليس من أسلوب الاسلام الذى يريد أن تعيش فئاته الاجتماعية فى وئام وتعاون مهما اختلفت أساليبها الحياتية.

وباعتبار توافر عناصر الخير فى البدو أكثر من عناصر الشر فقد زخرت السنة بأحاديث كثيرة تفصل نظرة الاسلام للبدو ومن هذه الناحية استنادا الى الآية الكريمة : " ومن الأعراب من يؤمن بالله " الآية ، ونظرا الى أن فطرهم سليمة

---

(١) صحيفة الجزيرة العدد السابق الصفحة السابقة، وقد ذهب أحمد فى احدى رواياته وعدد من الائمة الى قبول شهادة البدوى على الحضرى. محمد آل حسين . الزوائد فى فقه الامام أحمد ط(٢) مطبعة البيان والفجالة الجديدة - القاهرة ٢/ ٩٢٥

في الغالب لم تؤثر فيها أساليب الحضارة والترف في الدنيا والاقبال عليها مما يجعل نفوسهم مستعدة لقبول دعوة أي داع (١).

ولعل في قصة البدوي الذي جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم - ويروى أنه كان نجديا - مايؤكد صفاء فطرة ابن البادية وصراحته، فقد روى طلحة ابن عبيد الله قائلا: جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا نفقه مايقول. حتى دنا فاذا هو يسأل عن الاسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: خمس صلوات في اليوم والليلة وذكر الصيام والزكاة قال فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفلح ان صدق، وقد ورد مثل هذه الحالة في رجال من البادية كلهم يقولون والله لا نزيد عليهن ولا ننقص منهن والرسول يقول عن كل واحد منهم لئن صدق ليدخل الجنة، وفي أحد الحالات قال: من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا (٢) وجميع هذه الحالات تدل على قبول الحد الأدنى بأداء العبادة الواجبة في الاسلام من أبناء البادية، وهي تدل على مراعاة من الاسلام للوضع الاجتماعي للبدو بالاكتفاء منهم بالتصديق بالدعوة وأداء أركان الاسلام وواجباته فقط (٣) نظرا لتوافر الفطرة السليمة فيهم، وأهم أسس نجاح التعامل وهو الصراحة في القول والوضوح في العمل اللذين وان برزا في صورة الجفاء والغلظة فانهما لابد وأن يظهرا البدوي - ولو بعد فترة - على حقيقته في ظهور الجوانب الانسانية لديه متى ما استثيرت النزعة الخيّرة فيه.

---

(١) ابن خلدون: المقدمة ص ١٠٣.

(٢) ابن حجر: فتح الباري ١/ ١٨١-١٨٤، ٨/ ٢٣٤، ٢٣٥، ١١/ ١١٠/ ٢٥/ ١٧١، ١٧٢، النووي: شرح صحيح مسلم ١/ ١٦٦- ١٦٩، الامام مالك: الموطأ ١٢١، ١٢٢. وعن الحالات الأخرى، انظر: النووي المصدر السابق: ١/ ١٦٩-١٧٤.

(٣) النووي: ١/ ١٦٧.

والذى يبدو - والله أعلم - أن قبول رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدد من أبناء البادية هذا الحد الأدنى من العبادات الواجبة منشاؤه ادراكه صلى الله عليه وسلم بتوفر الاستعداد النفسى لدى أبناء البادية لمتابعة تعلم وممارسة بقية شعائر الاسلام الواجبة والمندوبة واجتناب كل مانهى عنه الاسلام تحريما أو كراهة وذلك اذا اعتقد بأصول الاسلام ومارس أركانه وواجباته العملية، ومتابعة لمواقف البدو من هذا الدين تؤكد صدق هذا الادراك اذا اتبع أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم فى توجيه البدو لهذا الدين.

وتأكيدا من الاسلام فى مراعاته الحد الأدنى للعبادة الواجبة من البدو فى مرابعهم، يروى أبو داود وابن ماجة بسنديهما عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "ان الله وتر يحب الوتر. أوتروا ياأهل القرآن، فقال أعرابى: ماتقول؟، فقال: ليس لك ولا لأصحابك، وفى رواية ابن ماجة، فقال أعرابى: مايقول رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: ليس لك ولا لأصحابك (١).

وسواء كان الرد على الأعرابى من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من قبل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، فقد أخذ من هذا الحديث عدم وجوب الوتر اذ لو كان واجبا لكان الأمر عاما (٢). واذا كان الراجح هو أن الوتر سنة مؤكدة بدليل عدم ترك الرسول له لا فى الحضر ولا فى السفر فان فى هذا الرد على الأعرابى مايدل على مراعاة الاسلام لوضع البدو فى كثرة الترحال فى قضية الوتر بأنه اذا لم يتجاوز عنهم فى الوتر فلا أقل من أن لا يؤكد سنيتها عليهم - كما أكدها على الحضر ولو فى حال السفر، أو أن الأمر قبل أن تتأكد سنيتها بفعل

---

(١) ابو داود ٢/ ١٢٧، ١٢٨ وقد رواه بسنده عن على بن ابى طالب بلفظ: ياأهل القرآن اوتروا، فان الله وتر يحب الوتر، ورى الزيادة عن ابن مسعود، وانظر ابن ماجة ١/ ٣٧٠.

(٢) ابو داود ١/ ١٢٨ من حاشية المحقق

رسول الله صلى الله عليه وسلم لها حضرا وسفرا.[١]

وعلى أى حال نهو مع الحديث الذى قبله - بحالاته المختلفة - يعطينا المعالم التى تهدينا الى معرفة موقف الاسلام من البدو وفى بداية دخولهم هذا الدين، وهو موقف يحتاج من كل محاولة للاصلاح الاجتماعى فى صفوف هذه الفئة المهمة أن تستلهم المبادئ والدروس منه فى بداية طريق هذا الاصلاح بما يجمع بين روح العصر وأصالة الاسلام.

واهتماما من الاسلام بالحفاظ على طابع البداوة بوجهها الخير فى اكرام الضيف واغاثة الملهوف مع أداء حق العبادة المالية والبدنية والاستعداد لداعى الجهاد، فقد قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته يوم تبوك بين الجهاد فى سبيل الله وبين حرص ابن البادية على ابراز الجانب الخير للبداوة وأداء واجب العبادة حيث قال: "مافى الناس مثل رجل أخذ بعنان فرسه فيجاهد فى سبيل الله ويجتنب شرور الناس، ومثل رجل باد فى غنمه يقرى ضيفه ويؤدى حقه"[٢] وهذا الحديث شبيه بحديث شهاب بن مدلج الذى مر ذكره[٣]، وكلاهما يؤكدان على عظم أجر البدوى الذى يقيم شعائر الاسلام فى باديته، ويؤدى مستلزمات التعامل الاجتماعى فى البادية من جانبها الحسن، ويلازم على عبادة ربه حتى يأتيه اليقين واذا كان حديث تبوك قد خص الرجل البادى فى غنمه فان حديث شهاب بن مدلج قد عمم الثناء على البدوى بغض النظر عن نوع الرعى الذى يمارسه.

---

(١) لعل فى الحديث الذى روى فيه أن رجلا من أهل البادية سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن صلاة الليل فقال باصبعيه هكذا مثنى مثنى والوتر ركعة من آخر الليل" لعل فى هذا الحديث مايدل على تأخر تأكيد سنيتها على البدو كما فى حديث ابن مسعود: "ليس لك" ابو داود ٢/١٣١، ١٣٢، النسائى ٣/٢٣٣، وقد أورده مسلم ٦/٣٠-٣٣ بلفظ أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن صلاة الليل، وقد رواه فى أكثر من حاله.

(٢) الامام أحمد : المسند ١/٣١١.

(٣) الامام أحمد : المسند ٢/٥٢٢.

ويتأكد اهتمام الاسلام بالمحافظة على هذا الطابع بوجهه الخيّر بنظرته الى أن البداوة جزء مكمل لحياة الحاضرة متى ما انقادت نفوس البدو الى هذا الدين، وفي هذا المجال فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم من تسمية البدو بالأعراب لما فيه من الايحاء بالغلظة والجفاء والجهل التي تنتفي بالاهتداء بهدى الله اضافة الى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه طعام البدو من لبن وأقط باعتبارهما من أهم أطعمة البدو والتي لا تستغني عنها الحاضرة، وفي هذا مافيه من التكامل الاجتماعي بين البدو والحضر.

ولعل في قصة سلمة بن الأكوع التي مر ذكرها مايدل على رغبة الاسلام ببقاء هذا الطابع البدوي بوجهه الخير، ذلك أن سلمة كأنه قد صار في نفسه شيء بسبب محبته للبادية وخوفه من كره رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك رغم اذنه له في التبدوي، فما كان منه صلى الله عليه وسلم الا أن أزال هذا الخوف من نفس سلمة بقوله : ابدو يا أسلم - الى أن قال : أنتم أهل بدونا ونحن أهل حضركم.(١)

ومما لا شك فيه أنه رغم أن هذا التطمين موجه الى سلمة فانه يتجاوزه ليشمل كل بدوي يحرص على ابراز عناصر الخير في نفسه، ولا أدل على ذلك من تكرر مثل هذه الحالة وتكرر تطمين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابها بلفظه " أنتم أهل بدونا ونحن أهل حضركم"، وفي قصة البدوية " أم سنبلة" مايزيد المسألة ايضاحا فتروي عائشة رضي الله عنها قالت : أهدت أم سنبلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا فلم تجده، فقالت لها : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى أن يأكل طعام الأعراب(٢)، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال : ماهذا معك يا أم سنبلة قالت : لبنا أهديت لك يا رسول الله

---

(١) الامام أحمد : المصدر السابق ٤/ ٥٥.

(٢) كان طعام الاعراب وخاصة الذبائح محرمة على المسلمين لأنها مما لم يذكر اسم الله عليها ثم ورد قصر ذلك على الذبائح ووضح هذا الحديث متى يكون محرما ومتى يكون غير محرم. ابن قاسم : الدرر ٦/ ٤٧٢

قال : اسكبى أم سنبلة فسكبت فقال : ناولى أبا بكر ففعلت، فقال اسكبى أم سنبلة فسكبت فناولت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب قالت عائشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب من لبن وأبردها على الكبد : يارسول الله انك كنت نهيت عن طعام الأعراب فقال ياعائشة : انهم ليسوا بالأعراب هم أهل بادیتنا ونحن أهل حاضرتهم، واذا دعوا أجابوا فليسوا بالأعراب (١).

والاسلام وهو يثنى على ابن البادية المحافظ على طابع البداوة واظهار وجهها الحسن، انما يهدف من وراء ذلك الى اذابة النظرة الاجتماعية السيئة بين البدو والحضر رغم حرصه على أن يحافظ كل منهما على أسلوب حياته مكملا للآخر والرسول صلى الله عليه وسلم فيما مر من الأحاديث وفى قصة مصادقته للبدوى زاهر (٢) انما يضع الأسس لأسلوب التعامل الاجتماعى بين البدو والحضر فى تجنب مايثير النفوس، وفيما يرفع الكلفة بين الفريقين.

---

(١) الامام أحمد المصدر السابق ٦/١٣٣

(٢) روى الامام أحمد ٣/١٦١ بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهرا كان يهدى للنبى صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية فيجهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يخرج فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ان زاهرا بادیتنا ونحن حاضروه، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحبه، وكان رجلا دميما فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم يوما وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال الرجل أرسلنى من هذا ؟ فالتفت فعرف النبى صلى الله عليه وسلم فجعل لا يألوا ماألصق ظهره بصدر النبى صلى الله عليه وسلم حين عرفه وجعل النبى يقول من يشترى العبد، فقال يارسول اذا والله تجدنى كاسدا، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لكن عند الله لست بكاسد أو قال لكن عند الله أنت غال :
كما روى فى ٢/٥١١، ٥١٢ قصة البدوى الذى تندر على المهاجرين والانصار فى كونهم حضر وأهل زراعة فضحك الرسول صلى الله عليه وسلم من تندره هذا ولم ينكر عليه.

وكنتيجة طبيعية لهذه النظرة الاسلامية نحو البدو وأن تفهم قسم كبير من أبناء البادية رسالة الاسلام وآمنوا بها ، وأصبحوا أداة مهمة من أدوات نشرها ، وبلغوا بالقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم درجة أهلتهم أن يرووا الحديث عنه صلى الله عليه وسلم فيروى الامام أحمد بسنده أن رجلا من أهل البادية قال : أخذ بيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يعلمنى مما علمه الله تبارك وتعالى فكان مما حفظته عنه أن قال : انك لن تدع شيئا اتقاء الله تبارك وتعالى الا آتاك - وفى رواية - أعطاك الله خيرا منه.(١)

كما يروى بسنده عن زيد بن عبد الله بن الشخير قال : كنا بالربد(٢) جلوسا فأتى علينا رجل من أهل البادية لما رأيناه قلنا هذا كان رجل ليس من أهل البلد قال أجل ، فاذا معه كتاب فى قطعة أديم قال : وربما قال فى قطعة جراب فقال : هذا كتاب كتبه لى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر الحديث بتمامه.(٣)

واذا كان قسم من البدو يروى الحديث كنتيجة مباشرة لايمانه ، فان بعضهم يروى الحديث أثناء أسره أو أسر أحد أفراد أسرته أو قبيلته . هذا الأسر الذى يؤدى غالبا الى الايمان فيروى الامام أحمد بسنده أيضا عن عبد الله بن سوادة القشيرى قال حدثنى رجل من أهل البادية عن أبيه - وكان أبوه أسيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سمعت محمدا صلى الله عليه وسلم يقول :لا تقبل صلاة

---

(١) المصدر السابق ٥ / ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) كذا فى المسند ولعلها الربذة التى كانت من بوادى المدينة ومن يذهب اليها ينظرون اليه على أنه ذهب الى البادية.

(٣) المصدر السابق ٥ / ٧٨ ، وتمام الحديث " فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنى زهير ابن أقيش وهم حى من عكل انكم ان اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وفارقتم المشركين واعطيتم الخمس من المغنم ثم سهم النبى صلى الله عليه وسلم والصفى وربما قال وصفيه فأنتم آمنون بأمان الله تبارك وتعالى وامان رسوله.

لا يقرأ فيها بأم الكتاب[١]، وهذا الحديث يدل على حضور بديهة ابن البادية في متابعة مايحدث به الرسول صلى الله عليه وسلم وروايته بعد ذلك، كما يدل على حسن استغلال الاسلام لوضع الأسير في تعليمه أصول الدين ومبادئه وفي هذا رفع لمكانته، واستغلال لطاقته في التحديث ونشر الاسلام بعد ذلك.

ولقد وعى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أهمية الدور الكبير الذى يمكن أن يقوم به أبناء البادية في نشر الاسلام وحفظ لغة القرآن اذا ما أحسن استغلالهم لهذا المجال انطلاقا من نظرة الاسلام نحو البدو في الموائمة بين عناصر الخير والشر في التركيب النفسي البدوى كأى نفس بشرية هذه النظرة التى لا شك أنها تغلب الجانب الخيّر وتسعى الى اثارته في النفس البشرية، ومن هنا فان عمر بن الخطاب كان يعتبر البدو أصل العرب ومادة الاسلام، وكان كثيرا مايردد هذه الفكرة في حياته[٢] يقينا منه بأهمية الأصالة البدوية في المحافظة على اللغة والعادات والتقاليد الأصيلة لدى العرب والتى جاء الاسلام باقرارها وهو في هذا ينطلق من نظرة مدركة للأصل الاجتماعي للعرب والذى يعود الى البداوة اذ أن العرب كانوا أصلا أمة بدوية تحضر بعض فروع قبائلها أو قبائل منها وبقى الأصل ببداوته محافظا على موروثاتها الاجتماعية[٣]، وكان عمر بن الخطاب يعتبر المحافظة على البدو أساسا من أساسات الحكم يحث عليه في مجالسه، ويأمر عماله بالالتزام به، لان البدو بما أنهم أصل العرب فانهم مادة الاسلام التى يتحرك بها وينتشر عن طريقها، ومتابعة لتاريخ انتشار الاسلام تؤكد صدق فكرة عمر

---

(١) المصدر السابق ٥ / ٧٨

(٢) ابن جرير الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ٥ / ٣٣، وقد روى أن عمر بن الخطاب كان يقول : اربع من امر الاسلام لست مضيعهن ولا تاركهن بشئ ابدا وذكر القوة في مال الله، والمحافظة على المهاجرين، ثم الانصار، ثم الاعراب.

(٣) ابن خلدون : المقدمة ١٠٣ وقد عقد فيها فصلا بعنوان : " فصل في أن البدو اقدم من الحضر وسابق عليه، وان البادية اصل العمران والامصار مدد لها"

رضى الله عنه اذ أن انتشار الاسلام فى مراحله الأولى كان عن طريق العرب الذين يرجعون فى أصولهم الى البادية.

وقد بلغ من حرص عمر بن الخطاب على هذه الفكرة الأساسية تأكيده على استمرار الايمان بأهميتها والعمل بمقتضى ماتحمله من حفظ لأصل العرب ولغتهم وتأكيدا للدور الكبير فى نشر الاسلام والجهاد فى سبيله، وهو فى هذا المجال يؤكد على استمرار العمل بها ليس فى عهد خلافته فحسب بل يوصى بها الخليفة الذى يتولى العهد من بعده - وقد جعل الأمر شورى بعده - وهو من هذه الناحية يؤكد على أهمية تضمين هذا المبدأ فى أى حكم اسلامى يأتى بعده الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولما كانت سنة الخلفاء الراشدين مماثلة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجوب العمل بها فان المحافظة على العرب عموما والبدو بشكل خاص تعتبر اساسا من أساسات الحكم فى الاسلام.

ولعل فى تخصيص هذه المحافظة فى وصية عمر عند وفاته التى رواها البخارى فى صحيحه مايعطى المحافظة على البدو والعناية بهم وضعا خاصا ضمن المحافظة والعناية بالمسلمين عموما فقد قال فى وصيته بعد ما أوصى بالمهاجرين والأنصار، وأهل الأمصار خيرا : " وأوصيه بالأعراب خيرا فانهم أصل العرب ومادة الاسلام "(١)، ومن المؤكد أن المحافظة والعناية بالبدو وباعتبار هاتين الميزتين قد استمر العمل به فى بقية عهد الخلافة الراشدة ليتركز الاهتمام بالبادية بعد ذلك باعتبارها مقوما للألسن من اللحن وأسلوبا لحفظ العادات الموروثة التى كان يهددها الاحتكاك بأهل البلدان المفتوحة ومن هنا فقد أطلق على البادية " مدرسة الأمراء " حيث كان أغلب أمراء بنى أمية يقضون كثيرا من فترة صغرهم فى البادية حتى يعايشوا ما أثر عن العرب من ضروب الكرم والجود اضافة الى الدور الكبير فى تعلم اللغة العربية من أفواه الناطقين بها نطقا صحيحا(٢) ،

---

(١) فتح البارى ١٤/ ٢١٢ فى باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان رضى الله عنه، وفيه مقتل عمر رضى الله عنه.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ٣/ ٢٦٨، ٢٦٩ مادة (بادية).

هذا التعلم الذى لا يتم الا بالمعايشة والاختلاط بالمجتمع البدوى ، ولا شك أن الخلافة الأموية بتنفيذها لفكرة عمر بن الخطاب قد سبقت بايجاد الفكرة القائلة بأن تعلم أى لغة لا يمكن أن يتم بأسلوب صحيح الا عن طريق الاحتكاك بأهلها والعيش داخل مجتمعاتهم .

وبعد : فيتبين لنا مما سبق انقسام نظرة الاسلام نحو البدو الى قسمين باعتبار وجود عناصر الشر فى ابن البادية ، وتوافر عناصر الخير ، وهو فى هذا يوائم فى نظرته بين هذين الجانبين محاولا أن يغلب الجانب الخير فى حياة ابن البادية باعتباره أصل العرب ، وحتى يكون مادة من مواد نشر الاسلام كما كان من قبل ، والتفريق بين هاذين الجانبين وتغليب الخير منهما أمر ضرورى فى كل محاولة للاصلاح والحكم على هذه الفئة الاجتماعية المهمة حتى لا يتغلب جانب الشر لدى هذه الفئة ، وحتى لا تكون فتنة فى الأرض وفساد كبير .

الفصل الأول

ملامح الوضع القبلي لبادية نجد حتى قيام الدعوة السلفية :

لقد مر بنا عند الكلام عن أبرز الملامح التاريخيـــة في نجد قبل الدعوة أن بني تميم وباهلة ونمير كانت قبائل تشكل بادية اليمامة قبيل الاســـلام الا أن الواقع أن هناك قبائل بدوية أخرى كانت تقطن منطقة نجد الحالية في هذه الفترة فبالاضافة الى هذه القبائل الثلاث والتي يرجع اليها كثير من القبائل النجديــة ، فقد ذكر المؤرخون والجغرافيون أن بني كعب بن ربيعة بـــن عامر بن صعصعة كانوا يقطنون الفلج "الافلاج حاليا" وما أحاط بها مـــن البادية(١) ،وهم أبناء عم لبني نمير بن عامر ، كما أن بني هلال وبني ســوأة ابن عامر من قبائل نجد البدوية قبل الاسلام ، ويمكن القول ان بني عامر بـــن صعصعة بأفخاذهم الأربعة : نمير ، وربيعة ، وهلال ،وسوأة من أبرز باديــة نجد في تلك الفترة اذ كانت منازلهم في نجد من الأفلاج حتى الطائف حيث

---

(١) البكري : معجم ما استعجم ١/ ٩٠ ، د: عبدالله الشبـــل : تاريخ نجد ٢٧ ، ٢٨ .

كانوا يصيفون بالطائف ويشتون ويربعون فى نجد (١).

وقد تعرضت بنو عامر - وعرضت نفسها - لوقعات متعددة فصلتها أيام العرب قبل الاسلام بينها وأحلافها من جهة وبين تميم وأحلافها أحيانا أو بين عدد من القبائل الأخرى حاضرة وبادية من جهة أخرى ، ولا شك أن هذه الوقعات قد أثرت على وضع بنى عامر القبلى فى نجد اذ بدأت قوة بنى تميم بن مر فى الظهور والكثرة لتصبح أقوى قبيلة بدوية فى اليمامة قبيل الاسلام ، فقد امتدت منازلها من شمال شرقى منازل بنى عامر الى بلاد البحرين (منطقة الخليج العربى حاليا) لتشمل جل بلاد نجد حتى قرب الفرات متداخلة هذه المنازل مع منازل بنى حنيفة ، وعبدالقيس ، وبكر وتغلب اضافة الى تداخلها مع منازل بقية قبائل نجد (٢).

ويتميز تاريخ بنى تميم فى هذه الفترة بكونهم بدوا خلصا اذ لم تكن لهم حواضر أو مدن ، كما يتميزون ببروز الناحية العسكرية البدوية لديهم اذ كثرت وقعاتهم الحربية سواء كان ذلك داخل نجد ومع قبائلها البدوية أو الحضرية

---

(١) ابن حزم : جمهرة ٢٧٢-٢٧٥ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، وقد فصل فيها الكلام عن نسب بنى عامر بن صعصعة ، البكرى : ٧٧/١ ، ٧٨ وذكر فيها مغارسة ومزارعة ثقيف لبنى عامر على نصف مزارع الطائف بعد ما تغلبوا عليها وطردوا بنى عدوان أصهارهم فكان بنو عامر يأتون فى الصيف لأخذ نصفهم ثم يعودون الى نجد حتى قويت شركة ثقيف فطوفوا بالمزارع حائطا وامتنعوا به عن بنى عامر حتى أصبحوا هم أهل الطائف ، (ابن خلدون : العبر ١١/٦ ، عمر كحالة : معجم قبائل العرب (ط (٢) دار العلم للملايين - بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ٧٠٨/٢ ، ٧٠٩)

(٢) على سبيل المثال لهذه الأيام والوقعات انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ٦/ ٦ - ١١ ، البكرى : ٣٦٥/٢ ، ٣٦٦ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ياقوت : ١٠٤/٢ ، ٣٦/٣ ، ٢٧٢/٤ ، ٢٨٦/٥ ، ٢٨٧ ، الزبيدى : التاج ٣٥٦/٤ ، ٣٥٧ ، العبودى : بلاد القصيم ٣٦١/١ ، ٣٦٢ ، ٧٠٣/٢ - ٧٠٨ : عمر كحالة ٧٠٦/٢ .

أو خارجها مع الكيانات السياسية والقبلية المجاورة ، ولاشك أن هذا أكسبهم شدة بأس وقوة مراس تميزوا به عن أغلب القبائل النجدية آنذاك واستطاعوا أن يتغلبوا به على أكبر القبائل النجدية بادية وهي بني عامر بن صعصعه ، اضافة الى تحديهم لسلطة الساسانيين التي حاولوا بسطها على أجزاء من شبه الجزيرة العربية ، هذا التحدي الذي تمثل في سلب القوافل الفارسية المتجهة الى اليمن ومنها (١) .

ونظرا لاتساع منازل بني تميم في فترة متقدمة لمجيء الاسلام ، فقد زامن ذلك كثرة في بطونها وأفخاذها كثرة جعلت كل فخذ أو بطن يشكل قبيلة لوحدها لا يربطه بالقبيلة الأم أي رابط (٢) ، وقد أورد ابن حزم في جمهرته عددا كبيرا من بطون تميم ، وعددا كبيرا من بطون بني أبناء تميم يلاحظ الباحث من خلالها أن الكثرة الكاثرة من البطون الأخيرة تتركز في بني زيد مناة ابن تميم على اختلاف في كثرة بطون بني زيد هؤلاء حيث تتركز هذه الكثرة في بني مالك بن زيد مناة بن تميم يليها في كثرة البطون بنو سعد بن زيد مناة ابن تميم (٣) ، ولا شك أن قدم هذا العدد الكثير من بطون بني تميم يدل على سرعة في تكاثر هذه القبيلة مما لم يكن متوفرا في أي من القبائل النجدية بل العربية عموما ، وقد صور أحد الشعراء الجاهليين كثرة بطون بني تميم في قوله بعد هزيمة بني تميم في يوم رحرحان الثاني :

وأسلمنا قبائل من تميم : لها عدد اذا حسبوا كثير (٤)

---

(١) على سبيل المثال لتحدي بني تميم لسلطة الساسانيين انظر ابن عبد ربه ٦/ ٦٨-٧١ ، وانظر كحالة ١/١٢٧، ١٢٨ ، دائرة المعارف الاسلامية ٥/٤٧٤- ٤٧٦.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : ٥/٤٧٤، ٤٧٥.

(٣) ابن حزم : جمهرة ٤٦٦، ٤٦٧.

(٤) قال البكري : رحرحان جبل غرب الربذة ، وقال ياقوت جبل قريب من عكاظ خلف عرفات ورجح البلادي في معجم معالم الحجاز أن يكون المقصود بيوم رحرحان هو ما قصده البكري على أن هناك أكثر من رحرحان غير هذا ،

=

وقد كانت كثرة شعراء وحكماء بني تميم في الجاهلية (١) مع كثرة بطونها بالاضافة الى ما سبق ذكره من بروز الناحية العسكرية لديهم كل هذه عوامل جعلت المعرفة ببني تميم أكثر من غيرهم من قبائل العرب في فترة متقدمة من تاريخ العرب قبل الاسلام اذ قلما تذكر ناحية من نواحي هذا التاريخ الا وتجد لبني تميم طرفا فيها (٢) .

أما قبيلة بني باهلة فهم بنو مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان وقد نسبوا الى أمهم باهلة - ويبدو أنها كانت أقوى ذكرا من زوجها مالك وهذا يبين لنا جانبا من وضع المرأة في المجتمع العربي وتزوجها ابنه معن بعده فنسب اليها أولادهما منها كما نسب الى باهلة أبناء مالك وابنه معن من غيرها لأن باهلة حضنتهم ، وقد توسعت قبيلة بني باهلة وكثرت أفخاذها وبطونها قبل الاسلام وان لم تكن بالكثرة التي كانت عليها تميم أو

= وقائل البيت لقيط بن زرارة ، عن اليوم والموقع ابن عبد ربه : العقد ٦/٦ - ٨ ، البكرى : ٦٣٣/٢ ، ٦٣٤ ، ياقوت : ٣٦/٣ ، عاتق البلادى : معجم معالم الحجاز ٢١/٤ ، ٢٢ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ولهذا فان المثل النجدى " من ضيع أصله قال أنا تميمى " قديم فى مفهومه وان كان حديثا فى لفظه حيث ورد مايشبهه من الأمثلة القديمة (ككاثر بتميم) ، وهو يعنى أن أى انسان) يضيع نسبه يمكن أن يلتحق بتميم لكثرة أفخاذها وبطونها مما يتعذر معه التحقق من صدق المدعى بذلك أم لا بخلاف القبائل الصغيرة الحجم وان كانت القاعدة النسبية أن الناس مؤتمنون على أنسابهم . (العبودى : الأمثال ٤/ ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ مثل رقم ٢٣٨٤) .

(١) لعل أبرز هؤلاء أكثم بن صيفى (ت ٩هـ/ ٦٣٠م) انظر ترجمته فى الاصابة ١/ ١١٠-١١٢ ، ولم يدخله ابن عبد البر فى استيعابه فى الصحابة ١/ ١٢٨ - ١٣٤ ، الزركلى : الأعلام ١/ ٣٤٤ ، وكأمثلة على حكم أكثم . انظر : أحمد بن محمد الميدانى : مجمع الأمثال تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . ط : مطبعة السنة المحمدية . القاهرة : نشر وتوزيع دار الباز . مكة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م ١٨٢/٢ ، ١٨٣) .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : ٤٧٥/٥ .

غيرها من القبائل الكبيرة الا أن هذه الكثرة يمكن أن توصف معها باهلة بأنها قبيلة عظيمة قبل الاسلام (١) .

وكانت مراعي بني باهلة في جنوب غربي اليمامة وتقول عدة موارد مياه في هذا الموقع ذكرها الجغرافيون المسلمون وهي متداخلة مع مرابع بني عامر بن صعصعة الى الشمال الغربي والشرقي منها ويشير بعض الباحثين الى أنهم ظلوا في هذا الموقع الى القرنين الرابع والخامس الميلاديين ثم بدأت جماعات منهم في الاتجاه نحو الشمال الشرقي لشبه الجزيرة حيث قطنوا حول ماء الحفير - بالتصغير - قرب البصرة حيث موقعه على طريق الحجاج وهو على جانب كبير من الأهمية حيث يضمن لهم موردا اقتصاديا مهما سواء عن طريق سلب الحجاج القادمين أو الاستفادة منهم بطريقة أو بأخرى حينما يمرون بهذا الماء (٢) .

---

(١) ابن حزم : جمهرة ٢٤٤-٢٤٧، ٤٦٨ ، أبو سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني التميمي : الأنساب - تحقيق عبدالرحمن المعلمي اليماني ، ط (٢) نشر محمد أمين دمج بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ٦٧/٢ وقد وهم حينما ذكر أن باهلة هي بنت أعصر التي تواتر لدى النسابة أنها باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة ، الزبيدي : التاج ٤٠٦/٣، ٢٣٨/٧ مادة عصر ، وبهل ، كحالة ٦٠/١ ، الزركلي : الاعلام ٨٠٧/٢ ، حمد الجاسر : معجم الأسر المتحضرة في نجد ٣٤/١ ، وكان من عادة عرب الجاهلية الأولى أن كبير الأبناء يتزوج زوجة أبيه بعد وفاته اذا لم تكن أما له وهو ما أشارت اليه الآية الكريمة : " ولاتنكحوا ما نكح أباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا " النساء آية ٢٢ .

(٢) البكري : ١١٨/١، ٢٢٢، ٢٢٦، ٧٩٢/٣، ٧٢٠، ١٠٨٥، ١٢٩٢/٤، ١٢٩١ ، ياقوت : ٣٥٨/١، ٢٧٧/٢ وذكر فيها الحفير من مياه باهلة ، ٣٦١/٣، ١٦٨/٤ وذكر فيها عوسجة من معادن الفضة في بلاد باهلة ، ٤٣٣/٥ ، كحالة : ٦٠/١ ، الزركلي : ٨٠٧/٢ ، دائرة المعارف الاسلامية ٣١٩/٣، ٣٢٠ ، العبودي : القصيم ١٢٦/١ .

ولم أستطع العثور فيما بين يدى من المصادر على أسباب واقعية وحقيقية لما أشتهر عن العرب ـ وخاصة فى جاهليتهم ـ من النظرة السيئة تجاه هذه القبيلة على أنها سيئة السمعة، وأن النسبة اليها تعتبر من ألفاظ الهجاء ، ومن استنكافهم النسبة اليها على اعتبار أنها حطة عندهم ، وكأن هذه القبيلة فى زعمهم ليست من الأشراف هذا الاستنكاف الذى امتد الى بعض الباهليين أنفسهم فيما بعد فنفوا نسبتهم اليها (١).

وقد قال بعض الباحثين والنسابة ذلك بوجود نوع من اللؤم ونقص المروءة والبخل لدى بعض أفرادها (٢)، الا أن أحد النسابة عندما سئل عن سبب ضعة باهلة وغنى عند العرب قال: "لقد كان بينهما غناء وشرف ، ولم يضعهما الا إشراف أخويهما عليهما بالمآثر فدنؤوا بالاضافة اليهما" (٣)، ومعنى هذا أن اثنين من أخوة مالك بن أعصر وعمرو بن أعصر الثلاثة وهم ثعلبة وعامر ومعاوية أبناء أعصر المنسوبون أيضا الى أمهم الطفاوة بنت جرم قد شرفا بالمآثر على أخويهما مالك وابنائه (باهلة) وعمروا وأبنائه (غنى) فألصقا بهما صفة اللؤم والبخل ونقص المروءة فأخملا ذكر أخويهما فخمل بالتالى ذكر القبيلتين التى

---

(١) لقد حفل الأدب العربى شعرا ونثرا بأبيات وأقوال تحمل ذما لهذه القبيلة يستنكف الباحث من ايرادها هنا لأن مجالها هو موضوع العلاقات الاجتماعية السائدة بين القبائل العربية قبل الاسلام، ولكن للرجوع لهذه الأبيات والأقوال: ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣٦/٤، ١١٧، ابن حزم : جمهرة ٢٤٥، ٢٤٦، السمعانى : الأنساب ٦٧/٢، الزركلى : الاعلام ٨٠٧/٢، دائرة المعارف الاسلامية ٢٠/٣م.

(٢) ابن عبد ربه : ٣٦/٤، السمعانى : ٦٧/٢، الزركلى : ٨٠٧/٢.

(٣) الحسين بن على بن الوزير المغربى : أدب الخواص : أعده للنشر : حمد الجاسر . المطابع الأهلية للأوفست ـ نشر النادى الأدبى . الرياض باشراف دار اليمامة . الرياض ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، والقائل هو حسين بن بكر الكلابى النسابة .

ترجعان اليهما ، وهذا تعليل مقبول الى حد ما اذا علم مايحصل من كيد وحسد بين الأشقاء فكيف بأبناء الضرائر .

والذى يبدو لى أن مما زاد من سعة هذه النظرة السيئة بين العرب عدم مجاراة باهلة لعامة العرب فى بعض عاداتها سواء الحسنة منها أو السيئة مما أضفى عليها استقلالا فى وضعها القبلى جعل عامة العرب ينفرون منها ، اذ لم يذكر النسابة ما يطعن فى نسب أو شرف هذه القبيلة بل انها تعد من أصرح القبائل العربية نسبا رغم تحضرها بعد الاسلام . (١)

وعدا هذه القبائل فقد قطن بادية نجد عدد آخر من القبائل من أبرزها طئ وهو اسم لجلهمة بن أدد من قحطان والذى ترجع اليه قبيلة طئ التى كانت مناطقها فى اليمن ثم خرجت منه متجهة شمالا الى أن وصلت جبلى أجا وسلمى فجاورت وحالفت بنى أسد التى كانت تقطن هذه المنطقة ثم أزاحت طئ أسدا عن بعض مرابعها وورثت عن بنى تميم منازلها فى شمال شرقى الجزيرة العربية ، وأجلت غطفان عن بعض منازلها فى منطقة ما بين المدينة والشام من الشرق حيث قطنت جزءا من مرابع الحجاز والشام ثم ما لبثت أن أصبحت من كبار القبائل العربية ليس فى نجد وحدها بل فى كافة مناطق شبه الجزيرة العربية وذلك فى الفترة التى سبقت البعثة النبوية ، وقد أهلها ذلك لأن تدل على من دونها من القبائل فى قوتها مما أتاح لها توسيع مجالها الرعوى بين فترة وأخرى خارج منطقة شبه الجزيرة العربية اذ يبدو أنها خرجت وراء الرعى عن شبه الجزيرة فى وقت متقدم من تاريخها وقد خاضت فى سبيل ذلك غمار

---

(١) حمد الجاسر : جمهرة أنساب الأسر المتحضرة فى نجد ١/٣٤ .

عدد من الغزوات ضد عدد من القبائل النجدية وغيرها مما ليس مجال تفصيله هنا حتى استطاعت أن تضم الى مجالها الرعوى والسكنى عددا لا بأس به من أحسن مواطن الرعى والسكن فى شبه الجزيرة وخارجها اضافة الى معرفتها بعدد وافر من موارد المياه والجبال التى عدها الجغرافيون المسلمون خاصة بها وتفصيل هؤلاء الجغرافيين القول فى ذكر مواطن الرعى والمنازل وموارد المياه والبلدان والجبال التى تعود لها يؤكد سعة المجال الرعوى والسكنى لهذه القبيلة العظيمة قبل الأسلام (١) .

ومن قبائل بادية نجد قبل الأسلام بنو أسد بن خزيمة بن مدركة بن مضر بن نزار بن عدنان وهى قبيلة قدمت الى نجد من الحجاز - موطن القبائل العدنانية - وتعتبر من أقدم القبائل النجدية فهى أقدم من طىء وكانت قبل غلبة طىء على كثير من منازلها تقطن فى منطقة الجبلين وشمال شرقى نجد بوجه عام بل تمتد من شرقى المدينة الى الفرات الأسفل شاملة لمنطقة القصيم الا أنها لم تكن صاحبة السلطان المطلق فى هذا الاقليم المتسع بل تعيش على شكل جماعات متفرقة تتداخل مراعيها مع مراعى القبائل الأخرى المجاورة لها (٢) .

---

(١) عن نسب طىء وأخبارها : ابن حزم: جمهرة ٣٩٧-٤٠٤ ، كحالة ٢/ ٦٨٩ الزركلى ٣/ ٣٣٧ ، وعن أيامها ومواطن رعيها وسكناها : ابن عبد ربه ٦/ ٨٥ ، البكرى ١/ ٩٠ ، ٩٧ ، ١٠٩ ، ١٢٥ ، ١٣٤ ، ١٤١ ، ١٦٣ ، ٢٠٣ ، ٢/ ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤١٥ ، ٤٥٢ ، ٤٥٧ ، ٤٧٠ ، ٥٠٣ ، ٣/ ٧٥٠ ، ٧٨٢ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩١ ، ٤/ ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١٥٠ وذلك على سبيل المثال .

(٢) ابن حزم : ١٩٠ - ١٩٦ ، ابن عبد ربه ٦/ ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٢ ، البكرى ١/ ٦٠ ، ٦٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٢ وقد اطنب البكرى فى تعداد منازل وموارد بنى أسد فى أجزاء الكتاب الأربعة تطلب فى فطانها ، ياقوت ١/ ٨٩ ، ١١٦ ، ١٥٤ ، وقد اطنب هو الآخر فى تعداد هذه المواطن كحالة ١/ ٢١ ، ٢٢ ، الزركلى ١/ ٢٩٠ ، دائرة المعارف الاسلامية ٢/ ١٠٠ ، ١٠١ .

وتعد قبيلة أسد من القبائل ذات التاريخ الحربي الحافل فقد سجل المؤرخون لأيام العرب عددا من الغزوات مع عدد من القبائل النجدية وغيرها سواء القوية منها أو الضعيفة ، وسواء كان ذلك بمفردها أو بتحالفها مع قبائل أخرى ، وكان أبرز حروبها مع قبيلة طئ التي أجلتها عن جزء من أراضيها وقبل ذلك كانتا تتحالفان مع بعضهما ضد بعض القبائل ، الا أن ابرز منازعاتهم مع ملكهم حجر بن الحارث الكندي أقوى ملك نجدي في عهده والذي كان يضم بالاضافة الى بني أسد بني غطفان هذه المنازعات التي انتهت بقتل حجر ليهيم ابنه امرؤ القيس على وجهه في سبيل تحقيق الثأر لابيه لكنه لم يستطع اخضاع بني أسد لسلطة كنده ، ويبدو أن منازل بني أسد بدأت تتقلص شيئا فشيئا حتى انحصرت قبيل الاسلام في منطقة القصيم بفعل عدد من العوامل أبرزها تلك الغزوات وخاصة من قبيلة طئ ، اضافة الى نزاعها مع ملوك بني كنده الذي كان من نتائج بعض مراحله نفي بعضهم الى منطقة تهامة بعد هزيمتهم (١) .

وتتداخل منازل قبيلة غطفان بن سعد بن قيس عيلان من مضر مع منازل قبيلة بني أسد اذ تقع الى الشمال والشمال الغربي ، والغرب منها ، وتتقاسم

---

(١) العبودي : بلاد القصيم ١/١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٢ وقد أورد قسما كبيرا من مواطن بني أسد في القصيم، دائرة المعارف الاسلامية ٢/١٠١ ، ١٠٢ ، كحالة ١/٢٢ .

الأفخاذ الكبيرة من هذه القبيلة هذه المنازل اذ تقرب قبيلة بني عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان من منازل بني أسد ، وتتداخل معها تداخلا ملحوظا (١) ، وتعتبر قبيلة بني عبس مع بني أسد أكثر القبائل النجدية تركزا في منطقة القصيم قبل الاسلام (٢) ، وتليها قبيلة ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان حيث تقطن في شرقي المدينة ما بين الحجاز وجبلي أجا وسلمى متداخلة في ذلك مع منازل طيء ، وكلب ، وتغلب ، وكانت المنافسة بين عبس وذبيان — وفزارة منهم — قبل الاسلام على أشدها اذ قامت بينهما حروب كثيرة أبرزها حرب داحس والغبراء — وأخبارها معروفة — اضافة الى حروب أخرى مع بعض القبائل الأخرى فصل الكلام فيها المؤرخون لأيام العرب قبل الاسلام (٣) .

أما قبيلة بني عبد الله بن غطفان فكانت منازلها تتركز غربي القصيم حاليا فيما بينها وبين المدينة ، وينسبون الى عبد العزى بن غطفان ، ولما وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من انتم؟ قالوا نحن بنو عبد العزى قال بل أنتم بنو عبد الله وأصبحوا بذلك يشتركون مع عدد من

---

(١) عن غطفان وفخذها عبس : ابن حزم : ٢٤٤ ، ٢٥٠ — ٢٥٢ ، ابن خلدون ٢/٣٠٥ ، ٣٠٦ ، السمعاني ٨/٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، الزبيدي — ٤/١٨٣ ، البكري ١/٩٠ ، ٢/٤٣٦ ، ٤٨٧ ، ٥٤٥ ، وانظر فهرس عبس فيه للتفصيل في أماكنها ومواردها ٤/١٥٦٥ ، كحالة ٢/٧٣٨ ، ٧٣٩ ، العبودي : بلاد القصيم ١/١٢٨ .

(٢) اشتهرت عبس بأنها من أبرز قبائل القصيم قديما ، ان لم تكن أبرزها حتى قال الهمداني : " ومن أوطان اليمامة القصيم لعبس " (صفة جزيرة العرب ص ٣١١) ، وان لم يكن ذلك على تحديده الواسع في الوقت الحاضر .

(٣) ابن حزم ٢٥٠ — ٢٥٩ ، الهمداني ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٣٢٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ابن عبد ربه ٦/٣ ، ٤ — ١٠ ، ١٣ ، ١٤ — ٢٢ ، ٣٢ ، ٣٦ ، الميداني : مجمع الأمثال ١/٣٧٩ ، ابن خلدون ٢/٣٠٦ ، البكري ٤/١٥٤٤ ، ١٥٧٥ حيث حدد المحقق مواطن ذكر غطفان وذبيان كحالة ١/٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٣/٨٨٨ ، ٨٨٦ ، ٩١٨ — ٩٢٠ .

القبائل العربية فى اطلاق اسم " العبدليين " عليهم ، ويبدو أنهم مع بقية غطفان كان يحصل بينهم وبين قبائل المدينة كالأوس والخزرج مناوشات بحكم قرب المرابع بينها (١) .

هذه الصلة عامة عن الوضع القبلى لأغلب قبائل بادية نجد قبل الاسلام وبعد مجئ الاسلام بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بعوث دعوة سلمية الى نجد ، وكذلك سرايا عسكرية لاخضاع القبائل البدوية فى نجد لسلطان الاسلام، الا أن اسلاما جماعيا من هذه القبائل لم يحصل حتى اذا جاء عام الوفود (آخر عام ٨هـ وما بعده) ودخل الناس فى دين الله أفواجا بعد فتح مكة ووفدت القبائل العربية من مختلف أنحاء الجزيرة العربية، وفدت فى هذا العام وما بعده وفود بادية نجد واليمامة بمختلف قبائلها (٢) وآمنت بالاسلام ولما يدخل الايمان فى قلوب قسم كبير منها الا أنه أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم الثناء على قبائل من بادية نجد ، وخص بنى تميم بمدح (٣) يستطيعون أن يدلوا به على المسلمين عموما ـ ما داموا

---

(١) ابن حزم ٢٤٨ ، ٢٤٩ ؛ الزبيدى ٨/٢ ، الهمدانى ٣٦٨ ، كحالة ٧٣٢/٢ ، ٧٣٣ ، العبودى : ١٢٩/١ .

(٢) ابن حجر : فتح البارى ١٧٣/١٦ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، دائرة المعارف الاسلامية ١٠٢/٢ .

(٣) روى البخارى فى باب العتق ، والمغازى من طريقين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لا أزال ـ وفى رواية ما زلت ـ أحب بنى تميم منذ ثلاث سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولها فيهم ـ وفى رواية سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهم ـ : هم أشد أمتى على الدجال، قال: وجاءت صدقاتهم فقال : هذه صدقات قومنا أو قومى أو قوم ، وكانت سبية منهم عند عائشة فقال : أعتقيها فانها من ولد اسماعيل وفيه تقديم وتأخير فى الثنتين الأخيرتين حسب الطريقين (ابن حجر فتح البارى ٢٦٥/١٠ ، ٢٦٦ ، ٢٠٦/١٦ ، ٢٠٧) .

متمسكين بما يستحقون به هذا المدح من حدب على تعاليم الاسلام .

وبعد وفاة الرسول ـ وكما هو معروف ـ ارتدت قبائل كثيرة من عرب شبه الجزيرة وتبعها قسم كبير من بادية نجد ، وسجل المؤرخون سابقة حسنة لقبيلة طيء بثباتها على الاسلام رغم ارتداد كافة مجاوريها (١) مبرهنة في هذا على صدق اسلامها كما برهنت في الجاهلية على عمق ايمانها بمكارم أخلاق عرب الجاهلية .

وبعد القضاء على حركة الردة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وعودة هذه القبائل النجدية الى حظيرة الاسلام ـ مما هو معروف وليس هنا مجال التفصيل فيه ـ وجد قسم كبير من هذه القبائل في حركة الفتح الاسلامي ما يحقق رغبتها في القتال والغزو ، هذه الرغبة التي وجهها الاسلام نحو الهدف الخير من الجهاد فيه لنشر هذا الدين وشمول هدايته الناس أجمعين (٢) ، ونتيجة لهذا فقد اتجه أغلب أبناء قبائل بادية نجد آنذاك مع جيوش الفتوحات الاسلامية سواء على شكل قواد أو جنود ، وحسب اتجاهات هذه الجيوش انساح أبناء هذه القبائل في البلدان المفتوحة ، فقد اتجه قسم كبير من بني تميم وأسد الى منطقة شرقي العالم الاسلامي من العراق الى ما وراء النهر مظهرين في هذه الفتوح الاسلامية ما عرفوا به من شدة البأس والبلاء الحسن (٣) ثم ما لبثوا أن خالطوا أهل البلدان المفتوحة بدءا بالعراق مرورا بفارس حيث تركز قسم كبير منهم في منطقة خراسان وخاصة

---

(١) الطبري ٢٢٨/٣ ، ٢٢٩ ، كحالة ٦٩٠/٢ ، ٦٩١ .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ٤٧٧/٥ .
(٣) الطبري ١١٨/٤ ، وقد أبرز فيها دور بني تميم وأسد في القادسية كحالة ١٣٠/١ ، دائرة المعارف الأسلامية ٤٧٧/٥ .

مايقع منها فى أفغانستان الحالية حيث شارك بعض أفرادها فى الحروب الداخلية فيها بعد أن انتهت مهمة الفتح الاسلامى لها ، ويلمح الباحث تركز أخبار بنى تميم فى شرقى العالم الاسلامى فى هذه المنطقة مما يعطى بعض الانطباع بوجود بقايا أسر منهم فيها حتى الآن ترجع فى أصولها الى العرب الفاتحين وخصوصا بنى تميم حيث تتضح فيهم أغلب صفات بنى تميم فى الجاهلية والاسلام من قوة بأس وتشدد فيما يتعلق بالأخلاق والعادات وعدم الانصياع لسلطة من لا يقتنعون بصلاحية حكمة وتطبيقه للاسلام (١) وهذا ما يفسر دور بنى تميم البارز فى معارضة الخلافات الاسلامية منذ انتهاء عهد الراشدين سواء كان ذلك تحت مظلة الخوارج أو الحركات السياسية الأخرى (٢) .

وقد اختفت النظرة السيئة من عامة العرب نحو باهلة بعد انتشار الاسلام وبعد أن أبلى قسم كبير منها بلاء حسنا فى هذا الانتشار ، وخصوصا بعد أن برز منهم الأمير الفاتح قتيبة بن مسلم الباهلى فاتح

---

(١) الطبرى ٩١/٧ ، ١٣٩ ، ١٤٥/٨ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ابن خلدون ٣١٥/٢ ، ٣١٦ ، السمعانى : الأنساب ١٠/١ ، ١١ - ١٥ ، ٢٧ من مقدمة المحقق الأول عبد الرحمن المعلمى أورد فيها بطون تميم فى خراسان ومخالطتهم أهلها و ٧٨/٣ - ٨٣ ذكر فيها السمعانى عددا من علماء بنى تميم فى خراسان ، ١٣٨/٧ - ١٤٣ ذكر فيها عددا من الأسر السمعانية التميمية فى خراسان ، كحالة ١٣١/١ ، ١٣٢ ، دائرة المعارف الاسلامية ٤٧٧/٥ .

(٢) ابن خلدون ٣١٧/٢ ، ١٨ ، دائرة المعارف الاسلامية ٤٧٧/٥ ، ٤٧٢/٨ .

ما وراء النهر وأمير خراسان ، وكذلك بنوه من بعده وعدد من الباهليين الذين برزوا في مجالات الحكم والعلم والاصلاح (١) .

ووصل انتشار بعض قبائل بادية نجد مع الفتوحات الاسلامية الى أقاصى ما وصلت اليه هذه الفتوحات سواء في شرق العالم الاسلامى أو غربه بل أقصى غربه حيث وجدت بعض الأسر التى ترجع لهذه القبائل في الأندلس هذا عدا انتشارها في شمال وجنوب العالم الاسلامى آنذاك وأبرز مميزات هذا الانتشار بكافة جهاته الاختلاط مع أهل البلدان المفتوحة بأوضح صور هذا الاختلاط وهى المصاهرة (٢) .

وبدأت رويدا رويدا تندثر الأسماء الأولى للقبائل العربية ـ عدا بنى تميم ـ لتبرز أسماء أفخاذ من هذه القبائل تتسمى باسم غير اسم القبيلة الأم ليجهل هذا الاسم الا عند الرجوع الى سلسلة النسب (٣) ، اضافة الى قدوم قبائل بدوية الى نجد غير الأولى سواء كان ذلك من جهة الحجاز أو من جهة اليمن مصدرى الامداد البشرى لجزيرة العرب ، وتتبع مراحل ذلك الاندثار ليس من مهمات هذا البحث بقدر ما يشكل تتبع بعض أخبار القبائل البدوية الرئيسة في نجد في الفترة التى تقرب من عصر هذا الباب ـ القرن العاشر الهجرى ـ مادة مهمة من مواد هذا البحث .

وقد ذكر لنا المؤرخون واخبار يوالحن أخبار بعض هذه القبائل في

---

(١) ابن حزم : ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، السمعانى : ٦٧/٢ ، ٦٨ ، الزركلى ٨/٢ .

(٢) ابن حزم ١٥٤ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ، ١٩٠ - ١٩٢ ، ١٩٦ ، ٢٠٩ ، ٢٢١ ، ٣٦٠ ، ٣٩٨ ، ٤٠٤ ، ٤٣٠ ، وقد أورد فيها وفى غيرها عددا من الأسر التى ترجع الى العرب الفاتحين في البلدان المفتوحة وخاصة الأندلس .

(٣) العبودى : بلاد القصيم ١١٨/١ .

تلك الفترة ، ويلمح الباحث بروز اسم قبيلة بني لام بن عمرو (١) احد أفخاذ قبيلة طيء القحطانية والتي بدأ يبرز اسمها من بين قبائل بادية نجد منذ زمن متقدم ، وقد كان من أبرز ملامح أخبار هذه القبيلة في هذه الفترة هو تعرضها لركب الحجيج الذين يمرون بمنازلهم التي تحولوا اليها من جبلي طيء أو بالأحرى التي كانت تمتد من جبلي طيء الى المدينة مع قضاء أكثر وقتهم في المدينة ومرابع الحجاز الشمالية حتى عدهم بعض المؤرخين لتلك الفترة من بوادي الحجاز، فقد تعرضوا لحجاج سنة ٧١٣هـ/ ١٣١٣م عند عودتهم من الحج ويبدو أنهم لم ينجحوا في سلب ما ارادوا سلبه (٢) .

---

(١) هذه القبيلة كانت فخذا من قبيلة طيء ينتسب الى لأم بن عمرو بن طريف - غير لأم بن عمرو بن عتاب الطائي أيضا - وقد تكاثرت هذه القبيلة قبل الاسلام حتى ذكر لبعض أفرادها صحبة - على خلاف في ذلك - وكان لهذه القبيلة دور في صد التتر ، وكانت منازلهم مع بقية طيء في سهول الجبلين ولهم سهل معروف بهم (غوطة بني لام) وعبر مراحل التاريخ تفرق هؤلاء في البلدان وتركز بعضهم في العراق بالاسم نفسه ، وتنقسم هذه القبيلة الى ثلاثة أفخاذ كبيرة هي : ١ - آل مغيرة ، ٢ - آل فضل ، ٣ - وآل كثير . وترجع كثير من الأسر النجدية الى هذه الأفخاذ . وقد جرى نقاش طويل عريض حول هذه القبيلة وخاصة مغيرة كان من أبرز فرسانه الشيخ حمد الجاسر وابن خميس وكان مجال هذا النقاش صحيفة الجزيرة . للتفصيل عن هذه القبيلة وأفخاذها : (ابن حزم : ٣٣٩، ٤٠٠، ابن حجر : الاصابة ١/ ٨١، ٨٢، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ابن خلدون : ٢/ ٢٥٤، ٦/ ٧ ، المغيري : الكتاب المنتخب من ص ٩١ - ١٠٩ وفيه تفصيل كامل لمن أراد البحث في هذه القبيلة ، ابن بليهد : صحيح الأخبار ٢/ ١٢٧، ١٢٨، الحقيل : كنز الأنساب ١٥٠-١٥٣، حمد الجاسر : جمهرة الأسر المتحضرة ٢/ ٧٣٧- ٧٣٩ ، ٧٤٥-٧٥١، ٨٤٧-٨٥٢ ، عبدالله البسام : علماء نجد ٢/ ٤٣٨، ٤٤٠ ، عبدالله بن خميس المجاز : ١٠٩، ١١٠ ، عمر كحالة : معجم قبائل العرب ٣/ ١٠٠٧ ، الزركلي : الاعلام ٦/ ١٠١ ، لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ٥٠ ، صحيفة الجزيرة : الأعداد الصادرة في ٢٠/ الحجة/ ١٤٠١هـ ، ٦، ١٢، ١٧، ٢٠، ٢٦، ٢٧، ٣٠ محرم، ١٣، ١٥، ١٨ صفر ١٤٠٢هـ ، وبعض المراجع التي سيرد ذكرها عند الكلام عن هذه القبيلة).

(٢) اسماعيل أبو الفدا الأيوبي : المختصر في أخبار البشر . دار المعارف . بيروت ٤/ ٧٤ ، ابن خلدون : ٢/ ٢٥٤ .

وكانت هذه القبيلة من كبر الحجم فى تلك الفترة ما جعلها تسيطر علـى أغلب طرق ومرابعنجد أيضا على طريقة البدو فى التحول السريع الى مايجد من كلأ ،فقد حدث فى سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م أن مرت بعنيزة (١) قافلة حجـاج من شرقى العالم الاسلامى وكان فيها العلامة محمد الجزرى (٢) ،وبمجـرد

---

(١) عنيزة : كانت منهلا من مناهل العرب قبل الاسلام قال فيها البكرى : قارة سوداء فى بطن وادى فلج من ديار بنى تميم ،وذلك الوادى يسمى الشجى لأنه شجى بعنيزة أى صارت فى وسطه قال عنترة :

كيف المزار وقد تربع أهلها : بعنيزتين وأهلنا بالعيلم

العيلم : فى ديار بنى عبس ،وقيل ان الحجاج قد أمر بحفر موارد بـين عنيزة والوادى ، وقد أكثر من الحفر واستخراج الماء للرى والزراعة فيهـا محمد بن سليمان العباسى (والى البصرة فى عهد المهدى) ،قيل عمـرت كبلد قسنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م وقيل سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، وقد عمر قسما منهـا بطن من آل جراح من بنى خالد يسمون الجناح ،وقسما آل زهرى بن جراح من سبيع حتى كثر جيران هذين البطنين ، ويبدو أن الجناح كان أكبر ثـم توسعت لتكون أربع قرى متجاورة وهى : الضبط والخريزة والمليحة ،والعقيلية ، وكانت تابعة للجناح حتى ضمت هذه القرى ليشملها اسم عنيزة التى كانت الى وقت قريب أكبر بلدان القصيم وثانية المدن النجدية ،وهى الآن ثانية مـدن القصيم ،أطلق عليها أحد الرحالة اسم باريس نجد لما عرف عن أهلها مـن لطف معشر ولين جانب للصديق والغريب ،وتعتبر من أهم المراكز العلمية فى نجد منذ فترة متقدمة وحتى الآن حيث خرجت عددا كبيرا من العلماء منذ تلك الفترة وحتى الآن . للتفصيل : (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ٢٧٠، ٣٢٩ ، البكرى : ٣/٩٧٦، ٩٧٧ ،ياقوت : ٤/١٦٣، ١٦٤ ،ابن عيسى : ٢٣٢-٢٤٤، عبد الله البسام : علماء نجد ١/٢٥٣-٢٥٦، ٢/٢٩١، ٢٩٢، ٣٧٨، ٣/٨٣٨ محمد العبودى : بلاد القصيم ٤/١٦٢٨-١٧٥٠) .

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن على الشهير بالجزرى نسبة الى جزيرة بن عمـر على الفرات ،شيخ الاقراء فى زمانه ،ومن حفاظ الحديث ولد بدمشق ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م ونشأ فيها حفظ القرآن وعمره ١٢ سنة ،وأصبح من كبار أهل القراءات فيها حيث ابتنى فيها مدرسة دار القرآن ،رحل الى مصر مرارا وكذلك بـلاد الروم (تركيا) وماوراء النهر ثم ألقى عصا التسيار فى شيراز فى فارس فولى قضاءها وتوفى فيها ٨٣٣هـ/١٤٢٩م ،ذكر له الزركلى ٢٣ مابين كتاب ورسالة تتركز فـى القراءات وطبقات القراء والمناقب والحديث ،وله نظم وأراجيز فى القراءات كثيرة (الزركلى : ٧/٢٧٤، ٢٧٥ ،دائرة المعارف الاسلامية ١/١١٨-١٢٠) .

مغادرتها لعنيزة عرض لهم بنو لام على بعد مرحلتين منها فنهبوا القافلة، وخاصة ما مع الجزرى من تحف وهدايا كان يريد أهدائها لأعيان الحرمين، فرجع وصحبه الى عنيزة لعدم استطاعته الى الحج سبيلا أو أنه عدل عن الحج خوفا من القبائل التى قرب الطائف، وجلس فيها مدة شهر تقريبا نظم فيها " الدرة المضية فى قراءات الأئمة الثلاثة المرضية" ويبدو أنه كان معه بعض الكتب فرزها بنو لام من الهدايا وردوها اليه فلما حصل عليها سافر الى المدينة بمساعدة أهل الخير ووصلها فى صفر ٨٢٣هـ/ ١٩٢٠م، وصور فى الدرة هذه الحادثة التى تبين جانبا مهما من أحوال نجد الأمنية فى تلك الفترة، كما تبين أسلوبا من أساليب الغزو والسلب لدى بعض قبائل نجد فى تحين مجئ الليل ومباغتة المراد غزوهم كما سيأتى بيانه عند الكلام على أساليب الغزو لدى بادية نجد، وقال الجزرى فى هذه الحادثة نظما منه هذه الأبيات :

غريبة أوطان بنجد نظمتها : وعظم اشتغال البال واف وكيف لا

صددت عن البيت الحرام وزور الـ : مقام الشريف المصطفى أشرف العلا (١)

وطبقنى الأعراب بالليل غفلة : فما تركوا شيئا وكدت لأقتلا

فأدركنى اللطف الخفى وردنى : عنيزة حتى جائنى من تكفلا

بحملى وابصالى لطيبة آمنا : فيارب بلغنى مرادى وسهلا

ومن بجمع الشمل واغفر ذنوبنا : وصل على خير الأنام ومن تلا (٢)

---

(١) لا يجوز القصد لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بل للصلاة فى المسجد النبوى والسلام على الرسول استنادا لحديث: لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد وقال فيه: ومسجدى هذا، ولحديث: " لاتجعلوا قبرى عيدا" أى مزارا.

(٢) عن هذه الحادثة: محمد بن أحمد الفاسى: العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين. تحقيق فؤاد سيد - مطبعة السنة المحمدية. القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ١٣٨/٤، العبودى: بلاد القصيم ١٦٤٨/٨، مجلة العرب: جـ ١١، ١٢ / ٩ س٣/٨٥٠ص، ٨٥١.

ونظرا لامتداد نفوذهم فى المنطقة السابقة فقط سيطروا على طرق الحج العراقى والشامى والمصرى ومن سار فيها من غيرهم مما جعل أخبار حجاج - هذه المناطق تحفل بقصص تعرضهم لقوافل الحج القادمة من هذه المناطق ، ولم يكونوا يتورعون عن سلب حتى ملابس الأشخاص فيعيد وهم شبه عرايا ، وإذا لم يجدوا معهم الا الكتب أخذوها ، وإذا قربوا من منازل قبيلة قوية تقع قرب هذه الطريق تحالفوا معها - مؤقتا - لسلب الحجاج المارين بهم ، ويبدو أن شكاوى الحجاج التى تصل الى السلطات الاسلامية دفعت هذه السلطات لعجزها عن تأديب هذه القبائل المتحالفة - الى ترتيب رواتب لرؤسائها ليكفوا عن التعرض لركب الحجاج وكانت كل سلطة منطقة تتولى دفع الرواتب عن حجاج منطقتها (١) .

وقد حدث كثرة تعرض الحجاج للسلب من هذه القبائل وخاصة بنى لام الى أن يضع اخباريو الحج تحديدات جغرافية للمناطق التى يتركز بها هؤلاء وتكون طريقا لقطاع الطرق منهم حتى يكون أمير الحج على أهبة واستعداد اذا قرب منها بحراسة ركب الحج بالتهيؤ بما يلزم من فرسان وأسلحة عند القرب من هذه المناطق وقد أسماها أحد هؤلاء الاخباريين محارس على أساس وجوب الحراسة عند قرب الحجاج منها (٢) .

كما بحث هؤلاء الاخباريون فى بطون هذه القبائل فى محاولة منهم لمعرفة الأسر التابعة لها وخاصة بنى لام ممن كانوا يتعرضون لهم ، ولئن لم تكن معرفة نسبية واسعة الا أنها تعطى المار بهم فكرة تامة عن بطونهم وأسرهم فيستطيع ابداء هذه المعرفة لهم ليحس بالاطمئنان منهم حيث تشكل المعرفة

---

(١) عبد القادر بن محمد الجزيرى : درر الفوائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة - المطبعة السلفية . القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ٣٥٢، ٣٦٦، ٣٨٥، حمد الجاسر : معجم الأسر المتحضرة ٢/ ٦ ٧٤ ، ٧٤٧ .

(٢) الجزيرى : المصدر السابق ١٠٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٢٧ .

السابقة بابن البادية أمانا نسبيا لمن يمر به فى طريقه ذلك أنه اذا حدثه وهو يعرف أصله وقرابته اطمئن له البدوى ووثق به واستحاب أن يمسه بسوء فيمنحه الأمان والسلامة (١) .

وقد امتدت منازل بنى لام فى فترة من الفترات حول المدينة وشرقها وشمالها حتى جبلي طئ ، وأعالى وادى الرمة ، وأغلب نجد ، على أنهم فى فترة متقدمة كانوا يعتبرون أقوى قبيلة نجدية تدين لها حاضرة نجد وباديتها بالولاء مما يمكن معه اعتبارها القوة السياسية الوحيدة فى القرون التاسع والعاشر والحادى عشر الهجرية ، وأن قوتها تكاد توازى قوة بنى خالد فى شرقى الجزيرة العربية ، ونتيجة لهذا فقد كانت القوى السياسية المحلية والقبائل الأصغر لا تتقدم عليها فى أى أمر من الأمور ، وكلمتها هى الكلمة النافذة فى نجد (٢) .

وقد صور جعيثن اليزيدى (٣) قوة هذه القبيلة وان كان ذلك فى معرض مدحه لمقرن بن أجود زعيم الدولة الجبرية (٤) التى سبق الكلام عنها فى المدخل:

ونجد رعى ربعى زاهى فلاتها : على الرغم من سادات لام وخالد (٥)

وأشار الى تقدمها على كافة القوى المحليةفى نجد رميزان بن غشام حينما أشار الى ورودالناس لحكرته المسماة السبعين (٦) حينما قال :

الى صدر اللامى والأجناب قلطت : حيضانها فاما نزدها ترودها (٧)

---

(١) المصدر السابق : ٤١٥ .
(٢) ابن بليهد : صحيح الأخبار ٢ / ١٢٧ ، ١٢٨ ، حمد الجاسر : المرجع السابق ١٥١ .
(٣) هو جعيثن اليزيدى من بنى حنيفة من أهل الجزعة أسفل المصانع قرب الرياض (حمد الجاسر : مدينة الرياض ٨٣ ، ابن خميس : معجم اليمامة ١ / ٢٧٢) .
(٤) هو مقرن بن أجود بن زامل الجبرى العامرى تولى حكم الاحساء وأحيانا نجد بعد أبيه أجود ، وقتله البرتغاليون عام ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م (حمد الجاسر : المرجع السابق ٨٣ ، وعبد الله الشبل : تاريخ نجد والدولة السعودية ١ / ٤٧ ، مجلة الدارة ع ١ / س ٤ / ص ٢٨) .
(٥) قوله : رعى ربعى زاهى فلاتها : أى رعى جماعتى زهنة فلاة نجد . وانظر عن البيت وما قبله وبعده ، ابن لعبون : التاريخ ٣٢ ، المغيرى ١٠٤ .
(٦) هى حاجز وضعه أهل روضة سدير بزعامة رميزان على وادى سدير حتى يرتفع ماؤه الى نخيلهم وما يزيد يأخذ مجراه مع وادى الفقى الى بقية بلدان سدير ، ووضعوا له سبعين معبرا حيث سمى حتى الآن حكرة السبعين . (ابن خميس المرجع السابق ١ / ٤٨٥) .
(٧) اللامى : أى الورد اللامى ، الأجناب : الأجانب ، حياضها : أحواضها ، والمعنى أن بنى لام هم المقدمون لأنهم أهل المنطقة . ابن بليهد . المصدر السابق ٢ / ١٢٨ .

وفى مرحلة سابقة لأفول نجم هذه القبيلة تفرعت الى ثلاثة بطون كبيرة هي مغيرة، وكثير ، وفضل حيث اقتسمت هذه البطون نفوذ القبيلة الأم وأصبح لكل بطن منها قوة وهيبة فى مناطق نجد كل حسب منطقته على اختلاف فيما بينهم فى درجة هذا النفوذ (١) .

وكانت بداية تدهور مكانة هذه القبيلة القوية فى نجد متقدمة اذ بدأت مع انقسام هذه البطون بعد انتهاء القرن العاشر على أن هذه البطون بقوتها قد حافظت على درجة لا بأس بها من مكانة القبيلة فى المنطقة .

ويروى ابن بليهد أن السبب الرئيسى وراء تدهور هذه القبيلة وتحضر بعضها ، ورحيل قسم كبير منها عن نجد الى جنوب العراق هو الخيانة ، وعدم المبالاة بالعهود والمواثيق وما يتصل بها من عادات حميدة ، ويبدو أن الاختلاف بين البطون الثلاث، وما يعترى نجداً من الجدب وبروز قوة عنزة ومنافستها لها أسباب لاتقل أهمية عن السبب الأول فى هذا التدهور (٢) .

وعلى كل فقد تحضر قسم كبير من هذه القبيلة وتفرق فى البلدان النجدية ورحل قسم كبير منها الى جنوب العراق ، واستمرت ملامح انهيارها من نجد من تحضر ورحيل حتى قبيل بداية الدعوة السلفية حيث أصبحت منذ تلك الفترة من القبائل العراقية المهمة التى تقطن قرب البصرة والى الوقت الحاضر ولا م ينتسب اليها قسم من سكان العراق ، وقد حفلت كتب التاريخ العراقى بأخبار عنها وعن أدوارها فى الحياة السياسية والاجتماعية فى الجنوب العراقى (٣) .

---

(١) المصدر السابق : ١٢٨/٢ .
(٢) المصدر السابق : ١٢٨/٢ .
(٣) انظر على سبيل المثال : س. هـ لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الصفحات ١٠٥ ، ١١٩ ، ١٥٥ ، ٢١٠ وغيرها .

والذى لاشك فيه أن الوجود العنزى فى نجد كان متقدما جدا عن رحيل بنى لام ، وكانت منازل عنزة حول المدينة الى أعالى وادى الرمة ، ومنذ القرن العاشر ولها صولة على طريق الحج تحدث عنه اخباريو الحج ، وان كانت فى هذا أو غيره لاتصل الى درجة بنى لام (١) .

وفى المرحلة الأولى لبدء ازدياد قوتها أخذت تتحرش بالقبائل حول المدينة كحرب التى كانت فى أوج قوتها تطردها الى خيبر ، الا أن عنزة مالبثت أن استعادت قوتها وسيطرت على المنطقة التى حول المدينة بل على نفسها فى بعض الأحيان ، وكانت حرب لاتنزل الا بجوارها حتى استغلت عنزة هذا الجوار لاذلال حرب (٢) .

وقد استمرت قوة عنزة فى ازدياد حتى أجلت قسما كبيرا من بنى لام عن نجد وأصبح لها نفوذ كبير فى منطقة القصيم الى عوالى المدينة وخيبر وقرب جبلى طئ حتى اذا بدأت سيادتها القبلية فى الانحدار اجتمعت لها قبيلتى حرب ومطير كل فى جهته ولهدفه حتى حدثت معارك بين عنزة وحرب التى استنكفت هذا الجوار المذل فطردتها من المدينة ، وذلك فى وقائع المجلّلة المعروفة فى تاريخ العلاقات بين حرب وعنزة (٣) ، واستطاعت من جهة الشرق مطير أن تهزم عنزة بعد أن رفضت امهالها للرحيل عن مرابعها التى سمحت

---

(١) الجزيرى : المصدر السابق ٥٢٨ ، ٦١١ .

(٢) عاتق بن غيث البلادى : نسب حرب . ط (٢) مؤسسة ودار مكة . مكة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ص ٣٣ ، ١٧٠ .

(٣) هى عدة وقائع حدثت فى القرن الحادى عشر الهجرى بين حرب وعنزة انتهت بجلاء عنزة وسببها اهانة بعض شباب عنزة لابنة أحد أمراء حرب ، وسميت المجللة لأن ابتداء أمرها تجهيز هذا الأمير الذى أهينت ابنته ذلولا لبست سوادا ولبس راكبها كذلك سوادا وطاف بها على أمراء حرب لاستثارة نخوتهم حتى تجمعوا وحدثت تلك المعارك ، وللتفصيل فيها : البلادى . المرجع السابق ١٧١ - ١٨٠ ، وقد ذكر فيها أن قصة مسعود عبد ابن هذال التى سيرد تفصيلها عند الكلام على الرق لدى بادية نجد قد حدثت فى أعقاب تلك المعارك .

لها فترة الربيع بالرعى فيها وذلك فى وقعة الجناوى سنة ١١٩٣هـ ١٧٧٩م (١) وبذلك تمكنت هاتان القبيلتان من طرد عنزة وحصرها فى نجد حيث تحضر بعضها وتفرق فى البلدان النجدية، ورحل قسم منها الى شمال نجد، وجنوب العراق لتحتل حرب منازلها فى المدينة وما حولها وتحتل مطير منازلها فى نجد (٢).

ولقد كان جلاء عنزة عن وسط نجد شبه جماعى نتيجة لتلك المعارك من تلك القبيلتين ومن هنا فقد كان فراقها مؤثرا كما سيأتى فى قصة مسعود رفيق بن هذال وكما سجل الشاعر الشعبى (٣) رحيلها متمنيا عودتها حيث قال:

نجد تهضم بالبكا للعمارات : ترجي الفزع من سربة أولاد وايل
دقاق العلا بي ما يجون المشيشات : ودخنة لابن هذال صدق صايل
وابن السفر ما يتذكر حول ابانات : والشمرى حكمه على سور حايل (٤)

---

(١) سيرد التعريف بالجناوى ووقعتها تلك عند الكلام على موقف بادية نجد من الدعوة السلفية لأن لها مساسا بالموضوع. وللتفصيل: مقبل الزكير: العقود الدرية مخطوط ورقم ٣١، ٣٢.

(٢) ابن بليهد: ٢/١٢٨، عبد الجبار الراوى: البادية ٢٢٩، ٢٣٠.

(٣) هو الزناتى من أهل الطرفية بالقصيم ويرجع فى أصله الى عنزة (العبودى: بلاد القصيم ٣/١٥٩).

(٤) تهضم: أى تصدع من كثر بكائه على فراق عنزة، وهو هنا يصور أرض نجد وقد بلغ منها الحزن كل مبلغ، العمارات: أحد أفخاذ بشر من عنزة، ترجي الفزع: أى تأمل أن يفزع لها سربة أولاد وايل: أى صفوة عنزة وأولاد وايل نخوة عنزة، دقاق: نحيفى الرقاب وهو موطن ذم ويقصد احدى القبائل المعادية ولعلها مطير، ما يجون: ما يأتون، المشيشات: جمع مشيشة وهى أماكن خصبة على الضفة الجنوبية من وادى الرمة، دخنة: قرية كبيرة للبادية تقع فى الجنوب الغربى لمنطقة القصيم جنوب الرس كانت لعنزة فأخذتها منها حرب، ابن هذال: شيخ مشائخ عنزة، صدق صايل: صدق وحقيقة، ابن السفر: يقصد أمير السفر من حرب، ما يتذكر: أى ما كان يقرب حول أبانات: جبلان يقعان غرب الرس، والشمرى حكمه على سور حايل: أى أن أمير شمر لا يستطيع تجاوز حائل لامتداد نفوذ عنزة اليها. للتفصيل (العبودى ٣/٩٤٨، ٩٥١، ٩٥٢، عبد الله العنزى: ديوان الوائلى - مطابع الفرزدق الرياض ص ٤٢).

وهو كما كان يرثي رحيل عنزة عن نجد فهو يصور قوة سيطرتها واحتلالها لأبرز الاماكن الرعوية فيها وعجز كبار القبائل النجدية وغيرها أن تقرب من تلك المرابع الاجوار من تلك القبيلة المرهوبة.

وقد بقيت النظرة السيئة بين مطير وعنزة حتى بعد أن دخلتا في طاعة الدولة السعودية الأولى ، وكانت كل قبيلة تفتخر بما كان لها من أمجاد فتثور بينهما المعارك وكادت تقع بينهما مثل تلك المعارك لولا تدخل أئمة الدرعية بالاصلاح بينهما (١).

وظل لقبيلة مطير النفوذ والغلبة على نجد ما بين حدود منطقة القصيم الى قريب من حدود الحجاز الى أسافل نجد لا ينازعهم في ذلك منازع على أن المناطق التي لم تقع تحت سيطرتهم كان أهلها يعترفون بقوة سطوة هذه القبيلة (٢) ، وأبرز مثل لذلك مدائح الشاعر الشعبي محسن الهزاني (٣)

---

(١) ابن بشر ٢٣١/١ ، ٢٣٢ ، ابن بليهد ١٢٩/٢ .

(٢) ابن خميس : المجازيين اليمامة والحجاز ١١٠ ، ١١١ .

(٣) هو الشاعر النجدي عبد المحسن واشتهر بمحسن بن عثمان الهزاني . بفتح الهاء وكسرها من الهزازنة من الجلاس من عنزة ، والهزازنة أول من عمر الحريق عام ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م بعد ما أخذوه مع نعام من القواودة من سبيع ومحسن هذا هو ابن ربيعة نجد في زمانه لكنه كان يتحلى بعفاف وشرف ، وقد عاش في أواسط القرن الثاني عشر وقد برع في الشعر خاصة الغزل والفخر والمدح والتضرع الى الله والوصف واشتهر في شبه الجزيرة عامة ، وهو أول من أدخل الاوزان الشعرية المسماة بالسامري. وقد تولى امارة الحريق فترة لكنه تركها ليتفرغ لشعره ، وليخرج في آخر عمره دررا من القصائد الوعظية قل أن يوجد مثلها في الشعر الشعبي النجدي ، توفي في اوائل القرن الثالث عشر وقيل عام ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م ولا يستطيع الباحث تحديد موقفه من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الا أن تكون قصائده الوعظية صدى لتلك الدعوة . للتفصيل (ابن بشر

لرؤ ساشهم لصلته بهم،وله غزل بمحبوبته المطيرية حيث يقول :

بيني وبين صويحبي وقفة أحوال　　يامن يقود الصلح بينه وبيني

الى أن قال يمدح أحد شيوخ مطير :

يرعى بسبعمائة وسبعين خيال　　حامينها بمذلقات العريني

مرباعها ما بين ابانات والخال　　ناحين عنه الدوسري والحسيني

ماهم ابنجيع بربه جماعة السال　　علوا هل الردات ياشيب عيني (١)

---

* ٢/٢٠٤، ٢٠٥، ابن عيسى (٥١، ٥٢)، عبد الله الحاتم: خيار ما يلتقط ١/١٧٧، خالد الفرج : ديوان النبط المطبعة العربية القاهرة نشر المكتبة الأهلية الرياض ١/٨، ٩، محمد سعيد كمال : الازهار النادية ١٢/٨، ٩، ١٠، محمد القاضي : روضة الناظرين ٢/٣٦٧، حمد الحقيل : كنز الانساب ١٦، ومحمد بن سعد بن حسين محمد بن بليهد وآثاره الأدبية (١/٣١٢).

(١) يقول في البيت أن بينه وبين محبوبته عدة لقاءات ولكنها غاضبة منه فعسى أن يأتي من يعقد صلحا بينه وبينها ثم يمدح أحد شيوخ مطير ولعله الدويش شيخ علوا فيقول : انه اذا أراد أن يرعى صحب معه سبعمائة وسبعين خيال لاظهار هيبته حتى يحمون هذا المرعى بمذلقات العريني وهي السيوف الحادة مرباعها : أي موطنها ، الخال : هو خال الدفينة جبل قرب الطائف بجوار ما• الدفينة، ناحين عنه : أي مبعدين ،الدوسري الجمع الدوسري،ومعنى هذا حدوث منازعات بين مطير والدواسر ، الحسيني : من الحسينات من بني مسروح من حرب، ويروى البيت ناحين عنه الجحدري : اى القحطاني ، بربه أحد افخاذ مطير، علوا : فخذ آخر وفيه امارة مطير وسموا أهل الردات لانهم مهما انهزموا فانهم يردون على عدوهم ،ياشيب عيني : المقصود اصابة شعر الحاجبين بالشيب انظر عن الابيات: (الازهار النادية ١٢/ ٧٩، ابن خميس : المجاز (١١) .

ويقول في موضع آخر يمدح علوا :

علوا مكسرة القنا بالطابيق لا سافر المسيوق ما عنه يقفون
قوم الى نشف الهلل جمتالريق وقفت سبايا هم تراهم يردون
الى لحقهم طالب الدين بالحيق ردوا عليه وزادوا الدين بديون (١)

وما من شك في أن هذا يصور كيف توغلت قبيلة مطير في نجد فقد سكنوا أغلب أنحائها ، وأصبحت لها الكلمة النافذة في المراعي الجيدة فيها تماما كما كان لعنزة ومن قبلها لبني لام ، وأصبح من ارادت الرعي فيها من القبائل تطلب الجوار وتهدي الى رؤساء هذه القبيلة .

وظلت مطير على قوتها حتى أتى هادي بن غانم الجحدري الملقب بابن قرملة رئيس قبائل قحطان فاتفق مع الدوشان على أن ترعى قحطان من مراعي مطير وتشرب من مواردها على جوار بينهما ، وبايع هادي للدعوة السلفية وبايعت معه قحطان كلها حتى اذا توفي وخلفه ابنه محمد أخرج مطيرا من عالية نجد حيث ارتحلت على دفعات الى شرقي شبه الجزيرة وبقي منها غير كثير في نجد (٢) .

---

(١) القنا : السهام، أو الرماح ، والطابيق : المتاريس المسيوق : المنهزم ، ما عنه يقفون : أي ما يتركونه حتى يزيدون من هزيمته ، الى نشف الهلل الخ : أي لا يملون من كثرة الحرب، واقفت سبايا هم : اى انصرفت ، يردون أي يعودون لمكان المعركة أستعدادا للاخرى ، طالب الدين : أي طالب الثأر ، بالحيق : اى كاد أن يحيق بهم ردوا عليه بثأر اعظم من الأول . عن الابيات : (عبد الله الحاتم ١/ ٢٠٩ ، الازهار ١٢/ ١٠٨) .

(٢) ابن بليهد ٢/ ١٣٠، ١٣١ .

على أن لم يمض زمن طويل حتى اختلف ابن هادى مع قبيلة عتيبة القادمة من الحجاز والتى كانت تحمل شيئا من الكره لقحطان التى كانت تشن عليها الغزوات باسم الدعوة السلفية ، وكانت تستغل دخولها فى طاعة الدولة السعودية الأولى لتكثف وجودها فى نجد مما سيرد الكلام عنه وعن بداية انتشار نفوذ قحطان عند الحديث عن مواقف بادية نجد من الدعوة السلفية ان شاء الله لورود تلك الاحداث بعد قيامها وتحت تأثيرها أحيانا (١) .

هذه أبرز ملامح الوضع القبلى لبادية نجد حتى قيام الدعوة السلفية لأبرز القبائل التى تسنمت ذرى السيادة فى أواسط نجد ، ومن هنا فان القبائل النجدية الأخرى التى لم تستطيع قبيلة أن تزاحمها فى منازلها كالدواسر ، أو التى جلت عن نجد بعد قيام الدعوة كالظفير أو تلك التى لم تكن بقوة تلك القبائل وكثرتها كبقية القبائل الأخرى . هذه القبائل ليست من اختصاص هذا الباب الذى يعطى ملامح عن الفئات الاجتماعية فى نجد ونبذة عن تاريخها فقط لان التفصيل فى هذا المجال يخرج بالبحث عن عنوانه .

---

(١) ابن بليهد ٢/١٣٠، ١٣١ .

الفصل الثانى

الصَلَب : دراسة تاريخية واجتماعية

أصلهم :

يمكن اعتبار الصلب (١) كالبدو فئة خلوية فهم يتفقون مع البدو في سكنى الصحراء على اختلاف بينهم فى شكل السكن وقربه وبعده من المساكن الحضرية ، ولكنهم من جهات متعددة يختلفون عن البدو وأشد الاختلاف، فهم يتميزون عنهم بملامح جسمانية أبرزها بياض البشرة ، وزرقة العيون ، وشقرة الشعر ، ورقة الجلد (٢) ، وأهم من هذا وذاك اختلافهم عن البدو فى الأصل الاجتماعى غير الواضح ، والعادات والتقاليد التى يختلف فيها هذان الفريقان اختلافا لامجال للمقارنة بينهما فيها ، وما ترتيبى للصلب بعد البدو الا بمقدار مايجمع بينهما من عدم السكنى فى القرى والبلدان .

وقد اختلف النسابة والمؤرخون فى أصل هذه الفئة على ثلاثة آراء رئيسية ، وبعض الآراء الجانبية التى ستمر مبثوثة فى ثنايا هذا الفصل بعضها الى الاشاعة أقرب :

الرأى الأول : أن أصلهم من الهند ، وهذا الرأى يستند الى أن غجر الهند (الهانجاراز) هم أصل هذه الفئة ، ويرى هذا الرأى قسم

---

(١) من معانى مادة صلب : الشحذ والجلى قال فى القاموس والتاج : الصلب كسكر ، والصلبى ، والصلبية ، والصلبى حجارة المسن قال الشماخ :
وكان شفرة خطمه وجنينه : لما تشرف صلب مفلوق .
والصلب : الشديد من الحجارة أشدها صلابة ، والصلبى بالتشديد ما جلى وشحذ منها أى حجارة المسن ، ورمح مصلب : مشحوذ بالصلبى ، وتقول سنان صلبى وصلب أيضا مسنون. (الفيروزابادى ٩٣/١ ، الزبيدى ٣٣٨/١)

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : ٣١٤/١٤ ، ٣١٨ مادة صلب .

كبير من دارسي تاريخ الشعوب الذين يؤكدون أن قسما كبيرا منهم قد تـــرك الهند فى هجرة واسعة على جهل بتحديد تاريخ هذه الهجرة أو سببهــا ، وفى هجرة جديدة لاحقة انقسم الغجر الى قسمين كبيرين عند وصولهم الـــى أواسط آسيا فاتجه قسم جنوبا الى شبه الجزيرة والعراق والشام وغربا صـــوب مصر وشمال أفريقية ، وفريق آخر اتجه الى الشمال والغرب الى أوربا بل حتى وصلت جماعات منهم الى أمريكا عام ١١٢٨هـ/١٧١٥م ومن هنا انتشروا فـــى بلدان هذه المناطق (١).

وطبيعى أن هذا الرأى يعتقد بأن الصلب فى شبه الجزيرة يلتقـــون عرقيا بالنور فى الشام والأردن، والغجر فى مصر والشمال الأفريقى، والحلب(٢) فى السودان، و (Gypsies) فى كافة بلدان أوربا وربما أمريكــا اشتقاقا من اسم مصر بالانجليزية اعتقادا من الأوربيين بأنهم مصريون حيــث ينتشر هذا الاسم فى كافة بلدان أوربا ويرونه أصلا للتسمية عامة وتتفرع عنـــه تسميات فرعية لكل بلد أوربى على أن هناك تسميات أخرى فى آسيا ليس هنـا مجال التفصيل فيها (٣).

---

(١) جرجى زيدان : طبقات الأمم ــ دار التراث . بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م ص ٢٣٦ ، مجلة العربى عدد ٢٩٦ رمضان ١٤٠٣ هـ / يوليو ١٩٨٣م ص ١٠٢ من استطلاع عن البانجاراز فى الهند .

(٢) من معانى مادة حلب : الاجتماع من كل جهة قال فى القاموس والتاج : وحلب القوم يحلبون حلبا اجتمعوا وتألبوا من كل وجه ، وأحلبوا عليــك اجتمعوا وجاؤا من كل أوب . (الفيروزابادى ١/ ٥٧ ، الزبيدى ١/ ٢٢١ مادة حلب).

(٣) جرجى زيدان : المرجع السابق ٢٣٦ ، مجلة العربى العـــدد السابق ص ١٠٢.

ومن أبرز الأدلة التي يدعم بها هذا الرأي وجهة نظره أن هذه الفئات تتفق فيما بينها على الطواف في الأرض بين الناس وامتهان السرقة والسؤال والسحر ، وممارسة كافة الصناعات التي يستنكف أهل البلدان الأصليون القيام بها ، وكما تتفق هذه الفئات فيما بينها فانها تلتقي في ذلك مع الهانجاراز الأصل الاجتماعي لهذه الفئات، علاوة على الاضطهاد الذي تلقاه هذه الفئات كذلك من كافة القوى المحلية سواء كانت سياسية أو اجتماعية ،فاذا فقدت الاضطهاد السياسي عوملت بنظرة اجتماعية متدنية وقد تلقى اضطهادا سياسيا واجتماعيا في آن واحد كما حصل من قادة بريطانيا وهتلر والمجتمعين الانجليزي والألماني (١) .

وهذا الرأي كما يراه عدد من دارسي تاريخ الشعوب فان مجتمع الغجر في الهند نفسه يرى هذا الرأي وينسج حول أصلهم بعض الأساطير، ودراسة المجتمع الغجري في الهند تسند هذا الرأي ، اذ أن مساكنهم تشبه تماما مساكن الصلب والغجر والنور وبقية الفئات التي ترجع الى هذا الأصل الاجتماعي (٢) .

وما حداني الى تسجيل هذا الرأي رغم عدم اشارته الى صلب نجد هو وجود أصل لهذا الرأي لدى بعض عامة أهل نجد ، اذ يرى هؤلاء العامة ثبوت الصلة الجنسية بين صلب نجد والغجر والنور وسائر الفئات الأخرى التي تعود الى ذلك الأصل ، على أن هؤلاء العامة فضلا عن ذلك يرون أن أصل هذه الفئات واحد يعود الى غجر الهند الذين رحلوا منه وتفرقوا كما يقول هذا الرأي ،وان كان لا يمنع أن يكون هذا الرأي قد تأصل نتيجة لمقارنة بين أوضاع الغجر في الهند وصلب نجد قد تكون تمت خلال الرحلات التجارية بين الهند ونجد (٣) .

---

(١) جرجي زيدان :المرجع السابق ٢٣٦ ،مجلة العربي العدد السابق ص١٠٢ .
(٢) مجلة العربي : ص ١١٠ ،١١١ ،١١٢ .
(٣) من مروياتي الشفوية المحفوظة عن هذه الفئة .

ويرى فريق من أهل هذا الرأى أن أقرب هذه الفئات الى صلب نجد قربا من ناحية الأصل وتشابهها من ناحية العادات والتقاليد هم النور الذين تؤكد الدراسات الاجتماعية والتاريخية عنهم هذا التشابه الدقيق فى الكثير من أساليب الحياة (١).

الرأى الثانى : أنهم جماعات من بقايا الأمم القديمة التى كانت تعيش فى الجزيرة فجهل أصلها ويستدل صاحب هذا الرأى على ذلك بأنهم من أعرف القبائل بمواضع الجزيرة وأن منهم أدلاء مشهورين يعرفون مفاوز الطرق ، والسير عن طريق النجوم (٢).

وما من شك فى معرفة الصلب بكل هذا حيث قد تواتر لدى النجديين قوة معرفتهم بها ، ولا أدل على ذلك من تلك الحادثة العجيبة التى تؤكد قدرة الصلب على هذه المعرفة والتى مر ذكرها فى أول هذا الباب حيث استخدم فردا منهم موفد الملك عبدالعزيز - محمد أسد - (٣) لكشف مصدر

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : ٣١٩ ، ٣٢٠.

(٢) صاحب هذا الرأى هو الشيخ حمد الجاسر : مجلة العرب ج ٥ ، ٦/س ١٤ ص ١٤٧ ، وبعض باحثى دائرة المعارف الاسلامية.

(٣) هو ليوبولد فايس سابقا - محمد أسد وايس ولد سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م فى مدينة ليفو النمساوية سابقا البولندية حاليا ولما بلغ عمره ثلاثا وعشرين سنة قام بزيارة للشرق الأوسط وأصبح فيه مراسلا لمجلة (فرانكفورتر تزايتونغ) وقد مر بمراحل بحث طويلة عن الحقيقة أسلم بعدها ، وتعرف على الملك عبدالعزيز فصادقه ومحضه النصح ، وأدى بعض الأدوار فى قضية الاخوان ، وتتميز كتاباته عن الاسلام بالعمق والحماس لأنه دخله بعد دراسة متأنية رغم أنه من أصل يهودى ، كتب عن الملك عبدالعزيز وعن قضية الاخوان كتابة جيدة ثم رحل الى باكستان فعين ممثلا لباكستان فى الأمم المتحدة وتسلم قبله وبعده عددا من المناصب فى حكومة باكستان ويروى جلال كشك أنه يعيش الآن فى منطقة طنجة ، ترجم صحيح البخارى بتعليق وفهرسة ، وأصول الفقه الاسلامى والطريق الى مكة الذى ترجم تحت عنوان الطريق الى الاسلام ، والاسلام على مفترق الطرق ،

الأسلحة الجديدة والعملات حديثة السك التى تصل بكميات كبيرة الى الاخوان فاجتاز بالموفد ورفيقه طرقا ومفاوز عبر تجمعات الاخوان واستطاعا عبر دلالته أن يكشف جانبا من سر تلك القضية التى أرقت الملك عبدالعزيز ، ولا شك أن تاريخهم حافل بمثل هذه الحالقوان لم تصل الينا فى خضم التعتيم التام الذى تتعرض له قصصهم وأخبارهم من النجديين حاضرة وبادية .

ويبدو أن هذا الرأى يستند كذلك الى معرفة الصلب الدقيقة بالقنص مما يقتضى معه أن يكونوا على معرفة سابقة بالحيوانات القديمة فى شبه الجزيرة وأماكن تكاثرها وهذا يستلزم وجودا قديما فى المنطقة لم يتوافر لأبناء القبائل المعروفة التى كانت تنزح الى نجد وتقيم فيها فترة ثم يرحل قسم كبير عنها (١) .

ولقد كان دور الصلب فيما يتعلق بالقنص مهما اذ من المعتقد أن تكون معرفة رجال القبائل لأصول هذه المهنة عن طريقهم ، حتى أصبحت فيما بعد مفخرة من مفاخر أبناء البادية ، وقد عرفت بعض الموارد التى كان الصلب

(=) للتفصيل عنه : (كتابه الطريق الى الاسلام، وهو بأكمله يحكى قصة حياته نجيب العقيقى ، المستشرقون ط (٤) دار المعارف ١٤٠٠/١٩٨٠، ٢٩١/٢ عرفات كامل العشى : رجال ونساء أسلموا ، ط (١) نشر الدار الكويتية ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ٥٤/١ - ٥٩ ، محمد جلال كشك : السعوديون والحل الاسلامى ط (٣) شركة مودى جرافيك . لندن ١٤٠٢هـ/١٩٨٠م ص ٢٩١ ، صحيفة الجزيرة عدد ٣٩٥٦ الجمعة ١٩ شوال ١٤٠٣ هـ ص ٩ من مقابلة مع مترجم الملك عبدالعزيز محمد عبدالله المانع ذكر فيها أنه أول ترجمة قام فيها هى بين محمد أسد والملك عبدالعزيز).

(١) العبودى : بلاد القصيم ١٣٦٧/٤ ، دائرة المعارف الاسلامية ٣١٧/١٤ ، عمر كحالة : معجم قبائل العرب : ٦٤٧/٢ .

يرتادونها ويصيدون فيها الحيوانات والطيور البرية، وقد صور لنا حميـدان الشويعر (١) دور الصلب ومهارتهم في الصيد مما جعلهم يعتبرون

---

(١) هو أشهر شعراء العامية في نجد واسمه ـ على ما ذكر أحد رواة الشعر الشعبي مؤخرا ـ حمد بن ناصر السياري، من السيايرة من الدعـوم من بني خالد ولقب بحميدان الشويعر تحقيرا له لسلاطة لسانه، ولـد في بلدة القصب، ونشأ فيها وبدأ يقرض الشعر وأبرز ملامح شعـره خلط الجد بالهزل في مجالات السياسة والاجتماع والأخلاق، ولا تـزال أشعاره سائرة على الألسن لأنها من النوع الخفيف، ولأن فيها مجـالا للحكمة والسخرية والتندر والاذاع حتى أن بعض جامعي شعره قـد أسقطها الا أن عامة الناس تعرف هذه الأبيات ولعل ذلك للأسلوب الذي صاغها به والذي هو سر عظمة شعر حميدان، وقد ذكر بعض جامعـي شعره أنه كان على درجة من العلم ولكن شعره غلب علمه ولا شك أنه كان على درجة من الثقافة الاجتماعية، ويعد حميدان حطيئة عصره اذ لم يسلـم حتى أصدقاؤه بل حتى زوجته وابنه ونفسه ونقد مجتمعات وسكان البلدان التي زارها نقدا لاذعا، فقد كان يعطي اهتماما للجوانب غير المشرقـة في المجتمع، ولعل ذلك لكونه قد عاش في شظف من العيش كما أنه قد وصف بأنه قميء قصير نحيف ذو لسان سليط حتى لم يسلم من هجائه رجال العلم والدين وان كان يركز على المتاجرين بالدين منهم، وقد جرله أسلوبه هذا المتاعب في حياته حتى لقبه من هجاهم "كليب القصب" وهرب الى الزبـير ليكون حارسا في أحد بساتينها، لكنه حن الى نجد ليملأ الدنيا ويشغـل الناس، فعاد ومر في طريقه على عدد من البلدان النجدية فخرج بتلـك الأبيات التي أصبحت سجلا يفتخر بها الممدوح ويتوارى منها المهجـوء وقد غطت شهرته على شخصيته فلا نعرف شيئا عن ولادته وأسرته، يقـال: انه هجا عبدالله بن معمر أمير العيينـة (ت١١٣٨هـ/١٧٢٦م) فأهدر دمه فتوسل بزوجته وأخرج قصيدة عصماء في مدحه حتى عفا عنـه وأجازه، أدرك بدء الدعوة السلفية وقومها تقويما صادقا، ويقال: انه سبها ولم يثبت ذلك، عاش حتى هرم وقيل توفي سنة ١١٦٠هـ/١٧٤٧م أو بعدها بقليل الا أن المتمعن في شعره وفي الأحداث التاريخية في نجد في تـلك الفترة يبين لنا أن حميدان عاش بعد هذا التاريخ فقد شهد أو عاصـر موقعة الوطيّة قرب ثرمدا بين عبدالعزيز بن محمد وبين أهل ثرمـدا وأشيقر ومرات سنة ١١٦٣هـ/١٤٧٩م حيث أشار اليها في شعره، كما أنـه أشار الى وقعة الغفيلي بضرما سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م حيث أسر فيهـا

....

- عبد الكريم بن زامل أمير أشيقر وذكر ذلك حميدان في شعره ، كما أنه ذكر وقعة الصحن قرب ثرمدا التي أغار فيها الامام عبد العزيز بن محمد على ثرمدا عام ١١٨٠هـ/١٧٦٦م وذكر حميدان لوقعة الخفيلي في قوله :

قل بيض الله وجه جيران دارنا : الى نشدوا وش كان عنا وكان
حضرت لهم في عفجة القور وقعة : بها الطرحا شروى الهشيم تسوان
وقفوا وقفينا معيفين بيننا : وراحب تناعى لبعة وأحزان
مهيضة ربط الكريم بن زامل : سنا الوشم راعي منسف واجفان

وهو في الأبيات التالية يسترجع الذكرى الأليمة لمقتل آل زامل في وقعة الوطية ويذكر وقعة الصحن حيث يقول :

ناديت بالجرعا رزين وسبهان : وصيت تناجيني جدوث المقابر
باليتهم يحمون يوم وليلة : ويشوفون كون بالصحينات باكر

وهذه الأبيات تدل على أن حميدان كان عام ١١٨٠هـ/١٧٦٦م لا يزال قيد الحياة وليس كما ذكروا بعض جامعي شعره أنه توفي سنة ١١٦٠ هـ/ ١٧٤٧م. للتفصيل : (ابن غنام : روضة الأفكار والأفهام ط(١) مكتبة ومطبعة الحلبي مصر نشر المكتبة الأهلية - الرياض ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م ٢/١٥ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ابن بشر : (١/٤٠ ، ٤٤ ، ٦٤ ، عبد الله البسام : تحفة المشتاق (مخطوطة) الورقة ٨١ ، ٨٥ خالد الفرج : ديوان النبط ١/١٤-١٧ وعن شعره من ص ١٦ - ٧٨ وعن الأربعة الأبيات السالفة ١/٢٤ ، محمد سعيد كمال : الأزهار النادية في أشعار البادية . جـ ٩ ٣/٩ - ٥٥ ، ١٢/٩ ، عبد المحسن أبابطين : المجموعة البهية ٦٤-٧٨ ، محمد القاضي : روضة الناظرين ٣/٣٦٧ وقد ذكر فيها وفاة حميدان سنة ١٠٨٨هـ/١٦٧٧م وهذا وهم منه الا أن يكون خطأ مطبعيا محرفا عن ١١٨٨هـ فهذا محتمل ، حمد الجاسر : معجم أنساب الأسر المتحضرة ١/٤٦٤ ، ٤٦٥ ، حمد الحقيل : كنز الأنساب ومجمع الآداب ، الطبعة الخامسة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ص ١٤٢ ، سعد بن محمد بن نفيسة : اضمامة من التراث . منشورات دار الوطن - الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، عبد الله الحاتم : خيار ١/١٣٩ ، ١٧٣ ، عبد الله الشبل : أهم المصادر النجدية ١٩ ، ٢٠ مجلة مركز البحوث التابع لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ع/ص من بحث لأستاذي الدكتور عبد الله الشبل بعنوان تاريخ ابن عباد : ص كلية الآداب جامعة الملك سعود : مصادر تاريخ الجزيرة العربية مطابع الجامعة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ١/٣٨٥ ، ٣٨٦ من بحث للدكتور عبد الله العثيمين ، صحيفة الجزيرة عدد ٣٩٣٠ الجمعة ٤ رمضان ١٤٠٣هـ (من مقال بقلم الراوية الشعبي ابراهيم اليوسف) .

روادا فيه قوله متغزلا :

عينها عين ريم حفل واستذار : شم وشاف زيلة ظعون الصلب (١)

وللصلب مهارة عجيبة فى القنص ، وجلد عظيم عليه ، وهم لهذا يكمنون ساعات طوالا للفريسة فى حفر يحفرونها عند موارد المياه ، فلا يرجعون حتى ينالون من فريستهم ، وهم فى سبيل ذلك يلبسون ملابس فطرية من جلود الغزلان أو غيرها من حيوانات البر ، ويكون شعرها هو الظاهر بحيث يبدو أحدهم وكأنه أحد هذه الحيوانات فتأنس به فيصيدها ، واذا لم يتيسر ذلك لبسوا من الألوان التى تحاكى لون الرمال فى الصحراء لتناسب ظروف الأرض فيها ، وتمكن الصياد من الترصد لفريسته بنجاح (٢) .

وكما استغلهم البدو فى معرفة القنص وأساليبه فقد استخدموهم أدلاء فى جولاتهم وغزواتهم البعيدة اذ من المتواتر عدم تيهة الصلبى ، وتحت أى ظروف من ظروف المناخ فالصلب يستطيعون ارشاد مجموعة بدوية غازية الى مورد ماء أو مرعى بلا خطأ أو تردد أو معاناة ، ومن هنا فهم يسدون خدمة عظيمة للبدو عن طريق افادتهم من القنص والدلالة التى يعرفون عن طريقها جل أخبار البدو القاصية والدانية وتحركاتهم القبلية وغزواتهم ضد بعضهم البعض أو ضد الحضر (٣) .

---

(١) حفل : أى خاف ، استذار : هرب مسرعا بعد أن تحقق من مصدر روعه ، شاف : رأى ، زيلة الزيلة والأزوال : جمع زول وهو الشبح الذى يترآى من بعيد سواء كان حقيقة أم خيال ، ظعون : جماعات : (خالد الفرج : ١/ ٦١)

(٢) كحالة : ٢/ ٦٤٧ ، دائرة المعارف الاسلامية ١٤/ ٣١٧ .

(٣) كحالة : ٢/ ٦٤٧ .

ويبدو أن هذا الرأى يحيل الى رأى ذكره عدد من الباحثين من أن اسلاف الصلب كانوا فى مركز اجتماعى واقتصادى أرفع من مركزهم الحالى بكثير، ولكنهم فقدوا هذا المركز لغطرستهم ودناءة أخلاقهم وما شابه ذلك وينتهى هذا الرأى الى القول بأنهم من أصل عربى خالص (١) استنادا الى أحد التفسيرات اللغوية لمادة صلب الذى يقول : "عربى صليب خالص النسب، وامرأة صليبة كريمة المنصب عريقة" (٢) ويؤكد وجود مثل هذا الرأى فى المجتمع النجدى قول راشد الخلاوى عن الصلب وأصلهم الاجتماعى والتحولات التى طرأت عليه :

الصلب أجواد نما الجود جدهم	نزار الذى صلب العرب من صلايبه
أجاويد قوم قلب الله قلوبهم	بحيلات سو عابت القوم خايبه
قوم طغوا والناس فى جاهلية	وازرى بهم شرك تطامى غبايبه
ولا عندهم الا ابليس دليلهم	دعاهم ولبى القوم لا بليس جايبه
دعا القوم قاموا كالسكارى لصوته	والى صحوا أضحوا لداعيه نايبه
دهى القوم باخلاق رمت كار عزلهم	وعابت محاديهم مدى ادهر دايبه (٣)

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١٤/ ٣١٠ ، ٣١٩ .

(٢) انظر الزبيدى : تاج العروس ١/ ٣٣٨ مادة صلب .

(٣) نما الجود : أى أصل الجود ومنبعه ، حيلات سو : تحيل على أخلاق سيئة ، خايبه : سيئة أو معيبة أزرى : أقعد عن معالى الأمور، تطامى : تكاثرت ظلماته ، والغبايب : جمع غبة وهى الماء العميق ، جايبه : مجيبة أو مطيعة ، نايبه : منيبة ، كار : طبيعة وعادة وأصلها فارس ، محاديهم : أصولهم ، دايبه : دائمة .(عبد الله بن خميس : راشد الخلاوى ٢٥١ ، ٢٥٢).

واذا ثبت أن الخلاوى يرجع الى صلبب ، فان هذا القول من باب رد الفعل تجاه الازدراء والنظرة السيئة من المجتمع النجدى تجاههم ، اما اذا ثبت أن الخلاوى من بنى هاجر من قحطان (١) فان هذا القول لـــه دلالته العظيمة ويجوز أن يكون له مستند من الحقيقة خاصة وأن بعض كبـــار الباحثين فى أصلهم يرون احتمال هذا الرأى ، ولا يبعد أن يكون هـــذا القول صدى لبعض ماتواتر لدى النجديين من ثبوت أصل عريق للصلبوعـدم تعرضهم ــ فى أى فترة من الفترات ــ للاسترقاق ، وأن السبب فى انحطاطهـم اجتماعيا هو ما قدره الخلاوى تماما ــ وان كانوا يختلفون معه بانهم ليســـوا عربا (٢) ــ ومن هنا فان رأى الخلاوى يتفق مع ما تواتر لدى النجديين من نظرتهم للصلب بأن ديانتهم ضعيفة ، وأن السبب فى سقوط وضعهم الاجتماعى واندثار عزتهم هو تخلقهم باخلاق سيئة اوقعتهم فى حمأة الرذيلةوقعدت بهم عن معالى الأمور ومجاراة العرب الصرحاء فى الاخلاق الكريمة من كرم ، وعـزة نفس واباء ، ويؤكد الخلاوى أن أصل واستمرار هذه الاخلاق فيهم هى الــتى عابتهم على مختلف فترات التاريخ بحيث أصبحت من المعالم الرئيسية فــى حياتهم الاجتماعية .

والذى يظهر أن هذا الرأى يميل الى أن الصلب هم أهل البـــلاد الأصليون وأن تعرضهم للازدراء راجع الى قلة عددهم وضآلة شأنهمواستيـلاء

---

(١) ذكر القاضى فى روضته ٢/٤٦٧ أن الخلاوى من بنى هاجر من قحطان كما أن ابن خميس فى طبعته الأخيرة لكتاب الخلاوى روى عن بعـــض أمراء البدو ومشاهيرهم أن الخلاوى من بنى هاجر وأن ذلك متواتـــر لديهم .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ١٤/٣١٠ ، مروياتى الشفوية عن هذه الفئة .

القبائل القادمة الى نجد عبر الموجات البشرية المتلاحقة على مواطنهم ويلمح الباحث تشبيه هذا الرأى هؤلاء الأقوام بسكان أمريكا الأصليين "الهنود الحمر" الذين طردهم القادمون الأوربيون عن مواطنهم واستولوا عليها وأصبحوا بعد ذلك يكيلون لهم مختلف أنواع الاحتقار ، مع الفارق الشديد بين الفريقين فى كون الصلب رغم احتقار النجديين لهم وترفعهم عن مخالطتهم بشكل عام فئة اجتماعية راقية اذا قيست أوضاعهم الاجتماعية باوضاع المنبوذين فى العالم سواء فى امريكا او غيرها ، ولا أدل على ذلك من تلك الحصانة الاجتماعية التى يتمتعون بها كما سيأتى بعد قليل.

<u>الرأى الثالث</u> : أنهم من بقايا الصليبيين ، وهذا الرأى لا يستند الى مستند تاريخى أو عرقى بل كل ما يوجه به قوله هو التشابه اللفظى بين الصلب والصليب، وقد ظهر هذا الرأى أول ما ظهر سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م ، فى مقال فى احدى المجلات الفرنسية التى تصدر بباريس ، وتلقفه فى العالم العربى بقايا الصليبيين فعلا "موارنة لبنان" واثبت ذلك الرأى ونشره فى المنطقة بطرس البستانى (١) ، وانتشر انتشارا واسعا بين بعض المثقفين العرب ، ولقى قبولا لدى كثير من عامة نجد حاضرة وبادية فى نطاق ما ينسجونه حولهم من التهم فى أصلهم ومعتقدهم وأخلاقهم (٢) .

---

(١) هو بطرس بن بولس بن عبد الله البستانى من كبار علماء وأدباء لبنان المسيحيين ولد سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٩م فى احدى قرى لبنان وتعلم العربية وآدابها وعددا من اللغات ، وتعين مدرسا فترجمانا للقنصلية الامريكية ببيروت ، ثم استعانت به فى بعض الأعمال الادارية الأخرى ترجم التوراة من العبرية للعربية ، وألف "محيط المحيط" معجم لغوى ، ودائرة المعارف كما أسس عددا من الصحف. توفى فى بيروت ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م . للتفصيل فيه : الزركلى :(الاعلام ٢/ ٣١ ، الموسوعة العربية ٣٧٠ ، ٣٧١) .

(٢) الحقيل : كنز الأنساب ٢١٠ ، عبد الكريم الجهيمان : الأمثال الشعبية ٣/ ٥٥ ، ٤/ ٢٦٥ ، دائرة المعارف الاسلامية ١٤/ ٣١٠ ، مجلة العرب ج ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦/ س ١٤ ص ١٩٧ ، ٤٧١ .

ورغم ما ذكره عدد من الباحثين عن الصلب من أن المرء يستبين في عاداتهم آثارا من المسيحية القديمة والعناصر السابئة ، وأنهم مسلمون بالاسم فقط ، رغم كل ذلك فان الباحث لا يمكن أن يقبل بمثل هذا الرأى الا بثبوت وجود مثل هذه العادات والمعتقدات وهو ما يتطلب معايشة لأحوال الصلب لم يقم به أى من الباحثين الغربيين عنهم فيما يبدو ، ثم ان تزعم هؤلاء الباحثين لهذا الرأى يلقى حوله ظلالا من الشك ، على أننا لو أطلقنا لأنفسنا العنان فى قبول كل ما يقال عن معتقداتهم لتهنا فى خضم الآراء المتعددة عن ذلك اذ هناك من يقول انهم يعبدون النجوم والشمس ، وانهم يمتون للصابئة بصلة معتقد ، وأن فيهم من آثار اليهود فى صلاتهم (١) ، وقد رد على جوانب من هذا الرأى محرر مادة صليب فى دائرة المعارف الاسلامية بقوله : (ان هذا القول بعيد الاحتمال كل البعد لاسباب عملية ولان الاشارات التاريخية التى توحى الينا بمثل هذا القول نفتقدها تماما (٢) .

وقد لقى هذا الرأى شيئا من القبول لدى بعض الكتاب النجديين والذين لا شك فى أن قبولهم أو اقتناع بعضهم بهذا الرأى الى حد ما ما هو الا صدى لما انتشر بين بعض الكتاب العرب عن هذه الفئة من الناس وما دعم ذلك من نظرة سيئة من عامة النجديين تجاههم ، هذه النظرة التى جعلتهم يرسمون حول هذه الفئة دوائر قاتمة من الشك فى أصلهم ومعتقداتهم (٣) .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١٤/٣١٨ ، ٣١٩ .
(٢) أنظر ١٤/٣١٠ .
(٣) الحقيل : ٢١٠ ، الجهيمان ٣/٥٥ ، ٤/١٥٠ ، ١٥٠ ، ٢٦٥ ، ٤٥٠ ، ٥/٢٨٥ ، ٣١٢ ، وقد ذكر فى كل هذه الصفحات هذا الرأى بقوله يقال انهم من بقايا الصليبيين الا أنه فى ٤/٢٦٥ قال عنهم من بقايا الصليبين وترك صيغة الاحتمال ، وانظر مجلة العرب الاعداد والصفحات السابقة .

وليس من المعروف هل كان لو سمهم (١) الذى يقال انه على شكل صليب دور فى نشر الاعتقاد بأنهم مسيحيون ، ومن بقايا الصليبيين خاصة اذا علمنا بأن عامة أهل نجد وخاصة البدو ينسجون حولهم كثيرا من الاتهامات فى نطاق خوفهم من الاختلاط بهم حفاظا على عدم امتزاج دمائهم النقية بدماء هؤلاء الصلب - على حد اعتقادهم - ، ويرجح محمد أسد أن هذا هو السر فى كل هذه الاشاعات العرقية والعقدية عن هؤلاء (٢) ذلك أن نساءهم جميلات جدا تغرى شباب البدو فى عقد علاقات الحب التى قد تتطور الى زواج وهو مايمقته البدو وخاصة رؤساؤهم ، ومن هنا

---

(١) الوَسْم لفظة فصيحة تعنى وضع علامة مميزة سواء على الانسان أو الحيوان ولكنها معروفة نجديا باطلاقها على العلامة المميزة للحيوان بكيها فى النار اما على صفحة عنقها أو أذنها ، وطرق عملها وانواعها معروفة لدى العرب منذ القدم ، وقد اخذ النجديون خاصة البدو بقسم كبير منها فلكل قبيلة أو فخذ وسم خاص به تعرف الدواب العائدة اليه ويشكل هذا أسلوبا من أساليب الحفظ على الماشية لدى بادية نجد ، ويتميز هذا الاسلوب بالمعرفة وعدم اعتداء أى قبيلة على وسم الأخرى ما لم تكن محالفة لها ، واذا أمكن عقد مقارنة بين وسم القبائل العربية القديمة وبين وسم الحديثة أمكن التعرف على المزيد من ملامح الاتصال التى تجمع بين القبائل العربية قديما وحديثا . (الفيروزابادى ١٨٦/٤ ، الزبيدى ٩٢/٩ ، ٩٣ ، العبودى : الامثال العامية ٥٧٥/٢) .

(٢) الطريق الى الاسلام ٢٨٠ ، وقد ذكر احتمال أن يكون أصلهم من شمالى شبه الجزيرة ، واستبعد امكانية قبول الرأى الثالث .

فقد وقف كبار البدو أمام رغبة بعض شبابهم فى هذا (١) ، ولا يبعد أن يكونوا فى سبيل ذلك قد أخذوا يشنعون على الصلب فى أصلهم ومعتقداتهم لعل هؤلاء الشباب يمتنعون عن مزاوجة الصلب (٢) ، وما من شك فى تسامح الصلب فى القضايا الاخلاقية ، والنسب هى التى جعلت البدوى كما يقول محمد أسد : "يرسم دوائر سحرية من الازدراء والاحتقار حولهم دفاعا غريزيا ضد امتزاج الدم البدوى مع الصليبى" (٣) .

ورغم قبول بعض الكتاب النجديين بهذا الرأى - على غير جزم كامل بصحته - فقد أكد الشيخ حمد الحقيل فى كنز الأنساب أن لهجة الصلب وسحنتهم لا تؤيد مثل هذا الرأى (٤) ، كما أكد الشيخ حمد الجاسر بأن هذا القول لا يرتكز على أساس ، وأن التشابه اللفظى لا يصح سندا فى الحكم على انهم من الصليبيين ، وألقى فى ختام كلامه الشك حول هذا الرأى لأن أول من نشره البستانى فى دائرة معارفه وهو مسيحى ربما كان يدفعه الى ذلك أهداف مريبة (٥) .

وعدا هذه الثلاثة الآراء الرئيسية فهناك آراء هامشية ليس هنا مجال التفصيل فيها الا أن عرضها هنا ضرورى لتصوير جوانب من نظرة النجديين تجاه هذه الفئة ، كما قد تعطى الباحث بعض الأضواء التى تنير له طريق البحث عنها .

---

(١) الجهيمان : ٣١٢/٥ وأورد مثلا يتداوله شباب البدو يدل على أسر نساء الصلب لقلوب هؤلاء الشباب وهو : "قلبى خذنه بنات صليب".

(٢) محمد أسد : الطريق الى الاسلام ٢٨٠ ، عبدالله بن ردا س : شاعرات من البادية ١٨٢ .

(٣) انظر محمد أسد : المرجع السابق ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(٤) ص ٢١٠ .

(٥) مجلة العرب : ج ٥ ، ٦/س ١٤ ص ٤٧١ .

وفى هذا المجال تقول بعض الاشاعات النجدية ان أبا الصلب قد لحقته دعوة من أبيه نتيجة لاغضابه له حيث دعا عليه دعوة أسقطته وأسقطت عقبه بين القبائل، على أن أحد الآراء تقول: ان مركز الصلب الحالى وعاداتهم توحى بأنهم كانوا ضحايا حرب مدمرة عظيمة نشبت بين الأمم، ويبدو أن هذا الرأى يؤيد فى بعض جوانبه الرأى الأول فى وجود صلة جنسية بين بعض الفئات التى تشبه الصلب فى الكثير من نواحى الحياة (١).

كما يقول أحد الآراء ان أجداد الصلب قد خذلوا الحسين بن على رضى الله عنه وأتباعه فى وقعة كربلاء (٦١هـ/ ٦٨٠م) وبذلك يكون لهم ضلع فى جريرة هذه المقتلة، وهذا يوحى بأن الصلب كانوا من الشيعة لأنهم هم الذين خذلوا الحسين ومن قبله أباه عليا وأرادوا التكفير عن ذلك بالمغالاة فى حب على وأبنائه، وفى هذا مايوحى بأن أصل الصلب من شبه الجزيرة وأنهم تفرقوا فى البلدان حولها كالعراق والشام وبقى منهم قسم فى شمال شبه الجزيرة، ومعنى هذا الرأى أن وحدة اقليمية تجمع بين الصلب والنور فى هذه المناطق ولا تشمل غيرهم من الفئات المشابهة لهم كما يقول الرأى الأول (٢).

ولا يجد الباحث ذكرا لهذه الفئة فى المصادر اللغوية العربية باللفظ الذى تعرف به الآن بل يجد ذكرا لفئة من الناس كانت معروفة فى ذلك الوقت وتتشابه أوصافها مع الصلب، وقد أطلق عليها اسم الزعانف (٣)، ويقرر أحد

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية: ١٤/ ٣٢٠، ومروياتى عن هذه الفئة.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية: ١٤/ ٣١٠، ٣١١ وقريب من هذا الرأى اعتبار نخاولة المدينة ـ وهم شيعة ـ من الصلب ـ على أن فى هذا نظر. واسمهم فى الدوائر الرسمية نخليون، ويحيك بعض المؤرخين عنهم اشاعة تقرب من القول بأن للصلب صلة بقصة كربلاء. (أحمد السباعى: تاريخ مكة ط (٤) دار مكة. نشر نادى مكة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ص ٩٤، ٩٥).

(٣) قال فى القاموس والتاج: (الزعنفة طائفة من كل شئ، والزعنفة من كل شئ الرذل الردئ، والزعنفة القطعة من القبيلة تشذ وتنفرد أو هى القبيلة القليلة تنضم الى غيرها من الأحياء الكبيرة، وما تخرق من أسفل القميص يشبه به رذال الناس والزعانف أجنحة السمك وبها شبهت الأدعياء لأنهم التصقوا بالصميم كما التصقت تلك الأجنحة بعظم السمك، وقال الزهرى:

=

الباحثين أن الزعانف يشبهون الصلب تماما ان لم يكن الصلب يرجعون في أصلهم للزعانف(١) ، ويبدو من الاطلاع على أوصاف كل من الفئتين وجاهة هذا الرأي الى حد ما ، ويمكن اعتباره مؤيدا للرأي الثاني من جهة ورأيا مستقلا من حيث أنه ينظر الى الصلب على أنهم قد تعرضوا للنبذ منذ فترة متقدمة مما يوحي بأنهم من القادمين اليها ، ويبقى هذا الرأي قابلا للنقاش وربما القبول ، والى أن تتوافر الأدلة المؤيدة له يظل من الآراء الجانبية التي تبحث في أصل الصلب .

ومن الجدير بالذكر هنا التفريق بين الصلب والسيدان حيث يتمتعون بأخلاق أعلى من الصلب ، ويختلف الصلب عنهم بأنهم أعرق نسبا ، ويسمى السيدان " السيار " لامتهانهم الطواف في الأرض وهم يتفقون مع الصلب في هذا ، كما يتفقون معهم في أغلب المهن والحرف التي يقوم بها الصلب ، ويختلفون عن الصلب بعدم مهارتهم في القنص والدلالة ، ويعتبرون في عداد الارقاء المحررين أو الفئات المجهولة أنسابهم عند الحضر ، ويتفقون مع الصلب في المسالمة ، وقد يتبع الصلب أو السيدان أفراد من القبائل المعروفة فيتعرضون للاحتقار ، ويبدو أن هذا من أسباب احتقار فئات ترجع الى هذه القبائل المعروفة(٢) .

= " كل جماعة ليس أصلهم واحد ، كما تطلق على النساء الخساس وقد تجمع على الزعانيف بمعنى الجماعة المتفرقة من الناس ، ومنه قول عمرو بن ميمون : اياكم وهذه الزعانيف الذين رغبوا عن الناس وفارقوا الجماعة " انتهى بتصرف . (الفيروزابادي : ٣/١٤٨ ، الزبيدي : ٦/١٢٨) .

(١) دائرة المعارف الاسلامية : ١٤/٣١٠ .

(٢) ابن رداس : ٢١٦ ، ومروياتي عن هذه الفئة .

حياتهم الاجتماعية ومدى تأثير الدعوة السلفية فيها :

يؤدي صلب نجد أدوارا اجتماعية مهمة رغم ماكانوا يعانون من نبذ المجتمع النجدي فهم يقومون بكافة أعمال الحدادة المعروفة آنذاك كطرق وصنع بعض أدوات الزراعة، والسكاكين ، والأسلحة ،ولقد كانت القِرّوة الصلبية (نوع من السيوف التي يصنعونها) تحظى بالقبول والاعجاب من سائر النجديين لحدتها (١) وعموما فهم يقومون بكافة الأعمال الحديدية ، وقد بلغوا بها درجة وصفهم بها الباحثون الغربيون بأنهم حدادون مهرة (٢) نتيجة انبهارهم بدقة مشغولاتهم الحديدية علاوة على أنهم يصنعون ويصلحون كافة الأدوات المنزلية وغيرها من النحاس سواء كان ذلك صنعا أو رقعا أو جلوا لما علاه الصدأ في بطنه وهو مايسمى بالربابة (٣) (بتشديد الراء مع كسرها) كما أن منهم نجارون مهرة يقومون بصنع كافة مايحتاجه المجتمع النجدي من الأواني المنزلية الخشبية، وأشدة الابل ،وسروج الخيل، ومحامل الحمير (٤) ،وبشكل عام فان شغل الخلاوية وهم الصلب لايتقدم عليه عمل لدى النجديين حاضرة وبادية ، كما أن لديهم قدرة تامة على قيافة الأثر توازي قدرة بني مرة لها (٥) .

---

(١) عبدالكريم الجهيمان :الأمثال الشعبية ٥/ ٢٨٥ وذكر المثل : " قِرّوة صلبي تحقرها وهي تقص العظم".

(٢) دائرة المعارف الاسلامية: ١٤/ ٣١٦ .

(٣) الربابة بمعنى الجلو والجلي لم أجد لها أصلا فيما بين يدي من كتب اللغة الا أن تكون من الرب الذي هو بمعنى الاصلاح قال في القاموس " رب الأمير أصلحه " ،أو تكون من البياض والتبييض قال في القاموس أيضا : "الرباب السحاب الأبيض" أما الجلو فصحيحة ، قال في القاموس: " جلا السيف والمرآة جلوا وجلاء صقلها ،وجليت الفضة جلوتها " (الفيروزابادي ١/ ٧٠، ٧١، ٤/ ٣١٣).

(٤) المحامل : جمع محمل بفتح وكسر الميم . جمع يطلق ويقصد به التثنية، وهي فصيحة الا أنها في الأصل كانت لما يحمل فيها على البعير قال في القاموس: " والمحمل كمجلس شقان على البعير يحمل فيهما الأن الجمع محامل" أما المقصود بها هنا فهي شقان ينجران من الأخشاب ليحمل فيهما على الحمار.(الفيروزابادي : ٣/ ٣٦١).

(٥) دائرة المعارف الاسلامية: ١٤/ ٣١٦، ٣١٧ ،محمد أسد :الطريق الى الاسلام ٢٨١ .

وبالاضافة الى ما كانوا يعدون المجتمع به من الحيوانات والطيور البرية نتيجة القنص فهم يمدونه كذلك بجلود ووبر وريش هذه الحيوانات والطيور، كما يقومون بتربية الغنم وأحيانا الابل، ولكنهم اشتهروا بتربية الأتن البيض السريعة الجرى، ويعتبر الصلب بشكل عام من أمهر مربى الحمير، ويقال انهم يصيدون حمر الوحش ويروضونها ويستغلونها فى الانتاج والتهجين وقد انتج اهتمامهم بهذه التربية حميرا تحتفظ بمستوى عال من القوة والخدمة مما جعلها تحظى بتقدير عظيم من سائر النجديين بل ذكر بعض الباحثين الغربيين ان هذه الحمير كانت تصدر الى أوربا فى بعض الأحيان، وقد اشتهروا كذلك بمعرفة علل الحمير وعموم الحيوانات(١).

ويسدى الصلب خدمات علاجية للمجتمع النجدى وهم فى هذا يستخدمون كافة أنواع العلاجات المعروفة آنذاك من تحسس للألم بالأيدى طبقا لأصول فنية أشاد بها الباحثون الغربيون، ومن استعمال للمراهم التى يجلبونها من المراكز التجارية، ومن استعمال للمساحيق والمشروبات من نباتات البيئة المحلية وغير المحلية يصنعونها ويدخلونها فى هذه العلاجات، علاوة على دقتهم وحذقهم فى معرفة مواطن الكى لمعظم العلل، وهم بعد ذلك لايتورعون عن استخدام كافة أنواع السحر فى سبيل هذا العلاج، وعبر كل هذه العلاجات، وبما حذقوه من التجارب فهم أطباء النجديين عموما والبدو خاصة يثق بهم كلا الفريقين حاضرة وبادية(٢).

ومن ابرز مظاهر حياتهم الاجتماعية والتى سببت لهم احتقارا متأصلا من النجديين ضعف نفوسهم وتطلعها لما فى أيدى الناس مما جعلهم يمتهنون السؤال الذى لايمتهنه أحد الا سبب له ذلا ومهانة فكيف بمن استمرأ امتهانه

---

(١) عمر كحالة: ٦٤٧/٢، دائرة المعارف الاسلامية: ٣١٥/١٤، ٣١٦، العبودى: الأمثال العامية ٧٣٤/٢ وأورد المثل رقم ١١٦٢ "الصلبى أبخص بمكاوى الحمار" أى أعلم متى وكيف وأين يكوى الحمار اذا مرض.

(٢) كحالة: ٦٤٧/٢، دائرة المعارف الاسلامية ٣١٧/١٤.

ونشأ عليه أولاده ، ومن هنا جاء المثل النجدى قاسيا على الصلب ومبالغا فى وصف حياتهم حيث يقول : " صلبى حياته ماهيب لله ورزقه على خلق الله " (١) الا أنه على قسوته ومبالغته فهو يصور أحد أسس حياتهم كما يصور فكرة تأصلت عنهم لدى النجديين ، وهى قبولهم أى شئ فى سبيل هذه المهنة مهما كان حقيرا وفى هذا يقول أبو حمزة العامرى (٢) راثيا ابنة عمه :

ما أسلى عنك الا أن سلى الصلبى عن حيا : الله أو يسلى الطفل عن ديد أمه الغالى (٣)

وقد بلغ من بغض النجديين وخاصة باديتهم للصلب والذى كان نتيجة لتأصل النظرة السيئة تجاه هذه الفئة ، بلغ هذا البغض حد التشاؤم من رؤية أى فرد من هؤلاء أحد الصلب عند القيام بأى عمل مما يدفعه الى تركه ، وهم ينسجون حول هذه الفكرة صورا من الاشاعات عن هذه الفئة تندرج كلها حول التشاؤم وعدم رؤية المرء مايسره اذا عرض له أحد هؤلاء وكما يقول المثل فى هذا " عرضة صلبى " (٤) .

---

(١) عبد الكريم الجهيمان : الأمثال ٤/ ١٥٠ .

(٢) هو أبو حمزة العامرى السبيعى لم يفدنا رواة الشعر الشعبى بأى معلومات عنه غير لقبه ونسبه الذين أخذوهما من بيته الذى يقول فيه :
يقول أبو حمزة من سلالة عامر : خيالها المعروف بالهيجائى
وهو من شعراء أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر الهجريين ، ويرى فهد الربيعان فى كتابه العرينات أنه من سلالة عامر بن عقيل بن عمر من العرينات ، (فهد المحمد الربيعان : العرينات - مطابع البادية . الرياض ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ١/ ٣٣، ٩٨ ، عبد الله الحاتم : خيار مايلتقط ١/ ٣٣، ٣٥) .

(٣) سلاه وأسلاه : أنساه فتسلى : نسى ، حيا الله : استعمال نجدى لم أر له أصلا فيما بين يدى من كتب اللغة وهو يعنى أى شئ مهما كان قليلا أو صغيرا ، ديد : الثدى وهى كلمة آرامية لا أصل لها من العربية وتنطق فى الآرامية (ديدا) أما الديس - وينطق بها بعض النجديين خاصة البدو - فقال فيها الفيروزابادى : " الديس : الثدى عراقية لا عربية " . والآرامية هى لغة الآراميين الذين يعود أصلهم الى شبه الجزيرة العربية وأطلق عليهم ذلك الاسم وانتشرت لغتهم باسمهم فى مناطقهم الجديدة أى بادية العراق والشام . (الفيروزابادى ٢/ ٢١٨ ، ٤/ ٣٤٤ ، العبودى : الأمثال ١/ ١٢٣ ، الموسوعة العربية ١٠٩ ، وعن البيت : عبد الله الحاتم : خيار ١/ ٣٤) .

(٤) العبودى : ٢/ ٨١٤ ، ٨١٥ .

ويبدو أن ارتباط لفظة الصلبى فى نجد بمفاهيم التدنى الأخلاقى ، وعدم الاهتمام بالنظافة العامة ، وعدم الالتزام بالعهود والمواثيق . يبدو أن هذا هو السبب الرئيسى فى كره الصلب لاطلاق هذه اللفظة عليهم اذ أنهم يرغبون فى اطلاق لفظة الخلاوية ومفردها خلاوى حتى أنه اذا أطلقت على أحدهم خلاوى هش وبش واذا اطلقت عليه صلبى غضب ونفر منك وعلاوة على ما سبق فان ارتباط لفظة الصلب ببغض النجديين جعلت هذه الفئة تنفر منها ، ثم ان لفظة الخلاوية تقربها من عامة البدو لاتفاقهما فى سكنى البادية والتخلوى فيهما ، ومن هنا فان اطلاق لفظة الصلب فيه معنى الذم كما أن لفظة الخلاوية فيها معنى المدح لهذه الفئة ، حتى أنه قد تواتر لدى النجديين اذا أرادوا أن يذموا شخصا لايهتم بنظافته قالوا عنه صلبى ، بل ان البدو يسمون أحيانا بعض أولادهم باسم صلبى اذا رأوا فيه بروز بعض صفات الصلب (١) .

ونظرا لحب الصلب للمسالمة ، ونأيهم بأنفسهم عن التورط فى المنازعات التى تنشب بين القبائل العربية ، وعدم وقوع مثل هذه الغزوات بينهم كذلك ، فلم يكونوا أعداء طبيعيين لأى أحد فى نجد حاضرة وبادية رغم امتهانهم للدلالة التى قد تؤدى الى احدى الغزوات ، ومن هنا فقد كفوا أنفسهم حمل السلاح ما عدا أسلحة الصيد ، على أن هناك عاملا آخر جعل حياتهم آمنة فى صحراء نجد الموحشة ، وهو احتقار النجديين عموما والبدو خصوصا للصلب اذ ينظر المجتمع النجدى الى كل من تعدى عليهم أو غزاهم نظرة ساقطة باعتباره - وخاصة فى نظر قومه - فاقدا لشرفه سواء كان هذا التعدى بالسلب أو بأى ضرب من ضروب التعدى الجسدية وغيرها ومن هنا جاء المثل النجدى معبرا عن أمن الصلب فى تركهم مواشيهم ترتع دون خوف من سارق حيث يقول هذا المثل : "الخلوى أباعره همل" (٢) أى لايمكن أن يقربها أحد ، وتلك نعمة أمنية

---

(١) الجهيمان : الأمثال ٤/٢٦٥ ، وأورد فيها المثل "طهارة صلبى" ، ومروياته الشفوية عن هذه الفئة .

(٢) أباعر أحد صيغ الجمع للبعير فصيحة ، وهمل : بمعنى مهمل متروك ليلاونهارا فصيحة ، وسيرد الكلام عند أثر الدعوة على الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد على تنظيم الدولة السعودية الأولى المستمد من تنظيم الاسلام لأوضاع الهمل ، (الفيروزابادى ١/٣٧٥ ، ٤/٧١ وعن المثل : الجهيمان ٣/٥٥) .

يفتقدها سائر المنبوذين فى أنحاء العالم بل تمتع الصلب بها بين عامة النجديين وسط مجتمعهم يعيش حياة القلق والرعب والخوف فى كل لحظة من لحظات حياته (١) .

ومن جهة أخرى فان لهذا الأمن أساسا ماديا فى أغلب الأحيان اذ أن الصلب غالبا مايلجأون الى القبائل المرهوبة الجانب مقابل اتاوة " ضريبة الاخاوة " ويدعى من يقوم بهذا العمل من القبائل حامى ، وتتركز هذه الحماية فى القبائل التى تتركز مواطنها فى شمال نجد بحكم تركز الصلب فى هذه المناطق ، اذ أن بعض أفراد من البدو قد يطمعون فى حيوانات الصلب الكبيرة من الابل والخيل على أن ذلك نادرا ندرة وجود مثل هذه الحيوانات لدى الصلب لأنهم فى غنى عنها (٢) .

وان براعة الصلب فى تعدد الأدوار الاجتماعية المهمة التى مرت تعطينا تصورا لما كان عليه الصلب من وعى اجتماعى استغلوه لصالحهم حتى يبقى المجتمع النجدى حاضرة وبادية بحاجة اليهم ، وبشكل خاص فالبدوى يقدر فى الصلبى براعته فى تلك الأدوار ، اذ أنه رغم احتقاره للأعمال البدوية ومن يقوم فيها بحاجة ماسة اليها ، ولذلك فهو يتطلع الى الصلب فى الحصول على حاجاته منها ، وهذا عامل مهم لحصانتهم فى المجتمع النجدى حيث استطاعوا بهذا الوعى الاجتماعى أن يكونوا من أنفسهم فئة اجتماعية مهمة لاغنى للمجتمع عنها فهى قد جعلته يكفى نفسه بنفسه الى حد ما فيما يحتاج اليه من حرف أساسية لتسيير دفة الحياة فيه (٣) .

---

(١) عمر كحالة : ٢/٦٤٧ ، محمد أسد ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، دائرة المعارف الاسلامية ١٤/ ٣١٨ .

(٢) الحقيل (١ ٢١ ، دائرة المعارف الاسلامية ١٤/ ٣١٦ ، ويمكن عقد مقارنة بين ماذكره محمد أسد ص ٢٨٠ من احتمال أن يكونوا من شمال شبه الجزيرة ، وبين تركزهم فيها فعلا واحتمائهم بالقبائل الموجودة فى المنطقة كذلك ، كما يمكن عقد مقارنة بين ذلك كله وماذكره محرر مادة صليب فى دائرة المعارف الاسلامية ١٤/ ٣١١ من تركز الصلب فى وسط شبه الجزيرة وشمالها فقط ، وعدم عثور الرحالة الغربيين الذين رحلوا الى جنوبى شبه الجزيرة على أنا س منهم .

(٣) محمد أسد ٢٨٠ ، دائرة المعارف الاسلامية ١٤/ ٣١٧ .

ومن أبرز عادات الصلب الاجتماعية الرقة والصراحة اللتين تميزانهم عن البدو والصرحاء الذين دائبوا على التحفظ والشك، ويستحيل على المار بمساكن الصلب في الصحراء أن يجد مايقربه واذا وجد شيئا من ذلك فهو دون المستوى الذى يحصل عليه من البدو بنسبة كبيرة، ويعتمد الصلب على مهارتهم فى الصيد لتوفير اللحوم لأنفسهم (١).

ويسكن الصلب فى بيوت شعر ولكنها فى مستوى أقل من بيوت البدو وبعضهم قد يأوى الى الكهوف والعيش فى الخلاء والعراء، أما زعماؤهم فهم يسكنون فى بيوت تبدو كبيرة على أن هذا مرهون بالوضع المادى للمنطقة التى يتجولون فيها، وعموما فهذه المساكن تلتقى فى ظاهرة تدنى نسبة النظافة فيها وحولها (٢).

وتضم فئة الصلب مجموعة قبائل ذات أفخاذ متعددة وقد تصل الى ثلاثين فخذا وهم منتشرون فى شمال نجد وشرقى شبه الجزيرة وجنوبى العراق وتمتد منازلهم الى بادية الشام، وهم يقيمون ويرحلون زرافات صغيرة، وليس مثل تنقلات البدو التى تتم على شكل جماعى، والصلب لايبعدون كثيرا عن مواطنهم اذ لم يذكر أنهم قاموا برحلات بعيدة، وقد فصل عدد من الباحثين فى ذكر قبائل وأفخاذ الصلب وبعضهم أدخل فيهم قبائل وأفخاذ من البدو والصرحاء ويبدو أن ذلك تحت تأثير بعض القبائل المعادية لهم، أو لوجود فئات منها قد تتشابه مع الصلب فى بعض العادات والتقاليد (٣).

---

(١) المرجع السابق ١٤/ ٣١٤، ٣١٥، جاكلين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدرى قلعجى. نشر دار الكاتب العربى. بيروت، مكتبة النهضة: بغداد ص ٢١٩.

(٢) المرجعين السابقين: ١٤/ ٣١٨، ٢١٩.

(٣) الحقيل: كنز الأنساب ٢١٠، ٢١١، حمد الجاسر: معجم قبائل المملكة: ١/ ١٣٨، ٣٤١، ٣٤٢، ٤٤٢، ٤٤٣، ٢/ ٨٥ ٦، ٨٧٨، عمر كحالة: ٢/ ٦٤٦، دائرة المعارف الاسلامية ١٤/ ٣١٢، ٣١٣، ويجدر بالذكر هنا وجود قبائل وأفخاذ تتشابه مع الصلب فى الاسم، ولكنها ترجع الى أصول وقبائل صريحة معروفة.

واذا كان من الصعب الانسياق وراء الروايات الغريبة حول معتقدات الصلب ، والتى المحت الى شئ منها فى الرأى الثالث عن أصلهم ، اذا كان هذا من الصعب لأنها لاتملك دليلا على صحة وجود مثل هذه المعتقدات ، فان من الضرورى هنا عرضها هى وغيرها حتى نتمكن من الوصول الى رأى الدعوة فيهم ، وحتى نصل فى النهاية الى مدى تأثيرها فى حياتهم العامة مهما كان هذا التأثير محدودا .

ولعل من أبرز آثار المسيحية التى يذكر بعض الباحثين أنها موجودة فى الصلب هى استعمال الصليب ، والعماد فى اليوم العاشر أو الأربعين بعد الولادة وأنهم حين يصلون يمدون أذرعتهم حتى تكون على شكل صليب ، وأن فيهم بعض آثار الصابئة ويحجون الى مركز الصابئة فى الشام (حران) حيث لأقربائهم فيها شعائر وترانيم للصلاة ، كما يروى بعض الباحثين كذلك أنهم يعبدون النجوم وخاصة النجم القطبى ونجما فى كوكب الكبش ، وما من شك أن لدور هذه النجوم فى تسهيل مهمتهم كأدلاء مشهورين عامل كبير فى هذه العبادة ان صحت ، ويقرن أحد هؤلاء الباحثين بين الصلب وبين اليهود فيزعم أن فيهم آثارا من اليهود حيث يصلون ثلاث مرات فى الشروق ، وفى الظهر ، وعند الغروب ، ويغرب أحد الغربيين فى القول حينما يدعى ان لجميع الصلب بطريقا واحدا وأن الكهنة والكاهنات ينتشرون بينهم حيث تنعم الكاهنات باحترام خاص ويطلق على الواحدة منهم فقيرة (أى ناسكة متعبدة) ويزعم الصلب ومعهم هذا الباحث أنهن يشفين المرضى بمجرد وضع أيديهن عليهم ، وقد خلص محرر مادة صليب فى دائرة المعارف الاسلامية من هذه الأفكار الى احتمال ايمان الصلب بالمسيحية سرا (١) .

ورغم عدم اطمئنان الباحث الى صحة وجود هذا الزخم الهائل من الأفكار الدينية لدى الصلب والتى حفلت بها وغيرها دائرة المعارف الاسلامية فان من الصعب ادخالها فى دائرة النفى بل تبقى تحت دائرة الشك ، وقريب من هذه

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ٣١/٤ ، ٣١٩ .

الأفكار ما ذكره نيبور (١) من أنه كان يوجد فى منطقة نجد صابئة ومسيحيون من اتباع سانت جون وقليل من اليهود ، واذا أضفنا الى ذلك أن هذه المعلومات استقاها نيبور من بدوى وقد يكون صلبيا اشتبه به نيبور – وهو من شرقى شبه الجزيرة وليس من نجد ، فان الشك والحذر يجعلان الباحث يستبعد صدق هذه المعلومات ، علاوة على أن صدورها من هؤلاء الغربيين يزيد الباحث شكا وحذرا أكثر (٢).

ويلمح الباحث شبه اتفاق بين الرحالة الغربيين الذين زاروا نجد فى تأكيدهم على الوجود المسيحى واليهودى والصابئى فى نجد ، فيقرر بلجريف (٣) وغيره أن ديانة الصابئة كعبادة النجوم والشمس والقمر ، وأن عدم الطهور ومراسيم

---

(١) هو كارستن نيبور ولد فى هانوفر التى تقع شرقى المانيا الغربية سنة ١١٤٥هـ/ ١٧٣٣م وهو دانمركى الأصل ولما تعلم شيئا من العربية أرسلته حكومة الدانمرك مع بعثة هو خامسها ، ولما وصلوا اليمن ١١٧٦هـ/١٧٦٢م مات جميع أفراد البعثة ماعداه فابحر الى مسقط فبغداد فالموصل وعاد الى بلاده عن طريق استانبول ١١٨١هـ/١٧٦٧م ، صنف بالالمانية ما رآه فى بلاد العرب ثم ترجم الى الفرنسية فالانجليزية " تحت عنوان : رحلات عبر بلاد العرب وأقطار أخرف فى الشرق" ويعتبر أول كتاب نقل أخبار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى أوربا ، ولكنه لم يصل نجدا ، مات فى الدانمرك سنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م . للتفصيل : (د : عبد الله العثيمين : نيبور ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بحث نشر فى مجلة كلية العلوم الاجتماعية ع/ ٢ عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م من ص ١٧٥–١٨٣ ، الزركلى : ٦/ ٦٣ ، مسعود الندوى : محمد بن عبد الوهاب . ترجمة عبد العليم البستوى ، ط (١) مطبعة زمزم . مكة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، د : صلاح العقاد رحلة كارستن نيبور بحث قدم للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (البحث بأكمله جاكلين بيرين ١٤٦ –١٧٨).

(٢) مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، العدد السابق ١٧٧ من مقال الدكتور العثيمين ، د : محمد محمود الصياد : الرحالة الاجانب فى الجزيرة العربية فى القرن التاسع عشر . بحث قدم للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ص ١٢.

(٣) هو الرحالة الانجليزى وليم جيفورد بولغريف ولد بيهوديا سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٦م ويقال أنه اعتنق المسيحية فصار أبا وانتقل من انجلترا للعمل باحدى

=

الزواج غير الشرعية كلها كانت معروفة فى نجد ، ولا يبعد أن يكون بلجريف قد استقى هذه المعلومات من نيبور بشكل خاص وأن يكون الصلب هم المعنيون بوجود هذه الأفكار بينهم، بل يقرر أحد الغربيين أن السلفيين قد حطموا عمودا مسيحيا فى بعض بلاد نجد ، وهو ما لم تشر اليه المصادر المحلية المؤيدة للدعوة وهى الحريصة على ابراز أى عمل تقوم به الدعوة من أجل تغيير الحياة الدينية فى نجد الى الأفضل (١).

ورغم أن الباحث بل الانسان العادى الذى لديه أدنى اطلاع على حياة النجديين قبل الدعوة ـ ولو من خلال الروايات الشفوية على الأقل ـ يستنكر القول بوجود مثل هذه الأفكار الدينية فى نجد حتى بين الصلب ، رغم كل ذلك فان الاطلاع على مثل هذه الأفكار الغربية ضرورى لمعرفة رؤية المؤرخين الغربيين تجاه القضايا التى لها مساس بالعالم الاسلامى ، خصوصا وأن بعضا من الباحثين قد يقبل بوجود مثل هذه الأفكار .

= المؤسسات التبشيرية فى لبنان تحت اسم الأب ميخائيل ، أرسله نابليون الثالث الى جزيرة العرب لمعرفة أوضاعها السياسية ، ورغبة ظاهرة فى شراء خيول عربية ، وتزيا بزى الطب فوصل نجدا عام ١٢٧٤هـ/١٩٦٨م وزار معظم أقاليمها ، وصنف عنها رحلاته ولكنه تحامل فيها على السعوديين الذين اشتبهوا بحقيقة أمره فتحامل على المنطقة سياسيا واجتماعيا حيث ذكر أن الرياض فى عهد الامام فيصل بن تركى أكثر فحشا ورذيلة من دمشق وصيدا الى غير ذلك من الترهات التى يأنف الانسان من ذكرها ، مات سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م . للتفصيل: (د : عبدالفتاح أبو علية الدولة السعودية الثانية . نشر مؤسسة الأنوار . الرياض ص ١١٦-١١٨ ، د : جمال زكريا قاسم: الدوافع السياسية لرحلات الأوربيين الى نجد والحجاز خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . بحث قدم للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ص ٢٠ ـ ٢٤ ، أمين الريحانى :نجد وملحقاته ط (٤) مؤسسة الريحانى ـ بيروت ٩٦ ، ٩٧ ، جاكلين بيرين ٢٩٨-٣٢٢ ، مسعود الندوى :المرجع السابق ٢٣٩ ، ٢٤٠) .

(١) جاكلين بيرين ٣١٤ ، ٣١٩ ، ديكسون :الكويت وجاراتها . ط (١) نشر جاسم الجاسم ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ص ١٠١ ، د :محمد أنيس :الدولة العثمانية . ط دار الجيل ، نشر مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، محمد مبروك نافع: عصرما قبل الاسلام ص ٧ .

وإذا كان أهل مكة أدرى بشعابها فإن معرفة معتقدات الصلب يجب أن تستقى من النجديين أنفسهم الذين تواتر لديهم أن هذه الفئة تشبه في معتقدها كفار البوادي قبل الدعوة الذين كانوا يعيشون في جهلاء، ولكنهم كانوا مادة خاما لم تنتشر بينهم تلك المعتقدات التي تحمس الرحالة الغربيون لاثبات وجودها في المنطقة، ويصور ذلك الخلاوي الذي سبق :

قوم طغوا والناس في جاهلية : وأزرى بهم شرك تطامى غياهبه (١)

وإذن فوجود الشركيات والبعد عن الدين عند الصلب صورة من صور البعد عن الدين والجاهلية لدى البدو بشكل عام، ويمكن أن يضم إليها تلك الصورة المعبرة التي ذكرها الخلاوي أيضا عن البدو وربما الصلب كذلك فيما يتعلق بالحياة الدينية حينما قال :

فان سلت قومي يا منيع فلا تسل : أحجار وأشجار يعبدون خايبه (٢)

والبيت وما بعده سيرد ذكرها عند الكلام على الحياة الدينية لدى بادية نجد قبل الدعوة .

ولقد كانت الدعوة واقعية في نظرتها لتلك الفئة التي يلف بها الغموض من كل جانب حينما تطرق بعض علماء الدعوة لعقيدة هذه الفئة في معرض حديثهم عن الصيد إلى صيد الجلاء (٣) وهو صيد الصلب، وذكروا فيه أن هؤلاء القوم مثلهم في هذا مثل كثير من بادية نجد في تلك الفترة غاية في الكفر

---

(١) عبدالله بن خميس : الخلاوي ٢٥٢.
(٢) المرجع السابق : ٢٣٧.
(٣) الجلاء : لم أجد لهذه اللفظة أصلا فيما بين يدي من كتب اللغة إلا أن تكون بمعنى الرمي قال في القاموس : "جلى ببصره تجلية رمى به" فيكون المعنى صيد الرمي ، وأضاف ابن خميس معنى آخر حينما قال : "وقتل الصيد وجليه : أي تقديده وتيبيسه وبيعه وإهداؤه" وذكر بيرين نقلا عن بركهارت تسميته بلحوم الطرائد . (الفيروزابادي ٤ / ٣١٣ ، عبدالله بن خميس : من أحاديث السمر . ط (١) مطابع شركة حنيفة. الرياض ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ١ / ٢١٩ ، جاكلين بيرين ، جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ترجمة قدري قلعجي ، دار الكاتب العربي . بيروت ، مكتبة النهضة ببغداد ، ص ٢١٩

والضلال ، وأنهم فى حكم المرتدين الذين لا يصلون ، ولا يزكون ، ولا يدينون بالشرع ، ولا يؤمنون بالبعث ، ولا يرون التسمية على الصيد كما هو مشهور لديهم وبالتالى فذبيحتهم حرام ، وهذه النظرة من بعض علماء الدعوة لاشك أنها مبنية على معرفة لعقائدهم وأسلوب حياتهم (١) .

وقد اشتهر لدى الصلب أكلهم للجيف وعدم تحرجهم وهم يصيدون الحيوانات والطيور عامة عن صيد وأكل الحيوانات والطيور مما له ظفر أو ناب ومما اشتهر تحريمها ، بل يأكلون فى هذا كل ما يمكن أكله بلا حرج من عرف أو شرع حيث ذكر بعض الباحثين عنهم أنهم يأكلون النسر والكلب ، وهذه الأمور وغيرها مما تواتر لدى النجديين وجودها فى الصلب ، وفى بعض بادية نجد فى تلك الفترة هى التى دفعت الدعوة الى اتخاذ موقفها من هذه الفئة ، وهو موقف واقعى اذا قيس بتلك النظرات الغريبة تجاه عقيدة هؤلاء ، وهى نظرات لم يؤثر عن أحد من النجديين أنه قال بوجودها (٢) .

ورغم أن الباحث لا يستطيع العثور على محاولات مكثفة من الدعوة قامت بها لاصلاح وضع هذه الفئة عقديا واجتماعيا فى نطاق عدم محاولة الدعوة كذلك كشف حقيقة هذه الفئة بشكل واسع - عدا الاشارة السابقة - رغم كل ذلك فان أحد الباحثين أشار الى تعرضهم لهجوم من قحطان لأسباب دينية ، وبغض النظر عن معرفة فترة هذا الهجوم فانه - على مايبدو - بايعاز من أئمة الدعوة ، أو محاولتهم قحطان لضم هذه الفئة الى الدعوة خاصة اذا علمنا أن قحطان من أبرز القبائل البدوية جهادا فى سبيل نشر مبادئ الدعوة ، وقد ولدت هذه المحاولة أو غيرها مما لم تظفر بتفصيلات عنها بعض المؤثرات الاجتماعية مثل ايمانهم بالطلاق والختان ، وهى مؤثرات لم تكن بالمستوى المرجو من الدعوة تجاه هذه الفئة المهمة ، على أن هذا لا يمنع وجود مؤثرات أخرى أقوى أو أضعف من تلك المؤثرات لم تصلنا معلومات عنها ، وضاعت فى سلسلة الدوائر القائمة التى

---

(١) عبدالرحمن بن قاسم : الدرر السنية ٦/ ٤٧٢ - ٤٧٤ .
(٢) محمد أسد : ٢٨٠ ، دائرة المعارف الاسلامية : ١٤/ ٣١٥ .

رسمت حول هذه الفئة، علاوة على أن الصلب - بما جبلوا عليه من المسالمة والانصياع للسلطة - ربما كانوا قد جاروا الدعوة ودولتها في ترك بعض معتقداتهم وعاداتهم القديمة، والتمسك ببعض المظاهر السلفية ولو ظاهرا شأنهم في هذا شأن بعض البدو (١).

وبعد ، فيمكن اعتبار الصلب فئة اجتماعية نجدية ذات أصل وعادات وتقاليد غير واضحة، وتاريخها التفصيلي يشكل معضلة من معضلات التاريخ الديني والاجتماعي في نجد ، ورغم كثرة ما قيل عنهم من قبل الرحالة الغربيين وغيرهم فقد بقيت حقيقتهم التفصيلية لغزا محيرا استعصى على أكثر الرواد والبحاثة (٢) ، ورغم انتشار الوعي الاجتماعي في الاقتناع بعدم وجود تفرقة اجتماعية من تلك التي كانت سائدة من قبل ، فان معرفة نظرة النجديين لهذه الفئة ، واستمرار هذه النظرة القائمة لدى البعض حتى الآن كل ذلك يحتم علينا دراسة الجوانب التفصيلية لتاريخ هذه الفئة تخفيفا لحدة تلك النظرة وقد آن الأوان لتحظى هذه الفئة باهتمام الباحثين والدارسين في حقلي التاريخ والاجتماع .

---

(١) المرجع السابق : ٣١٦/١٤ ، ٣١٨.

(٢) الحقيل : ٢١٠ ، محمد أسد : ٢٧٩ ، بيرين : ٣٠٦.

الفصل الثالـــث :

حاضرة نجد : أبرز الملامح العامة لحركة التحضر :

لقد كانت الزراعة منذ القدم عماد الاستقرار والنمو الحضرى فى نجد حتى أصبحت فى فترة ماقبل الاسلام تشكل مصدرا رئيسيا للتمور والقمح لأغلب بلدان شبه الجزيرة وخاصة مكة المكرمة التى أراد الله أن يكون موقعها فى واد غير ذى زرع ، وتجبى اليها ثمرات كل شئ، وقد مر بنا فى قصة ثمامة بن أثال الحنفى التى سلفت فى المدخل التاريخى دور نجد واليمامة الرئيسى فى حياة القرشيين الاقتصادية هذا الدور الذى دفع أهل مكة الى عقد معاهدات اقتصادية يضمنون بموجبها حصول مكة على هذين العنصرين الغذائيين الذين كان يدل بهما أهل اليمامة على أهل البلدان الأخرى حيث يروى عنهم قولهم :" لا أطيب طعاما من حنطتنا ولا أشد حلاوة من تمرنا" كما يضرب بها المثل بكثرة نخلها وجودته حتى ظن بعض الصحابة لما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه رأى فى منامه أنه يهاجر من مكة الى أرض فيها نخل ، ظنوا أن المقصودة بهذه الرؤيا اليمامة أو هجر اذ كانتا مع المدينة مناطق النخل الرئيسية فى شبه الجزيرة (١) .

ومن هنا فقد تأصلت لدى النجديين محبة الزراعة ، فقد كانوا يولونها كل عنايتهم مهما اختلفت مكانتهم الاجتماعية، واتجاهاتهم الفكرية فنجد أغلب أمراء البلدان اهتموا بالزراعة وامتهنوها باعتبارها مصدرا للثراء، وأساسا لعمارة البلدان النجدية اذ كان أغلبها عبارة عن مورد ماء، أو مزرعة صغيرة ، أو مندثرة ، أو على شاطئ أحد الوديان حيث يبدأ فى حفر أول بئر فى موقع يرونه مناسبا للسكنى ثم ماتلبث الآبار أن تتكاثر، والمنازل أن تزداد حتى يكثر الساكنون ويطلق

---

(١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ١٥ / ٧٩ ، ٨٠ د.السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٢٢٥ ،
عبد اللـــه بن خميس : الدرعية العاصمة الأولى ط(١) مطابع الفرزدق ، الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ص ٥٨

ماحولها شيئا فشيئا من قبل أفراد قبيلة أول زارع لها ومن يحالفهم أو يلتجئ اليهم وقد أكد هذه المحبة للزراعة بعض العلماء النجديين الذين نظروا للزراعة على أنها مصدر خير ونعمة اعتقادا منهم أن خير الناس عيشا هم أولئك الذين يملكون زراعة ينفقون منها على أنفسهم وأهليهم وأقاربهم، وفي سبل الخير العام، وأقرب مثل لذلك أن الفقيه المؤرخ الشيخ أحمد المنقور كان مصدر رزقه الوحيد الزراعة بل تلمح تحمسه ومحبته لها من ذكره أخبار مزرعتيه سمحة والمنقورية في تاريخه، وتتميز الزراعة بالتقاء فئات المجتمع كلها على امتهانها ومحبتها لا فرق في ذلك بين فقيرهم، وغنيهم، وشريفهم، ووضيعهم، فيزاولونها في حرية اجتماعية واحترام للملكية الفردية، وتعاون بين هذه الفئات في سبيل نمو الزراعة وازدهارها، وتحضير أكبر قدر ممكن من الأفراد عن طريقها.(١)

واذا كان قسم من نجد لا يمكن أن يكون فيه استقرار ونمو حضري لافتقاره الى مصادر المياه الجوفية فان قسما كبيرا منها يمكن أن يكون فيه مثل ذلك الاستقرار والنمو الحضري فهناك الواحات التي توجد فيها الينابيع والبحيرات الصغيرة في منطقة الخرج والأفلاج التي حظيت بوجود سكاني متقدم، اضافة الى أن غالبية سكان نجد يتركزون حول الوديان الكبيرة كوادي حنيفة ووادي الرمة، ووادي الدواسر ووادي سدير وفروعها فغالبا مايتواجد الماء في هذه الوديان بالقرب من سطح الأرض التي تتميز تربتها بالخصوبة المنتظمة بسبب الرواسب الطمية لمجاري الوديان بعد سقوط الأمطار، أما بقية سكان نجد فيتركزون حول موارد المياه التي ليست بعيدة عن مستوى سطح الأرض وتتناثر هذه المناطق في وسط نجد وشمالها.(٢)

وان نظرة في أسلوب بناء البلدان النجدية لتؤكد الدور الأوحد الذي تقوم به الزراعة والمياه في تكثيف الوجود الحضري في نجد، على أنها في بعض

---

(١) المنقور: الفواكه ١/ص و من المقدمة، ٦١، ٣٩٥، التاريخ ص ١٨، ١٩ من مقدمة المحقق وص ٦٩، ٧٣، ٧٦، ٧٧ ابن حميد: السحب ورقة ٦٣، الدارة ع ٤ س ٣ /ص ١٧ من مقال الدكتور العثيمين.

(٢) DR. M. THEN. AL THENYAN P 1

الأحيان تقوم بدور رئيسي في طرد أهل نجد عنها عندما تشح المياه وتتدهور الزراعة ، واذا كان أول ماوصل الينا من أخبار الوجود الحضرى فى نجد كان عن طسم وجديس كما سلف فان هاتين القبيلتين قد جعلتا من منطقة مابين الوادين (الوتر) و(العرض)[١] منطقة تركيز حضرى عبر فترات التاريخ المتعاقبة حتى الوقت الحاضر ، وقد ساعد هاتين القبيلتين أن مياه هذين الواديين كانت غزيرة مما جعل المنطقة من أخصب مقاطعات نجد وأكثرها مياها ونخلا ، واستغلت طسم وجديس هذا الوضع لتفجير العيون وتشييد الحصون ، والاكثار من المنازل والمساكن ، حتى أطلق على هذه العناصر الحضرية حضور طسم وجديس لما كان لهما من دور فى تلك الفترة فى قيام استقرار حضرى[٢] .

ويمكن القول ان المنطقة ازدادت تحضرا بعد مجئ الاسلام عن طريق الزراعة كذلك حينما أخذ عدد من أمراء المناطق المسلمين الذين تقع منطقة اليمامة ضمن حدودهم الادارية على عاتقهم القيام بحفر عدد من الآبار لتنشيط المنطقة زراعيا وتوفير مياه الشرب للمتنقلين عبر صحرائها الى المناطق المجاورة مما أوجد عددا لا بأس به من البلدان التى استقطبت قسما من البادية حولها للتحضر فيها ، علاوة على حفر عدد من الآبار فى طرق الحج المارة بنجد .

ونستطيع أن نأخذ بداية التحضر فى النباج " الأسياح الحالية " مثلا حيا لهذا الدور الذى قام به هؤلاء الأمراء لتحضير المنطقة حتى أصبحت فى القرون الأولى التى تلت مجئ الاسلام أهم ناحية فى القصيم فى حركة التحضر ومن أهم نواحى منطقة نجد وأكثرها شهرة وأوفرها عمرانا وزاد فى هذه الشهرة كونها محطة يفترق منها الحاج المتجه الى مكة عن المتجه الى المدينة ، وتأتى

---

(١) الوتر : بضم الواو واسكان التاء هو وادى البطحاء الذى يخترق مدينة الرياض الآن عبر شارع البطحاء المعروف ، والعرض : بكسر العين واسكان الراء هو وادى حنيفة أو الباطن ويخترق الرياض الآن فى غربها (حمد الجاسر ، مدينة الرياض ص ٦) .

(٢) المرجع السابق ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، وكان يطلق على حجر أم القرى - اليمامية طبعا - كما يطلق عليها مدينة اليمامة (الحربى: المناسك وأماكن طرق الحج ص ٦١٢)

أهميتها فى مجال النمو الحضرى كونها مرت بثلاثة أطوار تحضيرية رئيسية عدا الأطوار التى يمكن أن تكون قد مرت بها ولم تصلنا أخبارها (١).

أ - الطور الأول : هو الطور المهم فى هذا التحضير حيث كان أقوى هذه الأطوار تأثيرا على سعة حجم المنطقة وازدياد الرقعة السكنية بها ويمكن أن يطلق عليه فترة عبد الله بن عامر بن كريز (٢)، فلئن كان من المتوقع أن تكون المنطقة قد عرفت نموا عمرانيا قبل الاسلام فان النمو الكبير الذى حصل بعد استنباط ابن كريز لعيونها يعتبر أبرز استقطاب حضرى عرفته المنطقة حيث أخذت تزداد عمرانيا بعده، وكثر سكانها وقراها، وأطلق عليها نباج ابن عامر ثم بنى عامر ورغم أن ابن عامر حينما استنبطها كان واليا على البصرة الا أنها كانت لدى الجغرافيين المسلمين تعد من أوطان اليمامة (٣).

ومنذ استنباط ابن عامر للنباج والزراعة فيها تزدهر والعمران فيها يزيد اذ أنه بعد أن أتم شق العيون غرس فيها النخيل واستوطنها هو وأولاده فترة من الزمن، وساكنه فيها رهطه من بنى كريز حتى سمى النباج " نباج الكريزيين " ثم بدأ العرب حوله ينضمون اليه فى السكنى علاوة على مماليك وغلمان ابن كريز وابنائه وأقربائه والساكنين من أبناء البادية حوله، ومن هنا يمكن اعتبار

---

(١) العبودى : بلاد القصيم ١/ ٣١٧، ٣٢٥

(٢) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة العبشمى من بنى أمية ولد بمكة سنة ٤ هـ/ ٦٢٥م، وهو ابن خال عثمان رضى الله عنه، جئ به الى النبى صلى الله عليه وسلم بعد ولادته فتفل فى فيه وعوذه فاستساغ ريق رسول الله وبلعه فقال فيه الرسول : انه لمسقى، فكان لا يعالج أرضا الا ظهر فيها الماء، واثنى عليه الرسول بغير هذا القول روى عن النبى " من قتل دون ماله فهو شهيد " فتح خراسان وجمع له عثمان ولاية البصرة وفارس، وقال فيه ابو موسى الاشعرى عند ما قدم لتولى البصرة بعده " يقدم عليكم غلام كريم الجدات والعمات، وكان عمره اذ ذاك اربعا او خمسا وعشرين سنة، كان اول من اتخذ الحياض لسقيا الحجاج بعرفه، كان شجاعا سخيا وصولا رحيما محبا للعمران، نزع ملكيات بعض دور البصرة ليفتح شارعا توفى بمكة سنة ٥٩ هـ/ ٦٧٩م ودفن بعرفات. للتفصيل : (خليفة بن خياط : التاريخ ١٦١، ابن عبد البر : الاستيعاب ٢/ ٣٥٩، ٣٦٠، العبودى : القصيم ١/ ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، الزركلى : الاعلام ٤/ ٢٢٨)

(٣) الحربى : المرجع السابق ٣١٢، الهمدانى ٣١١، ٣١٢.

النباج فى تلك الفترة مركزا رئيسيا من مراكز التوطين والتحضر فى نجد [١] وقد أشار الى طرف من هذا الازدهار الزراعى جرير [٢] فى احدى قصائد هجائه:

لياليَ تنتاب النباج وتبتغى ∴ مراعيها بين الجداول والنخل

وفى موضع آخر قال عن أحد النساء:

ضروط اذا لاقت علوج ابن عامر ∴ وأينع كراث النباج وثومها [٣]

وهو فى هذا يشير الى كثرة مماليك ابن عامر مما يدل على أن النباج كانت مأهولة من كافة الفئات الاجتماعية، وهو ما يؤكد كثافة الوجود الحضرى فيها [٤].

كما ألمح الهمدانى وهو من جغرافيي القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى الى أن النباج قد غدت اقليما أو منطقة تتبعها عدة قرى كثيرة تشتهر بكثرة المياه والزروع والنخيل مما يدل على تزايد الكثافة السكانية فيها حتى تطلب الأمر أن تتطور المزارع الى قرى يجمعها النباج، وبعد تزايد هذه الكثافة، ونظرا لاتصالها الجغرافى بمنطقة اليمامة عدت من بلدانها، ثم تغير اسمها من نباج بنى عامر الى نباج بنى مجيد من قريش كذلك، واستمرت هذه الحركة الزراعية والعمرانية فى النباج الى فترة غير معروف تحديدها الا أن مما لا شك فيه أنها بين القرن الرابع أو الخامس الهجريين الى القرن التاسع أو العاشر [٥].

ب - التطور الثانى: تعرضت النباج للاندثار بعد بنى كريز وبنى مجيد ولعل ذلك بعد اغفال الخلافة العباسية فى عهدها الثانى لأمور اليمامة، وتعرض المنطقة لهجمات البوادى على طرق الحج باعتبارها محطة مهمة لتلاقى الحاجين حتى وصلت شكاوى الحجيج الى والى العراق - ربما فى العهد العثمانى - فبعث

(١) الحربى ٣١٢، الهمدانى ٢٨٠، ياقوت ٥/ ٢٥٥، العبودى ١/ ٣٣٢.

(٢) هو جرير بن عطية الخطفى من بنى يربوع من تميم ولد فى اليمامة سنة ٢٨هـ/ ٦٤٠م اشتهر بمناضلة الشعراء المعاصرين ومساجلتهم وهجائهم باقذاع حتى هزمهم الا الاخطل والفرزدق، ومع كثرة غزله كان عفيفا اشتهر بنقائضه مع الفرزدق، ويمثل شعره عصره الملئ بالثورات والفتن بين القبائل والاحزاب ولد له بلال وعمارة ونوح وعكرمة، توفى بعد الفرزدق بقليل فى اليمامة قيل سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م وقيل سنة ١١١هـ، للتفصيل: (ابى الفرج الاصبهانى: الاغانى طبعة دار الشعب ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ٨/ ٢٧٤٩ - ٢٨٣٥، محمد اسماعيل الصاوى: شرح ديوان جرير ط (١) المكتبة التجارية الكبرى. القاهرة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، المقدمة باكملها، الزركلى الاعلام ٢/ ١١١).

(٣) الصاوى: شرح ديوان جرير ٤٦٣، ٥٥٠

(٤) العبودى: المرجع السابق ١/ ٣٣٠

(٥) الحربى: المصدر السابق ٥٨٧، ٦١٢، ٦٣٠، الهمدانى ٢٨٠، ٣١٢، العبودى ١/ ٣١٨، ٣٣٢

سلطان مارد ووكل اليه مهمة الحفاظ على الطريق والا قامةبالنباج لوجود عمران سابق ولكونها محطة التلاقى كذلك، وتمدنا المعلومات الشعبية نثرية وشعرية عن سلطان هذا بأنه لما قدم النباج أقام فيها قصرا منيعا حتى لا يتعرض لهجمات البدو الذين مامن شك فى أن مناعة هذا القصر قد جعلتهم يهابون سلطانا هذا، وسمى هذا القصر باسم مارد لعله تشبيها بقصر مارد الجوف أو لعل سلطانا هذا قد تمرد على واليه فسمى ماردا.

وبعد أن أخضع البدو المحيطين به لهيبته أعلن استقلاله بالنباج، وأقام فيها نهضة عمرانية ليست فى مستوى عمران ابن كريز ولكنها أعادت الحياة الحضرية الى النباج ومن ضمن مشاريعه العمرانية غير القصر السد الذى وضعه على أحد الوديان ويسمى المسكر، وأمن الحضر فيها الى حد ما من هجمات الاعراب على طريق الحج وعلى هذه المحطة بالذات، ولقد تواتر لدى أهل الاسياح أن كل نهضة عمرانية أو زراعية قبل مجىء ابن فهيد هى من بقايا سلطان هذا، وقد رجح العبودى أن فترة سلطان هى الممتدة من القرن الرابع الى انتهاء القرن الحادى عشر، وأورد على ذلك بعض الأدلة، ثم تعرض سلطان لهجمات البدو مرة أخرى حيث حدثت بينه وبينهم معركة انتهت بمقتله كما تقول الروايات الشعبية، نعاد اليها الاندثار مرة ثانية.(١)

جـ - الطور الثالث:- فى غزوة ثوينى بن عبد الله الهاشمى العلوى الأولى على نجد سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٦م(٢) قصد القصيم ونازل التنومة(٣) من الأسياح، وكانت هذه

(١) حمد الجاسر: فى شمال غرب الجزيرة ١٤١، ١٤٢، العبودى ١/ ٣٣٤-٣٤٢، على اختلاف بينهما فى تفصيل قصة سلطان هذا.

(٢) كانت غزوة ثوينى الثانية سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م وهى التى قتله طعيس فيها قبل أن يقدم نجدا (ابن بشر ١/ ١٣٧-١٤٢ عثمان بن سند: مطالع السعود باخبار الوالى داود نسخة مصورة من مخطوطة بمكتبة الاوقاف العامة ببغداد برقم ٤٩٩ ورقة ١١٦، ١١٧، ١١٨ وقد رثى فيها ثوينيا بابيات).

(٣) التنومة قرية فى منطقة الاسياح وهى قديمة ذكرها بعض الجغرافيين المسلمين، والى وقت قريب كانت اهم بلدان الاسياح، وثبتت على الولاء للدعوة عند تحول بعض بلدان القصيم نحو الولاء لابن عريعر، للتفصيل (العبودى ١/ ٦٥٧-٦٦٢، وهناك تنومة غيرها هى تنومة عسير الهمدانى ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦١).

الغزوة ذات استعدادات ضخمة استطاع بها الاستيلاء على التنومة، ونزل بأهلها قتلا ونهبا حتى قيل ان مجموع ما قتله بلغ مائة وسبعين رجلا ولم ينج منهم الا الشريد الذى هرب الى بلدان نجد الأخرى أو الى المناطق المجاورة(١)، وكان ممن هرب محمد بن فهيد من أجداد أسرة آل فهيد المعروفين فى الأسياح، وقد هرب الى العراق لطلب الرزق، فعمل عند أحد علماء العراق الذى سأله عن بلدته ولما تحقق منه أنها تقع فى مكان النباج القديمة ذكر له ماضيها التليد فى مجال الزراعة والعمران وكثرة الخيرات فيها وعمران ابن كريز لها وزين له العودة اليها وعمرانها، فعاد الى الاسياح فبحث عن أكبر عيونها وعقد العزم على حفرها واستعان فى ذلك بصديقه مهلهل بن هذال شيخ العمارات من عنزة الذى أمده ببعض ابله لتساعد فى الحفر واخراج الماء، ولما تحقق من نجاح فكرته ذهب الى الدرعية واستقطعها من الامام عبد العزيز بن محمد وواصل بعد ذلك حفر بقية العيون، وعادت اليها حياتها ونموها الحضرى الذى عرفته عبر الأطوار الثلاثة، ويمكن تحديد تاريخ عمارتها بين رجوع ثوينى من غزوته ١٢٠١هـ/١٧٨٦م، ووفاة الامام عبد العزيز سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣م لان احيائها قد تم بموافقته(٢).

وتصور قصة اعادة عمران الأسياح عمق الصداقة التى تتم أحيانا بين ابن البادية والحاضرة فى نجد رغم اختلافهما القبلى فهذا ابن هذال شيخ العمارات من عنزة، وشيخ عنزة جميعها، وابن فهيد من الروقة من الأساعدة من عتيبة قد نشأت بينهما صداقة ومراسلة من جراء مجاورة ابن هذال لابن فهيد ومساعدته له فى احياء الأسياح، وهى صداقة تعتبر من الصداقات النادرة ولكنها تتوفر بين البدوى والحضرى النجديين كثيرا، ويروى فى هذا المجال ان ابن هذال عندما نزل فى ملح ونطاع رأى حماما يبحث عن قمح يأكل منه فخاطبه بقول يمدح فيه ابن فهيد لكرمه وشجاعته، ومن قبل ومن بعد لصداقته له وحبه اياه، فقال :

---

(١) ابن غنام ١٢٧/٢-١٣٠، ابن بشر ٩٨/١، ٩٩، العبودى ٦٥٩/١، ٦٦٠، ٦٦١.

(٢) العبودى ٣١٣/١، ٣١٤، ٣٤٢، ٣٤٤-٣، ١١٩١/٣.

ياذا الحمام الى على ملج وانطاع .·. بالله عليك انحر يمين المصلي

تلقي محمد باسفل المسيح زرّاع .·. قوم الى جوه النشامى يهلي

ماد بر الوزنة ولا كال بالصاع .·. متمعني به واحد مايخلي (١)

ومنذ فترة متقدمة جدا عن قيام الدعوة السلفية، ورغم الاهمال الذى لقيته منطقة نجد من الخلافة الاسلامية قامت فى نجد حركة تعمير ذات مستوى جيد اذا ماقيس بالظروف الأمنية والسياسية التى تمر بها المنطقة، وكانت هذه الحركة ذات شقين : ابتداء تعمير واعادة تعمير وكلا هذين الشقين يستند الى الزراعة والمياه بلا منازع، ومن أبرز ملامحها التأكيد على الناحية القبلية فى زيادة الرقعة السكنية (٢).

وتعتبر أشيقر من أوائل البلدان النجدية تحضرا فى العصر الوسيط وأوائل الحديث ان لم تكن أولها، وقد أمدت البلدان النجدية الأخرى فيما بعد بعدد كبير من الأسر التى عمرت هى الأخرى هذه البلدان، كما كان لمركز أشيقر العلمى فى تلك الفترة دور رئيسى فى الاستقرار والنمو الحضرى فيها واثراء البلدان النجدية الأخرى فى هذا المجال.

وكان تقدم الحياة الحضرية فى أشيقر عامل سبق رئيسى بزت به البلدان الأخرى

---

(١) ياذا الحمام: يا أيها الحمام فذا لا تفيد المصاحبة وهو تعبير نجدى موجود فى بعض المناطق المجاورة ولم أطلع على أصل لغوى له، اللى الذى، ملج : من قرى نطاع، ونطاع: كان منهلا قديما وهو الآن قرية ذات امارة تتبع المنطقة الشرقية ويتبعها بعض الموارد والقرى، انحر: وله وجهك، يمين المصلى : أى اتجه الى القبلة (الغرب)، تلقى : تصل أو تجد، قرم: جواد كريم (فصيحة) الى جوه : اذا أتوه، النشامى : جمع نشمى : وهو الشجاع أو الكريم ذات أصل فصيح، يهلي : يقول أهلا بكثرة ماد بر أى لم يبخل، الوزنة : مقياس الوزن القديم لدى النجديين وهو يعادل كيلو ونصف تقريبا، الصاع : مكيال يزن ثلاثة أكيال تقريبا، متمعنى به تعبير نجدى يعنى أن الله يتولاه برعايته ولعله من الاعتناء، مايخلى : مايترك (ابن بليهد ١/ ٣٣، حمد الجاسر : مقدمة المعجم الجغرافى ٢/ ١٢٢٨ ١٢٨٥، الفاخرى : ٨٠، ١١٥ من حاشية المحقق، العبودى، القصيم ٣/ ١١٩١).

(٢) مجلة الحرس الوطنى ع ١٤٤/ س ٤/ ص ١٠٨ من مقال للدكتور محمد الشويعر

واستطاعت به أن تفيد ها من تجربتها الحضرية فى الاعمار والعلم اذ منذ نهاية القرن السادس الهجرى وبداية السابع وشتى نواحى الحياة الاجتماعية والحضرية تدب فيها ، وقد بلغت هذه البلدة من الاتساع الحضرى أن ضمت أسرا متعددة تنتمى الى قبائل مختلفة وهو مالا يتوافر الا لبلدة مجالها الحضرى متسعا لان من المعروف نجديا أن البلدة أول ماتعمر تقتصر على أفراد قبيلة واحدة حتى اذا أخذت فى النمو والاتساع ضمت أسرا أخرى من قبائل ثانية.(١)

وكانت أشيقر فى الأصل لافخاذ من بنى تميم(٢) وهم ذوو السيادة والرأى فيها حتى قدم عليهم فى فترة متقدمة من اتساعها العمرانى أسر من بنى وائل من عنزة حتى ملكوا بعض الأراضى الزراعية فيها بطريق الاحياء أو الشراء من الوهبة ثم مالبثوا أن كثر اتباعهم من قبيلتهم، وتمكنوا فى أشيقر حتى أصبحوا هم والوهبة على درجة متقاربة فى التعداد البشرى وكثرة الأملاك والوجاهة وهنا أصبحت المسأله متعلقة بالسيادة على البلدة خاصة وأن الوائليين قد اظهروا من صنوف الكرم للعابر والمقيم ماخشى الوهبة أن يكون هذا ذريعة لاستيلائهم عليها وطرد أهلها الأصليين ، أو يصبحوا تابعين بعد أن كانوا متبوعين ، أو خشية الاختلاف الذى يحدث بين الأقارب فكيف بمن هم من قبيلتين مختلفتين.(٣)

---

(١) ابن عيسى : تاريخ بعض الحوادث ٢٨.

(٢) كان يطلق على اشيقر عكل فى القديم وحتى سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م وهو تاريخ كتابة وصية صبيح وهذا الاسم يطلق عليها او على قسم منها حتى انتشر بعد ذلك اسم أشيقر على ان هذا الاسم قد اشار اليه الجغرافيون المسلمون ويبدو انه يطلق عليها احيانا اسم اشيقر واحيانا عكل وان كان الاكثر هو اسم أشيقر على ان عزوة اهل اشيقر هى اولاد عكل ، وكانت فى العصر الجاهلى لبنى تميم فجاورهم ابناء عمهم الرباب حتى جاورهم الوهبة من تميم منذ القرن ٥ هـ، ثم اختصوا بسكناها مع بقاء بعض الرباب فيها ، وللبلدة تاريخ حافل حيث خرج منها عدد من الأسر المشهورة بالعلم والتى كان لها دور فى زيادة التحضر فى بعض بلدان نجد . (الاصفهانى فى بلاد العرب ٢٨٤، ٢٨٥ ، ياقوت ١/ ٢٠٣، ٤/ ١٤٣ ، عبد الله البسام: علماء نجد ١/ ١٤، ١٥) ، حمد الجاسر: الاسر المتحضرة ٢/ ٩٣٣ - ٩٤٦ وذكر خلافا حول نسبة الرباب الى تميم ولكنه اكد ان البلدة منذ القدم وهى لبنى عكل من الرباب، ثم ذكر ان الوهبة معدودون من الرباب وانظر عن اشيقر ايضا ابن خميس : اليمامة ١/ ٨٠-٨٥).

(٣) ابن عيسى ٢٨/ ٢٩، حمد الجاسر ، المرجع السابق ٢/ ٧٨٨، ٧٨٩،

عزم الوهبة على الطلب الى بنى وائل الرحيل من أشيقر، ولعل لذلك أيضا حذور من الخلافات الجانبية، وكان هذان الحيان قد اتفقا فيما بينهما على قسمة البلد الى قسمين من ناحية القيام على المزارع، والخروج للرعى خارج البلد بحيث يتم هذان العملان فى آن واحد وذلك فى أوقات الربيع، وقد أوجدوا لذلك نظاما بحيث يخرج الوهبة فى يوم بمواشيهم للرعى والاعتشاب مصطحبين معهم سلاحهم ويجلس الوائليون فى البلد يحفظونها ويسقون النخيل والزروع، وفى اليوم الثانى يحصل العكس، فتمالأ الوهبة على أنه وقت خروج الوائليين يتم اخراج نسائهم وأولادهم وأموالهم المنقولة وتغلق أبواب الأسوار دونهم، ويكون على الابراج حراسا مسلحين حتى اذا رجع بنو عائل من مرعاهم منعوا من الدخول وطلب اليهم أخذ أموالهم ونسائهم وأولادهم والبحث عن مكان آخر يستوطنون فيه.(١)

رجع الوائليون آخر النهار ليجدوا نذر الرحيل أو الحرب أمامهم حيث منعهم الوهبة من الدخول، وقالوا لهم : هذه أموالكم ونساؤكم وأولادكم قد اخرجناها لكم حيث ليس لنا فى شئ منها مطمع، والسبب الوحيد الذى حدانا لهذا العمل هو الخوف من احن بيننا قد توقع شرور وحروب ونحن أهل البلد الأصليون فارتحلوا عنه الى أى مكان آخر برضى منكم وتصاف فيما بيننا، ومن له زرع فليوكل وكيلا منا ونحن نقوم بسقيه حتى يحصد، وأما بيوتكم ونخيلكم فكل منكم يختار له وكيلا منا يوكله عليهما، فاذا سكنتم فى أى بلد فمن أراد القدم الينا لبيع عقاره أو نخيله فليفعل ولن يمنعه عن ذلك أحد ، وأكد الوهبة أن ليس لهم طمع فى أموالهم فى البلد ولكنهم خافوا من حزازات قد تقع بينهم، أو أن يملك الوائليون البلد ويرحلوهم عنها أو يغلبوهم على أمرهم وتكون لبنى وائل السيادة، فاتفق الطرفان على ذلك برضى واقتناع ندر أن يكون مثله فى تاريخ العلاقات الاجتماعية بين حاضرة نجد(٢) فعلى حين تم هذا الاتفاق من دون أن يشر المؤرخون الى حصول ماعكر صفوه سواء قبله أو بعده بقليل أو بعد فترة طويلة ، فقد أشاروا الى حدوث معارك بين الاحياء

(١) ابن عيسى ٢٨، ٢٩، حمد الجاسر ٢/ ٧٩٠.
(٢) ابن عيسى ٢٩، ٣٠، حمد الجاسر ٢/ ٧٩٠.

داخل البلد الواحدة حول مايشبه هذا الوضع بين هذين الحيين ،على مامر ذكر جانب منه فى المدخل .

ولقد أتاح اتفاق الوهبة مع الوائليين خروج موجة حضرية من أشيقر ساهمت فى تعمير واعادة تعمير بعض البلدان النجدية فبعد خروج الوائليين جميعا من هذه البلدة اتجهوا الى الشمال الشرقى حيث وصلوا بلدة التويم القديمة التى اندثرت بعد ارتحال بنى عائذ بن سعيد من قحطان (١) عنها وابتدأوا فى اعادة تعميرها ولما تم ذلك سكن قسم من بنى وايل فى حي منها وسكن القسم الآخر الحى الثانى ثم مالبثت البلدة أن ازدهرت بالعمران وأصبحت من أهم البلدان فى سدير خاصة ونجد عامة، وكان دورها فى تنشيط الحركة الحضرية ونموها فى نجد كبيرا اذ ارتحل منها عدد لا بأس به من الأسر المتحضرة الى بعض البلدان النجدية واشتركت هذه الأسر فى الحركة العمرانية التى انتشرت فى نجد قبل الدعوة السلفية (٢) .

وقد بدأ الوائليون فى مدهم الحضرى بعد ذلك فى بلدة حرمة القريبة من التويم والتى كانت هى الأخرى من مواطن بنى عائذ ثم اندثرت بعد رحيلهم عنها ، وقد تم ذلك حينما ارتحل ابراهيم بن حسين الوائلى من التويم الى حرمة فوجد هنا موارد مياه وآثار منازل قد تعطلت، فأعاد - مع من ارتحل معه من أسرته - حفر آبارها وغرسها وانتعشت الحركة الزراعية فيها نسبيا ثم ارتحل اليه كثير من قرابته واتباعه علاوة على بنيه وجاورهم عدد من الأسر الأخرى مما ساعد على توسيع الرقعة الزراعية والسكانية فيها وجعلها مركزا من مراكز التحضر فى نجد فى تلك الفترة، وقد كان ارتحال ابراهيم هذا اليها سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م (٣) .

---

(١) اختلف النسابون فى أصل قبيلة عائذ ورجح الشيخ حمد الجاسر رجوعها الى قحطان. (المرجع السابق ٢/ ٥٣٨-٥٤١) .

(٢) سبق التعريف بالتويم فى المدخل ،ابن عيسى ٣٠، ٣١، حمد الجاسر ٢/ ٧٩٠، ٧٩١، وكان بدء عمران التويم سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م.

(٣) ابن عيسى ٣١، حمد الجاسر ٢/ ٧٩٢، ٧٩٣ .

وقد ساهم بنو وائل فى تكثيف الوجود الحضرى فى منطقة سدير حينما أقطع ابراهيم بن حسين الوائلى سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م أحد رجالاته وهو عبد الله الشمرى (١) موضع بلدة المجمعة (٢) الحالى، وأخذ الوائليون كلما جاءتهم أسرة تريد السكنى حولهم حولوها الى عبد الله الشمرى حتى تكاثر عدد الأسر فى المجمعة اكثر من حرمة، علاوة على القبول والازدهار الذى حظيت به المجمعة أكثر من حرمة حتى أصبحت قاعدة اقليم سدير منذ فترة تقرب من تاريخ عمارتها، ونافست حرمة التى كانت الطريق الموصل لعمارة المجمعة، وحدثت بين البلدتين مشادات وحروب وخلافات تلاشت تدريجيا مع بدء الوعى حتى أصبحت فى ذمة التاريخ، ولم يعد لها ذلك الأثر السابق فى العلاقات الاجتماعية بينهما، والتى هى بخلافاتها وحروبها لا تعدو أن تكون مثالا لما يحصل بين بعض البلدان النجدية وبعضها الآخر (٣).

وكانت الاختلافات الجانبية بين بنى وائل أنفسهم فى التويم هى العامل الرئيسى فى خروج أقسام من هذا الفخذ لتعمير بعض البلدان وتنشيط الحركة الحضرية فيها عن طريق الزراعة ومن هنا فان هذه الاختلافات كانت فاتحة خير على كثير من البلدان النجدية التى كانت قد اندثرت أو كان فيها عمران ليس على درجة من الاتساع والنمو، لان هذه الخلافات لم تتطور الى حروب بل لم تصل

---

(١) هو جد آل سيف ومن احفاده عبد الله بن ابراهيم بن سيف بن عبد الله المتوفى سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٧م وهو أستاذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى المدينة. (ابن عيسى : المصدر السابق ص ٣٤ وعقد الدرر تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ طبعة وزارة المعارف المذيلة بطبعة ابن بشر ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ص ٥٥ من حاشية المحقق، حمد الجاسر : المرجع السابق ١/٤٢٦، وقد ذكر أن الشمرى هو الجد الرابع للشيخ عبد الله بينما هو الجد الثانى).

(٢) لم يرد للمجمعة ذكر فى كتب البلدان القديمة، ويبدو أن هذه التسمية قد اطلقت عليها بعد عمارتها من قبل الشمرى، ولعل سبب التسمية كون عدد من الأودية التى فوقها تتجمع فيها أو لاجتماع عدد من الأسر من قبائل مختلفة فيها منذ فترة متقدمة من عمارتها بخلاف اكثر البلدان النجدية التى تقتصر على عشيرة واحدة تقريبا الى أن تتسع وتنمو، (وللاستزادة من اخبار المجمعة ابن عيسى ٣٢، ٣٥ حمد الجاسر ١/٤٢٦-٤٢٨، ابن خميس: اليمامة ٢/٣٣٣-٣٤٠.

(٣) ابن عيسى ٣٢-٣٥، حمد الجاسر : المرجع السابق ١/٤٢٦-٤٢٨، ابن خميس ٢/٣٣٤.

الا الى ترك بعض الوائليين منازل بعضهم والضرب فى مناكب الأرض النجدية بحثا عن أمكنة صالحة لمواصلة تحقيق الرغبة العمرانية لدى هذه العشيرة.

ويذكر مؤرخو الحركة العمرانية فى نجد فى تلك الفترة أن آل أبى رباع من وائل من عنزة وهم أحد قسمى بنى وائل الذى قطنوا أحد حيبى التويم بعد عمارتها قد نشب بينهم وبين آل مدلج أبناء عمهم بعض الاختلافات أدت الى رحيلهم الى منطقة وادى حنيفة حيث قدموا على ابن معمر رئيس بلدة العيينة الذى كان قد استولى على حريملاء، وكانت قد بعثت مزارعا ولكنها قليلة نتيجة لضعف أهلها وتمكن الخلافات فيهم فخاف ابن معمر أن يستولوا على العيينة ويبسطوا نفوذهم فى المنطقة فعرض عليهم شراء حريملاء فاشتروها منه قيل بستمائة أحمر(١) وقيل بصاع من الذهب مقدم ثلثه ومؤخر ثلثيه، ثم بدأوا فى توسيع الرقعة الزراعية والسكنية فى البلدة حتى غدت من أبرز المناطق الحضرية فى نجد تحضرا ونموا، وان كان قد صاحب ذلك واستتبعه حدوث عدد من الغارات عليها وهى فى مرحلة استكمالها العمرانى واستقطابها الحضرى، وكان شراء آل أبى رباع لها سنة ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م ومنذ تلك الفترة وهى تمشى بخطى جادة لتتبوأ مركزا حضريا مرموقا فى نجد فاق بعض البلدان ونافس بعضها الآخر(٢).

ومن جانب آخر رحلت أسر من الوهبة من أشيقر لتعيد عمارة بعض البلدان النجدية ولتجعل منها سكنا خاصا بها، ففى سنة ١١٠١هـ/١٦٨٩م عمر آل صقيه

---

(١) الأحمر : عملة ذهبية ولعله سمى أحمرا لذلك وهو من النقود الكبيرة القيمة، وليس من المعروف هل هو عثمانى أو فارسى الا أن الذى يبدو أنه عثمانى، وقد ورد التعامل به فى نجد فى فترة متقدمة، واستمر التعامل حتى فترة متأخرة من بدء الدعوة. (المنقور الفواكه ١/١٥٨، ٢٦١، ٣٥٢ التاريخ ٦٥، الفاخرى ٨٢، ٩٥، ابن بشر ١/٦٦، ٢/٢١٩، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٨ البسام : تحفة المشتاق ورقة ٥٥، ٦٥ ( ).

(٢) ابن بشر ٢/٢٠٥، ابن عيسى ٥٢، ٥٣، حمد الجاسر ١/٢٩٨، ٢٩٩، ابن خميس ١/٣١٧، صالح الطعيس: حريملاء ٢١، ٢٢

من الوهبة بلدة القرينة بالقرب من حريملاء ، وهي بلدة قديمة تعرف باسم قـــران ولكنها تعرضت للخراب نتيجة لهجمات أهل حريملاء عليها ، حيث كانت تتبعهـــا أحيانا وتخرج عن ذلك بعض الأحيان ، فقد استولى أهل حريملاء على القرينـــة سنة ١٠٩٥هـ/ ١٦٨٣م في محاولة منهم لاخضاع منطقة الشعيب لسيادتهم ولكـــن أهل القرينة خرجوا عن هذه السيادة أثر هزيمة حريملاء أمام ابن معمر رئيـــس العيينة وابن مقرن رئيس الدرعية سنة ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٤م ، والمهم أنها كانت الـــى حد ما تابعة لحريملاء ، ولا يبعد أن يكون آل صقيه قد اشتروها من آل أبي رباع مـــن بني وائل أمراء حريملاء الذين آثروا أن يكون الى جوارهم أبناء بلدتهم الأولـــى (أشيقر) على أن يخضعوا لسيادة حريملاء ، وعن طريق الزراعة عمر آل صقيـــه القرينة حيث غرسوا فيها نخيلا مما أعطى البلدة سعة في محيطها الزراعي والسكنـــي كما عمروا بعض البلدان الأخرى في منطقة الشعيب.(١)

ويبدو أن بعضا من آل صقيه رحلوا اما من أشيقر ابتداء أو بعد أن سكنوا القرينة وتكاثروا فيها وألقوا عصا الترحال في القصيم حيث سكنوا بلد الرس(٢) ثـــم نزحوا الى قفـــار(٣) في منطقة الجبلين وبقي منهم في الرس أسر ، وتحول من قفار الـــى حائل أسر أخرى ، ولا شك أنهم قد ساهموا في انعاش حركة التحضر التي كانـــت تمر بها نجد عبر اقامتهم في هذه البلدان فيذكر أنهم هم الذين عمروا الرس بعـــد

---

(١) الفاخري ٨٤ ، ابن بشر ٢/ ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ابن عيسى ٦٩ ، ٧٥ ، حمـــد الجاسر ١/ ٤٩٠ ، ٤٩١ .

(٢) الرس: ثالثة مدن القصيم ، ومن أبرزها في الميدان التجاري وخاصة ذلـــك الذي يتم بين الحاضرة والبادية ، وعمارتها قديمة اذ كانت من منازل بنـــي برثن من أسد وقد ورد ذكرها في كتب البلدان القديمة والاشعـــار الجاهلية والاسلام ثم تعرضت للخراب بعد رحيل بني اسد للعراق فـــي القرن الرابع الهجري تقريبا الى ان قدم اليها بنو صقيه سنة ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م تقريبا وعمروه ثم انتقلوا منها بعد ان باعوها لآل ابي الحصين من العجمان الذين اغلب اسر الرس منهم في الوقت وهم امراؤه كذلك من آل العســاف للتفصيل عن الرس(الاصفهاني : بلاد العرب ٣٧ ، ٦٦ ، الهمداني ٣٩٧ ، البكري ٢/ ٦٥٢ ، ياقوت ٣/ ٤٣ ، ٤٤ ، ابن بليهد : ١/ ١١٤ ، ١١٥ ، ٤/ ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، العبودي : بلاد القصيم ٣/ ١٠٢٣-١٠٤٣ ، حمـــد الجاسر : الاسر المتحضرة ١/ ٤٩١ ، ابن صقيه : بنو تميم في بلاد الجبلين ٨٧ ، عبد الله البسام : علماء نجد ٢/ ٥٥٩) .

(٣) قفار بضم القاف وفتح الفاء يقع جنوب حائل وهي من أكبر بلدان منطقـــة الجبلين ، وكانت المدينة الثانية بعد حائل بل كانت في فترة قريبة اكبـــر من حائل نفسها ، اشتهرت بجودة تمرها ، وكونها مركزا حضريا انتقلـــت

(=)

اندثاره من عمرانه الأول حتى اذا رحلوا عنه وباعوه على آل أبى الحصين (١) قدم اليه أناس كثيرون وأسر متعددة من قبائل مختلفة فأصبح منذ فترة متقدمة مركزا حضريا من أبرز المراكز فى منطقة القصيم ونجد عامة.

ولقد كان لبنى صقيه التميميين الأشيقريين دور رئيسى فى اعمار بعض البلدان القريبة من الرس، كما أن منهم أسرا قد ساهمت بشكل أو بآخر فى اعمار بعض البلدان القصيمية الأخرى ،علاوة على اعمارهم لكثير من البلدان النجدية فى غير منطقة القصيم بعد رحيلهم من أشيقر حيث كان لهم دور فى حركة التعمير التى كانت تمر بها منطقة الجبلين كذلك مع بعض الأسر التميمية التى رحلت هى الأخرى من أشيقر، كما كان لهم دور فى الحركة العمرانية التى قامت فى بعض بلدان المحمل والتى أدت الى انعاش المنطقة حضريا بتكثيف وجود الأسر المتحضرة فيها (٢).

ويمكن استنادا لما سبق اعتبار منطقة الوشم وبلدة اشيقر بشكل خاص مصدرا من المصادر البشرية فى نجد التى امدت المنطقة بزخم وافر من الموجات البشرية المتحضرة عن طريق اثراء البلدان النجدية بعدد وافر من الحضر الذين عمروا بعض البلدان ابتداء أو أعادوا عمرانها القديم الذى اندثر لاسباب متعددة

(=) منها اكثر الأسر الحضرية وخاصة التميمية لتعمير بعض بلدان نحد وسكناها (حمد الجاسر: شمال المملكة ٣/ ١١٠٩-١١١١ ،ابن صقيه :المرجع السابق ٥، ٥٧-٦٨، ٧١، ٧٥، ٨٠، ٨٧، ٩٩ حيث فصل فى الاسر التى قطنت قفار وارتحلت منها لتعمير بعض البلدان).

(١) يرجع آل أبى الحصين الى آل محفوظ من العجمان وينسبون الى جدهم محمد بن على بن حدجة (أو حديجان)العجمى وسمى أبا الحصين حينما كان مستقرا فى عنيزة نظرا لكثرة جلوسه عند باب بيته وعدم اختلاطه بالناس وكان رحيل ابى الحصين من عنيزة الى الرس هو وأولاده وشرائهم لها من آل صقيه سنة ٩٧٠هـ/١٥٦٢م. (حمد الجاسر: الأسر المتحضرة ١/ ١٦٢، ١٦٣، ٤٩١ ،عبد الله البسام: علماء نجد ٢/ ٥٥٩ ،العبودى ٣/ ١٠٢٦ ،ابن صقيه ٨٧)، ويبدو أنه سمى بابى الحصين تشبيها له بالثعلب الذى يلقب بابى الحصين أو الحصين

(٢) حمد الجاسر ١/ ٤٩١ ،عبد الله البسام ٢/ ٥٥٩ ،ابن صقيه ٨٦، ٨٧

أو ساهموا فى تقدم ونمو الحركة الحضرية فى بعض البلدان عن طريق سكناهم فيها ومشاركة الأسر المتحضرة فيها مزاولة الأعمال الحضرية كالزراعة وما يتعلق بها من أعمال.(١)

ولقد ساهمت أشيقر فى اثراء وتقدم الحياة الحضرية فى نجد بما أمدت به المنطقة من علماء وقضاة كان لهم دور كبير فى بث الوعى الاجتماعى لدى سكان نجد، والذى دفع بعجلة التقدم الحضرى الى الامام، ولقد كان لدور العلماء الاجتماعى فى المنطقة - رغم محدوديته - أثر فعّال فى التخفيف من سطوة القوى الخارجية على نجد، وكذلك الاصلاح بين البلدان المتنازعة وحث الناس على جنى محصولاتهم الزراعية لئلا يستولى عليها المهاجموه على البلدان ولو أدى ذلك الى الفطر فى رمضان(٢)، والمهم فى هذا أن اثراء أشيقر للحياة العلمية فى نجد كان كبيرا فقد زخرت بعدد كبير من العلماء حتى روى أنه قد عرف فيها فى وقت واحد أربعون عالما كلهم يصلحون للقضاء فى زمن لم يكن يقدم على القضاء الا من هم على درجة عالية من العلم والفضل والتقوى والورع.(٣)

واذا كانت أشيقر تعتبر من أهم المراكز الحضرية فى نجد ان لم تكن أهمها فان ذلك ليس لكبر حجمها العمرانى ولا لوفرة سكانها أو سلطتها السياسية فى نجد بل لما أمدت به المنطقة من أصول أسر حضرية لا تكاد تخلو منها بلدة نجدية، ولما أثرت به المنطقة كذلك من علماء أوجدوا فيها حركة علمية ذات مستوى جيد تأليفا وافتاء وقضاء، ومن هنا فان العلماء الذين يرجعون

---

(١) محلة الحرس الوطنى العدد السابق ص ١١٠

(٢) ذكر ابن بشر أنه فى سنة ١٠٥٦هـ/١٦٤٦م ظهر الشريف محمد الحارث وركب اليه الشيخ محمد بن اسماعيل وهو على ثرمدا، ويبدو ان ذلك لمهادنة الشريف، وذكر انه فى سنة ١٠٧٢هـ/١٦٦١م سار الشيخ سليمان ابن على (جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب) عندما غزا ابن معمر بلدة العيبر، وان مسير الشيخ كان للاصلاح بينهم، كما ذكر انه فى سنة ١١٥٧هـ/١٦٩٥م حاصر الشريف سعد بن زيد اشيقر وطلب ان يخرج اليه حسن بن عبد الله ابا حسين واحمد بن محمد القصير فخرجا اليه وكان ذلك فى رمضان، فافتى الشيخ احمد بالفطر فى رمضان ويحصدون زروعهم (ابن بشر ٢/ ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٢٢)

(٣) عبد الله البسام ١/ ١٥

الى أصول أشيقرية يشكلون نسبة كبيرة بين العلماء النجد يين قبل الدعوة .

وقد كان للعيينة مركزا حضريا مرموقا فى نجد منذ فترة متقدمة اذ كانت من مساكن بنى حنيفة كما كانت الزراعة متقدمة فيها ومزدهرة الا أنها تعرضت لبعض الدمار نتيجة لضعف نفوذ بنى حنيفة حتى اذا كانت سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م قدم حسن ابن طوق من العناقر من بنى سعد من تميم (وهو جد آل معمر) على آل يزيد من بنى حنيفة وطلب منهم شراء العيينة فاشتراها وعمرها هو وأولاده حيث ضاعف من رقعتها الزراعية والسكنية نتيجة لتكاثرهم وقدوم أسر نجدية أخرى عليهم ثم مالبثت أن استقطبت بعضا من أسر أشيقر وخاصة أسرها العلمية فقد وجد بها من العلماء عددا وفيرا بلغ عددهم فى زمن واحد أكثر من ثمانين عالما يدرسون العلم فى مساجدها ، وهذا بلاشك عدد هائل ليس بمقياس تلك الفترة فحسب ، وهو دليل تقدم عمرانى ، ونمو حضرى ، واستقرار سياسى ، وهذا ماجعل هذه المدينة تعتبر المدينة الأولى فى نجد قبل الدعوة ، واستلزم ذلك استقطابها لعدد كبير من الافراد والأسر النجدية بما توفره من فرص العمل والتجارة والاكتساب خاصة وأن علاقتها السياسية والاقتصادية كانت كبيرة مع منطقة شرقى شبه الجزيرة العربية أحد مصادر الامتيار الرئيسية لأهل نجد ، ومن هنا فقد كانت محطة مغادرة ، وقدوم لكثير من القوافل التجارية النجدية - الذاهبة لشرقى شبه الجزيرة والقادمة منها (١) .

وتعتبر قفار مركزا حضريا مهما أمد منطقة نجد عامة والقصيم ومنطقة الجبلين خاصة بالكثير من الأسر التميمية وغيرها ، وبشكل خاص فان جميع من فى قرى الجبلين تقريبا من بنى تميم رحلوا من قفار ، وكثير من الأسر التميمية فى منطقة سدير قد رحلوا من قفار ، على أن قفار أمدت بعض البلدان خارج نجد ببعض الأسر التميمية منذ فترة متقدمة ، وما من شك أن هذا الدور الحضرى لقفار كان فى مرحلة قوتها العمرانية والتى كانت تعتبر فيها أكبر مدينة فى منطقة الجبلين ، وكان بعض الأسر يتخذ من قفار موطنا للاستقرار شبه الدائم ثم ينتقل عنها بعد فترة طويلة والبعض الآخر يتخذها محطة عبور للبلدان الأخرى ولا يقيم فيها الا اقامة محدودة ومن

---

(١) الريكى : لمع الشهاب ٣٤ ، عبد الله البسام : علماء نجد ١/١٥ ، ابن خميس اليمامة ٢/١٩٨-٢٠٥

هنا فان أغلب الأسر فى مناطق نجد المختلفة تمت بصلة عرقية الى الأسر التميمية فى قفار وبهذا يمكن اعتبارها المركز الحضرى الثانى بعد أشيقر اذا استثنينا العيينة التى كان لقيادتها السياسية ودورها القيادى السبب الرئيسى فى كونها مركزا حضريا مهما بينما كانت أشيقر وقفار تفتقدان هذا المركز ومع ذلك فقد كان دورهما فى اثراء وتكثيف الوجود الحضرى فى نجد وخارجه كبيرا.(١)

ويجدر بالباحث أن لا يغفل ثلاثة من المراكز الحضرية المهمة والتى كان لها دور فى جذب الأسر النجدية الحضرية اليها بما تهيئه من وسائل مهمة لهذا التحضر من زراعة أو تجارة، وكذلك فتح مجالات أرحب فى حركة التحضر فى نجد بانطلاق بعض من الأسر الحضرية منها الى بعض البلدان النجدية، واقامة علاقات حضرية مع المناطق المجاورة بما كان يتم بينها وبين هذه البلدان من تجارة أو عمل يستلزم بقاء بعض الأسر المهاجرة فى البلدان المجاورة. وهذه المراكز هى حسب الأقدمية والدور الحضرى سواء داخل نجد أو خارجه: عنيزة، وبريدة، والقسم الحضرى من وادى الدواسر.

أما عنيزة فمنذ تأسيسها كبلدة مسكونة سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م تقريبا والحياة الحضرية تدب أوصالها والاستقرار والنمو الحضرى يضطردان فيها، وكان ابتداء العمران الحضرى فيها انقسامها الى محلات أو قرى صغيرة مالبثت بعد فترة أن انضمت جميعها وتوحدت تحت اسم عنيزة(٢)، وتدل قصة الجزرى التى مرت فى الفصل الأول أن عنيزة قد توحدت بعد مضى مائتى سنة تقريبا على تأسيس محلاتها وأن العمارة قد ازدهرت فيها خلال هذه السنوات، وهى فترة ليست بالطويلة فى أعمار القرى والبلدان وأن حلول الجزرى فيها بعد نهب بنى لام له يدل على تأصل فيما عرف عن أهلها من حماية للمستجيرين كما توحى هذه القصة

---

(١) ابن عيسى ٥٦، عبد الله البسام: المرجع السابق ٤٢٢/٢، ابن صقيه ٦٢، ٦٨، ٧١.

(٢) ابن عيسى ٢٣٢، ٢٣٣، عبد الله البسام: المرجع السابق ٢٥٣/١، العبودى ٢٥٣/١، العبودى: بلاد القصيم ١٦٤٥/٤-١٦٤٧.

بان وعيا ثقافيا كان موجودا في عنيزة في تلك الفترة المتقدمة ذلك أن الجزري- وقد نظم في عنيزة الدرة في قراءات الثلاثة - لا يستبعد أن يكون أفاد بعضا من أهل هذه البلدة بما معه من العلم خاصة وأن كتبه لم يتعرض لها بنو لام، وقد وصلته وهو مقيم في عنيزة، وأقام بعد حصوله عليها فترة حتى تمكن من السفر الى المدينة المنورة.

وقد توالت على عنيزة مراحل الاستقرار والنمو الحضري فازدهرت الزراعة فيها، وتقاطر اليها بعض العلماء الذين أثروا على الحياة العلمية لا فيها فحسب بل في منطقة القصيم ونجد عامة، وكان لهؤلاء العلماء مساهمات في الحركة العمرانية والزراعية التي تمر بها البلدة بحفر الآبار وغرس النخيل والأشجار وبناء البيوت والمساجد وهم في هذا يؤكدون على دور العلماء في حركة التحضر التي تمر بها البلدان النجدية والتي تعتمد أساسا على الزراعة.(١)

ونظرا لازدهار الزراعة والحياة العلمية فيها فقد أصبحت أكبر مدينة في القصيم الى فترة قريبة، وقد ساعدها على ذلك انفتاحها التجاري على منطقة شرقي شبه الجزيرة والعراق حيث كانت محطة من محطات انطلاق القوافل القصيمية وغيرها نحو تلك المناطق للامتيار مما ساعد على ازدهار الحركة التجارية فيها وجعلها المركز التجاري الرئيسي في المنطقة واستتبع ذلك رحيل بعض الأفراد والأسر منها الى المناطق المجاورة لتنشيط حركة التجارة مما أوجد علاقات أسرية بين هذه البلدة وأهل تلك المناطق، هذا بالاضافة الى تغذيتها للبلدان النجدية بعدد من الأسر اما في نطاق الحركة العلمية الشاملة في نجد، أو ضمن التبادل التجاري بين البلدان النجدية، علاوة على استقطابها لعدد من الأسر العلمية

---

(١) ابن حميد السحب الوابلة ورقة ١٧٢، ١٧٣، عبد الله البسام: علماء ٢/٥١٨، ٥١٩.

وغير العلمية من بلدان نجد المختلفة، ولا شك أنها بهذه الأدوار المتعددة قد ساهمت بشكل رئيسي في انعاش الحركة الحضرية التي قامت في نجد منذ فترة متقدمة .(١)

أما بريدة فقد بدأت الحياة الحضرية فيها منذ عمارتها سنة ٩٨٥هـ/١٥٧٧م تقريبا اثر شراء آل أبي عليان(٢) لها من آل هذال زعماء عنزة، وكانت أحد مواردهم في القصيم، حيث عمرتها هذه الأسرة وتوافدت عليها أسر متعددة من الاماكن القريبة لها، ورغم تشكيك بعض الباحثين في تاريخ عمارتها وقصته الا أن هذه الاشارة تبقى الوحيدة التي ورد ذكرها في كتب التاريخ النجدي المعتبرة، وقد لاقت القبول من كثير من الباحثين.(٣)

والمهم أن بريدة اتسع عمرانها في فترة قريبة من تاريخ انشائها اتساعا نسبيا حتى تطلب الأمر أن يبنى لها سور يحميها من هجمات الأعراب حولها وما لبثت أن نافست عنيزة على المكانة الأولى في القصيم، وكثر المهاجرون الى بريدة مما رفع من عدد سكانها وأوجد فيها حركة تجارية وحرفية لا بأس بها في فترة متقدمة، وكان لها دور كبير في العلاقات التجارية بين منطقة نجد والمناطق المجاورة مما جعل تواجدا حضريا نجديا يتشكل في هذه المناطق، علاوة على مساهمة بريدة في استقطاب كثير من الأسر المتحضرة للسكنى فيها من البلدان النجدية المجاورة لها وغير المجاورة وكذلك مساهمتها في احتضان بعض أسر البادية الراغبة في التحضر، وكل هذا جعل بريدة مركزا جيدا في حركة التحضر التي عمت نجدا، وهي وان كانت أقل من عنيزة عمرانا وحركة تجارية، وسمعة

---

(١) لوريمر ج.غ. دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، الدوحة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ٣/١٦٢٠،

Dr. AL thenyan P. 11

(٢) آل ابي عليان من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

(٣) ابن عيسى : عقد الدرر ٨٢، ابن بليهد ١/١٥٤، ابن عبيد : تذكرة أولي النهى والعرفان ١/٥٨، عبد الله البسام : علماء ٢/٥٦٠، والذي شكك في ذلك هو العبودي في بلاد القصيم ٢/٤٧٢-٤٨١.

حضرية الى وقت قريب فانها منذ زمن وهى تنافس عنيزة على انتزاع المكانة الأولى فى القصيم حتى تبوأتها رغم كونها أصغر من عنيزة وساعدها على تكبير حجمها اتخاذها قاعدة للاقليم منذ عهد الدولة السعودية الأولى.(١)

أما وادى الدواسر فقد كان التحضر فيه متقدما اذ أن حكم الأخيضريين الذى عانت منه القبائل النجدية حاضرة وبادية على حد سواء قد اضطر قسما من هذه القبائل الى الهجرة عنها علاوة على مراحل الجدب المتتالية التى كانت تعانى منها المنطقة كذلك مما هيأ الفرصة لقدوم قبائل أخرى من اليمن وتهامة كالدواسر(٢) وقحطان وغيرها حيث استأثر الدواسر بالمنطقة المنسوبة لهم حاليا وهى منطقة مترامية الأطراف شاسعة الأرجاء قطنتها قبائل فى فترة متقدمة لمجئ الاسلام وبعده بزمن كما مر وهى قبائل بنى عامر بن صعصعة وأقسام من بنى حنيفة وتميم وهزان وكانت غنية بالوجود الحضرى قبل هذه القبائل كذلك كما دلت على ذلك الآثار، علاوة على أن هذه القبائل نفسها لابد أن يكون لها دور فى هذا التحضر ولما جاء الدواسر وكانوا أمة بدوية حضرية فى آن واحد، ـ ولا يستبعد أن يكونوا قد تحضروا بعد مجيئهم الى الوادى ـ ضاعفوا من المد الحضرى للمنطقة بحفر الآبار وانشاء المزارع، وغرس النخيل ، وساعدهم على ذلك خصب فى تربة المنطقة، ووفرة فى المياه، وبقى قسم منهم على بداوته يدفعه الى ذلك طيب فى مرعى المنطقة وسعة فى رقعتها.(٣)

---

(١) الريكى ٤٥، ١٨٥، العبودى: ٢/٤٥٦، ٤٥٨، ٤٨٦-٤٩٠، عبد الله البسام: ٣/٩٣١.

(٢) يرجع الدواسر فى أصلهم الى عدنان وقحطان فابناء دوسر بن تغلب من العدنانيين، وأبناء زائد من القحطانيين، على ان هناك من قال ان الدواسر يرجعون الى بنى تميم، ورجح الشيخ عبد الله البسام أن تغلب وزائد من القحطانيين، وان من دخل فيهم من تغلب عدنان رحلوا الى العراق قبل الاسلام والذى يبدو ان هذه القبيلة مجموعة احلاف تزعمتها الدواسر ودخل فيها افخاذ من تغلب عدنان، وتميم، وفروع من القبائل التى تقطن منطقة الوادى قبل الاسلام، ويتفق النسابة على أن الاصل القبلى لهذه القبيلة ازدى قحطانى، للتفصيل (محمد البسام: الدرر المفاخر فى اخبار العرب الأواخر تحقيق سعود بن غانم العجمى ط(١) ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص٩٢، ٩٣، الحقيل: ١٣٠-١٣٧، عبد الله البسام: علماء نجد ٣/٣٩٧، ٨١٠، ٨٧٦، ٩٣٨، ٩٣٩، عمر كحالة ١/٣٩٢، ٣٩٣، عبد الجبار الراوى: البادية ١٠٤، حمد الجاسر: الاسر المتحضرة ١/٢٦٦-٢٧٢)

(٣) عبد الله بن خميس: اليمامة ١/٤٤٦، ٤٤٧

وكان دور الدواسر الرئيسى فى حركة التحضر النجدية هو تأسيس واعادة عمران الكثير من البلدان فى المنطقة حتى أصبحت من أكبر المناطق الحضرية فى نجد رغم احتفاظ قسم كبير منهم بطابع البداوة، ويتمثل الدور الثانى فى اثرائهم لكثير من البلدان النجدية بعدد وافر من الأسر الدوسرية التى كان لها أدوار قيادية فى ميادين العلم وامارة البلدان، وعمارة البلدان خارج منطقتهم، وتكاد لا تخلو بلدة نجدية من وجود أسرة أو أسر دوسرية متحضرة، هذا بالاضافة الى رحيل قسم من الدواسر الحضر الى العراق والشام وبلدان الخليج العربى وعمان والساحل الايرانى من الخليج العربى (١).

هذه أبرز ملامح التحضر فى نجد فى فترة ماقبل الدعوة مع صور منها فى بعض البلدان النجدية، ومن الصعب الاسترسال فى ذكر المراكز الحضرية فى المنطقة لان هذا يتطلب تاريخا لكل بلد نجدى وهو مالا يتسع المقام لذكره ويخرج بهذا البحث عن عنوانه، وماذكر تلك المراكز السابقة الا أمثلة لهذا التحضر فى جنوب ووسط وشمال نجد، ويمكن استنادا لما سبق رصد هذه الملامح فيمايلى :

١- وجود مراكز حضرية رئيسية كان لها دور فى اثراء المنطقة بالأسر المتحضرة فى الميادين المختلفة وكان لها دور قيادى زاد من حجمها وجعلها مأرزا للقاصدين لمجالات الحياة المتنوعة وهذه المراكز هى أشيقر، والعيينة، وبشكل عام منطقة الوشم والعارض.

٢- وجود مراكز حضرية ذات دور ملحوظ فى حركة الحضر ويمكن اعتبارها من الدرجة الثانية، ومن مناطق الصهر البشرى فى نجد بعد رحيل بعض الأسر من منطقة الوشم، وأبرز مثل على ذلك بلدة قفار والتويم وبلدان القصيم المتحضرة فى تلك الفترة، أو بالأصح منطقة الجبلين وسدير والقصيم.

---

(١) الحقيل : ١٣٠، ١٣١، ١٣٣-١٣٧، حمد الجاسر ١/ ٢٧٠، كحالة ١/ ٣٩٣، عبد الله البسام ٣/ ٩٣٨، عبد الله بن خميس ١/ ٤٤٨، خالد الفرج : ديوان عبد الله الفرج منشورات ذات السلاسل. الكويت ص ١٣

٣- وجود مراكز حضرية يمكن اعتبارها من الدرجة الثالثة على اعتبار أن أثرائها للمناطق الأخرى أكثر من اثرائها لمنطقة نجد وأبرز مثل على ذلك منطقة وادى الدواسر اذ أن الأسر المتحضرة التى تنتمى اليها خارج نجد أكثر منها فى نجد ، بصرف النظر عن الكثافة البشرية المتحضرة فى الموطن الأصلى لهذه الأسر وهو منطقة الوادى نفسها ، على أن هناك تداخلا بين هذه الدرجات اذ قد تقوم كل درجة منها بالادوار التى تقوم بها الأخرى ، ولكن ليس بالمستوى الذى يبرزها فيها .

٤- وجود أسر معينة برزت فى حركة التحضر تلك وأبرز مثل على ذلك الكثير من الأسر التى تنتمى الى بنى حنيفة وتميم والدواسر والتى كان ادوار واضحة فى هذه الحركة فى ميادين الحياة المتنوعة ، على أن ذلك كذلك لا يمنع من بروز أسر تنتمى الى قبائل أخرى لا يتسع المقام لذكرها .

وكما سبق القول فان غالبية أهل نجد ترجع فى أصولها الى القبائل العربية سواء كانت حضرية أو بدوية من باب أولى لا نغلاق البدو اجتماعيا وعرقيا أكثر من الحضر ، وتتداخل البداوة والحضارة فى بعض القبائل النجدية فتجد الدواسر وشمر وعنزة وحرب وسبيع تنقسم الى قسمين بادية وحاضرة على اختلاف فيما بينهما فى درجة البداوة والحضارة فيها ، وهناك من القبائل من تحضرت منذ أمد بعيد كبنى حنيفة وبنى تميم اللتين لا يوجد بين أفخاذ هما رحل على اختلاف فيما بينهما فى درجة الانتشار فى نجد ، فبنو حنيفة يكادون يقتصرون فى منازلهم على منطقة واديهم بينما ينتشر بنو تميم فى أغلب البلدان النجدية ، ومن هنا فان الاسر الحضرية والبدوية فى نجد من الناحية العرقية يمكن تتبعها برجوعها الى هذا الأصل أو ذاك(١) ، وليس هنا مجال التفصيل فى ذكر الأسر المتحضرة التى تعود الى الأصول العربية لأن هذا يدخلنا فى متاهات الأنساب ويتطلب استعراضا لكثير

---

(١) عبد الله العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص١١و
Dr. Al thenyan P.1

من هذه الأسر، ويعد تكرارا لما حفلت به كتب الانساب ويمكن لمريد الاطلاع والبحث في هذا الرجوع الى كتب الانساب عامة، وأنساب الأسر المتحضرة في نجد خاصة.

ويجدر بالباحث أن لا يغفل فئة اجتماعية نجدية حضرية جهلت أنسابها العربية أو تجوهلت، أو سلبت، ثم ادخل فيها بعض العناصر غير العربية التي قدمت نجدا بسبب أو بآخر وأطلق على هذه العناصر جميعها لقب الخضيريين، وهو لقب ليس من المعروف نجديا سبب لاطلاقه على هذه الفئة، ولا شك أن له مستند لغوى اذ لما كان النجديون يعتقدون أن أغلب هذه الفئة من الموالى - وهو اعتقاد ليس دقيقا - فقد اطلقوا عليهم ماكان يطلق على الموالى عند العرب بانهم خضر القفا (١) على أن البعض يطلق على هذه الفئة أو بعضها صفافير وهى تعنى أحيانا فى اللغة السواد كما قال تعالى: "جمالت صفر" (٢) لأن العرب تسمى سود الابل صفرا وهى في هذا تتفق مع اللفظة السابقة فى المفهوم، ولعل هذه اللفظة اطلقت على بعضهم لامتهانه صناعة النحاس أو تصفيره لأن الصفر هو جيد النحاس أو ضرب من النحاس أو ما صفر منه، وصانعه الصفار (بتشديد الفاء)، وهى لا تعنى أن لونهم أصفر والا قيل صفران وهو لفظ لم يطلق عليهم بهذه الصيغة (٣).

---

(١) الزبيدى ٣/١٧٩، ١٨٠، ١٨٣، وقد ذكر فيها بيتا من الشعر هو:

وأنا الأخضر من يعرفنى .. أخضر الجلدة فى بيت العرب

ثم قال: يقول: أنا خالص لان الوان العرب السمرة قال ابن برى أراد بالخضرة سمرة لونه وانما يريد بذلك خلوص نسبه وأنه عربى محض لأن العرب تصف الوانها بالسواد وتصف الوان العجم بالحمرة، وهذا المعنى بعينه أراد مسكين الدارمى فى قوله:

أنا مسكين لمن يعرفنى .. لونى السمرة ألوان العرب

ومثله قول معبد بن علقمه المازنى:

سأحمى حماء الأخضريين انه .. ابى الناس الا أن يقولوا ابن اخضرا
وهل لى فى الحمر الاعاجم نسبه .. فآنف ما يزعمون وأنكرا

(٢) سورة المرسلات آية ٣٣

(٣) الزبيدى ٣/٣٣٧، مجلة العرب جـ ٥، ٦/س ١٤ ص ٤٧٢

وليس حكما مطردا أن يكون كل أفراد هذه الفئة أصولهم غير عربية إذ أن أغلبهم يرجع الى أصل عربي، الا انهم لاسباب متعددة جهلوا هذا الأصل والجهل بالشئ لا يعني عدم وجوده.

ولقد كان للجهل بالنسب وترك الديار لدى النجديين قديما وحديثا أسبابا كثيرة من أبرزها :

١- ان يستدين فيفلس ولا يجد من قبيلته من يساعده على وفاء دينه فيضطر للهرب والاختفاء عن بلده[1] غير آبه بالانتساب الى قبيلته، فينشأ خلفه جاهلين لنسبهم، وقد اكد الخلاوي أن من أسباب تركه منازله وقبيلته (تخلوية) هو دين لحقه ولم يستطع سداده وخوفه من غرمائه الذين يطلبون دينهم حيث يقول :

تخلويت مديون للاشبال خاسد .. والدين شين والمدايين طالبه
وركني وهي من شدة الناسروانشوى . ولا صاحب الا تدانت مذاهبه

الى أن قال :

فاخترت لي اسم الخلاوي صيانة[2] .. عن كل ما تخشاه نفسي وفاتبه

---

(١) ذكر اسامة بن منقذ في المنازل والديار أن يحي بن طالب الحنفي من اهل اليمامة وكان أديبا كريما في عصر الخليفة الرشيد - فابتاع من عامل السلطان غلة صنيعة مما تحت يده يريد بها الربح فأصاب الناس باليمامة قحط ومسغبة ففرق يحي تلك الغلة وأطعمهم اياها وآن محل الوفاء ولم يكن له شئ فهرب الى الري وبها توفي وكان قد قال في عجزه عن سداد دينه وهربه من اليمامة أبياتا يحن الى اليمامة ومنازلها الى أن قال مخاطبا هذه المنازل :

أحدث عنك النفس أن لست راجعا .. اليك فهمي في الفؤاد دخيل
أريد رجوعا نحوكم فيصدني .. اذا رمته دين علي هيتل

ويقال ان الرشيد لما عرف قصته أمر عامل الري بسداد دينه وكان كتاب الخليفة في هذا قد وصل وقت وفاة طالب أو قبله) . عن القصة وتفاصيلها (اسامة بن منقذ : المنازل والديار ط(١) المكتب الاسلامي، دمشق بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م . ٢/١٥-١٧)

(٢) شين : أي موطن عيب من الشين ضد الحسن، المدايين : أصحاب الدين (=)

٢- قد يقوم بتنفيذ ثأر قديم في قبيلته أو حولها أو قد يرتكب جريمة ما سواء كانت قتلا أو غيرها فيضطر للهرب من بلدته وهو يخفي نسبه وموطنه حتى على أولاده الذين ينشأون جاهلين لأصلهم وقد يحتاج للعمل لدى احدى الأسر الأصيلة (١).

٣- قد يكون لدى قبيلته أعراف وتقاليد لا يؤمن بها كفرض الضرائب المرهقة التي تتطلبها الحماية الجماعية وجمع الأموال لتحمل دية أحد أفراد القبيلة الذي قد يكون محترفا للقتل أو جمعها لغير ذلك ويكون هو غير مستطيع على المجاراة في ذلك ويخشى من سطوة قومه أو أن يعرف بينهم بعدم الاستطاعة التي قد تجره للذل فيضطر للهرب ونسيان أصله.

٤- قد يكون لديه طموح قيادي وهو ليس من أسرة المشيخة في القبيلة، ولكنه أصيل فينشأ من جراء ذلك خلاف يخشى أن يتطور الى تطاحن ومقاتلات فيضطر الى البحث عن مكان أو قبيلة يعيش لديها حرا بعيدا عن الخلافات والمشاحنات.

وقد تمنى أحد أبناء القبائل أن يعيش حتى مع الصلب لبغضه المعيشة مع قبيلته التي لم يستطع تحقيق طموحاته فيها، ثم حقق ذلك بالهرب عن مواطن هذه القبيلة وقال في ذلك بعض الأبيات منها :

ليتني مع الصلبان والاصل مابيه .. لا سايل عني ولاني بسايل

الى أن قال عازما على الرحيل :

(٢)
نويت اهوم وكافل العبد واليه .. والبعد طب للقلوب الغلايل

(=) ركني : أي جانبي، والمقصود كرامتي بدأت تنزل، شدة الناس: مطالبتها أنشوى : من شي النار اي لم اعد احتمل، تدانت : تنازلت. ابن خميس الخلاوي ٢٣٨، ٢٣٩

(١) ابن رداس: شاعرات من البادية ١/٣٧، صحيفة الجزيرة الجمعة ٢١ رجب ١٤٠٢هـ عدد ٣٥٤٠ ص ٥ من مقابلة مع احد ضيوف الجزيرة اكد فيها انهم يرجعون الى احدى القبائل النجدية المعروف ولكن جدهم الاعلى هرب لانه كان مطلوبا بدم.

(٢) الصلبان : الصلب، الاصل : النسب المعروف، مابيه، لا أريده لا سايل الخ ولا يسال عني ولست بسائل عنه، اهوم من الهيام بمعنى الضياع في مفازة بلا ماء والمفروض ان يقول اهيم، وكافل العبد واليه : اي كافل الانسان ربه، البعد طب: الخ : اي ان الفراق عن بلاد لا ترى لك قدرا فيها علاج للقلوب التي تحس في ذلك اغلالا تخنقها. عن البيتين محمد الأحمد السديري : أبطال من الصحراء، مطابع دار الكتب. بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ص ٢٠٨، ٢٠٩

وعبر هذه الاسباب وغيرها قد تضطره ظروف الحياة على امتهان نوع من الحرف والصنائع التى هى فى نظر صريحى النسب - بادية وحاضرة - من المهن الوضيعة وهو فى هذا يقبل أن يعمل بهذه الأعمال على أن يعيش حرا لا تثقله قيود القبيلة أو البلدة التى فيها أسرته ومعارفه.

ونظرا لان ذلك كله يجر الى ضياع النسب، فقد ادخل قسم من النجديين الارقاء المحررين ضمن هذه الفئة الا ان الأولى أن ينسبوا الى ساداتهم اذ مولى القوم منهم، على أن قسما من النجديين يفرق بين الارقاء المحررين وبين الذين جهلت أنسابهم تحت أى سبب من الاسباب وكثير من النجديين - بادية وحاضرة - يلحقون أرقاءهم بعد تحريرهم بهم فيعدون من القبيلة لهم مالها وعليهم ماعليها ويشكل القسمان الأخيران الاكثرية فى المجتمع.(١)

ونظرا لدخول بعض الأفراد الى نجد من خارجها وعدم معرفة النجديين بأنسابهم فقد ألحقهم بعض النجديين بهذه الفئة حيث اندمج هؤلاء فى المجتمع النجدى ولقوا منه التكريم والتقدير لقيامهم بأعمال يحتاجها المجتمع ويستنكف أفراده القيام بها.(٢)

ويبدو أن قسما من هذه الفئة - وهو يعود الى أصل عربى - قد يضطر الى مصاهرة طبقة أدنى من طبقته فينسى أصله أو يتناساه وهذا يحدث اذا كان بعيدا عن بنى قومه فيعد من هذه الفئة، ويقف قسم كبير من المجتمع النجدى ضد الزواج منها اذا تمت بعلمه، وقد حفل تاريخ العلاقات الاجتماعية فى نجد بالكثير من محاولات الرغبة فى الزواج من هذه الفئة لوجود وعى اجتماعى لدى راغبيها، الا أن أهل هؤلاء الراغبين يقفون امام هذه الرغبات بمنتهى الرفض والتشنيع

---

(١) مجلة العرب: الاعداد السابقة ص ٤٧٠

(٢) عبد الله البسام، علماء نجد ٢/٥٥٣، ٥٥٦، ٥٨٠، ٥٨١

حتى اذا تمت بالسر وظهرت ـ ولا بد أن تظهر ـ هددوا القائم بها بمختلف أنواع التهديدات حتى يطلق من تزوجها واذا رفض ذلك ضايقوه حتى يحولوا بينه وبينها الا أن ذلك كان فى القديم، أما منذ فترة قريبة فكان الأمر يقتصر على عدم الرضى فاذا تم ذلك قد يقاطعونه فترة مايلبثون بعدها أن يستسلموا للأمر الواقع.(١)

وعدا قضية الزواج فان العلاقات بين الفئات الحضرية فى المجتمع تسير على مايرام لا يمنع هذه الفئة من ان تزاول اعمالها بكل حرية بل بكل اعجاب مما جعل لقسم كبير من أفراد هذه الفئة مقامات عالية فى المجتمع وجاها عظيما بين الأسر الأصيلة، وقد استولت هذه الفئة على أكثر المراكز التجارية فى المجتمع حتى اشتهر منها فى القديم والحديث أفراد بذلك، علاوة على امتهانهم الزراعة والحرث بملكية قد تزيد عن ملكية أبناء الأسر الصريحة، وقد ذكرت وثائق الأحوال الشخصية والأوقاف الخيرية فى نجد منذ فترة متقدمة أخبارا لبعض الموالى الذين كان لهم أدوار رئيسية فى أفعال الخير فى المنطقة منذ فترة متقدمة وكل هذا نتيجة لحبهم للخير ووجاهتهم فى المجتمع، وكبر أملاكهم الزراعية فى نجد، على أن هناك أفرادا اشتهروا بالعلم الشرعي والتقوى والورع وهى أمور تلقى من النجديين تقديرا كبيرا قد يفوق التقدير على أساس الحسب والنسب.(٢)

---

(١) محمد الأحمد الشويري :الفنون الشعبية ١٧٠-١٧٤ ، وقد أورد فيها قصة قديمة مؤداها أن أحد أئمة المساجد فى اشيقر قد تزوج بخضيرية حتى اذا أرغمه اهله على الطلاق منها مات من القهر وذكر أبياتا شعبية له فى هذه القصة وإن ثبتت فهى تدل على ان محاربة عدم التزاوج من هذه الفئة قد جاء من اهل الدين، وقد رد احد العلماء على عدم التزاوج من هذه الفئة مفندا الأحاديث التى وردت فى التكافؤ بالنسب(صحيفة الجزيرة عدد ٣٣٨٥ يوم الخميس ١٤ صفر ١٤٠٢هـ ص ٢١، الحقيل ٢٠٥)

(٢) عبد الله البسام، المرجع السابق ٢/ ٣٦٦، ٥١٤، ٥٣٧، ٥٥٣-٥٥٦، ٥٨٠، الحقيل ٢٠٤، عمر كحالة ١/ ٣٤٧.

ولو تعمق الباحث فى أصول القبائل العربية لوجد أن قسما منهـــا لا تعدو أن تكون احلافا أو جوارا ويدخل فيها الموالاة، وقد عقد ابن خلدون فصلا فى اختلاط الانساب كيف يقع ويبين فيه وفى الذى قبله أن جهل الانساب واختلاطها هو نتيجة طبيعية لظاهرة التحضر التى يمر بها الانسان وأن الحفاظ على صراحة النسب لا تتم غالبا الا بين البدو، فقال فى ذلك : "اعلم انه من البين أن بعضا من أهل الانساب يسقط الى أهل نسب آخر بقرابة اليهم، أو حلف، أو ولاء، أو لفرار من قومه بجناية أصابها فيدعى نسب هؤلاء ويعد منهم فى ثمراته من النعرة والقود وحمل الديات وسائر الأحوال، واذا وجدت ثمرات النسب فكأنه وجد لانه لا معنى لكونه من هؤلاء ومن هؤلاء الا جريان أحكامهم وأحوالهم عليه، وكأنه التحم بهم ثم انه قد يتناسى النسب الأول بطول الزمان، ويذهب أهل العلم به فيخفى، على الاكثر، ومازالت الأنساب تسقط من شعب الى شعب ويلتحم قوم بآخرين فى الجاهلية والاسلام والعرب والعجم، وانظر خلاف الناس فى نسب آل المنذر وغيرهم يتبين لك شئ من ذلك، ومنه شأن بجيلة فى عرفجة بن هرثمة لما ولاه عمر عليهم فسألوه الاعفاء منه، وقالوا هو فينا لزيق (أى دخيل ولصيق) وطلبوا أن يولى عليهم جريرا فسأله عمر عن ذلك فقال عرفجة : صدقوا يا أمير المؤمنين انا رجل من الازد أصبت دما فى قومى، ولحقت بهم، وانظر منه كيف اختلط عرفجة ببجيلة ولبس جلدتهم ودعى نسبهم حتى ترشح للرياسة عليهم لولا علم بعضهم بوشائجه، ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمان لتنوسى بالجملة وعد منهم بكل وجه ومذهب فافهمه واعتبر سر الله فى خليقته ومثل هذا كثير لهذا ولما قبله من العهود) انتهى

ويستطيع قسم كبير من افراد هذه الفئة وأسرها أن ينتسب بحلف أو جوار أو موالاة الى احدى القبائل العربية، على أن قسما منهم يستطيع أن يعرف قبيلته

---

(١) المقدمة ص ١١٠، وقد ذكر مؤرخو السيرة أن حاطب بن ابى بلتعة كان لصيقا فى قريش وهناك حالات كثيرة مثل تلك (ابن القيم : زاد المعاد مراجعة طه عبد الرؤوف طبعة مطبعة البابى الحلبى . القاهرة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م جـ ٢ / ٢١٨٠

الأصلية ولكنه تحت تأثير العوامل السابقة التى خفى نسبه بسببها ، وقناعته بالوضع الذى هو فيه لا يريد أن يعود الى ذلك ، وقد حدثنى أكثر من واحد عن معرفته بأسر من هذه الفئة تعرف القبيلة التى تنتسب اليها وقد اكد ذلك الشيخ حمد الجاسر قائلا : " وأنا أعرف أسرا تعد الآن من الخضريين ، ومنهم من يعرف القبيلة التى ينتسب اليها " (١)

---

(١) مجلة العرب : الاجزاء السابقة ص ٤٧٠ ،

الباب الثاني

الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد قبل الدعوة

الفصل الأول: ملامح الحياة الدينية .

الفصل الثاني: أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد لدى بادية نجد قبل الدعوة .

١- نظرة البدوي للحضري .

٢- وضع المرأة البدوية ووظيفتها .

٣- الرق والارقاء ا- الرق ونظرة الاسلام إليه " نبذة موجزة " .
ب- لمحة عن الرقيق في الخليج والجزيرة العربية في العصر الحديث .
ح- الرقيق والخدم لدى بادية نجد .

٤- أمثلة من العادات والتقاليد لدى بادية نجد

١- الكرم ٢- المسكن ٣- الملبس ٤- المأكل

٥- المشرب ٦- الخوة او دبلوماسية البدو .

٧- نظام الغزو ٨- السلب والسرقة ٩- نظام الربيط والدخيل

الفصل الأول :

ملامح الحياة الدينية لدى بادية نجد قبل الدعوة :

لقد كان امام هذه الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أول من قام بتحليل واف للحياة الدينية عند البادية فى هذه الفترة وذلك من خلال بعض الكتابات والرسائل التى كان يبعثها الى العلماء وأئمة المساجد فى نجد .

ولعل تركيز الشيخ على البادية راجع الى أنها تشكل غالبية المجتمع النجدى فى هذه الفترة التى سبقت الدعوة، وجاء تحليل الشيخ هذا على شكل مناقشات وردود على العلماء الذين سبقوا الدعوة أو عاصروها ولم يؤيدوها، والذين يبدو أنهم فى موقف الخوف من أبناء البادية الذين قال عنهم الشيخ : "انهم يكذبون بالبعث، وينكرون الشرائع، ويزعمون أن شرعهم الباطل : هو حق الله، ولو طلب أحد منهم خصمه أن يخاصمه عند شرع الله لعدوه من أنكر المنكرات.(١) ومن حيث الجملة فهم يكفرون بالقرآن من أوله لآخره، ويكفرون بدين الرسول (صلى الله عليه وسلم) كله مع اقرارهم بذلك فى السنتهم، واقرارهم : أن شرعهم أحدثه آباؤهم لهم كفرا بشرع الله"(٢) ثم يقرر الشيخ حقيقة عن العلماء فى هذه الفترة بأنهم يقولون : من قال لا اله الا الله فهذا المسلم حرام المال والدم، ولا يكفر ولا يقاتل حتى وان كان من البدو الذين سبقت الاشارة الى وضعهم العقدى والعملى السيء .

---

(١) الشيخ فى هذا يصور جانبا من جوانب القضاء العرفى لدى البادية هذا القضاء الذى كان يؤخذ مأخذ التسليم من ابن البادية، وكانت عبارة "حق الله" اذا اطلقها البدوى فانما يقصد بها مايحكم به القاضى العرفى او ما يسمى بالعارفة، وقد اشار صاحب اللمع ص ٣٢ الى ذلك مبينا ان عادة هذا الحكم الرشوة التى تؤدى لاحقاق الباطل وابطال الحق وقد ذكر هو الاخر ان العارفة طاغوت لأنه يصد الناس عن اتباع الشريعة وافاد بان عامة بدو نجد يتحاكمون اليه حتى القبائل التى فيها بدو وحضر كشمر والدواسر

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب. مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مطابع الرياض. نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية فى اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٣/ ٣٩

وهؤلاء العلماء يعترفون بهذا كله معترفين أيضا بأنه ليس فيهم من الاسلام شعرة الا أن الخوف من البدو جعلهم يحكمون باسلامهم ويتلقى هذا الحكم العامة عنهم، ولقد كان الشيخ شديدا على هؤلاء البدو كما كان شديدا على العلماء الذين لم يبذلوا محاولات لاصلاح هذا الجانب المهم فى حياة البدو بل جاروهم فى جهلهم وضلالهم، ويبدو أن جدالا فكريا حادا بين الشيخ وهؤلاء العلماء قد جرى حول هذه المسألة لأنهم قالوا عن الشيخ : من كفّر مسلما فقد كفر. لكن الشيخ يقول عنهم :" ان المسلم عندهم هو الذى ليس معه من الاسلام قيد شعره الا أنه يقول بلسانه :" لا اله الا الله" وهو أبعد الناس عن فهمها وتحقيق مطلوبها علما وعقيدة وعملا"(١). وقد زاد الشيخ المسألة ايضاحا فقرن بين البدو وبنى حنيفة أشهر أهل الردة واعرفهم الى أهل نجد لأنهم منها ، اضافة الى أنهم عند الناس أقبح أهل الردة وأعظمهم كفرا ، ومع ذلك فهم يشهدون أن لا اله الا الله ويؤذنون ويصلون ولكنهم لم يؤدوا أركان الاسلام كاملة فلذلك عدوا من المرتدين(٢).

والشيخ فى هذا يستغرب كيف أن هؤلاء العلماء لا يكفرون هؤلاء البدو مع أنهم مقتنعون بكفر بنى حنيفة بعد ردتهم مؤكدا ناحية مهمة وهى أن هؤلاء البدو كانوا يسخرون ممن كان يؤدى شعائر الاسلام ويدعو اليها ، وهذا وان كان عن جهل الا أنه يتطلب اصلاحا من جانب هؤلاء العلماء ولو أدى ذلك الى المحاربة ، وقول هؤلاء العلماء " ان البدو مسلمون ولا تركوا الاسلام كله وأنكروه واستهزأوا به على عمد لأنهم يقولون لا اله الا الله فقط"(٣) هذا القول هو ما أثار حفيظة الشيخ وجعله يطيل النقاش فى هذه المسألة التى ما من شك فى أن دافع هؤلاء العلماء فى تقريرها هو الخوف والخوف الشديد من البدو كما مر.

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب : المصدر السابق ص٣٩، ٤٠.

(٢) المصدر السابق ص ٤١.

(٣) المصدر السابق ص ٤١.

ويقرن رحمه الله بين شيعة على بن أبى طالب كرم الله وجهه لمـــا اعتقدوا فيه من الالهية عاملهم أشد من معاملة اليهود والنصارى فأحرقهم بالنـــار وأجمع الصحابة وأهل العلم على كفرهم بسبب غلوهم فيه رضى الله عنه وهم يقومـــون الليل ويصومون النهار ويقرأون القرآن ... يقرن بين هؤلاء الذين يعتقد علمـــاء نجد بكفرهم وبين بدو نجد الذين كفروا بالاسلام كله الا أنهم يقولون لا الــــه الا الله (١).

وهو فى هذا يزيد الصورة عن الحياة الدينية عند البدو وايضاحا مقـــررا أن لا فرق بين هؤلاء وأولئك وان اختلف أسلوب التفكير الدينى عندهما، وهـــو فى الوقت نفسه ينعى على هؤلاء العلماء موقفهم السلبى من هؤلاء البدو فى عـــدم دعوتهم الى تصحيح العقيدة.

ويستمر رحمه الله فى تقرير حقيقة أن البدو فى جاهلية قبل الدعوة ممـــا يجعلهم فى حاجة ماسة الى من يوجههم التوجيه الاسلامى الصحيح وهو فى هـــذا يمقت بعض علماء نجد الذين وصموه بالكفر لمخالفته ما توارثوه من عادات، وعزمـــه على السير فى طريق الدعوة لعموم أهل نجد وخاصة باديتها ليقول: " فكيف بمـــن لم يكفر البدو مع اقراره بحالهم ؟ فكيف بمن زعم أنهم هم أهل الاسلام وأن مـــن دعاهم الى الاسلام هو الكافر" (٢).

وفى نطاق تحليله الوافى لحياة البدو الدينية قبل الدعوة يقرن بين وضـــع البدو فيها وبين وضع العبيد بين الفاطميين فى البعد عن حقيقة هذا الديـــن وان اختلفت أساليب هذا البعد بين هذين الفريقين، ولا شك أن تحليلـــه لهذا المجال ينم عن ادراك كامل لحقائق المتغيرات الدينية التى طرأت علـــى المجتمع الاسلامى عن طريق فهم أحداث التاريخ وتسخير هذا الفهم لاستنبـــاط الدروس والعبر من هذه الأحداث فى طريق الدعوة فيقول: " فانظر بين هذا وبين

---

(١) المصدر السابق ٤٤.

(٢) المصدر السابق ٤٥.

د يننا الأول أن البدو اسلام مع معرفتنا بما هم عليه من البراءة من الاسلام كله الا قول : لا اله الا الله[1].

ويواصل عرضه لوقائع من التاريخ الاسلامي لقضايا خالف فيها أصحابها بعض شعائر الاسلام أو ارتدوا عنه، أو أساؤا له كالتتار، ويقرن بينهم وبين البدو الذين يعرف عنهم علماء نجد : " انه ليس معهم من الاسلام شعرة الا قول : "لا اله الا الله"[2]، ثم يوضح الشيخ عن هدف هؤلاء العلماء الذين لم يكفروا البدو بأنهم يريدون القضاء على هذه الدعوة في مهدها حيث أفتوا لمن تعاهد هو والشيخ محمد على عهد الله ورسوله" ويقصد عثمان بن معمر" أن ينقض العهد وله في ذلك ثواب عظيم، كما أفتوا لعامة الناس بأن من عنده أمانة للشيخ وأتباعه أنه يجوز له أكل الأمانة ولو كانت مال يتيم أو بضاعة عنده أو وديعة بل قاموا بتأييد من حارب الدعوة سياسيا بالفكر والمال، كل هذا ليقرروا حقيقة أن البدو مسلمون ولو أنهم لا يقيمون الصلاة[3].

ولا شك أن كلام الشيخ السابق الذي كان قد أنشيء في ظروف قد تطلب منه اثبات حقيقة جاهلية البدو في نجد في تلك الفترة في أسلوب عام لا يستطيع الباحث معه أن يرى التفاصيل الدقيقة لهذه الجاهلية، ومظاهرها العملية في حياة البدو ووضوحها لدى بعض القبائل أكثر من بعضها الآخر وان كان الشيخ قد أورد قضية المعتقد وتحكيم العارفة مع الاستهزاء بأهل الدين، وهي قضايا تكفي لاعطاء صورة شبه واضحة عن الحياة الدينية لدى هؤلاء البدو، الا أن وجود

---

(١) المصدر السابق ٤٦، ٤٧، ٤٨، وذكر فيها المقارنة بين الجعد بن درهم الذي جحد صفة التكليم من الله سبحانه وبين علماء نجد المعتقد بين أن البدو مسلمون ويلمح الباحث حدة أسلوب الشيخ في مواجهة هؤلاء العلماء الذين وصموه بالكفر حيث قال عنهم: " فاين هذا من اعتقاد اعداء الله في البدو".

(٢) المصدر السابق ٤٩.

(٣) المصدر السابق ص ٥٠، والشيخ في هذا يقصد معارضة سليمان بن سحيم بتاييده لدهام بن دواس.

مقارنة بين قبائل بادية نجد في القرب والبعد من هذا الدين أمر ضروري في هذه المسألة حتى تتمكن الدعوة من جذب الأقرب الى صفها ، والشيخ باثباته عددا من الأدلة التاريخية من واقع الانحرافات عن منهج الله عبر التاريخ الاسلامي لتأكيد هذه الحقيقة والرد على علماء نجد المخالفين له بشكل عام وخاصة هذه القضية ، انما أراد أن يطيل نفس النقاش مع خصومه حتى يضعهم أمام هذه القضية وقد تبلورت لهم أبرز مظاهرها وموقفه منها ولو بشكل عام ، وهو في هذا قد تحاشى ذكر أسماء معارضيه وان كان قد ابرز فعالهم معه مما هو معروف عنهم لدى عامة أهل نجد في تلك الفترة وذلك حتى يزيد المسألة ايضاحا ويكشف عن بعض أسماء هؤلاء المعارضين له ، كما يبين القبائل التي تبرز لديها معالم هذه الجاهلية بشكل واضح في رسائله الشخصية سواء كانت في تلك التي أرسلها لهؤلاء أو لغيرهم من العلماء وأئمة المساجد في نجد . هذه الرسائل التي كان من أبرز ملامحها الحدة في الأسلوب والتهكم في اللفظ مع كبار هؤلاء المعارضين ممن كانت فعالهم معه وألفاظهم عنه لا تقل حدة وتهكما من أسلوب الشيخ نفسه .

وبشكل خاص ، فالرسائل التي أرسلها الشيخ الى العلماء وأئمة المساجد في نجد ممن لم تبد منهم معارضة تذكر للدعوة ، وممن يطمح الشيخ في أقناعهم بوجهة نظره . هذه الرسائل يلمح الباحث تركيز الشيخ فيها على اثارة اهتمامهم بهذه المسألة التي ما من شك في أن الشيخ يرى أنها جوهرية في سبيل اصلاح الوضع الديني والاجتماعي في نجد ، ففي رسالته الى " أحمد بن ابراهيم " مطوع مرات : يؤكد أنه قد تواتر لدى أهل نجد أن البدو قد كفروا بالكتاب كله متبرئين من الدين ، ويبدو أن ذلك كان بسبب الجهل المطبق الذي كان يضرب أطنابه بينهم والذي كان يسول لهم أن حكم العارفة أفضل من الشريعة ، وقد أشار الشيخ الى ذلك وغيره في هذه الرسالة حيث يقول : " وأعظم وأطم أنكم تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله وتبرءوا من الدين كله ، واستهزأوا بالحضر الذين يصدقون بالبعث ، وفضلوا حكم الطاغوت على شريعة الله ، واستهزأوا بها مع اقرارهم

بأن محمدا رسول الله وأن كتاب الله عند الحضر لكن كذبوا وكفروا واستهزأوا عنادا ومع هذا تنكرون علينا كفرهم وتصرحون بأن من قال : " لا اله الا الله لا يكفر" (١).

أما فى بعض مراسلاته فهو يصرح بقبائل معينة كانت تعيش انحرافا فى عقيدتها ففى رسالته " لمحمد بن عيد " أحد مطاوعة ثرمداء ركز على قبيلتى عنزة والظفير، ويبدو أنهما تعيشان جاهلية أكثر مما تعيشه القبائل الأخرى فيقول رحمه الله : " من المعلوم عند الخاص والعام ماعليه البوادى أو أكثرهم، فان كابر معاند لم يقدر على أن يقول : ان عنزة وآل ظفير وأمثالهم كلهم : مشاهيرهم والاتباع، أنهم مقرون بالبعث ولا يشكون فيه، ولا يقدر أن يقول : أنهم يقولون : ان كتاب الله عند الحضر وأنهم عانقوه ومتبعون ما أحدثه آباؤهم مما يسمونه الحق، ويفضلونه على شريعة الله، فان كان للوضوء ثمانية نواقض، ففيهم من نواقض الاسلام أكثر من مائة ناقض (٢).

ويشير الشيخ فى رسالته الى خصمه ومعارضه " سليمان بن سحيم (٣) " الى أبرز

---

(١) حسين بن غنام : روضة الأفكار ١/ ١٦٣، ١٦٤، وأنظر الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب، نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ص ٢٠٩

(٢) حسين بن غنام : المصدر السابق ١/ ١٠٨، قارن بين ذلك وبين تاريخ نجد لابن غنام تحقيق د : ناصر الدين الاسد، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، مطبعة المتنبى ص ٢٨٥ الحاشية التى ذكر فيها تصويبه كلمة : عانقوه بأنها : عايفينة : والتى هى كلمة عامية نجدية معناها تركوه وهجروه ولم يتبعوه وانظر الرسائل الشخصية للشيخ محمد ص ٢٦٢

(٣) هو سليمان بن محمد بن أحمد بن على بن سحيم من السبعة الحبلان من عنزة، ولد فى المجمعة موطن أسرته سنة ١١٣٠هـ/ ١٧١٧م، وقرأ على بعض علماء نجد ومنهم والده، ثم ارتحل الى الرياض فصار مدرسها وخطيبها وفقيهها ومفتيها هى ومعكال ايام دهام بن دواس، وبعد صدع الشيخ محمد ابن عبد الوهاب بدعوته فى العيينة عارضه ابن سحيم فى أشياء كثيرة كالقبور والذبح لدفع ضرر الجن وغيرها، وبعد انتقال الشيخ الى الدرعية بدأت المعارضة النجدية تضعف تدريجيا، ومن المعتقد تشجيع ابن سحيم لدهام فى معارضته للدعوة والدولة، ووالد ابن سحيم من معارضى الدعوة

ملامح الحياة الدينية لدى البادية فى نجد والحجاز فى تلك الفترة. هذه الملامح التى تتمثل فى انكار البعث وعدم معرفة الدين وما يستتبعه من تضييع الصلوات، ومنع الزكاة، وهو فى هذه الرسالة يركز كذلك على هاتين القبيلتين (عنزة والظفير) اللتين يبدو أنهما زيادة على هذا البعد عن الدين قد تزعمتا المعارضة البدوية لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما سيأتى . وهذا ما حدا بالشيخ الى تكرار التشنيع بوضعهما الدينى السئ مرتين فى رسالة لابن سحيم فقط، واذا كان قد ذكر عامة البوادى بعد تخصيصهما ،فان هذا التخصيص بحد ذاته يدل على عظم خطرهما على الدعوة والدولة الوليدة مما سيأتى بيانه فى هذا البحث ان شاء الله.

ويتضح كل هذا من قول الشيخ لابن سحيم :" ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز الذى ينكر البعث منهم أكثر ممن يقرّبه، وأن الذى يعرف الدين أقل ممن لا يعرفه، والذى يضيع الصلوات أكثر من الذى يحافظ عليها ، والذى يمنع الزكاة أكثر ممن يؤدّيها ، فان كان الصواب عندك اتباع هؤلاء فبين لنا ، وان كان عنزة وآل ظفير وأشباههم من البوادى هو السواد الأعظم، ولقيت فى طمك وعلم أبيك أن أتباعهم حسن فاذكر لنا ونحن نذكر كلام أهل العلم فى معنى تلك الأحاديث ليتبين للجهال الذين موهت عليهم". (١)

(=) كذلك ،ويبدو أن صلح ابن دواس مع الدرعية عام ١١٦٧هـ/١٧٥٣م قد زاد فى ضعف المعارضة وخاصة ابن سحيم فانتقل الى الدرعية عام ١١٦٨هـ/١٧٥٤م ولم يطب له المقام فيها فارتحل الى الزبير وتوفى فيها ١١٨١هـ/١٧٦٧م وخلف فيها ابنه ناصر من علمائها البارزين ،وقد ولى الامام فيصل بن تركى عام ١٢٤٩هـ شخصا يقال له سليمان بن سحيم على مرابطة تاروت ولا أعلم هل هو حفيد للمترجم له أم لا ،للتفصيل : (الشيخ محمد : الرسائل الشخصية ٦٢-٧٦،٨٨-٩١،٢٢٦-٢٣٧ ،ابن غنام : روضة ١/٣١، ١١١-١٢٤، ١٣٨-١٤٥،٢/٤٦ ابن بشر ٢/٦١ ،حمد الجاسر: معجم قبائل ١/٤٨،٣٣٦،٢/٥٥٦،٦٦٥ ، جمهرة انساب ١/٣٧٠ ،عبد الله البسام علماء نجد ١/٣٢٢، ٣٢٤،أمين سعيد : سيرة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ط ١٣٩٥/١٩٧٥م، ص ٧٢-٧٧، ٩١، ١٠٤، ١٠١-١١٣ ،مجلة كلية الاداب جامعة الرياض/الملك سعود حاليا م ٥ لسنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ص ١-٢٠ من مقال للدكتور عبد الله العثيمين عن ابن سحيم)

(١) الشيخ محمد عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ٢٣٥، ٢٣٦

وبعد أن يواصل نقده لخصمه يختم كلامه بقوله : " فان كنت وجدت فى علمك وعلم أبيك مايرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلماء وأن عنزة والظفير والبوادى يجب علينا اتباعهم فأخبرونا " (١)

ولا شك أن الشيخ قد استغل نقطة الضعف لدى خصمه فى خوفه من هذه القبائل أو اعتقاده بأنهما ليسا على باطل ، وهو فى هذه الرسالة خاصة يضع ابن سحيم وهاتين القبيلتين فى صف واحد فى استحقاقهم لهذا الهجوم الشنيع حيث أن ابن سحيم يعتبر من زعماء المعارضة الحضرية كما أن عنزة والظفير تتزعمان المعارضة البدوية .

وان استقراء لهذه النصوص السابقة وهذا الجدال الفكرى ليبين مايلى :

أولا أن بادية نجد عموما كانت تعيش فى جاهلية جهلاء فهى لا تعرف الشعائر الاسلامية من صلاة وزكاة وصيام وحج ، وكانت تتحاكم فيما بينها بأعراف وتقاليد لا تمت الى الاحكام الاسلامية بصلة ، ويتضح فيها الجور من جهة ، والتساهل فى احقاق الحق من جهة أخرى . (٢)

---

(١) المصدر السابق : ٢٣٧

(٢) يذكر بركهارت أن لدى البدو طريقة فى حل القضايا هى : أن شيوخ القبيلة يجتمعون للصلح فيما اذا كان بين اثنين من قبيلتهما ثار " دم " او ديون . على شرط ان يصفح الجانبان مهما كان الدم او الديون الخاصة ويقول البدو عن هذه الطريقة " قد حضر الشيوخ ودفنوا " اى دفنوا الثار وفى هذا مافيه من غبن للمدعى وتساهل مع المدعى عليه ، كما يذكر القاضى العرفى لدى البدو واذا فشلت محاولاته فى الاصلاح بين المتخاصمين فانه يأتى بالمحماسة " اداة حمس القهوة " ويضعها فوق النار حتى تحمر ثم يامر المتهم بغسل فمه بالماء ثم لعقها فاذا لم يلحقه اذى وتحمل الحرارة الشديدة فانه برئ واذا عانى من الحديد تثبت عليه التهمة . وقد عقد بركهارت فصلا طريفا خاصا بطريقة القضاء لدى البادية ، لما سبق انظر :

Burckhardt. Notes 1/121 , 146 , 147-155-157.

أما عن الشعائر الدينية كالصلاة فانهم لم يكتفوا بتركها بل كانوا يسخرون[1] من الحضر الذين كانوا يصدقون بالبعث ويقيمون الصلاة وجل الشعائر الدينية مع انحراف فى العقيدة، صحيح أن هؤلاء البدو كانوا يقرون بالألوهية، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته لكنها اقرارات لا تتجاوز ألسنتهم مما جعل الشيخ محمد رحمه الله يطلق الكفر على البادية عموما أو أكثرهم وعلى العموم نجد أنه فى تلك الفترة لم يكن لديهم أى معرفة بدين الاسلام بل كانوا منشغلين مع مواشيهم ولم يكن يضمهم أى رجال علم أو حتى أئمة لأداء الصلاة[2].

ثانيا لقد خص الشيخ فى النص الثانى قبيلتى عنزة والظفير مبينا انكارهم للبعث والنشور، وأن فيهم من نواقض الاسلام ما يخرجهم منه الى الكفر.

لكن الشيخ رحمه الله لم يبين لنا بالتفصيل مظاهر انحراف هاتين القبيلتين وهل كانتا تعرفان الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم كما تعرفه بقية القبائل أم كانتا تعيشان انحرافا شاملا فى كل مظاهر الحياة مما يجعلها تعيش حياة أقرب الى الجاهلية الأولى.

كما أن الشيخ رحمه الله لم يبين لنا لماذا كانت هاتين القبيلتين أشد انحرافا من بقية القبائل الذى يبدو أن ذلك بسبب كونهما تقطنان بعيدا عن المراكز العلمية فى وسط نجد، فقد كانتا تقطنان فى شمال نجد وشمالها الغربى والشرقى، ومما لا شك فيه أن لهذه المراكز تأثير ولو كان ضئيلا على بادية وسط نجد، ولعل هذا هو السبب الذى جعل الشيخ رحمه الله يخص هاتين القبيلتين بهذا الوصف السابق.

---

(١) من الطريف فى هذه القضية أن هناك مثلا شائعا بين البدو ويتندرون به على الحضر وهو قولهم "بلشة الحضران ركوع وتسليم" وسببه فيما يقال ان اعرابيا دخل مع قوم من الحضر فى صلاة التراويح وذلك قبل ان يتعلم البدو امور دينهم وكان له حاجة الى احدهم ولم يكن يعرف شيئا عن هذه الصلاة واستمر معهم حتى انهوا الصلاة ولما عاد الى قومه سالوه لماذا تاخر فقال لهم هذه المقالة، وهناك امثلة عدة تصور الحالة الدينية لدى بادية نجد قبل الدعوة. (محمد العبودى : الامثال العامية فى نجد ١/ ٢٧٧، ٢٧٨، ٣٩٣، ٣٩٤، ويروى هذا المثل باسلوب آخر)

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٤٩ و: Burckadt. Notes. 1/99.

ثالثا أن تركيز الشيخ على البادية فى أكثر مراسلاته ومناقشاته مع علماء وأئمة مساجد بلدان نجد ... أن هذا التركيز يدل على أن الشيخ رحمه الله يرى فى أبناء البادية طاقة هائلة لا يمكن الاستهان بها وأنهم متى ما استقرت العقيدة الصحيحة فى نفوسهم أندفعوا يحققوا مايطلب منهم ، لانهم أسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة فطرهم من مؤثرات الحضارة بسلبياتها المتعددة (١) ، وسنرى كيف أدى بعض أبناء البادية خدمة لهذه الدعوة والدولة فى حروبها مع أعدائها .

رابعا أن فى هذين النصين وفى غيرهما من مؤلفات ومراسلات ومناقشات الشيخ شهادة منه رحمه الله على أن حاضرة نجد ليست كما يصورها بعض الناس تعيش فى جاهلية جهلاء ، بل انها تعيش مطبقة للاسلام فى شعائره التعبدية لولا بعض الانحرافات فى العقيدة والتى يبدو أنها محدودة فى مناطق معينة ، وحتى فى هذه البلدان فهى ليست شاملة لكل هذا البلد أو ذاك ، بل انه يوجد فى كل بلد من بلدان نجد فئة لا يستهان بها تعيش على فطرة الاسلام .

ولا يعنى هذا بأى حال من الاحوال التقليل من الدور الضخم الذى قام به مجدد هذا الدين فى القرن الثانى عشر الهجرى وما تلاه من القرون الى الآن شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، فان تصحيح العقيدة وتوضيح العمل الصالح واقامة الدولة المسلمة التى تقيم شرع الله ، لهو فى الحقيقة - دور لا يستطيع القيام به الا أولوا العزم من الرجال الذين يوفقهم الله للاهتداء بهدى رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويهيئ لهم من يعمل لتحقيق هذه الفكرة فى عالم الواقع وعلى مستوى الدولة كما حصل من الامام الصالح محمد بن سعود رحم الله الجميع .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ١٢٦ ، ١٢٧

ويذكر ابن غنام وابن بشر فى تاريخيهما أن منطقة وادى الدواسر - وأغلبها بادية فى تلك الفترة - كان يوجد بها بعض مظاهر الشرك بتقديس الأشجار والأحجار التى يلقون منها الفائدة الظاهرة، وهما اذ يعممان هذا القول فانما يخصان شجرة كبيرة اتخذوها رمزا يجلسون عندها ويستظلون بها معتقدين فيها جلب النفع ودفع الضرر، واذا علمنا أن منطقة وادى الدواسر لا تقل - فى تلك الفترة - عن منطقة الشمال النجدى جهلا باحكام الدين أدركنا الى أى حد يمكن معه قبول مثل هذه الاشارة.[1]

ولكن ابن غنام وابن بشر لم يوضح أحد منهما مظاهر الممارسات اليومية لهذا الاعتقاد التى يبدو أنها تتخذ شكل الجلوس عندها والاستظلال بها وعقد الاجتماعات المناوئة للدعوة والدولة حولها، ولا شك أنه لو كان لهذا الاعتقاد ممارسات تعبدية ظاهرة كما ذكر هذان المؤرخان لبعض الأشجار والأحجار فى منطقة العارض لابرزاها مما يستنبط الباحث من هذا التعميم أن أصل هذا الاعتقاد لا يعدو أن يكون من باب التفاؤل بهذه الاشجار فى مجتمع بدوى يستفيد منها ظلاله فى غدوه ورواحه وتطور هذا التفاؤل ليأخذ شكل المنتدى السياسى والاجتماعى، والجلوس والاستظلال العابر والتى تطورت فيما بعد لتأخذ شكل الاعتقاد بجلب النفع ودفع الضرر منها ربما بحصول خير ونفع أو اندفاع شر وضرر أثناء الجلوس عندها اذ قد يحدث أن تهطل الأمطار حال جلوسهم عندها أو يسلمون من غارة لاحدى القبائل عليهم أو ينتصرون عندها.

والى وقت قريب فقد كان البدو ينظرون الى الحضر على أنهم " مقومين" الصلاة[2] والمقصود وقتها واركانها وواجباتها مما يعطى المرء تأكيدا بأن بعض البدو على النقيض من ذلك فى غالبهم منذ تلك الفترة، كما قد اشتهر لدى البدو على تلقيب الحضرى بـ " مصلى الخمس" والمقصود الصلوات الخمس التى لم يكن قسم

---

(١) ابن غنام : روضة ٢/١٣١، ابن بشر ١/١٠١، ١٠٢
(٢) الازهار النادية ٤/١٢، ابن خميس : الأدب الشعبى فى جزيرة العرب ط (٢) مطابع الفرزدق - الرياض ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م ص ٣١٥

من أبناء البادية فى تلك الفترة - والفترات المشابهة لها فيما بعدها - يؤد ونهـا اما الحضر من جانبهم فقد اشتهر لديهم أن البدوى هو عدو الشريعة الى - وقت قريب - وهذا وان كان قد تواتر لدى الحضر فان فيه الكثير من المبالغة أساسها أن حياة البدوى القاسية وجهله بأصول الدين قد تضطره لاتباع أسلوب الغـزو على الحضر الذين يطلقون عليه هذا اللقب والا فالبدو - اذا تعلموا الديـن صحيحا - أنصار الشريعة وحماة الدين (١) ولا غرو فى ذلك فهم مادة الاسلام كما قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيما سـر ذكره.

والذى يتأكد أن لهذه النظرة من الحضرى أساس فى فترة ماقبل الدعـوة السلفية فقد أشار علماء الدعوة أن بدو نجد لم يكن أحد منهم - وهذا فـى الغالب - ينظر الى أحكام الاسلام لا فى العبادات ولا فى غيرها من الاحكام سواء كان ذلك فى الدماء والأموال، أو فى النكاح والطلاق والمواريث وما اليها من الأمور التى نظمتها الشريعة (٢)، وقد استغل الحضر هذا الكلام الذى ان انطبق على البدو فى فترة من الفترات فلا ينطبق عليهم دوما، اضافة الى أن الدقة تقتضى أن لا يعمم على سائر البدو، وهذا الكلام - من قبل ومن بعد - يدخل فى نطاق النظـرة السيئة من الحضر نحو البدو.

ولقد كان البدو قبل الدعوة اذا نزلوا قريبا من البلدان وقت الصيـف جاءهم من يستطبب عندهم لمعرفة البدو ببعض انواع الطب العربى فيطلبون مـن أهل المرضى الذبح لغير الله، ويحددون لهم موضعا ويطلبون مثلا ذبح تيـس أصمع أو خروف أسود (٣) وينهونهم عن ذكر اسم الله عليه طالبين اعطاء المريض منـه معتقدين أن ذلك يشفى الأمراض سواء كانت نفسية أو عصبية وقد يحين وقت الشفاء

---

(١) صحيفة الرياض عدد ٥٤٢٤ فى ١٤٠٣/٧/٩هـ ص ٥١

(٢) عبد اللطيف بن عبد الرحمن ال الشيخ : الرسائل المفيدة دار العلـوم للطباعة . القاهرة ص ١٥٥

(٣) اصمع: مقطوع الاذنين او القرنين او هما معا أو صغيرهما :(الفيروزابادى ٥١/٣).

فيشفى المريض فترسخ هذه العقيدة فى النفوس (١) ، ويشترك البد و والحضر على حد سواء فى الاعتقاد بجواز الذبح لدفع ضرر الجن وهو ما وقف ضده الشيخ وعلماء الدعوة من بعده محرمين له ومحذرين العامة من الاعتقاد به (٢) .

هذا ما أمدتنا به المصادر عن الحياة الدينية عند البادية ، الا أن الشعر العامى قد أمدنا بلون آخر من الحياة الدينية لدى بادية نجد فى هذه الفترة فهذا الشاعر الشعبى " راشد الخلاوى " يوضح جانبا من جوانب الحياة الدينية لدى البادية فيقول :

فان سلت (٣) قومى يامنيع (٤) فلا تسل	أحجار واشجار يعبدون خايبه
عصاة قساة من حديد قلوبهم	فلو أنهم من صم الأحجار ذايبه
فلا عند هم الا ابليس عقيد هم	فالبعض ابن له والبعض شايبه
غدوا قرن شر كل قرن مطرد	عن الكون مأوى للشياطين دايبه
محا الله " سعد " يا " منيع " وقومه	كما قد محا من صفحة اللوح كاتبه
تخليت عن قومى محا الله دارهم	واهى عليهم من نواسى نوايبه
تخليت عنهم يومهم غار دينهم	ومن غار عنه الدين غارت مشاربه
أساءوا جبلات وضاعوا برايهم	ومن ضاع عنه الحق ضاقت مذاهبه (٥)

---

(١) ابن بشر ١ / ١٩ ، ٢٠ ، د . عبد الله الشبل : تاريخ الدولة السعودية ص ٢٩

(٢) عن وجود هذا الاعتقاد فيما قبل الدعوة وجواز العلماء له ، المنقور : الفواكه ٢ / ٨٧ ، ٨٨ وعن موقف الشيخ وعلماء الدعوة منه الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ١٣٨ ، ١٣٩ ، الفتاوى ٦٦ ، ٦٧ ، ابن قاسم : الدرر ٤ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٦ / ٤٦٧ ، ٤٦٨ وراى الشيخ فى هذا انه ردة تخرج عن الاسلام (سعد بن حمد بن عتيق ، مجموعة رسائله ، نشر دار الهداية ، الرياض ص ٤٥ ، ٥٢)

(٣) يبدو انه سقط من شطر البيت الاول حرف عن فلعل الشطر على هذا فان سلت عن قومى يامنيع فلا تسل

(٤) هو منيع بن سالم احد امراء بادية الاحساء فى عهد بنى خالد وهو صديق راشد الخلاوى ومدوحه فى جل قصائده ، حتى قال فيه ابن خميس: " لولا مدائح الخلاوى لما عرف منيع بن سالم" (راشد الخلاوى ١٨ ، ١٩ ، ٦٦ ، ٦٧)

(٥) سلت : سالت ، خايبه : من الخيبة والخسران والمعنى ليس فيها خير.
فلو انهم من صم الاحجار ذايبه : لو ان قلوبهم من الاحجار القوية لذابت وفيه اقتباس معنوى من قوله تعالى : " لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله " الحشر اية ٢١ .
غدوا قرن شر كل قرن مطرد : اى غدوا راس شر وكل راس يطرد من الكون .
محا الله سعد يامنيع وقومه : دعاء بالازالة اى ازال الله سعدا ولعله زعيم
(=)

واذا كان شعر الخلاوى يصور جانبا من الحياة الدينية لدى بـــــد و نجد قبل الدعوة فانه يدل على أن قسما منهم كانوا يعرفون الرسول صلى اللـــه عليه وسلم حق المعرفة وتعمر مجالسهم بالحديث عنه وذكره معتقدين أنهم فى هذا يقدرونه أصدق التقدير بغض النظر عن مطابقة الأقوال للأفعال ولواقع الحيـــاة العامة وسلوكها ،الا أن وجود بعض الألفاظ التى تغلوا فى مدحه صلى الله عليـه وسلم يعطى الباحث دليلا على وجود بعض المؤثرات العقدية من خارج منطقــة نجد وان كان من المحتمل أن تكون قد عرفت فى بعض المناطق النجدية أو بواديها فى زمن متقدم.

واذا كان الانسان ابن بيئته فان وجود مثل هذه الالفاظ فى شعـــر الخلاوى يعطى الباحث دليلا على وجود قسم كبير من المفرطين فى مدح الرســول صلى الله عليه وسلم والمغالين فيه غلوا يتجاوز الحدود الشرعية ولعل فى قوله عـن الله سبحانه حينما اسرى بنبيه صلى الله عليه وسلم :

وأبدى له المكنون من سر ماخفى والعرش والكرسى والاكوان داج به

مايؤكد وجود بعض المؤثرات الصوفية ،ذلك أنه ان كان يقصد مايراه بعض غــلاة الصوفية من أن الله اطلع نبيه على الغيب عامة فهذا باطل أول مايدحضه قول اللـه عز وجل :" قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله، ولو كنت أعلم الغيــب لاستكثرت من الخير، وما مسنى السوء" الآية[1] . الا ان كان يقصد اطلاع الله سبحانـه

(=) قومه، ومنيع هو ابن سالم، واهمى عليهم من نوامى نوابيه أى : أمطر عليهـــم من بلاوى النوايب.
يومهم غارد ينهم : غار البئر: اذا انتهى مابه من ماء والمعنى ليس لديهم دين، ومن غار عنه الدين غارت مشاربه : ومن ابتعد عن الدين ابتعدت عنه الحياة المعنوية المستلزمة للايمان.
اساؤا جبلات وضاعوا برايهم : أساؤا طباعهم فضاعت آراؤهم وضاقت نفوسهم عن احتواء الخير لهم.
(عبد الله بن خميس : راشد الخلاوى : ٢٣٧، ٢٣٨، د : عبد الله الشبل المرجع السابق ص ٢٩)

(١) الاعراف آية ١٨٨

لنبيه على أمور عامة تدخل فى قوله تعالى : " عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد الا من ارتضى من رسول "الآية[1] فهذا حق لا مرية فيه[2]

وإذا كان الخلاوى يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله :

خذ فى يدى أقولها فى وغا الحشر   وفى يد منيع صاحبى هو وأقاربه

منيع المسمى وانت تدرى بما جرى[3]   وجدى وجده فى معاليك صالبه

فهو كما أنه حرام ويشرك به الانسان فانه يدل على وجود بعض المؤثرات العقدية الأخرى كالتوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم والادعاء بأنه يملك من علم الغيب ومجريات الأمور فى الحياة بعده، وهذه ان ثبتت فهى تدل على انحدار فى الحياة الدينية لدى بادية نجد الا ان كان الخلاوى يقصد الله سبحانه فهذا لا غبار عليه ويدل على شعور ايمانى لديه كما يوحى بوجود بعض عناصر الايمان فى ابن البادية فى تلك الفترة.

ويلمح الباحث وجود بعض أساليب الدعاء البدعية التى قد تؤدى الى الشرك كالدعاء بحق الرسول صلى الله عليه وسلم مما يبدو معه أن قسما من بادية نجد قد عرفت مثل هذا الأسلوب فى نطاق وجود المؤثرات العقدية السابقة، ويمكن رصد هذا الأسلوب من قول الخلاوى فى منيعه :

كفى الله ذاك الوجه نار من اللظا[4]   بحق المصلى له بكل المساجد

وشعر الخلاوى بما يحمل من معان دينية جيدة، ومعتقدات اسلامية، وأمور بدعية انما يصور جانبا من الحياة الدينية لدى بادية نجد كما يحمل نقدا لبعض المواطن السلبية فى هذه الحياة.

---

(١) سورة الجن آية ٢٦، ٢٧.
(٢) عبد الله بن خميس : راشد الخلاوى ٩٢
(٣) الوغى بالالف المقصورة ولكنها هكذا وردت في الديوان ص ١٤٤، ١٤٥
(٤) اللظى بالالف المقصورة وقد وردت بالممدودة خطا ص ٣٠٢

وسيمر بنا فى نظام الربيط والدخيل أن البدو لايفرقون بين العطف بثم والواو فى أمور المشيئة (١) وغيرها بين العبد والخالق وهو ماوضح مفهومه الشيخ محمد فى كتاب التوحيد كما سيأتى .

وعلى أى حال فان المرء من خلال ما تقدم يلمس بعد حياة البدو فى نجد بشكل عام عن الدين سواء كان ذلك فى شعائره أو فى أنماط سلوكه أو فى تنظيماته للحياة الأمر الذى جعل حياة البادية النجدية حياة شقاء وبؤس وعدم استقرار وان كانت تحكمها بعض الأعراف والعادات العربية الجيدة الا أنها لاتنطلق من منطلق عقدى وهذا ما جعل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يعانى من جهل البادية بأحكام الدين الأساسية وعدم تقبل بعضهم لها فأفاض فى الحديث عنها والنقاش فيها ، وعلى كل سنرى فيما بعد كيف استطاعت الدعوة أن تؤثر ولو جزئيا على البادية النجدية .

1- Burckhardt . Nots 1/167 , 165, 170, 169 .

الفصل الثـانى

أبرزمظاهر الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد لدى بادية نجد قبل الدعوة

١ - نظرة البدوى للحضرى :

لقد كان البدوى قديما وحديثا فخورا بنفسه وأصالته وصحرائه الـــتى يرى فيها المكان المناسب لحفظ شخصيته وعاداته وتقاليده كما يرى أنهـا أعطته الحرية الكاملة وأن الحياة بدونها لا قيمة لها .. وأعطته كـل صفات البطولة ، كما أتاحت له الحرية فى القول ودوام المناقشة وابداء آرائــه ببساطة وصراحة ، وأضفت عليه نوعا من العزة تأبى عليه أن يخضــع أو يذل حتى ولو كان ذلك تحت ظلال السيوف ، اضافة الى ما يتمتع به مـن كـــرم واحـــترام للضيـــف والغريـــب ، وحتى فى حالات الغزو والنهب فان البدو لا يمســون النساء أو الضعفاء ، أو الأطفال والشيوخ بأى أذى... هــــذه العادات جعلت البدوى ينظر الى الحضرى نظرة احتقار لأنه يعتقـد أ ن الحضرى يفقد الكثير من تلك الصفات العاليـة (١) .

ويعتقد البدوى أن سكن الحضرى للمدن والقرى جعله فى ضيق من العيش وكأنه محبوس فى هذه البنايات ، أما هو فانه يعيش فى سعـــة من العيش ، وهو وان لم يكن على ثراء واسع كالحضرى الا أنه بحريتــــه

---

(١) د . عبدالله العثيمين : الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ١٢ ، مكى الجميل : البداوة والبدو ، ص ٥٤ ، ٥٥ ، مجلة الدارة ع ١ / ٣ ص ١٦ / ص .

وصحرائه أسعد حالا ، ولعل في قصة احدى فتيات البادية التي تزوجت حضريا من سكان المدن ، وكان على ثراء واسع معتقدا أنه سيسعدها ، لكنها - وهي لم تألف هذه الحياة المحبوسة - حنت الى حياة الصحراء.. لعل في هذه القصة أوضح مثل على عدم اقتناع البدوي بحياة الحضري . قالت :

ياطير سلم لي على (أبو شخاقيق) : في جانب الوادي بشرقي ابان

قل له : تراي من السعة طحت بالضيق : كني بحبس في طويل المباني (١)

وقد زخر تاريخ العلاقات الاجتماعية بين البدو والحضر قديما وحديثا بالعديد من أمثال هذه الحادثة التي يرى فيها البدو وخاصة النساء منهم عندما يتزوجن بحضر أن حياة الحضر مهما بلغت من الترف هي حياة ضنك ونكد بل كلما زاد فيها الترف ازداد كره ابنة البادية لها ، ومن هذا المنطلق فان هذه النظرة لاترتبط بتاريخ معين أو فترة محدودة مما يجعل الباحث يستشهد بأحداث لها قد تكون قديمة أو حديثة أو معاصرة ، ولئن كانت

---

(١) الشخاقيق : بفتح الشين والخاء ومعناها : الصدوع في الجبل وغيره ، وأبو شخاقيق أحد جبال أبان وهو شرقيه قرب النبهانيه ، وابان جبلان : الأسمر ويسمى قديما : ابان الأسود وهو الشمالي بالنسبة لوادي الرمة ، والأحمر ويسمى قديما الأبيض وهو جنوب مجرى الوادي ويقعان الى الغرب من مدينة الرس على بعد ٥ كم وحول جبلي ابانان عدة هجر وأماكن زراعية تتبع امارة القصيم ، من السعة طحت بالضيق : أي من سعة البادية وقعت في ضيق الحاضرة ، كني بحبس في طويل المباني : كأني في حبس طويل مبناه ، لما تقدم العبودي : (بلاد القصيم ١/٢٢١ - ٢٤١ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، وابن رداس : ٢٦٣).

أغلب هذه القصص ، القديمة والحديثة تؤدى الى نتائج طبيعية كالطلاق كما سيأتي فان هذه القصة التالية قد جرت الى نتيجة أفظع من الطلاق وهى أكل السم عندما لم يتح لبطلتها هذا الطلاق ، وتفصيل ذلك أن احدى البدويات كانت يتيمة عند عمها فزوجها الى أحد أمراء المجمعة من آل عسكر (من الجلاس من عنزة) فأسكنها فى قصر منيف ، ووفر لها كافة سبل الراحة والعيش الرغيد ، ولكنها - كرهاً منها لحياة الحضر كرهت زوجها فأكلت السم وماتت ، وقالت أبياتا قبل ذلك تبين فيها مدى كراهيتها للقصور وحياة الحضر مفضلة عليها حياة البدو والانطلاق فى الفضاء الفسيح والصحراء الرحبة ، ومن هذه الأبيات أو لعلها هى كل ما قالت :

لقيت بأكل السم ياعم راحة : أخير من رجل بليهتن بلاماه

شفي سبيعى يتالى طياحه : أخير من قصر (ابن عسكر) وبمناه

ان مت حطونى بوسط البهاحه : قبرى على درب المظاهير تاطاه (١)

---

(١) بليهتن بلاماه : كلفتنى وشققت على وأرهقتنى من أمرى عسرا ، ولاماه من الالتئام وهو الاجتماع ، شفي : الشف الرغبة الجامحة التى تؤثر على جسم الانسان وعقله وقلبه (فصيحة) سبيعى من قبيلة الشاعرة (سبيع) يتالى : يتابع ، طياحة : أى ابله التى تطيح أى تسرع (فصيحة) حطونى : أى ضعونى (فصيحة) البهاحة : الفلاة الواسعة والساحة الكبيرة التى تطرقها الشمس والهواء ، المظاهير : جمع مظهور وهى الابل مركوبة الظهر التى تحمل الأمتعة والنساء وقت الرحيل . وتطلق على القوافل التى تحمل الأمتعة ، وتطلق على العز والابهة فيقال : فلان عدخل عليه المظاهير : أى غنى منعم ووجيه وتداعب المرأة طفلها قائلة : (عسى عدخل عليك المظاهير) ، تطأه : أى تدوسه :(الزبيدى ٢ : ١٩٤ ، ٦ / ١٥٨) ، وعن الأبيات وتحليل بعض كلماتها ابن رداس (٦١ ، ٦٢) .

وتعترف احدى البدويات بأن حياة البدو حياة شظف ولاتستحق المدح ولكنها تعجبها طباع البدو وحياتهم ، وقد سكنت باحدى مناطق نجد الحضرية فطلتها وحنت الى تلك الحياة فقالت هذه الأبيات التي وان لم تكن بقوة الأبيات السابقة من ناحية اللفظ الا أنها تصور جانبا من كره البدو لحياة الحضر :

يامل عين تسهر الليل ما بات	:	قزيت من مسساى بجنب الجرين
حلفت لو أعطى الرطب والخضروات	:	وتكثر الأرزاق عندى ما أزين
واو عطونى مع اللبن سبع حاجات	:	انى على قد الحضية لا شين
ودى بهم لو التمنى خرافات	:	ياليتنا مع ضفهم نازلين
لوكان والله ماخبرنا مداحات	:	لكن طبع البادية يستوى لى (١)

ولم تهدأ هذه المرأة فى كرهها لعيشتها بين الحضر فأصبحت تقول بين فترة وأخرى أبياتا تندد فيها بحياة الحضر وتحن الى حياة البدو فتقول مخاطبة ابنها :

ياليتنا يا منير نمشى مظاهير	:	فى وسط حى دايم الدوم نشهاه
وياليتنا ما شفنا السوانى على البير	:	ونصيفهم ياليتنا ما عرفناه (٢)

---

(١) يامل : من الملل ، قزيت: قزت النفس عن الشىء اذا أبته والمعنى أبت النوم أو طار عنها ، الجرين يطلق على عدة معان وهو فى نجد مكان درس القمح (فصيح) ما أزين : ماتحسنت حالتى وقالت ذلك عندما سألها أحد قومها لماذا لاتتحسن صحتك ، على قد الحضية لا شين : أى رغم هذه الحضوة فازداد سوءا ، ودى بهم أى البدو قومها لو أن الأمانى لاتفيد ، مع ضفهم : الضف والضفاف الجوار ماخبرنا مداحات : أى لم نذكر فى البادية مايستحق المدح والمعنى أنها حياة شظف ، يستوى لى : يناسبنى ويعجبنى . (الفيروزابادى ٢٠٩/٤ ، أحمد رضا : قاموس رد العامى الى الفصيح ط(٢) دار الرائد العربى - بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ٤٦١ ، وانظر ابن رداس ١١٨)

(٢) نشهاه : نشتهيه ، شفنا : رأينا ، النصيف جزء من ستة أجزاء من الصاع (ابن رداس ١١٨ ، ١١٩) .

وبلغ الوجد باحدى البدويات التى سئمت من سكنى الحضر رغم أن أهلها كانوا معها فى هذا السكن ،حدا صورت به قلبها كأنه يقطع وخاصة بعدما مرت بها احدى قوافل البدو متجهة الى الصحراء فقالت مثنية على الحياة فى الصحراء معرضة بشخص لم يأبه لهذه القوافل ولعله زوجها أو احد أقربائها :(١)

لا واهنيك بالهنى يا ابو مرداس : ما ولعوك مدرهمين المطيه
القلب كنه يشعرونه بالأمواس : من طين حضر حجروا به عليه (٢)

وقد بلغ من تقرر هذه الحقيقة فى أوساط البدويات أن عرفن بها بين الحضر حتى أن أحد الشعراء الحضر عندما أراد أن يتغزل ببدوية رآها فى السوق تشترى حاجة لها فأنشأ حوارا بينه وبينها على أساس أنه يطلب رغبتها فى الزواج منه فترفض نظرا لكرهها لحياة الحضر، وربما أن هذا الحوار قد حصل فعلا وفصلت فيه البدوية مظاهر هذه الحياة غير المرغوبة لديها وصاغه هذا الشاعر بقالب شعرى حيث يقول على لسانها اذ طلبت منه أن يركز سمعه لها بعد أن رغبها فى الحياة الراغدة اذا تزوجت منه :

أو ما وهو يضحك واطرب مزاجه : ياهية وين اذنينك اللى يسمعون
حلفت لو اعطى الحسامع خراجه : طي ببيان الحضر ما يصكون

---

(١) ذكر ابن بليهد ١٠ / ٢٠١ أن القائلة شلشاء البقمية من الدوادمى ، بينما يذكر ابن رداس ٢٠٤ أنها مرسى العطاوية .

(٢) لا واهنيك : هنيئا لك ، ولعوك : من الولع بمعنى الشوق والاغراء ، مدرهمين : درهمة الابل سرعتها والمعنى الذين مسرعة مطاياهم ، كنه : تخفيف كأنه ، يشعرونه : الشعر من معانيه الشق ، الأمواس: جمع موس وموسى وهى أداة الحلق والقطع اليسير (فصيحة) من طين حضر الخ : من ابنية الطين التى يسكنها الحضر ويحجرون على أنفسهم فيها .(الفيروزابادى ٣/ ٩٧ ، ٤/ ٢٥٢ ، وعن الأبيات وشرح بعض كلماتها : ابن بليهد ٢٠١ ، ابن رداس ٢٠٤ ، ٢٠٥).

عندى أحب من القرع مع دجاجـه : هيم مجاهيم بالا قفار يرعـون
وأحب من ابس العصى والعلاجـه : رشاوية شقرا بها الشوك مدفون
ومن الحلو عد كثير همـاجـه : اكرع براسى فيه من غير ماعـون
ومن البدو جلف يربى نعاجـه : ولا سما قى من الورس مدهـون
كل بدور عينته فى زواجـه : والبدو ما للحضر يوم يبيغـون
واقفت سواة الصيد عجل عجاجـه : تقول : أثر حضران ورقا يعشقون (١)

---

(١) أومأ : ومأ وأوما : أشار ، أطرب من الطرب وهو خفة تلحق الـذى يصيبه فرح أو حزن وتخصيصه بالفرح وهم ، مزاجه : المزاج : بكسر الميم من معانيها ماركب عليه البدن من الطبائع ، ياهية : هيت به صاح بـه ودعاه ، وهيت لك : هلم ، وين : عامية من أين ، حلفت : أقسمت بيبان : جمع باب حيث يجمع على أبواب وهو المشهور وبيبان ، وأبوبـة نادر ، يصكون : من معانى الصك الاغلاق ، القرع مع دجاجة : اليقطين أو عامة الدبا يطبخ مع الدجاج ، هيم : ابل عطاش أو كبيرة الأجسـام جمع هيماء ومنه قوله تعالى : " فشاربون شرب الهيم " ، الواقعة آية ٥٥ ، مجاهيم : من الجهمة وهى مافيه سواد من آخره فهى الابل السود وتمتاز بكثرة الحليب ، الأقفار : جمع قفر وهو الخلاء من الأرض ، العصى : جمع عصاة ، العلاجة : تصحيف أحسائى وخليجى للعلاقة التى هـى حلية من حلى النساء ، شاوية : نوع من العصى الرخيصة تميل الى اللـون الأشقر تتعرض لتعلق الشوك بها نظرا لأن لابستها من ربات المهن من رعى وما اليه ، الحلو : أى الماء العذب القراح ، العد والعديد : الماء الجارى من المورد فى الصحراء ، كما يطلق على الماء الصافى الذى لم يخالط مادته ما يغير طعمه ، الهماج والأجاج والزعاق : تطلق على الماء المر على اختلاف بينها فى اطاقة شربه وهى ضد القراح وكلها اما فصيحـة أولها أصل فصيح ، اكرع : من الكرع وهو تناول الماء أو أى سائل بالفـم من موضعه من غير شرب بالكفين أو الاناء ، والماعون يطلق فى اللغة على كل ما ينتفع به وفى نجد يخصص بالاناء ، جلف : تطلق على الرجل الجافى الغليظ ، النعاج والنعجات : جمع نعجة وهى أنثى الضأن وتطلق على الضأن عموما بالتغليب ، ويروى الحاتم فى خياره هذا الشطر على هـذه الصيغة ، ومن البدو علج يدجى نعاجه ، سماقى : السمق هو العلو فهو يطلق على الرجل الطويل الأبيض ، الورس نوع من الطيب كانـوا

=

وابنة البادية فى كرهها للزواج من الحضرى المترتب على كرهها لحياة الحضر عامة على اختلاف النتائج المترتبة على هذا الزواج لو تم بغير رضاها كما مر ، ابنة البادية فى هذا كله انما تعبر عن وضع نفسى لازمها منذ القدم كلما أرادت مؤثرات الحضارة أن تجذبها اليها وقف هذا الحاجز النفسى سدا منيعا أمام تخليها عن بداوتها وصحرائها ، وفى قصة ميسون بنت بحدل الكلبية (١) عندما تزوجها معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما

= يضحكون به بشرتهم وثيابهم ، يدور : يبحث ، هنته : جنسه ، يبغون : أدخل حرف الجر على الفعل ، وهذا لا يجوز الا فى لفظة مشترك بين الاسمية والحرفية ، واقفت : ولت مقفية أى مخلفة ورائها الشاعر ، سواة : أى مثل ، الصيد عجل عجاجه : أى مثل الذى يراد صيده فان غباره يسرع تبعا لسرعته هو ، تقول : الأولى أن يوردها مذكر على أساس أنه انزل محبوبته منزلة الظبى ، أثر من ألفاظ التحقق من الفعل والعزم عليه ، حضران : جمع حضرى ، ورقا : أى خضرة وماء وتطلق على الحمامة ، وهى كناية عن الترف والجهل بالأمور ، وقائل هذه الأبيات هو محمد بن مسلم ، أحد شعراء الأحساء المجيدين فى القرن الثالث عشر الهجرى ، ولما سبق من الأبيات وشرحها : (الفيروزابادى ١/٣٣ ، ٣٨ ، ٩٧ ، ١٦٠ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢/١٢٠ ، ٣/٧٨ ، ١٢٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٤/٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣٧٩ ، عبدالله الحاتم : خيار ما يلتقط ٢/١١٣ ، ١٢٠ ، عبدالله بن خميس : الأدب الشعبى ص ، ٢٠٧ ، ٢٠٨)

(١) هى ميسون بنت بحدل بن انيف بن ولجة بن كنانة من قبيلة بنى حارثة أشرف بطون كلب ، وكان بحدل هذا نصرانيا ويقال انه مات على النصرانية - والله أعلم - قبل طلقها معاوية بعد سماعه قولها لهذه الأبيات وكانت حاملا بيزيد وقيل كان رضيعا وحاملا بهنت ، ونشأ يزيد معها فى الصحراء وتربى فى كنف أخواله وربى أبناؤهم أبناء يزيد وأحفاده ، وأضفت ميسون على هذه الأسرة بزواجها من معاوية شهرة كبيرة حيث أصبح البحدلية من كبار اتباع بنى أمية ، قيل توفيت سنة ٨٠ هـ تقريبا / ٧٠٠م ولها من معاوية يزيد ورملة وابنة توفيت (ابن جرير ٦/١٨٣ ، ٧/٦٤ ، ابن حزم ٤٥٧ وذكر فيها أن بحدل أخو معاوية لأمه فان كان يقصد ابن أبى سفيان فهذا وهم يزيله زواج معاوية من ميسون ، ابن عبد ربه ٥/١٠٥ ، ١١٧ ، ١٣١ ، ابن الأثير : الكامل : =

وملت هذه الحياة الحضرية وطلبت الطلاق منه فطلقها ، في هذه القصة دليل على أصالة هذا الجانب في المرأة البدوية فقد قالت ميسون بعد توايها الى البادية أبياتا تشبه الى حد كبير ما مر من الأبيات فمن ضمن ما قالت :

لبيت تخفق الأرواح فيه	:	أحب الي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني	:	أحب الي من لبس الشفوف
وأكل كسيرة في جنب بيتي	:	أحب الي من أكل الرغيف
وخُرْقٍ من بني عمي نحيف	:	أحب الى من عِلْجٍ عنيف (١)

واو تمعنا أبيات ميسون هذه لبرز لنا منها تأكيدها على حب الحد الأدنى من البساطة التي تجعلها في مستوى الكفاف من ناحية السكن والملبس والمأكل ، واذا كان هذا طبيعيا من ابنة البادية فمن المستغرب أن ترغب ميسون عن معاوية أمير المؤمنين الذى يستطيع أن يجعلها تعيش في البادية كأحسن مايكون العيش ، وتفضل عليه خرقا من مغموري البدو لمجرد أنه ابن عمها ، الا أن هذا الاستغراب يزول عند معرفة سبب هذا الحب لحياة الصحراء المقترن بكره حياة الحضر بما تمنحه الأولى من صفاء في الذهن وهدوء في مزاولة أساليب الحياة اضافة الى سلامة الفطرة ، وما تسببه الثانية من صخب ، وتبلد في الذهن ، وعجز عن القيام بكثير من العادات البدوية الأصيلة من كرم ووفاء ، وقبل هذا وذاك الحرية التي هي عنوان الحياة البدوية .

= ٣/ ٢٦١ ، ٣١٧ ، ابن كثير ٨/ ١٤٥ ، ٢٢٦ وقد أثنى في الأولى على ميسون ووصفها بعظم الشأن جمالا ورياسة وعقلا ودينا ، الزركلي : ٨/ ٢٩٨ ، دائرة المعارف الاسلامية ٣/ ٣٦٨ ، ٣٦٩) .

(٢) تخفق تتحرك والأرواح : الأجسام ، وهذا كناية عن بيت الشعر ، الشفوف جمع شف بكسر الشين وفتحها الثوب الرقيق الذى يحكي ما تحته ، كسيرة : تصغير كسرة الخبز ، خرق : بضم الخاء والخاء والراء ، وفتح الخاء والراء ، وبسكون الراء في الحالين من معانيه : الرجل الذى لا يحسن العمل ولا التصرف في الأمور ، وكذا الأحمق ، والمرأة منه خرقاء ، علج : بكسر العين وسكون اللام : الرجل من كفار العجم أو الأعجمي عامة والرجل

=

وفي قصة بداح العنقري (١) مع بعض فتيات البدو للعلاقـة الاجتماعية بين البادية والحاضرة في هذه الفترة ، ذلك أنه من عـادة البادية الاقامة "المقطان" وقت الصيف وخاصة في سني المحل بجـوار المدن والقرى ، وموارد المياه نظرا لحاجة مواشيهم اليه ، وبينما أحـد أحياء البدو قاطنا قرب بلدة ثرمداء (٢) ، والتي كان أميرها بـداح

= الشديد المعالج للأمور ، (الفيروزابادي ١/ ٢٠٠ ، ٣/ ١٥٩ ، ٢٢٦ ، الزبيدي ٢/ ٧٥ ، ٧٦ ، ٦/ ١٥٨ ، ٣٣٠ ، ابن خميس: المرجع السابق ٢٠٨).

(١) هو بداح بن بشر بن ناصر بن ابراهيم بن خنيفر العنقري ، وكـان العناقر يسمون قديما آل خنيفر وهم أحد أفخاذ بني سعد بن زيد مناة ، بطـن كبـير من بطون قبيلة تميم المشهور ، والعناقر أمراء ثرمدا منذ القرن الحادي عشر الهجري ومنهـم آل معمر أمراء العيينة ، وقد تولى بداح امارة ثرمدا عام ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م وقد حصل في عهده معارك بين أهل ثرمدا وأهل أوشيقه ، وبين ثرمدا ومراة ، كما هي حال البلدان النجدية في هذه الفترة . توفي بداح سنة ١١٣٦هـ/ ١٧٢٣ م ، وتولى بعده ابراهيم بن سليمان العنقري الذي قام على قرابته ومنهم أبناء بداح فقتلهم لحزازات بينهم ، ومن العناقر أسر في القرابين وأوشيقه (ابن بشر ٢/ ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، أحداث سنة ١١١٩هـ ، ١١٣٦هـ ، ابـن عيســى ، ص: ٨٧ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ابن لعبون: التاريخ ٢٢ ، المغيري: المنتخب ١٦٢ ، ١٦٣ ، الحقيل: كنز الأنساب ١٠٣ ، ١٠٤ ، حمد الجاسر: جمهرة ٢/ ٦٣٤ — ٦٣٧ ، ابن خميس: معجـم اليمامة: ١/ ٢٢٩ ، ٢٣٠).

(٢) ثرمداء: قال البكري: فتح أوله وفتح الميم والدال المهملة ممدود: قرية بالوشم وهي خبرة وفي رواية (خيرة) واليها تنتهي أودية جمعاء ، وهي من منازل بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بنجد ، وقال ياقوت: قال الأزهري: ماء لبني سعد في وادي الستارين ، وقد وردته ، يستقى منه بالعقال لقرب مقره ، وقال الخارزنجي: هو بكسر الميم ، قال وهو بلـد وقيل قرية بالوشم من أرض اليمامة ، وقال نصر: هو خير موضع بالوشم واليه تنتهي أوديته ويروى بكسر الثاء ، وقال السكوني: ثرمداء من أرض اليمامة لبني أمرىء القيس بن تميم ، وقال الهمداني: الوشم من أرض اليمامة وهـو للقرارشة من بني نمير ، وأول الـوشم ثرمدا وأشيقة ، وقال ابن خميس: تقع

=

العنقرى كثيرا ما يمر على منازل هذا القطين على فرسه ، والبلد عموما بحكم مسئوليته اذ أثار فضول فتيات القطين فتغامزن بينهن حينما مر بهن قائلات : خيال الحضر زين التصافيح " أى أن مظهره حسن ومخبره بخلاف ذلك فهو رعديد لا يستطيع أن يصمد أمام الغارات فضلا أن يغير هو بنفسه ، وحدث ذات مرة أن أغار غزو من قبيلة الفضول (١) على هذا القطين فأخذ مواشيه ، ويقال أن العنقرى كان ضيفا على هذا القطين ، وكانت احدى بنات القطين ، ولعلها ابنة زعيم القطين قد وقع حبها فى قلب العنقرى ، وكان قد خطبها من أبيها فامتنعت قائلة : ان الحضر فرسان نظرة ، وعلى كل أبت شيمة العنقرى أن يؤخذ جيرانه فأغار فى أثر الفضول حتى عاد بأبل وخيل القطين التى سلبت ، مضافا اليها بعض

= ثرمدا بين بلدة أثيثية التى تقع الى الغرب الشمالى منها وبين مراة التى تقع الى الجنوب الشرقى منها ويحفها طريق الحجاز من الناحية الغربية ، وهى تميمة منذ القدم ولا تزال كذلك لبنى سعد فان أمراءها العناقر من بنى سعد بن تميم ، ومن ثرمدا الشيخ العالم الجليل الفقيه عبد الله بن عبد العزيز العنقرى ، ويروى أن الريان بن ماجد من ثرمدا ، للتفصيل :(البكرى : ١/ ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ياقوت ٢/ ٧٦ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٣٠٩ ، ٣١٠ ، صفى الدين البغدادى: مراصد الاطلاع ١/ ٢٩٤ ، ابن خميس : معجم اليمامة ١/ ٢٢٧ ، ٢٣٣ المجاز ص ٥٣ ، ٥٤) .

(١) الفضول أو آل فضل : أحد فروع قبيلة طئ القحطانية ، ويرجعون الى فضل بن ربيعة الطائى وكانت من كبار قبائل الشام فى القرنين السادس والسابع الهجريين ، اضافة الى أنها انتشرت بعد ذلك فى القرن الثامن فى نجد مخضعة أكثر قبائلها ويبدو أن لاقربائهم من بنى لام دور فى هذا الانتشار الذى أهلهم للقيام بغارات على القبائل والبلدان النجدية ، ثم بدأت هذه القبيلة بمغادرة الجزيرة على مراحل منذ أواخر القرن الحادى عشر الهجرى على أنه بقى لها فروع الى منتصف القرن الثانى عشر حيث تحضر أغلبها واستقر فى القرى والمدن النجدية حيث يرجع اليها عدد من كبار الأسر منها ، ويميل المغيرى الى أنها احدى فروع قبيلة لام ، بينما يرى الجاسر والحقيل أنها غير الفخذ الثالث من بنى لام ، وان كانوا يجتمعون جميعا فى طئ ،(ابن بشر : ٢/ ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، المغيرى ٩٩ ، ١٠٠ ، الحقيل =

ابل وخيل الفضول ، ولما تيقن من أدائه لدوره على أحسن حال ، وقف على فرسه الباقى نظرة على هذا الحى ، وقال قصيدة يعاتب فيها هذه الفتاة التى قالت عنه ما قالت ومنها :

الله لحد ياما غزينا وجينا : ويما ركبنا حاميات المشاويح
وياما على أكوارهن اعتلينا : وياما ركبنا عصير مراويح
ويما تعاطف بالهناوى يدينا : ويما تقاسمنا حلال المصاليح
وراك تزهد يا أريش العين فينا : تقول : " خيال الحضر زين تصفيح "
ترنى الظفر مهوب للظاعنينا : أمقسم بين الوجيه المفاليح
البدو والى بالقرى نازلينا : كل عطاه الله من هبة الريح
يوم الفضول بحلتك شارعينا : والشلف ينحونك سواة الزنانيح
يوم انجمرمحى خذيت السنينا : وأدعيت عنك الخيل صم مدابيح
هيا عطينا الصدق هيا عطينا : واما عطيتيناه والله لا صبح
لاصبح صيحة من غدى لعجنينا : والا خلوج ضيعوها السراريح (١)

= ١٢٦ - ١٢٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، الزركلى ٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، كحالة ٩٢٢/٣ ، ٩٢٣ ، حمد الجاسر : المرجع السابق ٦٩٥/٢ ، ٦٩٧).

(١) الله احد : قسم فيه معنى التكثير مخفف من الله الأحد ، ياما : كثيرا ، حاميات المشاويح : هى الابل ولعل المقصود بها هو حفظها لمنابت الشيح على خطأ فى جمع الشيح على مشاويح والصحيح مشابيح والتى تطلق على القيعان والرياض فيكون المعنى على هذا - والله أعلم - حاميات المراعى ، أكوارهن : جمع كور بضم الكاف وسكون الواو وهو رحل البعير كالقتب والشداد ، عصير : تصغير عصر ، مراويح : وقت الرواح والمقصود اللاتى رواحهن عصرا ، تعاطت : تبادلت ، الهنادى : السيوف المشحوذة أو المنسوبة الى الهند ، حلال المصاليح : مال الذين يصاحونه بالنطاح والمنتاح ، وراك : أى مالك وهى لفظة نجدية لم أجد لها أصلا فيما بين يدى من كتب اللغة وينطقها بعض النجديين أراك تزهد : ترغب ، أريش العين : ذو الرموش الطويلة كالاريش وهذا من صفات الجمال ، الظفر : الشجاعة والنجاح فى الأمور (فصيحة) الظاعنين المرتحلين والمقصود البدو (فصيحة) الوجيه : جمع وجه والأفصح جمعها على وجوه ، المفاليح : المتصفة بالفلاح ، عطاه : أعطاه ، هبة الريح : =

وبعد أن تغزل بمحبوبته فى أبيات بعدها لوى عنان فرسه ورحل الى أهله ، وقد تعلق قلب الفتاة به فأرسل له أبوها بعدم معارضته للزواج منها لكن العنقرى أبى ذلك . (١)

الا أن هناك رواية تقول ان الفتاة بعدما أعجبت به وافقت على الزواج منه ، وأقامت معه فى ثرمداء مدة معززة مكرمة لأنها زوجة الأمير (٢) ، لكنها وقد ألفت حياة البادية أصبحت تتطلع اليها كثيرا ، تحن اليها

= الأفعال الطيبة يقولون فلان هب الريح أو هاب أو هباب ريح أى انسان ندب شجاع كريم ، بحلتك : بديرتك شارعين : هاجمين ومستولين والشّلْف : جمع شَلْفا : الرمح والشُّلّف بتشديد اللام رماة الرماح ، ينحونك : يصدونك سواة : مثل ، الزنانيح : الذين يضايقون فى معاملتهم (فصيحة) ، انجمر : انكسر من مقبضه ، خذيت : عامية من أخذت ، السنينا : من اطلاق الصفة على الموصوف والمقصود السيف المسنون ، أدعيت : عامية من تركت ، صم مدابيح : هاربات لا يلوين على شيء من غدى له جنين من ضاع له ولد صغير أو كان انسانا أو حيوانا ، خلوج : ناقة ضاع عنها ولدها أو أخذ منها ، السراريح : جمع سارح وهو الراعى ،(الفيروزابادى ١٨٦/١ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤٩ ، ٢ / ٨٠ ، ١٣١ ، ٢٤٥/٤ ، الزبيدى ١٧٣/٢ ، محمد سعيد كمال : الازهار ٢٧٥/١ ، ابن رداس ٣١٦ ، محمد الثميرى : الفنون الشعبية فى الجزيرة العربية ١٣٥ ، ١٣٦ ، ابن خميس : الأدب الشعبى ١٨٩ - ١٩٢ ، من أحاديث السمر ١٢٧/١ ، ١٢٨)

(١) فهد المارك : من شيم العرب ١٠٠/٣ ، محمد الثميرى : الفنون الشعبية فى الجزيرة العربية ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٢) ابن رداس : ص ٣١٦ .

متمنية الرجوع اليها ، وذات يوم وهي في سطح بيتها أبصرت قطينا من البدو ، وقد عرض بالبلدة ، متجها نحو البادية فهاجت قريحتها بأبيات رفعت صوتها بها ، وكان زوجها على مقربة منها يسمع صوتها وهي لا تعلم ومن هذه الأبيات :

يا شيب عيني من جلوسي بقرية : ومن شوف بقران تربّط حلوقها
شفي مع "صقر" وصقر مضنّتي : له سابق درّ البويضا غبوقها (١)

فلما ألتفتت علمت بوجود زوجها فأرادت الاعتذار منه وقالت :

يابو "صقر" ما للنفس عنكم تشيّم : لكن شوفات البوادي تشوقها (٢)

فرد عليها زوجها :

روحي مني يم "صقر" عطية : عطية "عنقرى" مالها من يعوقها
ما ترجعي الا أن يرجع المطر مصعد : أو الريح تعطى رايها من يسوقها (٣)

---

(١) ياشيب عيني : أي ما أشد ما أقاسي من الغم مما يشيب معه رمش العين ، بقران : جمع بقرة ، والأفصح جمعها على بقر وبقرات وبقر بضمتين وأبقار وبواقر وبقار بضم الباء وتشديد القاف وأبقور وبواقر الابقران فلم يرد لفظه كجمع . تربط حلوقها : يوضع في رقابها حبال تقاد وتربط فيها أو لأجل الدياس عليها ، والبدوي يكره البقر لانها تقربه من الحضر . صقر : أخوها ، مضنتي : غاليتي ، سابق : اسم فرس ، در البويضا : حليب ناقة تدعى البويضا : تصغير البيضاء ، الغبوق : شراب الماء ، الصبوح : شراب الصباح .

(٢) أبو صقر : لعله بداح العنقرى ، وصقر ابنه ولعله منها ، تشيم : شيمة وترفع شوفات : جمع شوفة وهي الرؤية .

(٣) روحي : اذهبي ، يم صقر : الى جهته ، مالها من يعوقها : لا أحد يردها ، مصعد : مرتفع الى السماء ، والمعنى لا ترجع الا اذا رجع المطر الى السماء ومعناها الاستحالة ، تعطى رايها : تنقاد وتقبل . أي أنه علق رجوعه في عطيته بأمرين مستحيلي الوقع ، وهما رجوع المطر الى السماء بعد نزوله في الأرض ، وانقياد الريح لمن يريد أن يصرفها عن جهتها ، وفي البيتين كناية عن طلاقها منه طلاقا بائنا ، (الفيروزابادي ١/ ٣٧٥ ، وعن الأبيات السابقة ابن رداس ص ٣١٦ - ٣١٨ ، وقد أورد المارك جانبا

=

وان نظرة فاحصة لبعض أحداث هذه القصة وما قبلها لتبين لنا ما يلي :

أولا : أن نظرة البدوى للحضرى نظرة ازدراء واحتقار منشاؤه اعتقاد البدوى بأنه أصل للحضر وسابق عليه وقد دلل ابن خلدون(١) فى المقدمة على أن البدو أصل للحضري بقوله : " اذا فتشنا أهل مصر من الأمصار وجدنا أوليه أكثرهم من أهل البدو الذين بناحية ذلك المصر ، وفى قراه ، وأنهم أيسروا فسكنوا المصر وعدلوا الى الدعة والترف الذى فى الحضر وذلك يدل على أن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة وأنها أصل لها . . الى أن قال : فقد تبين أن وجود البدو متقدم على وجود المدن والأمصار وأصل لها ، بما أن وجود المدن والأمصار من عوائد الترف والدعة التى هى متأخرة عن عوائد الضرورة المعاشية والله أعلم" (٢) .

= من القصة فى (شيم العرب ٣/ ٩٥ - ١٠٢) الا أنه ذكر أن الفتاة بنت ابن عريعر أقوى أمراء نجد فى ذلك الوقت ، وان كان قد مال فى آخر القصة الى كونها قد وقعت من ابنة أمير قطين قرب ثرمدا كما هو المشهور ، أما قائل القصيدة فذكر أولا أنه فارس من فرسان ابن عريعر ولم يذكر اسمه أو أصله ثم مال الى أنه من العناقر من فرسان ابن عريعر مخالفا بذلك المشهور على ألسنة رواة الأدب الشعبى وفى كتب هذا الأدب كما روى الشطر الثانى من البيت الرابع : (خيال القرى زبن تصفيح) مؤكدا أن نظرة البدوى للقروى أقسى من نظرته لابن المدينة غير أن من المعروف كره البدوى لحياة الحضرى سواء كان ذلك فى المدينة أو القرية .

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م - ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) ليس هنا مجال التعريف بشخصيته فقد كثرت الدراسات عنها وعن مؤلفاته ، فقد ضمن هو الجزء الأخير من العبر ٧/ ٣٧٩ - ٤٦٢ تعريفا كاملا بشخصيته ورحلاته ، وكافة المعلومات عنه ، كما أصدر الدكتور على عبد الواحد وافى كتابا عنه فى سلسلة اعلام العرب رقم (٤) ، وألف محمد عبد الله عنان كتابا أسماه ابن خلدون : حياته وتراثه الفكر ط (٣) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والكتاب - القاهرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م وأفرد الفرد بيل : Alferd.Bel له ترجمة وافية فى دائرة المعارف الاسلامية ١/ ١٥٢ - ١٥٧ ، وانظر الزركلى : الاعلام ٤/ ١٠٦ ، ١٠٧ وأقامت عددا من الجامعات والمراكز العلمية أسابيع للتعريف بجوانب متعددة من شخصيته وفكره .

(٢) المقدمة : ص ١٠٣ .

ثانيا : ان البدوى يعتقد بأنه يميز الحضرى كثيرا بشجاعته وفروسيته وأن الحضرى يفقد صفات الشجاعة يدل على ذلك قول فتيات القطين الذى مر ذكره " خيال الحضر زين التصافيح " وهذا الاعتقاد صحيح لان -

البدوى وهو يعيش حياة الترحال تضطره هذه الى أن يدافع عن نفسه ويحمى ذماره وقبيلته ، بعكس الحضرى الذى يعيش فى القرى والمدن التى يحكمها نوط من الأنظمة والأعراف التى جعلته يميل الى الدعة والهدوء ، ولعل هذا هو الذى حدى بابن خلدون أن يضع عنوانا فى مقدمته موضحا فيه أن أهل البدو أقرب الى الشجاعة من أهل الحضر مبينا السبب فى ذلك فيقول : " ان أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا فى النعيم والترف، ووكلوا أمرهم فى المدافعة عن أموالهم وأنفسهم الى واليهم ، والحاكم الذى يسوسهم ، والحامية التى تولت حراستهم . . . قد ألقوا السلاح ، وتوالت على ذلك منهم الأجيال ، وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين هم عيال على أبى مثواهم حتى صار ذلك خلقا يتنزل منزلة الطبيعة ، وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم فى الضواحى ، وبعدهم عن الحامية ، وانتباذهم عن الأسوار والأبواب قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها الى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دائما يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب فى الطرق ويتوجسون للنبآت والهيعات ، ويتفردون فى القفر والبيداء مدلين ببأسهم واثقين بأنفسهم قد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجية يرجعون اليها متى دعاهم داع واستنفرهم صارخ ، وأهل الحضر مهما خالطوهم فى البادية ، أو صاحبوهم فى السفر عيال عليهم لا يملكون معهم شيئا من أمر أنفسهم وذلك مشاهد بالعيان حتى فى معرفة النواحى والجهات وموارد المياه ومشارع السبل" (١)

---

(١) النبآت : جمع نبأة وهى الصوت الخفى ، والهيعات : جمع هيعة بفتح الهاء وهى الصوت المفزع والمخوف أو صوت العدو (الفيروزابادى ١ / ٢٩ ، ٣ / ١٠١)

وعلى كل فقد أخذ البدو يدلون بشجاعتهم على الحضر حتى عاد الحضرى لايساوى شيئا أمام البدوى لما يعتقده فيه بأنه جبان لايستطيع الصمود أمام مواجهة الأعداء فكيف بمقارعتهم ، ولقد استغل بعض البدو هذه الشجاعة للاعتداء وقطع الطريق على الحجاج والآمنين من الحاضرة والبادية الأمر الذى بات معه طريق الحج وكل مفاوز نجد غير آمنة مما جعل الحجاج يدفعون عند دخولهم نجدا اخاوة لأحد القبائل القوية حتى تحميهم من قطاع الطرق من قبيلتها أو غيرها أما من يغفل عن تقديم هذه الاخاوة أو لايستطيع تقديمها فانه يقع تحت طائلة قطاع الطرق ،وان فى قصة العلامة محمد الجزرى التى مر ذكرها صورة حية لهذا الوضع .

ثم ان تاريخ نجد بعد ذلك حافل بمثل هذه الأحداث التى يعتدى فيها قطاع الطرق من البادية على الحجاج والمسافرين عبر نجد وداخلها من أهلها ، ويحصل من جراء ذلك معارك عظيمة كتلك التى حصلت لحجاج العراق عام ١١٠٠هـ/١٦٨٨م (١) ، وتلك التى حصلت لحجاج الأحساء والقطيف والبحرين سنة ١١٤٢هـ/١٧٢٩م والذين اعترضتهم مطير ففاجأتهم عند الحنو (٢) وحصلت معركة عظيمة بسبب أن مع الحجاج أموال كثيرة ولم يكونوا منظمين ، وهلك فى هذه الموقعة كثير من أعيان الأحساء والقطيف والبحرين وأناس كثيرون ويقول ابن بشر : " نزعت الرحمة من قلوب

---

(١) ذكر المنقور فى تاريخه أن أخذ الحاج العراقى سنة ١١٠١هـ/١٦٨٩م ، بينما ذكرها الفاخرى وابن بشر وابن عيسى سنة ١١٠٠هـ والله أعلم .

(٢) الحنو بالكسر فالسكون وهو فى اللغة كل شئ فيه اعوجاج والجمع أحناء موضع فى عالية نجد وقع فيه يوم من أيام العرب قبل الاسلام ، وهو الآن قرية زراعية فى أعلى وادى الريين الى الجنوب الغربى من القويعية على بعد ٥٠ كيلا ويتبع امارة القويعية .وقال فيه الشاعر :
حلت سليمى بذات الجزع من عدن : وحل أهلك بطن الحنو من حضن
وهناك أكثر من موضع بهذا الاسم .(البكرى ٢/ ٤٥٥ ، ٣/ ١٠٤٣ ، ١٠٥٩ ، ٣/ ١٠٨٣ ، ٤/ ١٣٦٢ ، ياقوت ٢/ ٣١٢ ، الفاخرى ١٠٢ من حاشية المحقق ،سعد بن جنيدل ،عالية نجد – طبع مطبعة نهضة مصر نشر دار اليمامة .الرياض ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، ١/ ٤٢٦)

الأعراب حتى أنه ليهلك الهالك ما يسقونه ماء " (١) .

ثالثا : أن البدوى يستنكف البقاء في القرى مع الحضرى وإذا اضطره المحل أن يعيش قريبا من القرى وموارد المياه فانه لايقارب الحضرى ، وان قاربه فيعتدى عليه ، واذا كان هذا ليس حكما عاما فان كره البدوى للقرى والمدن عام لأنه لايطيق أن يرى نفسه محاطا بجدران وأسوار معتقدا أن ذلك سجن كبير ، وأن السكنى فى منازل كمنازل الحضر هو بمثابة سجن ضيق ، الا أن سنوات الشدة وانقطاع الأمطار قد تضطر البدوى الى دخول البلدان خوفا على أنفسهم ومواشيهم من الهلاك ليحصلوا على المياه والأعلاف ، وفى هذه الحالة اما أن يستكينوا ويستضعفوا حتى يأتى الله بأمطار تجعلهم يخرجون الى مرابعهم ، واما أن يغيروا على أهل القرى حتى ينغصوا عليهم حياتهم وربما أجلوهم عنها الى بلدان أخرى .

يقول ابن بشر : " وهذه السنة (١٠٧٦هـ/١٦٦٥م) هى أول المحل والوقت المشهور بصلهام الذى هثل فيه البوادى وماتت مواشيهم ، ثم استمر الغلاء والقحط فى السنة التى بعد هذه ، وهثل غالب بوادى أهل الحجاز "(٢) . ويقول : " وفى سنة (١١٣٦هـ/١٧٢٣م) عم المحل والغلاء والقحط من الشام الى اليمن فى البادى والحاضر ، وماتت الأغنام وكل بعير يشال عليه الرحل وهثل أكثر البوادى فى البلدان ".

---

(١) الفاخرى : ١٠٢ ، ابن بشر : ٢/٢٣٩، ٢٤٠ ، ابن عيسى : ١٠٢ .

(٢) المحل هو القحط ، صلهام (فصيحة) وتعنى الأسد أما فى نجد فيعنون به السنة المقحطة ، ولعلهم أخذوها من شدة الأسد وقسوته هثل لفظة نجدية من الهثل وهو الضعف والانقطاع ، يقال انسان أو حيوان هثيل أو هثيلة : منهوك القوى ، والمعنى جاء البادية متهافتين على البلدان واستقروا فيها فترة حتى أصبحوا سقطا وهثالة بسبب القحط . (الفيروزابادى ٤/١٤٠ ، الفاخرى ٧٣ ، ابن بشر ٢/٢٠٩)

وقد صور أحد الشعراء البدو في هذه السنين العجاف بأنهم قد انقسموا الى ثلاثة أقسام :

١ — قسم تشرد وترك مواشيه وهرب بنفسه لعله يجد منطقة يعيش فيها .

٢ — وقسم صبر وصابر حتى واجه الهلاك مع مواشيه .

٣ — وقسم التجأ الى القرى والأرياف .

يقول :

غدا الناس أثلاثا فثلث شريدة : يلاوى صليب البين عار وجائع

وثلث الى بطن الثرى دفن ميت : وثلث الى الأرياف جال وناجع(١).

وقد يطيب المقام لبعض أبناء البادية في القرى والأرياف فيتركون باديتهم ايقطنوا في هذه القرى والأرياف اما مشتغلين عند الحضر في مزارعهم أو يزرعون هم بأنفسهم ، أما بعضهم فانه لا يصدق أن يرى في الأفق سحابة أو بادرة مطر حتى يولي وجهه شطر باديته لا يلوي على شيء تاركا للحضري قريته وبيوته الطينية التي ينعى بها عليه والتي يعتبرها البدوي سجنا لا تصلح الا للحضري الذي لا يستطيع استمرار العيش في الحياة الصحراوية .

رابعا : أن البدوي يفخر بأبله وخيله وتربيتها وفي الوقت نفسه ينعى على الحضري تربيته للابقار معتقدا أن تربية البقرة ذل واهانة ، ولعل للبدوي في تربيته للأبل والخيل واعتزازه بها هدفا ساميا وهو مقارعة الخصوم ، وسرعتها ، وخفتها في الترحال الى مواطن الكلأ فلو كان معه أبقار لأعاقته عن الوصول بسرعة إلى مظان العشب ولتمكنت القبائل الأخرى من سبقه اليها وهذا هو السبب في اعتقاد البدوي أنه أعرف من الحضري في أمور الحياة . ولطالما تغنى البدوي بالأبل والخيل كما يتغزل بمحبوبته .

---

(١) الفاخري : ٩٨، ٩٩، ابن بشر : ٢/٢٣٥، ابن عيسى : ٩٥، ٩٦،

أما عن الخيل فالتغنى بهن كثير ، الا أن هذا المدح للخيل من شاعرة " زعب " (١) يتضمن مدحا للخيل وتوضيحا للطريقة التى تربى بها خيل الحرب وهى عدم تلقيحها لأن ذلك ينهك قواها بسبب الحمل الذى فى بطنها ، قالت شاعرة بنى زعب :

خيل تغذّى للهلا والمعارك : تهرب صناديد العدا فى طرودها
لا تلقّحون الخيل يازعب ياأهلى : ترى لقاح الخيل يردى جهودها
اذا جن سماح الخدّ مايلحقنهكم : وان جن من السند الزوم يكودها (٢)

أما انتقاد الحضرى على تربيته البقر فان فى بيت زوجة العنقرى السابق تصوير دقيق لذلك :

ياشيب عينى من جلوس بقرية : ومن شوفى بقران تربّط حلوقها

---

(١) زعب ينسبون الى جدهم زعب بن مالك من بنى سليم بن منصور من قيس عيلان . ، وكان لبعض رجال هذه القبيلة صحبة ، وفى القرن السادس اشتهرت بقطع الطريق على الحجاج القادمين من الشرق كغيرها من القبائل العربية ، وكان لها دور فى تاريخ قبائل نجد قبل القرن العاشر اذ كانت تقطن منطقة العرض والى الشمال الغربى منها ثم اعتراها ضعف وتشتت ولها بقية فى المنطقة ويرجع اليها عدد من الأسر النجدية والسورية والأردنية ، اضافة الى انتشار أفخاذ منها فى العراق ولبنان وأفريقية وتركيا .. للتفصيل (ابن حزم : جمهرة انساب العرب ٣٦١ ، ابن الأثير الكامل ٢٧/٩ ، ابن حجر : الاصابة ٢٥/١ ، ٣٠/٤٥٠ ، ٦٥١ الزركلى ٧٧/٣ ، حمد الجاسر : جمهرة انساب الأسر المتحضرة ٣٤٥/١ ، ٣٤٦ ، عبد الله البسام : علماء نجد ٣٨٦/٢ ، ٣٨٧ ، عمر كحالة : معجم قبائل العرب ٧٢/٢ ، ٧٣ ، حمد الحقيل : كنز الأنساب ١٥٤ ، ١٥٥ ، محمد الشميرى : المرجع السابق ١٧٨ ، ١٧٩).

(٢) العدا : الأعداء ، وفى رواية ترهق صناديد العدا فى ملاحقتها ، ترى لقاح الخيل : اعلمو أن تلقيح الخيل ، اذا جن : اذا جئن مخففة ، سماح الخد : الأرض السهل السير فيها ، السندا : من السند وهو ما علا من السفح ، وعموم المكان المرتفع الذى يصعب السير فيه ، كما يطلق على ماربا من الأرض وان كان قليلا ، ويقول النجديون : فلان مسند أى متجه جهة القبلة وهى الحجاز لارتفاعه ، كما يقولون : فلان محدر أو منحدر اذا اتجه جهة الشرق لانخفاضه وعدم وجود جبال بينه وبين البحر .(الفيروزابادى ٣٠٣/١ ، ابن بشر ٢١٢/٢ ، العبودى :

=

والبدوي يرى أن اقامة الحضري في القرى والمدن مجالا للدعة وعدم تغيير نمط الحياة الذي يضفي عليها حيوية ونشاطا فهو في هذا ينعى على الحضري ديمومته على هذه الاقامة ، ويمقته لأنه لا يلتقي معه حتى في أبسط أساليب الحياة الاجتماعية لدى البدو وهو الرعي ، وان كان هذا يحصل من الحضري النجدي لأنه يعيش حياة متداخلة بين البادية والحاضرة في تلك الفترة الا أن البدوي يرى في عدم استمراره على ممارسة الرعي أدنى ما يمكن أن يفصل بين حياته وحياة البدو حيث يقول أحد شعراء البدو :

ياحضران دايم في البلاد : ماترعون في الدار العذيبة (١)

وكما يعتز بتربية الخيول وركوبها فانه يذم الحضري على عدم تربيته لها ومعرفته لركوبها المترتب على ذلك عجزه عن القيام بالأدوار التي يرى البدوي فيها عنوان الشجاعة والاقدام في الغزو ومقارعة الخطوب ، ويبدو أن بعض البدو يتجاهلون كثيرا أمثال حادثة العنقري التي لاشك أنه قد أعاد فيها بعض الثقة لابن الحاضرة من غير أن يغمط البدوي حقوقه باتصافه بكثير من الصفات الطيبة ، واذا كان قسم من الحضر قد انشغل بأسلوب حياته الحضرية عن تربية الخيول ومقارعة الخطوب ، وان كان في الوقت المناسب يستطيع رد من أعتدى عليه ، فان هذا ما يتيح لأبن البادية أن يصمه مطلقا بعدم العلم بتربية الخيول وركوبها كما في هذا البيت المكمل للبيت السابق :

ولا تدرون عن ركب الجياد : دايم حاضرة في كل هية (٢)

= الأمثال : ٢ : ٩ ٦٤٩ ، وعن الأبيات وقصتها : ابن رداس: ٨٢ — ٩٨ ، محمد الشميري : ١٧٨ — ١٨٦).

(١) العذية : يبدو أنها من العذاة بفتح العين والذال مع تخفيفها ، التي هي الأرض الطيبة البعيدة من الماء فيكون المعنى على هذا أنكم أيها الحضر لا تغادرون بلدانكم ولا تقومون بالرعي في الأرض البعيدة من الموارد لأنكم لا تستطيعون هذا البعد .(الفيروزابادي ٤ / ٣٦١ ، وعن البيت ابن بليهد : صحيح الاخبار ٢ / ٢٤).

(٢) الهية : لم أجد أصلا لهذه اللفظة فيما بين يدي من كتب اللغة ، وهي تعني في نجد الحرب مثلها مثل الكون التي تعني هي الأخرى الحرب وان =

ولا شك أن هذا كان في موطن فخر بين قسم من البدو والحضر والا فالبدوي يعلم في قرارة نفسه أن :

البدو واللي بالقرى نازلينا : كل عطاه الله من هبة الريح

والى وقت قريب فقد كان قسم من البدو يستنكفون القيام بغارات على الحضر في مدنهم وقراهم ، أو الدخول معهم في حرب مكشوفة يبتدؤ نهبا هم ، أو القيام بأي عمل من شأنه سلب الحضري وام أتبين سببا واضحا لهذا الاستنكاف (١) ، ولعل هذا يدخل في نطاق نظرة الازدراء والاحتقار للحضر والسائدة في قسم من بادية نجد اذ أنهم يحتقرون الحضري لدرجة تمنعهم من التعامل معه في أبرز دواعي الشجاعة والاقدام وهي الحرب ، أو سلب ونهب مايمت له بصلة ، أو أن ذلك كان نتيجة لمسالمة الحضري ، ومحاولة من بعض البدو ايجاد نوع من الثقة المتبادلة بين البدو والحضر ، هذه الثقة التي يبدو أن قسما من البدو يحرص على ايجادها لتخفف حدة التوتر في العلاقات الاجتماعية السائدة بين الفريقين ، وهذا ما يؤكد لنا وجود علاقات أخوة وتعاون بين قسم من البدو أبى ألا يسيئ الى الحضر ، وقسم من الحضر رضي أن يبادل هؤلاء البدو هذه النظرة بمثلها وهي ما يحتم وجودها الظروف الاقتصادية التي تخنق بالفريقين وخاصة البدو في فترات المحل عندما يضطرون الى الاقامة قرب القرى والمدن النجدية .

وعلى العموم فقد كانت نظرة البدوي للحضري تتسم في غالبها بالجانب السيئ ، لا فيما مر من الصفات وحسب بل ان البدوي يعتقد أنه

= كان لها أصلا لغويا ، فالكون هو الحدث . (الفيروزابادي ٤/ ٢٦٤ ، وعن البيت : المرجع السابق ٢/ ١٢٤) .

(١) ابن بليهد : المرجع السابق : ٢/ ١٢٢ .

أقوى جسما ، وأسلم فطرة ، وأصون عرضا وشرفا ، وأمتن خلقا ، اضافة الى قرب لهجته من العربية الفصحى ، هذا عدا سماحة البدو والوفاء والحرص على حماية الأهل والجيران والغرباء والدخلاء واكرامهم مما يعتقد البدوى أن الحضرى يفقد كثيرا من هذه الصفات بسبب تأثره بأساليب الحضارة فى بلده أو فى البلدان المجاورة . هذا التأثر الذى جعله سلبيا يترك كل شئ لايعنيه (١).

---

(١) مكى الجميل : البداوة والبدو فى البلاد العربية ٣٦ ، وحتى فى الوقت الحاضر رغم أن مغريات الحضارة أقوى منها فى الزمن السابق ، ورغم تحضر قسم كبير من أبناء البادية ورضائهم بهذا التحضر بل تحمسهم له ، فقد كان قسم من البدو يرى النظرة التقليدية السابقة تجاه حياة الحضرمتمنيا أن لوكان باقيا فى باديته يتنسم حريتها ويعيش مع مواشيها حتى قال بعضهم :

ياليتنى بالبادية ما تحضرت : ولا عرفت المدن واللى سكنها
ليتنى مع الأوباش ان رحت وان جيت: ليت الغنم والابل مارحت ضها

صحيفة الرياض عدد : ٥٠٧٤ فى ١٨/٥/١٤٠٢ هـ ، ص ١٥ من استفتاء صحفى لقسم من البدو قامت به هذه الصحيفة عبر مكتبها فى حائل .

وقد عقد ابن خلدون فى مقدمته (من ص ١٠٦ - ١٢١) عدة فصول مشتملة على فروق كثيرة بين الطرفين يستطيع الباحث الاجتماعى أن يستأنس بها فى دراسته لأسس التعامل الاجتماعى بين البادية والحاضرة وتحليل هذه النظرة السيئة لحياة الحضر من البدو التى كما أن لها جذورا قديمة وأستمرت فى العصر الحديث والمعاصر فانها ستستمر ولن تختفى مادام هناك بادية وحاضرة.

٢ - وضع المرأة البدوية ووظيفتها :

ان الدارس لوضع البادية عموما يلاحظ احترام البدوى للمرأة سواء كانت قريبة له أم بعيدة ، وان هذا الاحترام ليسمو فوق أى احترام انه احترام الرجل الذى يغار على المرأة والذى يعتبرها شريكة حياته ، واذا كان العرب قبل الاسلام يئدون البنات ، واذا كانت نظرة الحضر الى المرأة حتى وقت قريب تتسم فى بعض المناطق بالقسوة ، فان البدوى النجدى فى تلك الفترة لم يذكر عنه معاملة المرأة بأى قسوة ، ولو حصل شئ من هذا لأبرزه الشعر العامى سواء كان لدى البدو وصفا للحال ، أو لدى الحضر من باب ذم البدو ، وكل الذى أبرزه الشعر العامى عن وضع المرأة فى المجتمع البدوى النجدى أن بنت البادية تتمتع بحرية واسعة فى القيام بدورها الفعال فى حياة قومها العامة فهى تستطيع أن تعبر عما يختلج فى نفسها من أحاسيس ، وقد أتاحت لها رحابة الصحراء والعيش بين الأغنام والأبل تفتق قريحتها فراحت تقرض الشعر طارقة لأكثر أبوابه (١).

وقد أعطت هذه الحرية لبنت البادية المجال فى أن تعبر عن رأيها بكل صراحة ووضوح فتثيرها مواقف الشجاعة ومناسبات الكرم فتمدح أو تفخر ، وتبصر مواطن الضعف والنقص فتهجو أو تتهكم بصراحة كاملة ، كل هذا فى حدود العفة والأصالة ، وأكثر ما يعجب المرأة فى الرجل شجاعته وكرمه فتتزوجه على هذا الأساس لأن المجتمع البدوى يفرض وجود هاتين الصفتين فى الرجل الكفوء . وان فى قصة هذه الشاعرة من بنى لام تصوير لدور المرأة فى انهاض الهمم ، كما أن فيها تصوير لتأثر المرأة البدوية من فقدان الصفتين السابقتين فى الرجل . ذلك أن هذه المرأة تزوجت

---

(١) عبدالله بن رداس : شاعرات من البادية ص ١٤ .

ابن عمها أمير القبيلة وكان مغرما بكثرة الغزو حتى أنه أتعب ناقته فأصبحت هزيلة ، ولما مات أخذت أخاه بعده فسمنت الناقة من قلة غزوه فرأت هذه الناقة مرة وقارنت بين حالها الأول والأخير فرثت زوجها الأول بهذه الأبيات التي تتهكم فيها بزوجها الأخير على قلة غزوه وقالت :

لا وابن عمّ كلّ ماجيت أبا أنساه : الى له تذكرني مع الذّود حايل
لا وابن عمّ تطرب الهجن لغناه : من كثر ماتوحيه صبح وقوايل
لا وابن عمّ كل عذرا تمناه : عليه ترفات الصّبايا غلايل
لا وابن عمّ تنشر السّمن يمناه : على صحون كنّهنّ النثايل
ينلاع قلبي كل ما أوحيت طرياه : كما يلوع الطيّر شبك الحبايل
أخذت أخوه أبغي عوض ذاك من ذاه : البيت واحد من كبار الحمايل
الزّول زوله والحلايا حلاياه : والفعل ماهو فعل واف الخصايل (١)

ولما سمع زوجها هذا الشعر أضمرها سوءاً لكنه ذهب غازيا ، ولم يعد حتى هزلت الذلول ولم تستطع ايصاله الى الحي فجشمت قربه لا تستطيع المشي ، فأرسل زوجته لتأتي بها ولترى حالها لعلها تشهد بشجاعته ، فلما رأتها هزيلة قد ذوى جسمها وذهب شحمها أرادت أن تتحدث عن

---

(١) لا وابن عمي : أبغي على ابن عمي ، كل ماجيت أبا أنساه : حاولت أن أسلو عنه ، أبا : أبغي ، الى له الخ : تقودني اذكراه ناقة مع الابل ومعنى حايل : ليس فيها حمل ، الهجن : الابل الاصايل ، لغناه : لحداه ماتوحيه : تسمعه ، صبح وقوايل : أول النهار وأوسطه ، جمع قائلة من القيلولة ، تمناه : تتمنى قربه والزواج منه ، ترفات الصبايا غلايل : المترفات من النساء مشنقات في قلوبهن حسرة ، تنشر السمن يمناه : يغدق السمن على طعام ضيوفه ، كناية عن كرمه ، كنهن النثايل : كأنهن النثايل : والنثايل جمع نثيلة وهي كومة التراب والمعنى أن الطعام فوق الصحون كأكوام التراب ، ينلاع قلبي : يخفق تصيبه اللوعة ، أوحيت طرياه : سمعت ذكره وخبره ، شبك الحبايل : الشباك الذي تصاد به الطيور ، والحبايل : جمع حبالة وهي من آلات الصيد في نجد ، أبغي عوض ذاك من ذاه : أريد أن يعوض القريب الحي فقد البعيد الميت ، الزول : القامة وشكل الجسم ، الحلايا : الأوصاف الجسمية الدقيقة ، واف الخصايل : كامل الخصال الطيبة ، عن الابيات وشرحها : (ابن رداس : ١٤٥ ، ١٤٦).

شجاعة زوجها الأخير فقالت شعرا تشيد بذكره :

ثوّر من العارض ركيب يهيف : يتلون "ابن عرّوج" مقدم" بنى لام"
زهابهم حبّ القرايا النّظيف : وسلاحهم صنع الفرنجى والآروام
ياما انقطع فى ساقته من عسيف : ومن فاطر تسبق على الجيش رقّدام
عقب الشّحم وملا فخه لاردّيف : قامت تضولع مثل مرهوص الأقدام (١)

ان هذه القصة تدل على أن بنت البادية تعيش حياة الحرية الحقيقية ، وأنها فى الوقت نفسه أهل لهذه الحرية فهى تقدر من يستحق التقدير وتنظر الى الرجل نظرة اعجاب واقعية من خلال مايقدم عليه من صور البطولة ، وهى فى المقابل تنظر نظرة أخرى للرجل ... نظرة الكره حتى ولو تزوجته فانها اذا لم تر فيه صفات الزوج الكفوء من كرم وشجاعة فهى على استعداد لتركه ، ولو أدى ذلك الى أن تعيش حياة أقل من حياتها معه فهذه احدى الشمريات تزوجت رجلا يدعى "هقّاش" فمكثت معه مدة واما لم تر فيه صفات الرجل الكفوء هربت منه وقالت أبياتا تعرض فيها به ومنها :

حظّ النّدم جاب لى هقّاش : وأنا من البيض مقروده
لا هو كريم ولا هوّاش : والخيل ما صقلت عوده

---

(١) ثور : حرك قافلة الحرب واتجه من بيته الغزو ، ركيب : تفخيم لركب أو جيش ، يهيف : يسرع فى سيره ، (فصيحة) يتلون : يتعمون ، ابن عروج هو ويهد بن عروج كما فى احدى الروايات وهو زعيم بنى لام وزوج الشاعرة ، زهابهم : زاد سفرهم ، حب القرايا : هو القمح لانهم يأتون به من القرى التى فيها المزارع ، الفرنجى : الأفرنج ، الأروام : الروم وفى هذا الشطر ذكر لمصادر السلاح فى نجد ، انقطع : تعب وتوقف عن السير ، ساقته : فى عقبه ، عسيف : الشابة من المواضى تعود على الركوب عليها ، والمقصود هنا الابل التى وطئت لأول مرة فى حياتها على الجمل والركوب ، فاطر : الفطر هو الشق ، وانفطر ناب البعير طلع أى كبر ، وتطلق على الكبيرة والسمينة ، الجيش : مجموعة من الابل المتخذة للحرب وتطلق على الابل عموما ، عقب الشحم : بعد السمنة ، الملافخة : القح هو الضرب أو اللطم ، الرديف : الراكب الثانى ، والمقصود مضايقة الرديف بكثرة الشحم ، تضولع : تنحنى وتتحرك ببطء رافعة رجلا وحاطة أخرى من التعب ، مرهوص : أى مصاب بالرهصة وهى قرحة تصيب باطن حافر الحصان وتصاب على ما يصيب باطن الاقدام عموما . (الفيروزابادى ١/٢٦٩ ، ٢/١١٠ ، ٣٠٥ ، ٣/٢٠٧ ومن الابيات وشرح بعض كلماتها ابن رداس ١٤٦ - ١٤٨)

يابوه أنابا انهزم وانحاش : مانى على النذل مردوده (١)

وعلى الجانب الآخر فان الرجل فى البادية يعطى المرأة تكريما تفتقده ابنة الحاضرة فى بعض الأحيان .. فالبدوى غيور على المرأة سواء كانت بنا أو أختا أو زوجة لكنه لايمنعها من التحدث مع الغرباء لأنه يعلم أنها تلتزم بحدود العفة والأدب واوحصل تعد على هذه الحدود واوعن طريق الكلام الذى يشم منه رائحة الغرام فان السيف هو الذى يتكلم فى هذه الحالة ، فهذه احدى الشهريات تقول لرجل عشقته وعشقها طالبة من أن لايحدثها بحديث الغرام :

ان كان أهيلك يعذلونك : أنا ترى السّيف يحنى لى (٢)

واذا حدث خلاف بين الزوجين فان الرجل لايستطيع أن يضرب زوجته لأن العزة والأنفة تمنعه من ذلك ، واذا فعل ذلك ونادرا مايفعل - فان المرأة تصيح بصوت عال تدعو وصيها أو حاميها سواء كان أبا أو أخا أو عما أو نحو ذلك ،فيهدئ الزوج ويجعله يستمع الى صوت العقل ، أو يختلف هو والزوج وربما يتضاربان فتحدث مشكلات تتطلب حلا على مستوى شيخ القبيلة (٣).

---

(١) حظ الندم : الحظ السيء ، من البيض مقرودة : من النساء الجميلات سيئات الحظ ، هواش: أى محارب شجاع ،من الهوضة وهى الفتنة وتطلق على الحرب ،ما صقلت عودة : من الصقل وهو الشحذ والمعنى لم يتدرب على ركوب الخيل ،يوه : لفظة نجدية تطلب على الأم ،أبا : أريد انحاش: أهرب ،مانى ،ما أنا ،على النذل ، مردوده : لاأحد يستطيع روى الى هذا النذل .الفيروزابادى ٢ / ٢٩٤ ، ٤ / ٣ ،وعن الأبيات وقصتها وشرح بعض كلماتها : (ابن رداس ، ص ٢١٥).

(٢) أهيلك : تصغير أهل ،ترى السيف يحنى لى : مهددة بالقتل بالسيف، ابن رداس : المصدر السابق : ص٥٥.

(٣) Burkhard notes 1/177

والمرأة في البادية شريكة الرجل في الأعمال بل تؤدي أعمالا مهمة لا يستطيع الرجال العمل بها فهي علاوة على قيامها برعي الأغنام وربما الابل في بعض الأحيان فانها تقوم بجمع الحطب اضافة الى غزل شعر الماعز وصوف الغنم ووبر الابل ليكون بيوتا وبسطا وألبسة ، وهي تقوم كذلك بدبغ الجلود لتعمل منها القرب للماء والصلان ـ جمع صميل ـ للبن ، ولتعمل منها أنواعا من البسط الجلدية يكسوها الفراء وهو ما بان " الجاعد " (١) ، وتقوم باعداد اللبن والسمن والاقط (البقل) الذي تعمله بعد تجفيفها للبن فتجعله على شكل اقراص لذيذة الطعم ، ثم انها تقوم بجلب الماء من موارده لاعداد وجبات الطعام والشرب والغسيل ، وتقوم بطحن الحنطة بالهاون " النجر " أو النقيرة (٢) . هذا اذا لم يقم الرجل بطحنه في

---

(١) تقوم المرأة بغزل الشعر بواسطة المغزل وهو آلة خشبية له رأس على أربعة جهات تديره المرأة حتى يتجمع عندها الشعر أو الصوف على شكل خيوط ثم تقوم بنطوها على شكل قطع تخيط مابينها لتجعل منها بيتا من الشعر وتجعل من الصوف بسطا أو ساحات كما تصنع منها أكياس لها عرى وهي ما تسمى بالمزاود ـ جمع مزودة ـ أو الخروج جمع خرج . أما الجلد فعند الذبح حتى وقت قريب كانوا يفرضون على الجزار الأغنام أن لا يكون بالجلد أثناء السلخ شقوق ليستفاد منه قرب وصملان ويعقد مكان الزيل والأيدي والأرجل ويكون مكان الرقبة فما ، أو يغرض مع النصف ليكون جاعدا أو فروة تلبس أثناء الشتاء .

(٢) الهاون فصيحة ، والنّجر ، والمهباش لم أجد لهما أصلا فيما بين يدي من كتب اللغة الا أن يكون النجر من النجر بتشديد النون وفتحها وهو النحت والمهباش من الهبش بفتح الهاء وسكون الباء وهو الضرب وكل هذه الثلاث أسماء لمسمى واحد كان يدق فيه كافة مستلزمات البيت من البن والبهارات والى هذا الوقت وهو يستعمل وان كان ذلك على نطاق ضيق ، أما النقيرة فهي مأخوذة من أصل فصيح أي المنقورة من الحجر اذ أنها حجرة متوسطة الحجم ذات سمك متوسط تتخذ من الحجر الأصم (البازلت) وينقر في وسطها نقيرة تسع مقدار قبضة اليد ٤ مرات تقريبا ، ومعها حصاة صابة طولها حوالي ٤٠ سم أو أقل قليلا ، وقد تعمل النقيرة من الخشب كما يعمل النجر من الخشب أيضا ، والنقيرة أقدم استعمالا في نجد من النجر لأنها من مصنوعات البيئة والى وقت قريب وهي تستعمل مكان النجر . (الفيروزابادي : ٢/ ١٣٨، ١٤٧، ٢٩٣، ٤/ ٢٧٨).

القرى بواسطة الرحا[1] (٢) .

ونظرا لجو الحرية الذى تتميز به حياة البادية فى الصحراء فان المرأة قد تستقبل الضيوف فى بعض الأحيان اذا كان البيت خاليا من الرجال وتصنع لهم القهوة والشاى وتقدمها لهم فى حدود الحشمة والأدب ، وربما قدمت له الحطب ليصنع القهوة بنفسه ليأتى الرجل فيحيي الغريب متجاذبا معه أطراف الحديث عن الربيع والغزو والمواشى (٣) .

وقد تهان المرأة فى البادية ، فيحدث أن تمنع من الزواج ، اما بسبب عيب - لا يصل الى حد الجرم - ارتكبته ، أو لأنها رفضت قريبا لها - كابن عمها - وأهلها يريدونه ، وتسمى المرأة فى هذه الحالة " المحيّنة " أخذا من تحيين الشاة أو الناقة وهو تصريتها ، أى منعها من الحالب وذلك اذا أرادوا تسمينها أو الرغبة عن حليبها ، وفى هذا المجال ، قالت أحد فتيات قبيلة عنزة تخاطب فارسا يسمى " دبّى " :

وراك ما تويق يا دبّـــى : على المحيّنات لك نوبة (٤) .

---

(١) الرّحاء : بفتح الراء جمعها رحى (فصيحة) وهى تصنع من الحجارة الصماء (البازلت) وهى تتكون من طبقتين على شكل دائر يكون فى الفوقانية فتحة صغيرة يدخل معها الحب لتدور به الرحاء بمقبض خشبى مثبت على الطبقة العليا ويخرج الحب مطحونا أو مجروشا بين الطبقتين ، والرحى أقسام فمنها ماهو للحب وهو الكبير ، ومنها ماهو للورد اليابس والأبازير والشنان وما الى ذلك : وهو الصغير ، وفى المثل النجدى " رحيّة ورد " والرحية تصغير رحا يضرب المثل للأداة التى لا تحدث ازعاجا من جراء العمل بها لأن الطحن برحا الورد لا يحدث صوتا كما تحدثه رحا القمح :(محمد ناصر العبودى : الأمثال العامية ٢ / ٥٨١ المثل رقم ٩١٦)

(٢) Burckhardt . Nots 1/177.Mohmmed.then.Althenayan.

(٣) عبدالجبار الراوى : البادية ٣٠٣ . Burckhard. 1/188.

(٤) وراك : لماذا أو مالك ، ما تويق لا تطاع أو تطل ، نوبة : مرة .(ابن رداس : ٢٤٦) ، والتحيين والتصرية كلها فصيحة (الفيروزابادى ٢/١٣٤ ، ٤/ ٢١٨) ، وقد سمعت أن لفظة المحينات المقصود بها فخذ المحينات ، =

وبعض القبائل تطلق على هذه العادة التحيير وعلى الفتاة محيرة كأن ابن عمها حيرها عن أن تعمل فى نفسها شيئا ، وهذا حق من حقوق ابن عم الفتاة الأدنى الذى يمنعها من أن تتزوج أحد غيره اذا رغبها ورفضته عند ذلك لايستطيع أبوها أن يزوجها من غيره الا برضاه ولو حصل وتعجل وأقدم على تزويجها بغير رضى ابن أخيه فانه يصبح مهددا بالقتل بين فترة وأخرى من ابن أخيه ، والزوج نفسه يعرض للتنكيل الذى قد يصل الى القتل لرضاه بزواج المحيرة فان لم يحصل هذا الزواج بسبب رفضه التخلى عن حقه المزعوم فان البنت تعيش فى عذاب التحيير الى أن توافق على الزواج منه كرها أو تظل عانسا الى أن تموت، ويحدث من جراء هذا العمل مشكلات فى المجتمع البدوى لا أول لها ولا آخر قد تجر الى حروب ومقاتلات ان لم تكن بين قبيلتى الطرفين فعلى الأقل بين أفراد منهما (١).

وتطلق بعض القبائل على هذه العادة التحجير أخذا من الحجر وهو المنع ، ويبدو أن بعض أفراد القبائل يرمى من وراء اطلاق لفظة التحجير الى التغالى بفتاته فيأخذ عوضا كبيرا من طالب يدها حتى يفك

- من المحلف من العلى من الدهامشة من العمارات من عنزة وكأن هذه هذه الفتاة تستعدى دبى الشهري المشهور بفروسيته وظفره على هذا الفخذ فلا يكون هذا البيت وقصته من قصص التحيين النسوى الا أن هذا لا يمنع أن تكون هذه الفتاة محينة وأرادت أن تسلو نفسها بهذه الأبيات وتستعدى دبى على هذا الفخذ ، عن المحينات :(حمد الجاسر: معجم قبائل المملكة : ٢/٧٢٥)

(١) فهد المارك : من شيم العرب : ٣٧/١ ، ٤ ، ٢٨١ - ٢٨٥.

هذا التحجير ، وهذه العادة موجودة الى وقت قريب بل حتى الوقت الحاضر عند بعض أفراد البادية ، رغم افتاء علماء الدعوة بتحريمه والتشديد على فاعله (١) .

وسواء كانت هذه العادة بلفظ التحسين أو التحجير أو التحيير فانها تؤدى مفهوما واحدا لدى قبائل بادية نجد بل لدى القبائل البدوية عامة فى شبه الجزيرة ، وهى تعتبر نظرة سوداء مظلمة نحو المرأة البدوية ، ووجودها فى هذا المجتمع البدوى يعتبر علامة قسوة ونظرة متخلفة نحو المرأة ودورها الرئيسى فى المجتمع ولا تتكافأ مع وضعها الاجتماعى الممتاز الذى مر ذكر جوانب منه .

وعموما - وعدا وجود هذه العادة - فان المرأة البدوية تعيش مكرمة معززة سواء كانت أما أو زوجة أو بنتا أو اختا ، وهى بالنسبة لهذا التكريم فى درجة لاتستطيع المرأة الحضرية - على تكريمها أحيانا - أن تصل اليها ، وهذا عائد لتعدد الأدوار التى تقوم بها ولجو الصحراء المنفتح الذى يفرض على الرجل سلوك هذا السبيل الذى من أبرز مظاهره - بالاضافة الى ماسبق من الجوانب الايجابية - ذهاب النساء مع محارمهن الى أسواق المدن والقرى النجدية للامتيار وعرض بعض منتوجات البادية فيها ، والبدو فى هذا يعتقدون أن نظرة المرأة أقوى ورأيها أحكم من الرجل فى كافة أمور البيت ومستلزماته لأنها صاحبة الشأن فيه ، ولا يحبون فى هذا المجال أن يفعلوا شيئا بغير اذن ورضى نسائهم (٢) ، ولولا وجود العادة السيئة السابقة لعاشت المرأة البدوية فى صحرائها ملكة تتصرف كما تشاء ، ولفاقت فى وضعها الاجتماعى الفريد ، وضع الرجل البدوى بشكل عام .

---

(١) ابن قاسم : الدرر ٦/ ٣٢١ .

(٢) حسن الحريكى : لمع الشهاب ١٨٥ .

٣ - الرق والأرقـــاء :

أ - الرق ونظرة الاسلام اليه (نبذة موجزة) :

الرق هو الوضع الذى يجرد الفرد من الحقوق العامة ، فلا يباح له اجراء تعاقد ، ولا تحمل التزام ، ولا تملك عقار أو منقـــول ، ويجعله هو نفسه من ممتلكات سيده .

ولقد كان الرق من صنع الانسان المتحضر فلم يكن الانســـان البدائى مسترقـا ، بل كانت الجماعات البدائية يشيع فيهـــا التعاون من أجل تحصيل غذائها ، ولما أخذت فى التطـــور أخذت تفيد من بعض المستضعفين فى الرعى ، ومن هنا نشأ الـرق كظاهرة اجتماعية (١) .

وقد أقر هذا النظام معظم المجتمعات فى العصور القديمـــة فاليونانيون بمختلف مدارسهم ومذاهبهم كانوا ينظرون الى البشر علـى أنهم قسمين : يونان عاقلين، وبرابرة متوحشين ، وتلتقى الديانيـــة اليهودية المحرفة مع مذاهب اليونان فاليهودى لايسترق ، أما غـير اليهودى فهو الذى يجوز استرقاقه بالحرب والشراء ويعامل بعنف ويبقى رقيقا أبد الدهر .

أما المسيحية المحرفة فقد أقامت الكنيسة شرعية الرق ودعا آباء الكنيسة الأرقاء الى الاستماتة فى خدمة ساداتهم وأن لايطمعـوا فـى

---

(١) معجم العلوم الاجتماعية : اعداد نخبة من الأساتذة باشراف ومراجعة د. ابراهيم مدكور ، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة نشر اليونسكو ، ١٣٩٥ هـ ، ص ٢٩٣ مادة (رق) عبد السلام الترمانينى الرق : ماضيه وحاضره - سلسلة عالم المعرفة ، الكويت . ذى الحجة ١٣٩٩هـ ، محرم ١٤٠٠هـ . مطابع اليقظة ص ١٣ ، ١٥ .

التحرر حتى ولو أراد أسيادهم ذلك لأنه مادام رقيقا فسيحاسب يوم القيامة حسابا يسيرا فعلى هذا الأساس أبقت المسيحية المحرفة على وضع الرقيق لدى اليهود بل وسّعت من موارده ، ملغية كل الوسائل التي كان يمكن أن تؤدي الى التحرر ، رغم دعوة نبي الله عيسى عليه السلام الى المساواة بين الناس (١)

أما في الاسلام فانه جاء والرق كان موجودا لدى العرب قبل الاسلام وكانت تجارته رائجة بينهم لكنهم كانوا يحررون أرقائهم في بعض الأحيان لقاء عمل عظيم يقومون به ، اما لشجاعتهم أو أخلاقهم وربما رأفة من السيد الذي يحرره بلا مقابل .

واذا كان الاسلام لم يلغ نظام الرق ،فذلك لأنه كان حينئذ يشكل دعامة ترتكز عليها جل النواحي الاقتصادية عند العرب فكان سوق النخاسة مجالا رحبا لثراء أكثر العرب ، لكن الاسلام بدأ التمهيد

---

(١) التفصيل فيما سبق : د . أحمد شلبي : مقارنة الأديان : المسيحية ط (٥) نشر مكتبة النهضة المصرية ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ص: ٤١ ، ٤٢ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٠٤ - ١٢٥ ، عمر عودة الخطيب: نظرات اسلامية ، في مشكلة التمييز العنصري ، ط (٢) مؤسسة الرسالة ، نشر الشركة المتحدة - بيروت ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، ص : ٢٦ - ٦٤ ، د . حسن ابراهيم حسن وأخوه علي : النظم الاسلامية ط (٤) مطبعة السنة المحمدية - نشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة - ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ، ص: ٣١٧ ، عبد السلام الترمانيني : المرجع السابق ص : ١٩ - ٣٣ ، ول . ديورانت: قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران . ط (٣) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ، نشر الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م ، ٢/ ٦٤ - ٦٨ .

لتجفيف المنابع والروافد التي تؤدى الى الرق فحبب الى ولى الأمر اطلاق سراح الأسرى الذين يسترقون ، قال تعالـــى :

" فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهـــم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها" الآية(١).

كما دعا الى الاحسان بالرقيق ، قال تعالى :

" واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين . والجارى ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختـــالا فخورا "(٢).

ثم عمل الاسلام على توسيع المنافذ التي تؤدى الى العتـــق فأوجب عتق الرقبة في عدد من الكفارات ، ففى كفارة القتل قـــال الله تعالى :

" وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطئا ومن قتل مؤمنا خطئـــا فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا ، فان كـــان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكـــم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة " الآية (٣).

---

(١) سورة محمد : آية ٤.
(٢) سورة النساء: آية ٣٦.
(٣) سورة النساء: آية ٩٢ ، وجمع بين عتق الرقبة والدية بين المؤمنين فـى القضية الأولى احرصة على قطع وابر الرق بين المسلمين وتعويض أهل القتيل عما فاتهم من قتيلهم ولابد من تأديتهما مجتمعين الا فى حال القلة والعجز او عفى الورثة عن القاتل سقطت الدية ولم يسقط العتق لأن سقوط الحـق الخاص لا يسقط الحق العام معه اذ أن فى تحرير الرقبة المؤمنة تعويـــض للمجتمع المسلم عما افتقده بقتل النفس المؤمنة باستحياء نفس مؤمنة بدلهـا وفى القضية الثانية ـ اذا كان المقتول أهله محاربون الاسلام وهو مؤمـــن تسقط الدية لئلا يستعين بها أهله على حرب المسلمين ويجب العتق تعويضا بشريا عن النفس المؤمنة المقتولة خطئا بنفس مؤمنة مثلها . وفى القضية الثالثة اذا كان المقتول خطئا أهله ليسوا مسلمين ، ولكنهم غير محاربين فتقدم
=

وأوجب عتق رقبة فى كفارة اليمين ،قال تعالى :

" لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة " الآية (١) .

وأوجب عتق رقبة فى كفارة الظهار ، قال تعالى :

" والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا " الآية (٢) .

- الدية الى أهله لأمن شرهم ، ويعتق رقبة مؤمنة تعويضها عن النفس المؤمنة المقتولة ،وسواء كان المقتول فى هذه الحالة مؤمنا أو غير مؤمن فان الدية تدفع – على خلاف بين العلماء فى تقديرها بالنسبة للكافر كما يؤيد الشوكانى أنها تدفع الى أهله المسلمين اذا كان مسلما ،وتأكيد الاسلام على عتق الرقبة فى كل الحالات الثلاث وعدم الاكتفاء بالدية عنها دليل على حرصه الشديد على استئصال شأفة الرق فى العالم آنذاك . للتفصيل فيما سبق :(ابن كثير : التفسير ١/ ٥٣٥، ٥٣٦ ، أبوالسعود ١/ ٧٥٦، ٧٥٧ ، الشوكانى : ١/ ٤٩٨ ،ابن سعدى : ٢/ ١٢٥، ١٢٦، سيد قطب م٢/ ٥ج/ ١٩٠ص، ١٩١ ،الصابونى :صفوة التفاسير ٢/ ١١٧).

(١) سورة المائدة : آية ٨٩ ،وقوله (رقبة) ورد فيه خلاف بين الأئمة أبرزه ماكان بين أبى حنيفة القائل باطلاقها بأن تجزئ الكافرة كما تجزئ المؤمنة ، والشافعى ،وأخرون حيث يقولون بأن لابد من تقييدها بالايمان قياسا على كفارة القتل الخطأ ،وبغض النظر عن هذا الخلاف فان ظاهر الآية اجزاء أى رقبة على أى صفة كانت مما يتأكد معه محاربة الاسلام لكافة أنواع العبودية والذل الا لله عز وجل ،وحرصه على تحرير بنى البشر من عبادة وامتلاك بعضهم لبعض . للتفصيل :(ابن كثير ٢/ ٩١ ،أبوالسعود ٢/ ١١٤ ،الشوكانى ٢/ ٧٢، سيد قطب م٣ /٧ج /٢٦ص).

(٢) المجادلة : آية ٣ ، وكان الظهار أبرز امتهان للمرأة فى الجاهلية فجعل الله له هذه الكفارة الشديدة ، وصيغته أن يقول لأمرته أنت على كظهر أمى أو كأمى فيحرم ما أحل الله له ، والرقبة عند مالك والشافعى هنا مشروطة بالايمان كسابقتها ،وسلامتها من العيب ،وأيدهما فى ذلك بعض المفسرين بينما قال أبو حنيفة وأصحابه بعدم اشتراط ذلك لعدم تخصيصه بالآية ، وظاهر الآية يتمشى مع رأى أبى حنيفة ضمن اهتمام الاسلام بقضية الرق وفتح السبل المتعددة أمام العتق منه لأى انسان كان . للتفصيل :(ابن كثير ٤/ ٣٢٢ ، ابو السعود ٥/ ٢٨٨).

وأوجب عتق رقبة في كفارة الجماع في نهار رمضان ، كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة ، رضي الله عنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت يارسول الله قال : مالك — وفي رواية ما أهلكك ، قال : وقعت على امرأتي وأنا صائم ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تجد رقبة تعتقها ؟ قال : لا ،قال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا ،قال : فهل تجد طعام — وفي رواية ما تطعم — ستين مسكينا ؟ قال لا ، قال فمكث النبي صلى الله عليه وسلم ، فبينما نحن على ذلك أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق — أي مكتل — فيه تمر قال أين السائل ؟ فقال : أنا ، قال : خذ هذا فتصدق به فقال الرجل : على أفقر مني يارسول الله ؟ فوالله يارسول الله مابين لابيتها — يقصد حرتي المدينة — أهل بيت أفقر من أهل بيتي . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ثم قال : أطعمه أهلك (١) ،متفق عليه .

---

(١) ومن الطريف في قصة هذا الصحابي أنه جاء نادما على فعلته منتظرا عقاب الله ورسوله له فعاد محملا بمكتل تمر يكفي ستين شخصا ليأكل منه وعائلته فترة من الزمن ، وتشبه قصة الظهار هذه القصة وتختلف عنها بأن المظاهر أوس بن الصامت ، رضي الله عنه لم يعد بمكتل التمر الى بيته والا فان الرسول قد دفع عنهما من تمر أتى به اما صدقة للمسلمين أو هدية له فأخذه وأطعم به ستين مسكينا ، وقد جعل العتق في عدد من الكفارات وسيلة مثلى من وسائل التحرير الرقاب التي أوقعها نظام الحروب في الرق .(ابن حجر : فتح الباري ٨/٣٠٧ — ٣٢١ ، النووي : شرح صحيح مسلم ٧/٢٢٤ — ٢٢٨ وقد أورد فيهما البخاري ومسلم قصصا مشابهة لهذه القصة قد تكون هي نفسها بروايات مختلفة ،ابن كثير ٤/٣١٩ — ٣٢٢ ،سيد قطب الجزء السابق ص ١٢).

كما رغب الأشخاص الذين يكون لديهم أرقاء - بوسيلة أو بأخرى أن يمهدوا السبيل أمام حريتهم وعتقهم وذلك بمكاتبتهم على قدر معين من النقود أو العمل أو ما شابه ذلك ليعتقوا بمقتضاه وأمر هؤلاء الأشخاص أيضا بالتخفيف على هؤلاء الأرقاء بتيسير المكاتبة وذلك بحط شيء من مالها أو ماتتم به ، أو بذل بعض المال اما من الزكاة أو الصدقة أو على شكل هبة ، أو هدية لتسهيل أمور المكاتبة ، والى هذه المعانى أشارت الآية الكريمة فى قوله تعالى : والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم " الآية (١) .

وقد ذهب بعض العلماء الى أن الأمر فى الآية للاستحباب بينما ذهب آخرون الى أنه للوجوب أخذا من ظاهر الآية ، وفى هذا مندوحة للأرقاء اذا رغبوا أن يتصرفوا بمعزل عن سيدهم ويفكوا أسار الرق عنهم أن يطالبوا من أسيادهم المكاتبة ، وعلى القول بالوجوب فلهم اللجوء الى الشرع فى حال رفض السيد لتلك المكاتبة ، وهذا منتهى الرأفة بالرقيق وأقوى وسيلة للقضاء على الرق الذى كان حقيقة واقعة أثناء مجيء الاسلام ، وضرورة استراتيجية لحفظ كرامة المسلمين الذين يؤسرون ويسترقون من قبل أعداء الاسلام أثناء حروب الفتوحات الاسلامية ، والاسلام من جانبه عمل جاهدا على التخلص من الأرقاء كلما واتته الفرصة ليهيء البشرية لقبول الغاء الرق بل ليعلن عبر الآيات السابقة وهذه الآية حربه الشعواء على استرقاق الانسان لأخيه الأنسان (٢) .

---

(١) سورة النور : آية ٣٣ .

(٢) ابن كثير : ٢٨٨/٣ ، ٢٨٩ ، أبو السعود ١١٣/٤ ، ١١٤ ، الشوكانى ٢٨/٤ ، ٢٩ ، ابن سعدى : ٤١٦/٥ ، ٤١٧ ، سيد قطب م٦ / ١٨ ج / ص٩٩ ، ١٠٠ ، ويمكن أن يفهم من هذه الآية ، كذلك عموم الأمر - ندبا أو ايجابا - للمسلمين ليعطوا المكاتبين من مال الله بصورة الزكاة وجوبا ، وبصورة الصدقة ، والهبة ، والهدية ندبا على مايأتى بيانه فى آية الزكاة .

واذا كان الاسلام فى هذه الآية يشترط لهذه المكاتبة أن يعلم السيد فى رقيقه خيرا بالاهتداء الى الاسلام ، والقدرة على الكسب حتى لايكون كلا على الناس فيلجأ الى أحط الوسائل لكسب العيش اذا كان الأمر كذلك فان الاسلام انما يرغب الأسياد فى تهيئة رقيقهم لهذا الوضع الأمثل المؤدى وجوبا الى العتق بهدايتهم للاسلام وتعليمهم شرائعه ، وتدريبهم على أعمال يواجهوا بها مسئوليات الحياة الجديدة ، ثم هو يحبب أو يلزم هؤلاء الأسياد بحط جزء من المكاتبة ، أو ما تتم به - اذا كان عملا - وبذل بعض المال - بأى صورة كان - لهم ليكون عونا لهم على فكاك أنفسهم من أسر الرق بما يتشارطون عليه مع أسيادهم من ناحية ، وليكون وسيلة من وسائل كسب العيش لمواجهة متطلبات الحياة الجديدة من ناحية أخرى .

واذا كان الاسلام قد سن أو أوجب أن يعطى السيد رقيقه المكاتب من ماله فانه انما يهدف من وراء ذلك الى ابقاء الصلة موجودة بينهما تحت صورة من صور التكافل الاجتماعى وهو فى هذا المجال يتجاوز ذلك الى شمول هذا التكافل نحو هذه الفئة من المسلمين عموما اذ اعتبر الرقيق أحد أصحاب الزكاة الثمانية فى قول الله سبحانه " انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم " ، ولقد تواتر لدى عموم المفسرين والعلماء أن الرقاب هم الأرقاء على خلاف بينهم هل الأمر يقتصر على المكاتبين أو يعم كافة الارقاء ، وظاهر الآية دخول عتق الرقبة عموما فى أحد مصارف الزكاة ودخول المكاتبين فيها ضمنا ، وفى هذه الآية لايبقى عذر لأى رقيق من أن يحسن وضعه الاجتماعى الذى أفرزته أوضاع سيئة لادخل

للاسلام فيها ، اذ أنه يعان حرية الرقيق بمجرد طلبه لها ايتحقق له ذلك على أى شكل يريد (١) .

ويشمل صرف الزكاة على هذا الوجه اعانة من يكاتب سيده على أداء أقساط كتابته حتى يحصل على حريته بحقه من الزكاة ، وكذلك فك الرقبة التى وقعت — بسبب الحروب وما شابهها — فى أيدى أعداء الاسلام اما بصورة الأسر أو الاسترقاق فيدفع من الزكاة لفك أسرهم أو اعتاقهم ، كما يدخل فيها شراء الرقيق واعتاقهم بعد تهيئة الوضع الأفضل أمامهم بالصلاح فى الدين والقدرة على الكسب ، والاسلام فى هذا يترك المجال مفتوحا للصرف على هذه الجهات بمعرفة صاحب المال المراد تزكيته أو بمعرفة الدولة الاسلامية سواء كان ذلك بالنسبة للرقيق داخل المجتمع المسلم أو خارجه أو بتعاون هاتين الجهتين (الشعبية والرسمية) . (٢)

وأرى — والرأى يخطئ ويصيب — عموم هذه الآية فيما يتعلق بعتق الرقاب كافة ، الارقاء سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ، وسواء كانوا تابعين للدولة الاسلامية أو غير تابعين لها ، اذ أنه بتضافر الجهتين السابقتين — بما تقتضيه الأوضاع السياسية السائدة — يمكن شراء رقيق من أى مكان ، وتحت أى صورة كانت ، وبأى عصر كان ويهيئون للدخول فى الاسلام واذا علم منهم خيرا بالصلاح فى الدين والقدرة على الكسب اعتقوا ليكسبوا حرية وهداية الى هذا الدين ،

---

(١) ابن كثير ٣٦٦/٢ ، أبو السعود ٥٦٧/٢ ، الشوكانى ٣٧٣/٢ ، ابن سعدى ٣٥٣/٣ ، سيد قطب م٤ /١٠ج /ص٢٤٤ .

(٢) التفاسير السابقة وصفحاتها السابقة أيضا .

وليكسب المسلمون فيهم تكثيرا لعددهم وتكبيرا لقوتهم ، ويمكن أن يتم ذلك بالصرف من الزكاة (١) .

ويهيب الاسلام بالمسلمين أن يتفهموا حرصة الشديد على القضاء على الرق فى أنحاء المعمورة فلا يكتفوا بالصرف على عتق الرقاب من الزكاة الشرعية الواجبة فحسب بل يحفز هممهم لطرق سبل البر الذى هو جماع الخير بأن يجعلوا من أموالهم حقا لتحرير الارقاء ومساعدة المكاتبين وفك الأسرى اضافة الى الزكاة الواجبة وفى هذا يقول الله تبارك وتعالى :

" ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى ،والمساكين ، وابن السبيل ،والسائلين وفى الرقاب" (٢) ،الآية .

---

(١) ليس المقصود الاسترقاق بل شراء من استرقوا لتوهب لهم الحرية باسم الاسلام ، ولا غرابة فى هذا فقد زخرت وكالات الأنباء العالمية مؤخرا بعدد من محاولات الاسترقاق التى قام ويقوم بها عدد كبير من الغربيين الرسميين والشعبيين تحت ستار رجال الأعمال فأصبحوا يجلبون الرقيق ليس للتعاقد على عمل مقابل أجر معلوم بل لشرائهم للعمل فى أماكن العمل المتعددة ، اضافة الى جانب عدد من النساء لمراكز الدعارة ، وكل هذا عن طريق البيع والشراء من مناطق جنوب شرقى آسيا ودول أمريكا اللاتينية وكما حدث فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر من دول أفريقيا ، ولقد جمعت عددا من هذه الأخبار لا يتسع المجال هنا لاستعراضها ، اضافة الى ماسيرد ذكره من اصطفاء المنصرين لعدد من الأفريقيين كرقيق لادخالهم فى النصرانية .(صحيفة الرياض عدد ٥١٩٧ ، السنة الثامنة عشرة ،الخميس ٢٣ شوال سنة ١٤٠٢ هـ ص ٢٥ ، عدد ٥٢٢٦ من السنة نفسها الثلاثاء ١٤٠٢/١١/٢٦هـ ص ١٨ ، عدد ٥٢٠٧ من السنة نفسها الثلاثاء ١٤٠٢/١١/٥هـ ص ٢٥ أحد هذه الأخبار تحت عنوان : تجارة الرقيق تعود من جديد).

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٧٧ .

والقرآن وهو يذكر هذه الفضائل في جملة البر ويقرنها بآداء الشعائر التعبدية انما يهدف الى أن يجعل من هذه الشعائر وسيلة للصلة بين العبد وربه المترتب عليها القيام بهذه الفضائل ، وهو اذ يجعل فك الأسرى واعتاق الأرقاء من ضمن هذه الفضائل فانما ليهني في المجتمع المسلم نظرته نحو الرق والأرقاء ، وينفث في روع أفراده حب الخير الناس أجمعين حتى يتهيأوا لنشر الحرية الحقيقية لأخوانهم الذين أوقعتهم بعض الظروف السيئة في شباك الرق والأسر ويحرص القرآن في هذا على أن يلامس مواطن الشعور بالخير في قلوب المسلمين في محاولة منه للقضاء على هذه الظاهرة الاجتماعية السيئة اضافة الى الزامه ايهم في المساهمة بالقضاء عليها عن طريق الزكاة الواجبة كما مر (١).

وتؤكد السنة جانبا مهما من جوانب موقف الاسلام من الرق ، فقد ورد في ثواب الاعتاق وفك الرقبة أحاديث كثيرة ليس هنا مجال استعراضها والتحدث عنها الا أنها في عمومها تتحدث عن فضل العتق بما يحفز الهمم في الاكثار منه ورويدا رويدا يكون القضاء النهائي على الرق ، وفي هذا المجال قال أبو هريرة رضى الله عنه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أيما رجل أعتق امرءا مسلما استنقذ الله بكل عضو منه عضوا منه من النار " (٢) ، وقد ورد هذا الحديث بروايات أخرى تفصل الكلام فيه وكلها تجمع على هذا الثواب .

ويقرن الرسول صلى الله عليه وسلم بين بناء المساجد وهي من الأمور العظيمة الفضل في الاسلام وبين اعتاق النفس المسلمة ليرقى

(١) عن تفسير الآية : ابو السعود ١/٣٠٧ ، ابن سعدى ١/١٢ وقد أدخل في عموم الرقاب من أسره الظلمة من المسلمين فيفتدى منهم ، سيد قطب ١/ ج٢ / ص٦٢٢ ، ٦٣٢ .

(٢) ابن حجر : فتح البارى : ١٠/٢٣٦ ، ٢٣٧ ، النووى : شرح صحيح مسلم : ١٠/١٥٠ - ١٥٢ .

بفضله العتق والقضاء على الرق الى قمم الفضائل فيه فيروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من بنى لله مسجدا ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا فى الجنة ، ومن أعتق نفسا مسلمة كانت فديته من جهنم ، ومن شاب شيبة فى الاسلام كانت له نورا يوم القيامة" (١).

ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم على حق المكاتب فى عون الله سبحانه المترتب عليه حفز همم أهل الخير لمعاونته فى أداء كتابته سواء عن طريق الزكاة الواجبة أو عن طريق مجالات الأخير الأخرى وفى هذا يروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم، قال : " ثلاثة حق على الله عونهم : الغازى فى سبيل الله والمكاتب الذى يريد الأداء والناكح الذى يريد العفاف " رواه أحمد (٢) ، وهو كما يدعو أهل الخير لهذه المعاونة فانما يؤكد على الأرقاء أن يكاتبوا مسترقيهم ، ويحسنوا النية فى تنفيذ شروط المكاتبة ، وفى هذا حث لهم على التخلص من ربقة الرق ووعد لهم بالمساعدة من الله سبحانه وتهيئة من يقوم بهذا من أهل الخير .

ويستغل الاسلام ظهور الحالات الكونية التى تستدعى الخوف والفزع ، والالتجاء الى الله بتقديم الأعمال الصالحة لوجهه سبحانه ، وهو فى هذا يستغل ظهور كبار هذه الحالات ليقدم المسلمون فيها عملا صالحا كبيرا ، ولما كان الكسوف والخوف ويقاس عليها الزلازل وما فى حكمها من آيات الله الكبيرة التى تستدعى الخوف من الله القادر ناسب أن يكون العتق مع الصلاة والصدقة والدعاء من الأعمال المرغوبة عند حلول مثل هذه الآيات ، فيروى عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما قالت: " أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالعتاقة فى كسوف الشمس" ،

---

(١) ابن كثير : ٤/٥١٤.
(٢) الامام أحمد : المسند ٢/٢٥١ ، ٤٣٧.

كما روى عنها أيضا قالت : " كنا نؤمر عند الخسوف بالعتاقة" (١) ، والعتاقة هي العتق .

ويجيز الاسلام دخول الأسياد برقيقاتهم في محاولة منه لمنحهن الحرية اذ أنه كما لا يترتب على معاشرة السيد لجاريته في الشرائع والمجتمعات الأخرى تغيير وضعها من الرق الى الحرية فان في نظام التسري في الاسلام أروع الأمثلة على احترام الاسلام للنساء الرقيقات تمهيدا لانتقالهن الى الحرية اذ يقرر الاسلام أن الجارية اذا تسراها سيدها ودخل بها وجاءت منه بولد يصبح الولد حرا ، وتصبح هي حرة بمجرد موت سيدها وتسمى أم ولد تكريما لها ، وكان من شأن هذا أن تقلص الرق في المجتمعات الاسلامية لأن كثيرا من تلك الاماء قد ولدن كبار الأئمة والعلماء ورجال الحرب والسياسة في العالم الاسلامي ، وان نظرة في التاريخ الاسلامي تبين لنا وتؤكد هذه الحقيقة ، ومن هنا فقد أوجد الفقهاء المسلمون عدة قواعد وأحكام كلها رفق بالرقيق ، ومساعدة له على عتق نفسه ، وعلى أساسها سار المسلمون في معاملة الأرقاء تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام ومن أبرز مظاهر هذا الرفق وجود الأوقاف المعنية بالأرقاء واسعافهم وتهيئة الفرص أمامهم نحو الحرية (٢) ، ومن ظريف ما يروى عن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله في هذا المجال حكمه في رجل لقي

---

(١) ابن حجر: ١٠/٢٤٠، ٢٤١ .

(٢) للتفصيل فيما سبق : معجم العلوم الاجتماعية ١٤٢، ١٤٣، ٢٩٣ مادة تسرى ، ورق ، د . على وحسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ٣١٨- ٣٢٦ ، محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية الطبعة الثالثة طبع ونشر لجنة التأليف والنشر : القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ١/٩٨- ١٠٠ ، د . على الخربوطلي : الحضارة العربية الاسلامية . المطبعة العربية الحديثة ، نشر مكتبة الخانجي . القاهرة ، ص ١٠٩ - ١١٥ ، عمر الخطيب : المرجع السابق ١٢١ - ١٥٧ ، عبد السلام الترمانيني : المرجع السابق ٣٣، ٣٤، ٣٧، ٤٤، ٤٥، ٥٠، ٥٩ - ٦٦، ٧٥- ٨٥، ١٠٩ - ١١٦، ١٢٣ - ١٥٠ ، د . صبحي الصالح : النظم الاسلامية ، ط (٤) ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، دار العلم للملايين . بيروت ٤٦٧- ٤٧٢ .

امرأة فى الطريق فقال : تنحى ياحرة فاذا هى جاريته (من غير علمه) قال : عتقت عليه ، وفى رجل قال لخدم قيام على وليمة مروا أنتم أحرار ، وكان فيهم أم ولده ولم يعلم بها ،قال : هذا به عندى تعتق أم ولده (١) .

وانطلاقا من كل ماسبق يتبين محاربة الاسلام للرق كوضع اجتماعى سيئ فقد نادى تصريحا وتاحيحا بالغاء الرق عبر الآيات والأحاديث وفهم الصحابة والتابعين وأئمة الفقه وأولى الفهم السليم من سلف هذه الأمة وخلفها ، وهو اذا اتبع أسلوب المرحلية لهذا الالغاء فانما لأن الظروف الاجتماعية التى واكبت مجيئه وانتشاره قد حتمت وجود مثل هذا الوضع ، واذا حدثت تجاوزات عبر التاريخ الاسلامى لموقف الاسلام من الرق أدت الى انتشار الرق ومعاملة الأرقاء معاملة سيئة فليس ذلك عيبا فى الاسلام ذاته بقدر ما هو قصور فهم أو سوء نية من بعض اتباعه وهم اذ يتبعون هذا الأسلوب فانما يسيئون الى أنفسهم والى الاسلام نفسه بتلك الحرب الشعواء من أعداء الاسلام الذين يلصقون ممارسات بعض اتباعه السيئة فى هذا المجال فيه .

---

(١) منصور البهوتى : شرح منتهى الارادات ،نشر مكتبة الرياض الحديثة الرياض ٢/ ٦٤٨ ،وليس فى أبواب أو فصول الفقه الاسلامى بابا أو فصلا يسمى باب أو فصل الرق بينما يوجد فيهما أحكام متعددة تحت عنوان كتاب العتق وتندرج تحتها أبواب الكتابة أو المكاتبة وأحكام أم الولد ، وتعليق العتق بالموت وهو " التدبير " والولاء بعد العتق ، وتفاصيل أحكامها تنادى بالغاء الرق ،وضم المعتقين (الموالى) الى أصول من أعتقهم ويكون ذلك بالولاء .

ب ـ لمحة عن الرقيق فى الخليج والجزيرة العربية فى العصر الحديث:

على الرغم من زوال رق الأرض فى أوربا فى القرن السادس عشر الميلادى ، الا أن الأوربيين ـ وصفة الاستعمار متأصلة فى نفوسهم ـ شرعوا فى البحث عن بديل له واتجهت أنظارهم الى أفريقية ليتخذوا من زنوجها البديل ، فأخذوا يقيمون مراكز تجارية على سواحلها أو جزرها القريبة من السواحل ، وكان الاسبان والبرتغاليون أول من أقام هذه المراكز لتكون منطلقا لاستعمار القارة الأفريقية ، وفيها كانوا يبيعون الأفريقيين بضائعهم وصناعاتهم ويشترون منهم وكانوا كثيرا مايقايضونهم بالرقيق والرقيق الفقير بشكل خاص وكانوا يحملونهم الى أسواق أوربا فيبيعونهم على أهلها العمل فى الزراعة وكافة الأعمال الجسمية المرهقة (١) .

وفى سواحل افريقية الشرقية كان الأوربيون قد اصطفوا تجارا من أهلها الذين كانوا يصيدون الزنوج ويبيعونهم للأوربيين ، أما فى سواحلها الغربية فكان الأوربيون أنفسهم يقيمون بها فيفتعلون حروبا بينهم وبين الزنوج يأسرون منهم أسرى يحولونهم الى رقيق ويفرضون على بعضهم اتاوات سنوية رؤوسا من الرقيق (٢) .

أما الرق فى الخليج والجزيرة العربية فكان كذلك من سواحل أفريقية الشرقية ، فمن زنجبار تبحر السفن محملة بالرقيق الى مسقط التى تعتبر أكبر مركز لتجارة الرقيق فى القرن الثامن والتاسع عشر الميلاديين كما أنها توزع الرقيق على دول الخليج وفارس والعراق والهند ، وهناك المراكز الحضرمية التى تبيع رقيقها فى موانئ البحر الأحمر كالحديدة وجدة ، ولقد كان القواسم الذين كانوا يعتبرون أكبر تجار الرقيق فى الخليج دور كبير لبيع الرقيق الى سكان نجد عن طريق ميناء القطيف (٣) .

---

(١) عبد السلام الترمانيني : المرجع السابق ص ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٥٥ .

(٣) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج (١٧٩٥ - ١٨٧٠م) ترجمة محمد أمين عبدالله . طبع مطبعة : عيسى الحلبى . القاهرة . نشر وزارة التراث القومى والثقافة ، بسلطنة عمان ٢/٧/٨٠٩ ، ١٧٢ .

ثم ان هناك مصدرا آخر للرقيق وهو الهند فان سفن حاكم مسقط كانت بعد أن تفرغ رقيقها الأفارقة فى بومباى تعود محملة ببعض نساء الهند لبيعهن فى مناطق أخرى ومنها منطقة الخليج ، كما كانت سفن باقى امارات الخليج تجوب البحر العربى والمحيط الهندى لتأتى بالفتيات الهنديات اللاتى يتم اختطافهن أو شراءهن من أهلهن كل عام ، ويبدو أن هذا المصدر كان يجلب عن طريقه رقيقا من أجناس أخرى غير الهنود كالسيلانيين مثلا ، كما أن مدن الشام والعراق كانت مصدرا لرقيق آخر من شمال آسيا كالجركس والأرمن .

واذا كانت الحكومة البريطانية خلال القرن الثامن عشر قد حاربت الرق فى منطقة شرقى أفريقيا والخليج والهند فان الباحث يعتوره الشك ازاء هذا الأجراء لأن السفن البريطانية كانت فى هذه الأثناء تبحر الى أوربا محملة ببعض الرقيق . ويبدو أن أوربا وقد اتخمت من كثرة الرقيق الذين بدأت تصدرهم الى أمريكا من كثرتهم قد أخذت تحرم على من هم تحت سيطرتها من حكام الخليج حينئذ تجارة الرقيق عامة ، ثم تساهلت بأن طالبت منعه على الأوربيين فقط ، وكما هو معروف أن الكثرة البشرية تحدث مشكلات اجتماعية نتيجة كثرة الطلب على الخدمات العامة لذا فان بريطانيا قررت أن يتوقف مد أوربا بالرقيق خشية البطالة ، ومزاحمة الأوربيين فى معيشتهم وما الى ذلك (١) .

وثمة سبب آخر دعا بريطانيا الى الضغط على تجار الرقيق العرب وهو أنها تريد أن تصطفى هؤلاء الرقيق وخاصة الأطفال لادخالهم الى النصرانية بواسطة احدى الهيئات التبشيرية التى أقامتها فى الهند فرعا لمؤسسة ارسالية الكنيسة تحت اسم "الملجأ الأفريقى" (٢) .

---

(١) جون . ب . كيلى : المرجع السابق ج٢ / الصفحات ٢٤ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) أرنولد . ت . ويلسون : الخليج العربى ، ترجمة د . عبد القادر يوسف . طبع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ، ونشر مكتبة الأمل . الكويت . ص : ٢٧٢ ، وقد بحث الكتابان الرق فى الخليج والجزيرة العربية فى العصر الحديث بالتفصيل الا أن الباحث يداخله الشك فى كثير من نقاط الموضوع .

جـ - الرقيق والخدم لدى بادية نجد قبل الدعوة :

لقد سبق أن ذكرت أنه كان لنجد والجزيرة العربية مصادر شتى لجلب الرقيق فعلاوة على الذى يبقى من رقيق الأوربيين في شرق أفريقيا والذى يأتي الى داخل الجزيرة عبر مسقط واليمن ، فهناك الرقيق الذى يأتي عن طريق بغداد كرقيق الكرج أو عن طريق مكة أو القاهرة .

ومن الطبيعي أنه لايمتلك الرقيق الا الوجهاء والأغنياء من البدو فان كل شيخ قبيلة قوى يحصل سنويا على عدد من الرقيق الذكور والأناث يصل الى خمسة أو ستة أشخاص .

واذا كان بعض البادية يعاشرون رقيقهم من النساء كما أباحته الشريعة الاسلامية مؤدين لما يترتب على ذلك من حقوق وامتيازات فان بعض البادية يمتنع عن معاشرة رقيقاته فيذكر بركهارت : أن العنزيين يمتنعون عن معاشرة رقيقاتهم لكنه لايذكر السبب ، ولعل السبب جهلا منهم بأحكام الرق فى الاسلام كجزء من جهلهم بالاسلام قبل الدعوة معتقدين بأن ذلك لايجوز ، وربما أن السبب هو ترفعهم عن الأرقاء حفظا لأنسابهم ، لكن هؤلاء العنزيون يعاملون رقيقهم بمنتهى السماحة والكرم فاذا ظهر لهم اخلاص الرقيق للقبيلة لبضع سنوات فانهم يمنحونه الحرية بلا مقابل بل ويزوجونه من رقيقهم الأناث ، أو من نسل الرقيق الذى نشأ فى القبيلة (١) .

ومن فرط تكريم رجال البادية لرقيقهم الذين يودون تحريرهم أنهم يشهدون على ذلك وربما كتبوا وثيقة بذلك ومن علامات التحرر لديهم السماح لهم بحلق رؤوسهم .. كل هذا حتى لايسترق مرة أخرى لأنه أصبح فى هذه الحلة حرا بحيث أنه يسكن فى خيمة لوحده ، وقد زادت الخيام التى تتبع ابن سمير (٢) عن خمسين خيمة كلها

---

(١) Burckhard. Nots 1/181.

(٢) ابن سمير هو والطيار وابن طيم رؤساء أفخاذ من بني وهب من عنزة التى تنتشر

لأشخاص كانوا رقيقا فحررهم ، ويبدو أن من أهداف تحرير الرقيق لدى البادية هو اضفاء نوع من الأبهة على شيخ القبيلة اذا زادت الخيام التي تحت سلطته،واذا كان شيخ القبيلة يستفيد من هذا التحرر فلم يكن كرما منه ،كذلك — يتقاضى منهم مالا مقابل هذا التحرر الا أنه يطلب منهم أن يزوجوا بناتهم لرقيقه المشترين أو المحررين حديثا ، كما أنه أيضا اذا حصل أن غزوا وغنموا يعطوه أحد الجمال القوية ، ويظهر أنه يطلب ذلك لا على أساس العتق بل من باب أن له الأمر والنهي على القبيلة ان كان شيخا أو على الأسرة اذا كان فردا عاديا .

ومن الثابت اجتماعيا أن الرقيق رغم تحررهم فانهم يظلون محتفظين ببعض مظاهر الرق فلا يتزوجون من امرأة عربية ، بل من بعضهم ، أو من أرباب الحرف الذين يستقربهم الحال قرب القبياة ، ورغم هذا فانهم سواء تحرروا أو لم يتحرروا فانهم يلقون من أبناء البادية طيب المعاملة وحسن الجوار (١) .

أما الخدم وهم غالبا من العرب الفقراء ويسمون " الصبيان " ويقومون بأدوار شبيهة بأدوار الرقيق الا أنهم يعطون بالأجر الشهرى الذى قد يحسب لهم بعد سنة أو عشرة أشهر ويقومون برعى الأغنام والابل وتقديم القهوة للضيوف ، أما أجورهم ، فقد تتكون من حمار أو جمل صغير سواء بعد تمرينه " عسفه " على المشى بالراكب أو قبل ذلك اضافة الى زوج من الأحذية " زربول " وقميص " ثوب " وكوفية " طاقية " وشماغ ، وعباءة وجلد شاة اما على شكل فروة يستعملها في الشتاء أو على شكل سفرة يستعملها في بيته أو على شكل قربة للماء أو سقاء للبن (٢) .

= بين بادية الشام وشمال نجد . عبدالجبار الراوى : البادية ،ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، عمركحالة : معجم قبائل العرب ٣/١٢٥٤ .

(١) Burckhardt. Nots 1/182.

(٢) Burckhardt. Nots 1/183 , 182.

وعلى أى حال فقد كان الرقيق والخدم يلقون من البادية عموما وبادية نجد على وجه الخصوص كل مساعدة واحترام وتكريم ، ويكفى أنه اذا تحرر الرقيق أو انتهت مدة الخادم زوده سيده ، خاصة اذا كان رئيس القبيلة بما يحتاجه من خيام وابل وأغنام تاركا له الحرية فى البقاء معهم أو مغادرة القطين الى حيث يشاء ، أو الرحيل معهم الى مواطن كلأ ، أحسن أو البقاء فى القطين الأول ، والارقاء والخدم غالبا ما يرغبون البقاء فى كنف سيدهم ، واذا اضطروا الى الافتراق فانهم يظلون يذكرون كل ما لاقوه من رعاية وتكريم.

ولعل فى قصة مسعود مملوك ابن هذال - أحد رؤساء فخذ الحبلان من عنزة - ما يؤكد توفر شعور المحبة والوفاء بين أبناء البادية وأرقائهم ، هذا الشعور المبنى على توفر عناصر الشجاعة والاخلاص لدى الرقيق ، وتوفر المحبة والتقدير لدى البدوى ذلك أنه كان لابن هذال مملوك اسمه مسعود أحبه لشجاعته واخلاصه ، وقد عامله كما يعامل أبناءه حتى أنه زوجه وهو فى حال الرق تكريما ووفاء له ، ويبدو أنه كان تمهيد لتحريره متى طلب ذلك ولما خلف أولادا خافت زوجته من بيع أولادها لأنهم لايزالون فى حال الرق فطلبت من زوجها أن يطلب العتق عنوانا على حب سيده له ، وما كان من ابن هذال الذى أحب مسعود حب الرقيق المخلص والصديق الوفى الا أن وافق على عتقه ، اضافة الى أنه أعطاه قطعة من الابل ، وقطعة من الغنم ، وربما بعض النقود والأطعمة ، ويظهر أن ابن هذال قد أدرك سر هذا الطلب ولا يريد اخباره به حتى لايؤثر على نفسه فخيره بين أن يرحل معه فى احدى فترات الربيع الى منطقة أكثر كلأ أو يبقى فى مرابعهم الأولى فآثر البقاء نزولا عند رغبة زوجته التى رغم هذا الجود والمعروف من ابن هذال فانها أنكرته ، ورحل ابن هذال وحاشيته وبقى مسعود وعائلته حرا فى حياته الجديدة ، الا أنه وهو يمر كثيرا بالمنازل التى ينزل فيها مع ابن هذال اما لقنص أو غزو

فى المرابع الأولى — أخذ يحن كثيرا الى سيده وصديقه ابن هذال كلما مر بهذه المنازل وتذكره ، وفى ذات مر مر به ركب متجها نحو مرابع ابن هذال الثانية التى رحل اليها فبكى وقال هذه الأبيات وأرسلها مع أحدهم الى ابن هذال ، وكان مما قال :

يا ركب يا مترحلين على كوم : يا اللى بكم عيرات النضا هماسى
ابلا لفيتوا ديرة أصحاب من قوم : فاحكوا ترى حمض الرجال العلامى
أبكى هلى يا ناس منهب طيهوم : وأظن من يبكى هله مايلامى
أبكى فريق غربوا هلت التوم : تعطووا المعبار والشط حامى
أقفوا كما طير قلب راسه الحوم : غريبة مايندرى وين هامى
قلبى عليهم صايبه ونة البوم : ونات وجعان طواه الهيامى
وادى الرمة يذكرنه العشب ديهوم : ترعى به القطعان والرزق حامى
هذى مرابط خيلهم دايم الدوم : حقب العيون شورات القتامى
وذا مشب النار والحفر مثلوم : مركى الدلال الشجيات الشوامى
من طاوع الثنتين يصبر على اللوم : يصبر على فرقى هله والعمامى (١)

---

(١) على كوم : بضم الكاف : القطعة من الابل جمع كوماء بفتح الكاف (فصيحة) الناقة العظيمة السنام ،العيرات بكسر العين (فصيحة) تطلق على القافلة ، أو الابل تحمل الميرة ولا واحد لها من لفظها ، كما تطلق على كل ما أمتير عليه ابلا كانت أو حميرا أو بغالا وهى هنا الابل ،والنضاء : السباق ، هما مى : لعلها من الهموم :بفتح الهاء الناقة الحسنة المشى (فصيحة) ابلا ، الا : عامية من اذا الدالة على الزمان الماضى ، لفيتوا ، من اللفاء بمعنى الوجود والوصول ،احكوا : انقلوا كلامى (فصيحة) ، ترى : من ألفاظ التأكيد النجدية بمعنى اعلموا يقينا ، حمض الرجال العلامى : الحمض ما تأكله الدواب من شجر الحمض المتنوع ليساعدها على الهضم ، والعلامى : من الاعلام وهو الاخبار ، وقد شبه تغير فؤاده من فراق سيده بالدواب المحتاجة الى الحمض ، أو يكون قد قصد الحقيقة من قولهم : رجل حامض الفؤاد : متغيره أو فاسده ،منهب طيهوم : عامية مخففة من ما أنا بملوم ،هلى : أهلى: هله : أهله على عادة

=

ويروى أنه لما وصلت القصيدة الى ابن هذال تأثر بقوة معانيها
قائلا : لولا أنه قال : اقفوا كما طير قلب راسه الحوم اندفعت اليه

= النجد يين باسقاط همزتها تخفيفا ، فريق : طائفة من الناس (فصيحة) غربوا : اتجهوا غربا ، هلة التوم : عامية من هلال التوأم ، والتوم وهي لفظة نجدية تعني التوأم ، وهي عند البدو في مثل هذا الشطر تعني كل شهرين لهن أسم واحد كالجماديان (الجمد) والربيعان (الربعان) وأحيانا شوال وذي القعدة على أساس أنهما في الفطر من رمضان (الأفطار) والمعنى هنا أنهم سافروا أول الربيعان أو أول الجماديان ، تعطووا المعبار والشط حامي : تعطووا أخذوا ، أو قطعوا ، المعبار : معبر الوادي وقت جريان المطر فيه ، والشط حامي : أي وشط الوادي يمشي بقوة ، والمعنى أنهم لم يردهم شيء عن سفرهم ، أقفوا ، ولوا وذهبوا ، كما : أي مثل ، طير قلب راسه الحوم : طير أكثر الطيران في الجو والحوم في الفضا مما أثر على تفكيره فأصبح يتقلب لا يدري أين يتجه ، غربية : جهة الغرب ، ما يندري : ما يعلم ، وين : أين : هامي : من التهمم بمعنى الطلب أي لا يعلم أن طلبها ، وجهتها التي تريد ، صايبه : عامية من مصيبه ، ونة : مخففة من أنه بمعنى التأوه ، وجعان : من الوجع ، طواه ، الهيام : أي أخذت مني شدة الحب مع الفراق كل مأخذ ، دهموم : من الدهم بمعنى كثرة الأخضر أو يقال حديقة دهماء ومدهامة : أي خضراء تضرب الى السواد نعمة وريا ومنه قوله تعالى : "مدهمتان" سورة الرحمن آية ٦٤ ، القطعان : جمع قطيع ، حامي : اما أن يكون من الحمى على عادة القبائل في أنها تحمي لنفسها مرعى خاصا بها ، أو من الكثرة بمعنى أن الرزق فيه كثير ، دايم الدوم : دائما والمعنى كثيرا ، حقب العيون : من علامات الحسن في الخيل باحاطة البياض على عينيها ، مثورات القتامي : مثيرات الغبار في الحرب ، مشب النار : مكان ايقادها ، والحفر مثلوم : أي حفرة النار التي لها فرجة لادخال الحطب منها ، مركى الدلال : مكان ارتكائها على النار أو حوالها الشعبات : أي التي تصب القهوة كما يصب الشعب (أفصح من الميزاب والمرزام) أو تصب القهوة شعابيب أي صافية ، الشوامي نسبة الى الشام المشهورة بجودة دلالها ، كبغداد ، من طاوع : وافق (فصيحة) ، الثنيين : نفسه وزوجته ، فرقى هله والعمامي : فراق أهله وأعمامه (أسياده) . لما تقدم من تحليل الأبيات : (الفيروزابادي (١/٠٤٤٠، ٢/٩٨، ٣٢٨، ٣/٦٠ ، ٢٧٥ ، ٤/١١٥، ١٧٣، ١٩٢، ١٩٧، ٣١٩، ٣٨٦ ، ٣٩٦ ، العبودي : الأمثال ٥/١٧٩٦، ١٧٩٧ مثل رقم ٢٩٨٣ ، وعن الأبيات : الشميري : الفنون الشعبية (٦١) .

أموالى كلها وأرسل له بعد ذلك أموالا طائلة تقديرا لوفائه السابق وصدق تعبيره عنه فى هذه القصيدة (١).

ولا شك أن ابن هذال - بما عرف عن عتيقه اخلاصه وأمانته ووفائه - قد أتى بما رغب به الاسلام من اسقاط بعض نجوم الكاتبة، ويبدو أنه لم يكاتب أصلا بل أعتقه اعتاقا خالصا وزاد بتطبيقه لقوله تعالى : " وآتوهم من مال الله الذى آتاكم" أن قدم له قسما من أمواله ومواشيه مساعدة له فى بناء حياته الجديدة مما جعل مسعود يعيش حياة اجتماعية أرقى بكثير من حياته فى حال رقه هذا على أنه كان يعيش فى رقه مكرما معززا .

وابن هذال يبدو أنه قد الحق أوسمح لمسعود أن يلحق نسبه به قد طبق قواعد الاسلام فى الولاء استنادا لحديث " الولاء لمن اعتق " و " الولاء لحمة كلحمة النسب " و " مولى القوم منهم" (٢) وهو بهذا الاجراء قد رفع من مكانة مسعود وأسرته بارتقائه - ولو بالولاء - لنسب قبيلة تعد من أكبر القبائل العربية وأصرحها نسبا فى نجد ، وهو بهذين الاجرائين - المكاتبة والولاء - بالاحسان فيهما قد قرر الحقيقة الاجتماعية التاريخية التى تثبت بأن الاسلام جاء موافقا - بل مؤيدا - للعديد من الاخلاق الكريمة والمثل العليا والصفات العامة الطيبة التى تمثل بها العرب وأصبحت عندهم فى مكان عزيز لا يقبلون معه لها التغيير وفى المقابل من ذلك فان قسما من بادية نجد قد تمثلوا بمبادئ الاسلام المتعلقة بمكارم الاخلاق الى جانب بعدهم - النسبى - عن الايمان بمعتقدات هذا الدين والقيام بشعائره .

وتنطابق نظرة بعض البدو للرقيق والأرقاء من نظرة الاسلام ووضع

---

(١) عن القصة والأبيات : الثميرى : المرجع السابق ١٦١، ١٦٢.

(٢) عن أحكام الولاء : البهوتى : مرجع سابق ٢/ ٦٤٠ - ٦٤٧.

كثير من الأرقاء فيه . هذا الوضع الذى رفع بلال وصهيب وعمار وسلمان الفارسى ووضع أبو لهب وأبو جهل وأبو طالب بما آمن به الأولون ، وبما حاربه وكفر به الآخرون ، ويمثل هذه النظرة أبيات الخلاوى التى يقول فيها :

بلال عتيق وخصه الله بالتقى :	وسلمان بالاسلام والدين ساد به
وأبو طالب عم النبى ماحظى بها :	وأبو لهب تبت أياديه خايبه
فلا فى الورى جود طى جود صاحب:	أبو طالب قد فاز بالنار حاجبه (١) .

واستنادا الى ما سبق فان جميع من كانوا أرقاء فى السابق للقبائل النجدية قد ألحقو نسبهم بها مما ترتب عليه تكثير هذه القبائل ورفع الوضع الاجتماعى لهؤلاء الأرقاء بعد تحررهم حيث عدوا من ضمن التركيب الاجتماعى لهذه القبائل لهم ما لافرادها وأفخاذها وعليهم ماعليهم ، ويدين كثير من أبناء هؤلاء الموالى للوضع الجيد الأمثل الذى حصل عليه آباؤهم أو حصلوا عليه فيما بعد بالتحرر مما يعطى الباحث انطباعا بأن فئة الرقيق أو الموالى فيما بعد قد لقيت من بادية نجد — فى الغالب — كل عطف ورعاية وتكريم لم تلقه فئة الرقيق أو الموالى فى كثير من المناطق المجاورة أو غير المجاورة وهذا أثر على تشبع هؤلاء الأرقاء أو الموالى فيما بعد بكثير من عادات البدو الأصيلة وأخلاقهم الكريمة (٢) .

---

(١) عبدالله بن خميس : الخلاوى ٢٥٤ .

(٢) " " " : من أحاديث السمر ٢٥٢/١ - ٢٥٥

٤ – أمثلة من العادات والتقاليد البدوية :

١ – الكرم :

لقد كان الكرم ومازال أبرز صفات ابن البادية حتى الفقير منهم، ومن الطبيعي أن الضيف يجلس عند بعض القبائل شهورا ولا تسأله من أين أتى وما هو هدفه، وهذا غالبا مايحصل اذا اختلف أحدهم مع قبيلته ، ومن هنا ينشأ الحلف مع القبيلة الجديدة سواء كان على مستوى الفرد أو الجماعة .

ومن عادة أبناء البادية اذا أصابهم محل ولم يكن عندهم ما يقرون به الضيف فانهم – وخاصة رئيس القبيلة – يختفون عن الضيف خشية مواجهته وهم لايجدون ما يكرمونه به (١) .

ويعتبر البدو اشعار النار في البادية دلالة واضحة على الكرم حيث كان لها الأثر الكبير على مرتاد الصحراء قديما حيث يكون هناك التيه والجوع والخوف مما يجعل اشعار النار بحد ذاته بشير اطمئنان وشبع ودفء في الشتاء والصيف ، ومن هنا جاء المثل "شهّاب نار" للرجل الكريم الذى لاتخبو ناره لاعداد طعام الأضياف ، وقد أصبح أضرام النار في البادية في الليل عادة متأصلة يعمل بها الغني والفقير حتى يهتدى بها السائرون في الصحراء (٢) .

ويكرم أبناء البادية دابة الضيف كاكرامه فيعلفونها من أطيب ماديهم من الحشيش ، ويضعونها في مكان أمين ، واذا كان الضيف مثله مثل المضيف عرضة لنهب الحنشل (٣) فان المضيف – خاصة اذا كان غنيّا يعوض الضيف عن أية خسارة قد تلحق به خلال وجوده في ضيافته وتلك في الحقيقة ارقى درجات الكرم .

---

(١) ابراهيم سليمان الطامي : نزهة النفس الأدبية في القصص والحكايات الغريبة . مطبعة كرم بدمشق ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) ومثله المثل ما تطفأ ضوه : أي ماتخمد ناره عن المثلين . العبودي : الأمثال ٢/ ٦٦٥ ، ٣/ ٩ (١ مثل رقم ٤٨ ، ١٠٣٠ ، ١٩٣٠) .

(٣) سيمر تعريف الحنشولي والحنشل في الغزو عند البادية .

واذا لم يكن للضيف صديق أو معارف في القطين الذي نزل عليه فانه يترجل عند أول خيمة تظهر له سواء كان صاحبها في البيت أم لا ، ذلك أن المرأة - كما مر - سواء كانت زوجة أو ابنة أو اختا تقوم مقام صاحب البيت في الترحيب بالضيف ، واذا كان الضيف لديه حاجة تتطلب بقاءه في القبيلة مدة طويلة فانه بعد مضي ثلاثة أو أربعة أيام يذهب الى خيمة أخرى في القطين ثم الى أخرى حتى تقضى حاجته أو يصل الى المكان الذي يقصده ، هذا رغم الحاح صاحب الخيمة الأولى بالبقاء عنده (١).

ويقول بركهارت : " ان العرب في قبيلة نجدية يرحبون بالضيف بأن يصبوا فوق رأسه كوبا من الزبد السائح " (٢). ولا أعرف أصلا لهذه العادة فيما اطلعت عليه من مصادر مكتوبة أو مروية تؤيد وجود هذه العادة في بادية نجد . وعلى كل لعل هذا السكب للزبد بعد أن يخلع الضيف كوفيته لتدهن رأسه حيث أن شعر رأس ابن البادية يتميز بالكثافة ..والا لاتسخت ثيابه وانقلب الاكرام الى اهانة .

٢ - المسكن :

ليس في البادية مساكن ثابتة بل هناك بيوت شعر ترحل مع ابن البادية أينما رحل الى حيث الكلأ والعشب وموارد المياه .

ويعد البدوي مسكنه بنفسه - كما مر - اذ يستعد لذلك بجمع شعر الماعز وصوف الغنم ووبر الابل ، لتقوم المرأة بغزلها ونسجها على شكل قطع تخيط ما بينها حتى تشكل بيتا كاملا .

---

(١) Burckhardt. Nots 1/179. 178.

(٢) Burckhardt. Nots 1/78.

وتنقسم بيوت الشعر الى أقسام بحسب أحجامها ، فالذى يرفع بعمودين فقط ويسمى "مقرون" لأن العمودين متقابلان ، والذى يرفع على ثلاثة أعمدة يسمى مثواث .. وهكذا المربع والمخوس والمسودس .

ويدور حول البيت ساحة من الشعر أيضا تسمى "رواق" أشبه ما تكون بالفناء لبيوت الحضر ، أما فى المثواث فما فوق فيكون الرواق من الخالف فقط ، ويثبت الرواق والبيت بأوتاد تربط بها خيول الضيوف عند الحاجة .

واذا كان الحضر يتوسعون فى بيوتهم كل حسب مقدرته وحاجته ، ففقير البدو يسكن مقرون ، وربما أقل كذات العمود الواحد . وترتفع المستويات الاجتماعية فى السكن لتصل الشيخ الفخذ أو القبيلة الذى يسكن فى المسبع الذى يقسم الى أقسام يفصل بينها حاجز من الشعر ويكون قسم منها للضيوف وقسم للطعام ، وقسم للنوم ، وقد يدخل البدوى صغار الأغنام فى البيت خشية البرد .

وفى بعض الأحيان فان البدوى يشترى بيت الشعر جاهزا من القرى لأن بعض البدو يعرض مايزيد عن حاجته ، من الشعر فى السوق على شكل بيوت أو على شكل ساحات (١) .

ولعل القسم الأكبر فى البيت بعد قسم الرجال والضيف هو القسم الخاص بالنساء أو الحريم (المحرم) وتستقبل فيه المرأة ضيفاتها من النساء كما يمكن خزن جميع الأمتعة الخاصة بالأسرة من سجاجيد وبسط ومفارش الى جانب مايمون الأسرة من حبوب ودقيق ومن وما الى ذلك من الأغذية . (٢)

---

(١) عبد الجبار الراوى : البادية ص ٢٧٥ ، ٢٧٧ .
(٢) مجلة الدارة : العدد الثالث والرابع — السنة الثانية ، شوال ١٣٨٦ هـ / اكتوبر ١٩٧٦ م ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ .

كما يوضع الى جانب أحد جدران البيت مجموعة أحجار توضع عليها قرب الماء ، وأسقية اللبن ، وعكك السمن أو قد تعلق في أحد أعمدة البيت التي يعلق فيها أيضا أدوات الانارة من سرج وفوانيس(١).

وعموما فقد كيف البدوى سكنه مع جو الصحراء الحار صيفـــا البارد شتاء فجعل بيت الشعر يضفي على جو الأسرة دفئا في الشتاء وبرودة نسبية في فصل الصيف .

٣ - الملبس :

يحرص البدوى على ارتداء الملابس الفضفاضة المريحة ،الخفيفة صيفا والثقيلة شتاء وان كان قد يلبس الثقيلة أيضا في الصيف،ويتكون من قميص طويل عريض ، ويجلب البدو خام هذه الملابس من القــرى النجدية التي تستورده من بلدان الخليج كالبحرين والأحساء والكويت أو من العراق ، وربما ذهب البدو على شكل قوافل للامتيـار من هـذه البلدان بأنفسهم ، ويشكل الشام وتركيا والحجاز واليمن وعمان مصادر أخرى لجلب القماش الى نجد حاضرة وبادية (٢) .

ومنذ أواسط القرن الثاني عشر الهجرى/ الثامن عشر الميـــلادى احتكرت شركة الهند الشرقية تجارة القماش تقريبا في منطقة الخليج الـى الهند حيث أقامت لها مراكز في بعض مدن هذه المنطقة وخاصـــة البحرين والبصرة اللتين كان عن طريقهما يشترى تجار الخليج حاجـــة المنطقة من البضائع الانجليزية والهندية وخاصة الأقمشة والتي شكلـــت صادراتها الى المنطقة فيما بين عامي ١١٦٤هـ/١٧٥٠م - ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م الثلث من مجمل صادراتها منها ويعتبر قماش ELLS هو أبرزها رواجا في المنطقة ، واسمه المعروف لدى عامة نجد بالـــلاس

---

(١) جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ص ٢٢٠ .

(٢) الريحاني : لمع الشهاب ١٧٤ - ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،الراوى: البادية ٢٧٢ .

وهو نوع من الحرير الصناعي ، اضافة الى البز الهندى وأنواع أخرى من الأقمشة البريطانية والهندية والفارسية ، ومن المؤكد أن نجدا حاضرة وبادية قد عرفتها فى تلك الفترة (١) .

وكان يتم حياكة هذه الأقمشة على شكل قمصان اما فى القرى النجدية أو تقوم ابنة البادية بحياكتها بنفسها فتجعل أزرارها من القماش نفسه ، وتوسع أكمامها سعة تلائم الثوب الفضفاض ، وتسمى بالردون ، وكان طول الردون من علامات الرجولة عندهم فهذه احداهن تتغزل بمحبوبها قائلة :

يا ليت من جود ردونك : من قبل قصاف الآجالى

اضافة الى أن البدوى قد يستعملها فى بعض الأحيان ليحفظ فيها ما يحتاجه من بن وبهار وربما طباق فهى تقوم مقام الجيوب ، هذا علاوة على امكانية تمنطقه بها اذا أراد أن يقوم بأى عمل يتطلب جهدا قويا وحركة سريعة (٢) .

ولا يختلف بدو نجد عن حضرها فى تلك الفترة اختلافا ظاهرا فى اللباس اذ يتفقون معهم فى لبس القمصان الفضفاضة من دون الأقبية التى قد يلبسها الأغنياء والوجهاء من الفريقين ، كما يتفقون معهم فى لون اللباس اذ يلبسون معا البياض والأدبعى ، والأسود ، والعودى (أى القرنفلى) والسمائى (٣) وتخضع هذه الألوان لحالة الطقس

---

(١) الريكى : ١٧٤ ، ١٨٠ ، عبد الأمير الأمين : المصالح البريطانية فى الخليج العربى ص ٥٥ ، ٩٠ ، ١٩٦٦ - ١٩٨ .

(٢) الريكى : ١٨٥ ، ابن رداس : ٥٥ ، ١٥٧ ، جود رونك : تمسك باكمامك ، من قبل قصاف الآجالى - أى من قبل الموت .

(٣) الريكى : ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ولعل الأقبية هى المعروفة نجديا بالصاية .

والوضع الاجتماعي لدى الفريقين ، ولكنها كلها لا تخرج عن العادات النجدية في اللباس في عدم جر الثوب باطالته تحت الكعبين ، أما الجيوب فكما أن قسما منهم كان يكتفي بالردون عنها فانه يبدو أن بعضهم علاوة على هذا يضع جيبها القميص ولكن ليس على الشكل الحالي بل توضع على أحد جانبي صدر القميص من داخله ويختلف البدو عن الحضر – في الغالب – في عدم العناية باللباس الخارجي – القميص ، ولعل مرد ذلك الى ظروف الحياة القاسية التي لا تتيح له العناية بهذا اللباس من ناحية خياطته على الشكل الدقيق الذي يخيطه به الحضر (١) .

ويتمنطق البدوي بحبل حول بطنه يرفع ثوبه عن الأرض ليساعده على سرعة الحركة وربما استعمله عقالا لبعيره ، ويلبس تحت الثوب سروالا تتفنن نساء البدو في زركشة أكمامه على عكس الثياب الخارجية ، ويبدو أنه يكتفي بذلك فلا يلبس شيئا تحت ثوبه حول الصدر والبطن كما يفعل الحضري في تلك الفترة وبعدها ، الا أنه يتفق مع الحضري في لبس الكفية (٢) أو الشال المهدب في الصيف والشتاء ، وبعض البدو كالحضر يلبسون على الكفية عمامة حمراء – لعلها الشماغ – وهي مخططة بلون أحمر مما يبدو معه أن الشماغ المعروف الآن قديم في الاستعمال في نجد ، وقد يلبس تحت الشماغ كمة (أو طاقية) (٣) أو يكتفي بالشماغ

---

(١) العبودي : الأمثال ٢/٤٨٣ مثل ٧٥٢ .

(٢) الكفية قيل انها من الكف بمعنى الجمع أي المكفوف بعضه الى بعض وهناك من يقول انها تحريف عن الكوفية نسبة الى الكوفة وهناك من يؤكد أصلها العربي ، ومن يذكر أنها ليست عربية ، في جدال طويل عريض ليس هنا مجال تفصيله ، وهي عموما اسم جامع لكل ما يوضع على الرأس عدا العمامة فهي تشمل الشال والفترة والشماغ والحطة والمنديل الرأسي والحلالية والقزية والمحرمة والدسمال ، وللتفصيل في هذا انظر: (أحمد رضا العاملي : قاموس رد العامي الى الفصيح ٥٠٤ ، ٥٠٥) .

(٣) الطاقية اسم لكل ما يوضع تحت الكفية ويدخل بعضهم القلنسوة في معناها ، والطاقية ليست فصيحة وفصيحها الكمة لانها تغطي الرأس كما تغطي الاكمام اليدين ، (المرجع السابق ٣٦١ ، ٣٦٢) .

لوحده ، والعقال (١) ولو كان قطعة حبل ضروري لابن البادية ليمنع ما على رأسه من ألباس من السقوط وخاصة عند العواصف (٢) .

أما النعال فينتعل البدوي نعالا خفيفة يشتريها من المراكز التجارية في القرى النجدية وان كان غالبا ما يترك التنعل سواء كان ذلك في فصل الصيف أو الشتاء ، وهذه النعال من المصنوعات المحلية التي تتم عن طريق خرازتها بيد أبناء القرى ، وهي في تلك الفترة تتسم بالبساطة المتناهية اذ لا تعدو أن تكون سيورا من القد تلف القدمين وتدخل منها الأصابع (٣) .

ويلبس البدوي شتاء وصيفا عباءة وهو في هذا يتفق - الى حد ما - مع الحضري وأفخر العبي القيلانية المشتهر منها اللون الأسود وسميت القيلانية لأنها تحاك من نوع من الصوف والوبر يسمى القيلاني ، ويبدو أنها من المنسوجات التي تجلب لشبه الجزيرة من الهند ثم تحاك في الأحساء على شكل عباءة محاطة بالحرير الأصفر أو الخيوط المذهبة وهي ناعمة ولا يلبسها في الغالب الا الأمراء ومشائخ القبائل وأثرياء المجتمع ، أما عامة الناس فانهم يلبسون عبيا شقراء عادية تصنع من الصوف العادي ، وأحيانا من تلك التي تكون مخططة بأبيض وأسود وتجلب محاكة من الشام والعراق والأحساء وقد تحاك قليلا في نجد (٤)

ويبدو أن من أطيب العبي العباءة الشرقية (٥) ،ولا أعلم هل هي القيلانية نفسها أو تنافسها في الجودة . الا أنه يمكن من معرفة جهة ورودها وهي شرقي الجزيرة أو العراق امكانية اعتبارها القيلانية نفسها أو أن الشيئين من مكان واحد ، ثم هناك العبي

---

(١) العقال ،والبريم ،والمرير ،والعصابة ،والخزام ،والسب كلها أسماء لمسمى واحد حسب المناطق العربية .(المرجع السابق ٥٠٥/٦٠٥).

(٢) الريحاني : ١٨٠ ، ١٨٥ ، والراوي : ٢٧٣ .

(٣) الراوي : ٢٧٣ .

(٤) الريحاني : ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٥ .

(٥) المنقور : الفواكه ١٩٧/١ .

الداودية المنسوبة الى داود ، ولعله هو الذى يحيكها على شكل عباءة ، ويظهر أنها من النوع الجيد واليها أشارت الزعبية فى قولها :

من صنع داود عليهم مشالح : تجيبه رجال منغنايم فهودها (١).

وفى الشتاء قد يلبس عوضا عن العباءة الفروة التى تتكون من الغنم بشعره بعد دبغه ، وتكسيته من جهة الجلد بقماش ، والفروة كساء البدوى فى الحضر ، كما أنها فراشه ولحافه عندما يسافر أو يغزو ، ومنهم من يرتديها حتى فى الصيف اتقاء لسموم الصحراء الملتهبة وشمسها الحارقة ، ويقوم أبناء البدو بتشكيلها وصنعها بأنفسهم وأحيانا يجلبونها محاكة من المراكز التجارية النجدية أوغيرها (٢).

أما المرأة البدوية فتتفق هى الأخرى مع المرأة الحضرية فى ألبستها وزينتها ، فنساء الأثرياء يلبسن الحرير الهندى والبز الفارسى والشامى والرومى (التركى) ، أما عامة النساء فيلبسن نوعا من القماش أسود اللون متوسط القيمة أو قليلها ، وتلبس البدوية فوق رأسها خمارا أسود اللون وقد تعصب رأسها بعصابة تمسكه من العواصف وتختلف عن الحضرية بوضع البرقع الذى تخرج منه عينيها ، وفوق هذا كله قد تلبس عباءة تختلف نوعيتها حسب الوضع الاجتماعى فالثريات يلبسن نوع من العبى القيلانية تقارب فى جودتها القيلانية الرجالية وهى محاطة بخيوط الذهب ، أما عامة النساء فيلبسن عبيا سوداء تقل قيمتها كثيرا عن القيلانية ويجاب النوعين من بلاد : الأحساء وشرقى الجزيرة عامة ، وتتميز البدوية أحيانا بتركها للعباءة ولبس ثوب فضفاض أسود اللون ان كانت متوسطة الحال وملونا وفاخرا ان كانت

---

(١) تجيبه : تجيء به من كسب شجعانها . (ابن رداس ٨٧).

(٢) الراوى : ٢٧٣.

من الأثرياء ويسمى هذا درط أو دراعة ونساء الحضر في الغالب لايلبسنه (١).

أما الحلي فاذا كان الحضري يحرص على أن تتحلى نساءه بمختلف أنواع الحلي حسب الوضع الاجتماعي الذي يعيشه فان البدوي هو الآخر يحرص على ذلك وتتفنن نساء الفريقين في هذا فتلبس نساء الأثرياء منهما أفخر مسبوكات الذهب المرصعة بالجواهر النفيسة من الياقوت الأحمر والأخضر وغيرهما ، وأنواع الفصوص الراقية والزبرجد والأحجار الكريمة سواها أما عامة النساء فيلبسن أنواعا من الحلي أقل قيمة من السابقة (٢) .

وتلبس النساء البدويات أنواعا من القلائد الخرز التي يعتقد البدو في تأثيرها الشديد على بعض الأمراض ، وتعقص على جدائلها نوعا من الحلي ، كما تسور معصمها بأسوار من الحلي يختلف جودته حسب الوضع الاجتماعي ، وتجمل البدوية أصابعها بخواتم من الذهب أو الفضة أو النحاس ، كما تضع على أذنيها وأنفها أقراطا وأزمة ، وتسور رجليها بحجول أو خلاخيل (٣).

وعموما فالبدوي في تلك الفترة لايختلف كثيرا عن الحضري في طرز ألبسته كما لاتختلف البدوية عن الحضرية في ألبستها وحليها ومظاهر زينتها الأخرى ، ومرد ذلك كله أن الحضري في نجد آنذاك كان - في الغالب - يعيش حياة متداخلة بين البادية والحاضرة ، هذا اضافة الى أن البدوي كان حريصا على أن يتأثر بالحضري في بعض مظاهر

---

(١) الريكي : ١٧٥، ١٧٦، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ويغسلون ملابسهم بالاشنان وهو من أشجار البادية وأحيانا بالصابون الذي بدأت نجد تعرفه منذ تلك الفترة .
(٢) المصدر السابق : ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٥.
(٣) الأزهار النادية : ١٢/١٢ ، ٣٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، وتتزين المرأة البدوية بمختلف الأصباغ المعروفة آنذاك. جاكلين بيرين : ١٢٦.

حياته وخاصة اللباس انطلاقا من النظرة القائلة : " البس ما يعجب الناس" مع احتفاظه بمظاهر حياته الأخرى التي يرى أنه يبز الحضري فيها .

٤ - المأكـــل :

يروى عن الحارث بن كلدة (١) طبيب العرب في الجاهلية قوله : لما سئل عن أفضل الدواء ؟ ، قال : الأزم أي قلة الأكل ويعتقد البدوي بهذه النظرة وأنها تبعث على دوام الصحة في البدن فهو على هذا يكتفي بالقليل جدا من الزاد حضرا وسفرا مما يظفر عليه من صيد الحيوان أو الطير ، ان لم يستغن عن ذلك كل الاستغناء ولكنه حينما يأتي اليه ضيف صديق أو غريب يظهر من الطعام الشيء الكثير (٢) .

ويتألف طعام البدوي غالبا من التمر واللبن ، أو حليب الابل الذي يشربه رأسا من الثدي ، اضافة الى الأقط وهو ما يسمى بالمضير أو البقل الذي يقدمونه مع السمن ، ولقد كان الاكثار من السمن دلالة على الكرم فكانوا يقدمون الطعام اما رزا (٣) أو حنطة

---

(١) هو الحارث بن كلدة الثقفي أحد حكماء العرب من أهل الطائف ، رحل الى فارس مرتين فأخذ الطب من أهلها وبرع فيه حتى أصبح طبيب العرب في عصره ، ولد قبل الاسلام ، واختلفوا في اسلامه ، وكان صلى الله عليه وسلم يأمر من به علة أن يتطبب عنده ، توفي سنة ٥٠هـ/٦٧٠ م له كتاب " محاورة في الطب" وهو خلاصة الحوار الذي جرى بينه وبين أنو شروان في احدى سفراته الى فارس .(الزركلي ٢/١٥٩ ، الموسوعة العربية ٦٨٥ .)

(٢) الراوي : ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(٣) عرف العرب الرز قديما وكانوا الى وقت قريب يسمونه الرنز والارز والأرز ، بفتح الهمزة وضم الراء وقد أورده ابن القيم في زاد المعاد واثنى على مادته الغذائية ، كما أشار صاحب اللمع الى معرفة النجديين بالرز في تلك الفترة ولانه محصول خارجي فان مما يبدو أن نجدا لا تعرفه الا في فترات الرخاء أما في فترات قلة الموارد فانه يختفي وتبقى المحاصيل المحلية =

مطحونة مخلوطة بالسمن ويضعون له حفرة في وسط الصحن ليأخذ الضيف اللقمة ويغمسها في السمن قالت شاعرة بني لام التي سبق ذكرها :

لا وابن عمي تنثر السمن يمناه : على صحون كنهن التثايل (١)

أما الحنطة " أو حب القرايا كما يسمونها " (٢) فكانوا يأكلونها بعد أن يطحنونها في القرى ويعملونها على شكل خبز أو أنواع أخرى من الطعام. وكان أبناء البادية يشترون التمر من القرى حتى أنهم في بعض السنوات أثروا على المعروض في البلدان من التمر ففي سنة ١١٢٥هـ/١٧١٣م خفي التمر حتى وصل الى مائة وزنة بأحمر الا أن القوافل من عنزة اشترت مافي السوق ليصل سعره الى ٥٠ وزنة بالأحمر (٣) ومن الطبيعي أن يصل اهتمام أهل نجد عموما وباديتهم خصوصا بالتمر لأنه يشكل مادة أساسية للطعام اليومي لهم ، ولانه أكثر أنواء الغذاء قيمة من الناحية الصحية وخاصة لمن كانوا على سفر لأنه لايتطلب أية اعداد ، ومن هنا زاد اهتمام البدوي به والذي كان على استعداد لأن ينافس الحضري عليه في السوق (٤) .

---

* هي الرائدة في المواد الغذائية ،(ابن القيم: زاد المعاد ١٥٧/٣ ، الفيروزابادي ١٦٥/٢ ،الريكي : ١٧٤ ، ١٧٦).

(١) ابن رداس : ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٢) كما قالت الشاعرة السابقة في بيت سبق ذكره :
زهابهم حب القرايا النظيف : وسلاحهم صنع الفرنجي والأروام .

(٣) الفاخري : ٩٥ ، ابن بشر : ٢٣١/٢ .

(٤) D.M.then.Altheenayan . History.W.in.nagd.P 5.

ومن هنا جاء المثل : " لو التمر عند البدو ما باعوه " ، وكذلك المثل : " التمر مايود ع عند البدو " مصورين محبة البدوي الشديدة التمر . العبودي : الأمثال العامية : ١٦٤٦/٣ ، مثل رقم ١٨٤٦ ،الجهيمان الأمثال الشعبية : ١٣٩/٢ ، ٢٨٢ ، ٢٩٨/٦ ،الأمثال: ١٥٩٨ ، ١٩٨٤ ،٥٦٧٧ .

وكما يستعمل البدو الحنطة مطحونة فانهم يستعملونها مجروشة مدهونة بالدهن الكثير وهي ما تسمى "الجريش" المعروفة الى الوقت الحاضر وهم قد استفادوا معرفة هذا الطبق من الحضر الذين يلتقون واياهم سواء بسواء في أفراطهم في السمن مع هذا الطعام (١).

وعلاوة على المحاصيل المحلية من القمح والذرة والتي تلقى التقدير الكبير من بادية نجد كما مر ، فان شحها أو عدمها في فترة من الفترات يدفع بالبدو الى الامتيار من المناطق المجاورة وخاصة العراق التي قد اشتهر قمحها "عيشها" بين بادية نجد وحاضرتها على حد سواء بأنه الرغد الأول للمحاصيل المحلية ، وكان الطعام هذا الطعام مضافا اليه لحوم الابل والأغنم كاملة منتهى الكرم، ويحرص البدو في هذا المجال على السمينة منها وخاصة الابل المسماة بالفاطر لانها تتميز بكبر الجسم ووفرة الشحم (٢) ومن هنا جاء قولهم: "الشاطر يذبح فاطر" (٣) ويصور ذلك هذين البيتين للخلاوى في ممدوحه منيع بن سالم :

يا ما ذبح للضيف كوم من النضا	:	الى شح في ماله خبيث الجاش
يذبح ابهم من كل كبش مقرن	:	وعيش العراقي بالصحون فراش(٤)

---

(١) الريكي : ١٨٢.
(٢) المصدر السابق : ١٨٢ ، ١٨٣.
(٣) الشاطر : قيل أنها فصيحة وقيل مولدة ، واشتهرت بين العامة قديما وحديثا على عدة معان وهو هنا الذكي الحاذق اللبق في عماه أو السباق المسرع الى معالي الأمور .(الزبيدي ٣/٩٩ ، أحمد رضا : ٢٩٢).
(٣) ياما : كثيرا ، الى : اذا ، الجاش : تأتي بمعنى النفس، ولعله هنا يقول واذا شحت نفسه عن ذلك ذبح ابهم أكباشا مقرنة أي لها قرون ، وهي مرغوبة في نجد ، وعيش العراق أو العراقي : المجلوب من العراق ، فراش : من فعال بمعنى مفعول أي مفروش . عن البيتين :(ابن خميس ، الخلاوى ٣٠٩).

ويبدو أن اتفاق البدو مع الحضر في أساوب طبخ بعض الأكلات المعروفة وعدم دقة البدو في جودة هذا الطبخ انها نسبة الى الحضر لأنهم الأصل في معرفتها ، هذا الاتفاق مع هذه الملابسات جعلت الحضر يتندرون على البدو في أساوب طبخ هذه الأكلات مما يمكن معه ادخال هذا في مجال النظرة الساخرة من الحضر نحو البدو (١) .

وكما هي طبيعة البدوي العربي عموما في الحفاظ على كل ما هو أصيل موروث فان البدوي النجدي — وفي يتعلق بالضيافة وتقديم الطعام بشكل خاص — يحرص بشكل ملفت للأعجاب على التقيد لدرجة الحماس بأبرز مظاهر الكرم الموغلة في القدم وهي أسلوب تقديم الطعام للضيفان الذي يتجاوز الكرم الحاتمي ليصل الى الأسلوب الابراهيمي في الكرم وتقديم الطعام ، هذا الأسلوب الذي يعتبر قمة في مجاله ، والذي أشار اليه القرآن الكريم في قول الله سبحانه :

" هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ، اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ، قال سلام قوم منكرون ، فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين ، فقربه اليهم قال ألا تأكلون " (٢) ، والقرآن اذ يرصد هذا الكرم وأساوب الاطعام الابراهيميين فانما ليبرز آداب الضيافة والاطعام كما كان ابراهيم أبو الضيفان يتمثل بها أو كما يرغب القرآن نفسه أن يتعود الناس عليها .

---

(١) الجهيمان : الأمثال : ١/ ١٤١ .

(٢) الذاريات : الآيات : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٣٦) ، " فراغ " أي انسل خفية في سرعة ، فجاء بعجل سمين" : أي من خيار ماله " فقربه اليهم " : أي أدناه ، " قال ألا تأكلون " : تلطف في العبارة وعرض حسن ، وهذه الآيات انتظمت آداب الضيافة فانه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة ولم يمتن عليهم أولا فقال نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء ، وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فتى سمين ، مشوى — كما في سورة هود آية ٦٩ — فقربه اليهم : أي لم يضعه وقال اقتربوا بل وضعه بين أيديهم ، ولم يأمرهم أمرا يشق على سامعه بصيغة =

وانطلاقا من هذه العادة الاسلامية القديمة فان البدوى فى نجد يحرص على تقيده بهذا الأسلوب ـ تقديم الطعام الضيوف وعدم تكليفهم عناء الذهاب اليه ـ بغض النظر عن علمه أو جهله بمصدره واقترانه بسنة ابراهيم عليه السلام ، ومن هنا فان البدوى يراعى عدم تكليف ضيوفه عناء مغادرتهم المضيف الى مكان الطعام بل يأتى بالطعام اليهم فى مضيفهم ويضع الصحون المسماة المناسف (جمع منسف)(١) والتى تحوى نوعا من البر أو الرز وفوقه السمن والشحم واللحم يأتى به من أطيب أغنامه وان لم يجد منها ما تصلح أن تكون ذبيحة جيدة اشترى واو اضطره ذلك الى استدانة ثمنها ، ويصور هذه العادة هذان البيتان لأحدى البدويات التى توجه أخاها الى عوائد البدو فى الكرم وأسلوب تقديم الطعام للضيوف حيث تقول :

خل الشحم والسمن للربع تكثر	مع منسف واف عليهم تشيله
من ضيننا والا ضين المتجر	عطهم ثمنهم نقد والا بحيلة (٢) .

وطريقة الأكل لدى البدو تخضع الوضع الاجتماعى بينهم فالأمير أو شيخ القبيلة تقدم له سفرة كبيرة من الجلد يوضع عليها طعامه بخلاف عامة البدو الذين يقدم لهم الطعام بدون سفر أو سمط فى جفان ، أو صحاف خشبية يجلسون حولها متحلقين ، ولا يأكلون الا فى اليمين أما اليسرى فلا يمكن استعمالها الا عند الضرورة أو للاستناد عليها ، وهم

= الجزم بل : " قال ألا تأكلون " على سبيل العرض والتلطف كما يقول القائل اليوم : ان رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل" انتهى كلامه . قلت : ولو قارنا بين هذه الآداب وغيرها مما حطته هذه الآيات لوجدنا أن ابن البادية يتصف بها تمام الاتصاف ويحرص على أن لا يحيد عن أى واحدة منها قيد شعرة ، وانظر (الراوى : البادية ص٣٠٢)

(١) المنسف : هو الصحن الكبير مملوء طعاما وهو عامى بدوى له أصل فصيح : (أحمد رضا : ٥٥٠)

(٢) خل الشحم والسمن الربع يكثر : أى دعها تكثر والمعنى أكثرها لقومك : أى كن كريما ، والربع : بفتح الراء ، الجماعة من الناس (فصيحة) واف : أى حارا عليهم : المعنى تحمله اليهم وهو لا يزال حارا ، من ضيننا : الضين : عامية من الضأن ، المتجر : جمع تاجر ، عطهم ثمنهم نقد والا بحيلة : أى

فى هذا يصدرون من عادة عربية اسلامية فى محبة التيمن فى الأمر كله وخاصة عند الأكل ، وللبدو طريقة فى الأكل تتلخص فى لطمة مافى اليد على شكل مضغة بعد ضغطها وتلبيدها ثم ازدرادها بعد ذلك، واذا تناثر منها شئ على اللحية قرب الفم نفضوه أو أعادوه الى الفم ببساطة متناهية (١) ، ويحرص شيخ القبيلة أو رب الأسرة على المبالغة فى خدمة ضيفه مثلا ذلك بتقطيعه اللحم أو مافى الطعام من مادة جيدة كالكمأة مثلا ويضعهما مما يلى ضيفه حتى لا يكلفه عناء البحث عنها داخل الجفنة (٢) ، وكما رصد الرحالة الغربيون هذه الطريقة مبدين اعجابهم بكافة مظاهرها منذ فترة متقدمة (٣) فانهم قد أبدوا سخريتهم وتندرهم من المبالغة فى خدمة الضيف ومظهرها السابق الذى ربما أثار تقززهم واشمئزازهم ومنعهم من تناول الطعام ولا يستعمل البدوى للأكل الا يديه وأصابعه ولكنه اذا رغب الضيف فى ألا يستعمل يديه أتى له بأى مادة خشبية أو معدنية يأكل

= انقدهم ثمن الضأن أو اشتراها مؤجلة وتحيل عليهم لتأجيل الثمن بأى حيلة والمهم أن تكرم ضيفك بسرعة .(الفيروزابادى ٣/ ٢٤ ، الراوى: البادية : ٣٠١ وعن الأبيات : ابن رداس : ٢٧٠ ، ٢٧١).

(١) الراوى: ٣٠٨ ، العبودى: الأمثال ٥/ ١٧٩١ شف : ٢٩٧٤ ، جاكلين بيرين: ١٢٧ ، والسفرة ، والسماط فصيحان .(الفيروزابادى: ٢/ ٣٦٦ ، ٤٩).

(٢) بيردى قوصيل : الحياة فى العراق منذ قرن ١٨١٤ - ١٩١٤م ترجمة أكرم فاضل - المؤسسة العامة للصحافة والطباعة . نشر وزارة الثقافة والاسلام العراقية ، سلسلة الكتب المترجمة (٤) ١٣٨٨هـ/١٣٦٨م ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٣) لعل من أوائل من قام بهذا العمل الرحالة الفرنسى السفير لويس دارفيو ، الذى بدأ رحلته من بادية الشام سنة ١٠٧١هـ/١٦٦٠م ثم توغل فى جزيرة العرب وبعد انتهاء رحلته ألف مجموعة كتب منها رحلة فى فلسطين نحو الأمير الكبير زعيم أمراء البادية العرب المعروفين =

بواسطتها (١) ، واذا نهض أحد الطاعمين حل محله أحد الجالسين ممن كانت المائدة قد ضاقت بهم ليذهب المنتهى الى غسيل أيديهم بالماء والتراب أو بالتراب وحده عندما لا يجدون صابونا (٢) ، واذا كانت هذه الطريقة لا زالت معروفة لدى البدو وقسم من الحضر مما يبدو معه أن لا فائدة في عرضها فان رصدها من قبل الرحالة الغربية منذ فترة متقدمة جدا يضفى عليها طابع الأصالة بشكل دقيق ، ويجعل الباحث والمطلع يعجب بل يفخر أن لم تزدها الأيام الا رسوخا .

ولقد كان البدوى الذى يقدم لجماعته وضيوفه طعاما وفير محل اعجابهم وتقديرهم خاصة في سنى المحل والشدة ، وذلك لأن كافة الملتصقين بهذه القبيلة أو هذا الفخذ سينالهم شبع ورى من أى تكريم لأى ضيف أو وجيه اذ بعدما يطعم كل الضيوف ممن كان الطعام لأجلهم يأتى بعدهم رجال القبيلة وشبابها ثم بعدهم الرعاة والخدم والرقيق ليوزع الباقى على كلاب القرية بعد ما ترسل الجفان الى بيت المضيف اما لتأكل منها النساء أو ليوزعنه بمعرفتهن ، وكل هذا كان مجال مدح ورثاء لمن يقوم به فهذه احدى البدويات ترثى زوجها بقولها :

له جبكرة بها الجماعة مكاريع : تاخذ بعدهم ساعة للتوالى (٣) .

= بالبدو" و " أخلاق عرب البادية وعاداتهم" ،ولا يستبعد الباحث أن تكون رحلة دارفيو تدخل ضمن المخطط القديم الذى كان يرمى اليهود من ورائه الاستيلاء على فلسطين خاصة وأن الرجل فيما يبدو كان عبرانيا ، (جاكلين بيرين ١١٧ - ١٢٧) .

(١) بيردى قوصيل : المرجع السابق ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) يبدو أن الصابون قد عرف قديما في نجد وان كان ذلك على نطاق ضيق . (بيرين ١٢٧) .

(٣) جبكرة : أى جفنة كبيرة مصنوعة من الخشب تقوم مقام الصحن الكبير وتشبه الموقعة الكبيرة عند الحضر ، بها الجماعة مكاريع : أى أن جماعتك يحيطون بها يأكلون منها بكثرة ونهم وقد استعارت الشاعرة الكرع الذى هو الشرب بنهم عن طريق الفم ، للأكل كناية عن الجوع ، تاخذهم ساعة =

واستنادا لكل ماسبق والى وقت قريب بل الى العصر الحاضر واصعوبة الحياة فى الصحراء وشح الموارد فيها فان الكرم والاكثار من الطعام وزعامة القبيلة أمور تتداخل فيما بينها بين البدو ، ومن يكثر تقديم هذا الطعام لابناء قبيلته وضيوفه وضيوفها فانه هو الذى يتسنم امارة القبيلة اضافة الى المؤهلات الأخرى كالشجاعة ولا يمكن بأى حال من الأحوال انتخاب أى شخص لمشيخة القبيلة مالم تتوفر فيه عناصر الشجاعة والجود ، وانحداره من أصل معروف بهما ، الا أنه تبقى صفة الكرم واطعام الضيوف والقبيلة بين فترة وأخرى هى التى تؤهل الرجل للزعامة أو الوجاهة فى البادية ، والى وقت قريب، ولقب " معوت بالعشا " يعتبر من ضمن عناصر الوجاهة والزعامة فى القبيلة يحرص على التخلق به زعماء القبيلة ووجهائها ، وتتلخص صفته كما كان يفعله أحد زعماء القبائل النجدية فى أن يأمر هذا الزعيم أحد رجاله فيعلو مرتفعا حوله ليرفع صوته مناديا أهل القبيلة ومجاوريهم والمارين بالصحراء : من كان يريد عشاء فليتفضل ، وأصبح بعد ذلك هذا اللقب مثلا يطلق على كل كريم فى الصحراء (١) .

= بالتوالى : أى تبقى بعدهم مدة فى انتظار من يأتى للأكل منها ، (ابن رداس ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، الراوى : ٣٠١ ، بيرين : ١٢٧) .

(١) محمد الأحمد السديرى : ابطال من الصحراء : ٢٤٧ ، بيرين : ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، الدارة : ع٣ س٣ ، ص ٢٥ .

٥ - المشـــرب :

يعانى البدوى من شح المياه فى الصحراء ولهذا فهو يستغـل مواطن الأمطار فى الوديان وغيرها " كالغدران " ليجلب منهـا ماء الشرب (١) ، كما أنه يحرص أن يضرب أطنابـه قرب مورد ماء ، ويتكلف البدوى فى نقل مياه الشرب حيث ينقلها اما علـى الجمال أو الحمير بواسطة القرب . الأمر الذى جعله يحرص أشد الحرص على المياه (٢) ، ويحاول أن يعوض عنها بما لديه مـن مشروبات أخرى .

ويبقى الحليب أهم مشروبات البدوى بعد الماء ، ولهذا فانـه وهو فى المرعى أو عند البيت يحلب ما لديه من ابل أو غنم ويقدمـه لضيوفه وأهله كما يشرب منه رأسا من الثدى . ويفضل البدو شرب حليب الابل خاصة بعد حلبه مباشرة من الثدى ، واذا كان فى المرعى ولم يكن معه اناء للحلب فانه يرضع الثدى رضعا اذا كانت الناقـة هادئة الطباع .

أما حليب الأغنام فانه أحيانا يسخنه على النار ليشربه حليبا ، أو يتركه حتى يروب لتقوم المرأة بخضه فى الأسقية " جمع سقاء " لتعده لبنا خالصا سائغا للشاربين يقدمه البدوى لأهله وضيوفه مع التمـر ، وتخرج المرأة منه الزبد لتغليه على النار لاخراج السمن البرى الممتاز، أو تطبخه لتصنع منه الأقـط " أو البقل ".

---

(١) عبدالجبار الراوى : البادية ٦٦.

(٢) المرجع السابـق : ١٧٩ ، ١٨٠.

أما قهوة البن : فقد ذكر الشيخ المنقور أنها انتشرت كمشروب في القرن التاسع الهجري (١) ، وأن العلماء اختلفوا فيها بين الحلال والحرام حتى صدرت الأوامر السلطانية العثمانية بابطالها من الأقطار الى أن استقر الأمر على شربها من غير انكار مما ساعد على انتشارها في أنحاء العالم (٢) .

ونظرا لأن معرفة العرب بالبن كمشروب قديم لم تكن واسعة فان القهوة البنية لم تدخل الى بلاد العرب كمشروب بشكل واسع الا في

---

(١) الفواكه العديدة : ٢/٨٥ ذكر بعض الباحثين أن الرازي (٢٥١هـ/ ٨٦٥م - ٣١١هـ/٩٢٣م) قد ذكرها في كتابه الحاوي . الا أن هانز هوالفريتز قد ذكر أن العرب قد عرفوا البن قبل الاسلام وأيام الرسول (ص) ، وكان في تلك الفترتين يدخل في نطاق التجارة من اليمن التي تعتبر الموطن الأصلي للبن الأصيل حتى الآن ، ولعل اسمها اللاتيني كافيا أرابيكا يؤكد أن الغرب قد عرفوها عن طريق العرب المسلمين . (هانز هولفريتز : اليمن من الباب الخلفي ٢٥ ، ٢٠٦ ، جاكلين بيرين ١٠٦ - ١٠٨ ، ١٣ م١ ع١ - ١١٦ . الموسوعة العربية ٤٠٦ مادة بن ، مجلة قافلة الزيت ٢٢/٤/ ص ١٩ - ٢٥ ، مجلة الكويت عدد ٦ ص ٨٨ - ٩٥ ، وقد أوردت هاتان المجلتان مقالتان عن القهوة وقصة انتشارها في العالم).

(٢) لقد لقي انتشار شرب القهوة في أول أمره الكثير من الجدال والنقاش بين العلماء والمفكرين والساسة ، ولم تقتصر على ذلك منطقة دون أخرى فقد حرم شربها عدد كبير من مفكري أوربا كما أن الكنيسة الايطالية قد اعتبرتها مشروبا ملعونا في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي . الا أن العلماء المسلمين منذ القرن التاسع كان لهم مواقف مؤيدة لهذا المشروب باعتبار حله ، فقد كان المحللون أكثر من المحرمين ومن ضمن من حرمها ولقي معارضة شديدة في هذا كبير علماء مصر آنذاك (احمد بن عبد الحق السنباطي) الذي ذمه وذم من تابعه أحد المكيين بقوله

حرموا القهوة ظلما : زادهم ظلما ومقتا

ان طلبت النص قالوا : ابن عبد الحق أفتى

ويبدو أن من أسباب تحريم المحرمين لها في العالم الاسلامي كون اسمها "القهوة" كان يطلق في اللغة العربية على الخمر من العنب أو التمر ولهذا فان المتنطعين في الدين الذين يفسرون القهوة تفسيرا حرفيا =

القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى ، ودخلت تدريجيا الى نجد فى هذا القرن أيضا (١).

وعلى أى حال فقد أصبحت القهوة عنوان الكرم وعلامة الرجولة فى نجد عموما وفى باديتها على وجه الخصوص وطالما تغنى بها الشعراء البدويون كما يتغنون بمحبوبتهم ، كما أنها تعتبر من دواعى الرثاء للميت فهذه احدى شاعرات البادية ترثى زوجها بأبيات قالت منها :

مرحوم يامهلّى بالضيف : يامكثر الهيل بالدلة (٢)

وكما أن كثرة رماد القدر واسوداده علامة على الكرم فان أسوداد الدلة علامة على ذلك أيضا لانها دائما قرب لاعداد القهوة وتجهيزها وجعلها حارة لأى ضيف يأتى فجأة ، وفى هذا تقول احدى البدويات

= يحرمونها على أنفسهم ويرون تحريمها على عامة المسلمين الا أن الكتب التى ألفت تبين حل هذا المشروب أكثر من التى تحرمه اضافة الى رجوع جميع من أفتى بالتحريم الى الحل عدا ابن عبدالحق ، وممن ألف فيها الزبيدى صاحب تاج العروس اذ أن له رسالة اسمها "تحفة بنى الزمن فى حكم قهوة اليمن" ولعثمان بن قائد النجدى رسالة فيها ، وقد عقد بشأن ذلك عدد من المؤتمرات أبرزها مؤتمر مكة عام ٩١٧هـ/١٥١١م ، ويبدو أن اتخاذ المقاهى فى أوربا والعالم الاسلامى - مراكز للثرثرة والنقاش السياسى والأدبى ولعب الميسر ، وخشية اشتباهها بالخمر هى أسباب دعت الى تحريمها فى بعض الفترات .(الفيروزابادى : ٤/ ٣٨١ ، الزبيدى : التاج ١٠/٣٠٨ ، المنقور : الفواكه : ٢/٨٥ ، عبدالله البسام : علماء نجد : ٣/٦٨٥ ، الموسوعة العربية ص ٤٠٦ ، مجلة العرب ج ٩ ، ١٠ / س ١٢/ص ٧٠٧ ، مجلة قافلة الزيت ، العدد السابق ص ٢٠ ، مجلة الكويت العدد السابق ص ٩٥).

(١) المنقور : ٢/٨٦ ، الموسوعة العربية ٤٠٦.

(٢) مهلى : أى يكثر من قول أهلا ، يامكثر الهيل بالدلة : هذا كناية عن المبالغة فى الكرم لأن الهيل كان ولا يزال أغلى من البن ، (ابن رداس : ٣٤٢).

حاثة أخيها على الاتصاف بصفات الرجولــــة :

يا اخويّ ياريف الهزال المناكيف : يامقّـط للضيوف حلو التّـوال
دلالن كما الغربان سود مهاديف : من كثر ماهي للسّعاير تصالي (١)

ويقرن ابن البادية بين الاكثار من ذبح الأنعام للضيوف وبـين اعداد القوة لهم فاو قدم لهم الطعام وطبه عدد من هذه الأنعـام ولم يقدم القهوة لعد ذلك معيبا ، باعتبار أن تقديم القهوة ركـن أساسى فى الكرم . قالت احداهن تمدح أحد الكرماء :

ياما قطع من راس كبش سمين : واه دلّة دايم على النّار مركاه (٢)

واقد كان اهتمام البدوى بالحصول على البن كبيرا قد يفـوق اهتمامه بالحصول على الطعام ، فانه يقطع الفيافى والقفار فى سبيـل أن يبتاع من القرى المحيطة بالصحراء أو البلدان المجاورة الـبن والهيل والقرنفل ، وأوانى القهوة ، ثم انه يحافظ على هذه المواد والأوانى كأعز مايملك خوفا من مداهمة ضيف له فلايجد مايقهويه به (٣) .

---

(١) ريف الهزال المناكيف : ربيع الجوعى العائدين من السفر المتعب كناية عن اعداد الطعام والقهوة (الكرم) يامقاط للضيوف حاو النـوال : أى مقدم للضيوف التمر ، دلال كما الغربان : سود كالغربـان ، كناية عن كثرة ما عمل فيها من القهوة ، مهاديف : اعاهن الهدف بمعنى الانتصاب أى منتصبة على النار ،السعاير : جمع سعيرة وهـى النار ، تصالى : تصطلى فيها .(الفيروزابادى : ٢٠٧/٣ ،ابن رداس ١٣١ ، ١٣٢).

(٢) يا ما قطع من راس كبش سمين : أى كثيرا ما ذبح خروفا سمينا اكراما لضيفه ،دلة دايم على النار مركاة : أى أن دلته موضوعة بجانب النار دائما استعدادا لأى ضيف قادم ، مركاة : مرتكئة أى مستنـدة (فصيحة) .(الفيروزابادى : ٣٣٦/٤ ،ابن رداس ١٢٦).

(٣) قافلة الزيت : العدد السابق ، ص٢٢ .

وتتفق القهوة مع الطعام في أسلوب تقديمها لدى البدو بخصوص الوضع الاجتماعي بينهم اذ أن أول القهوة ، وطيبها يقدم الى الضيوف الكبار ومشائخ القبيلة ووجهائها أو من خدموا القبيلة شجاعة وكرما ، أما رعاع القبيلة ومن لم يسدوا خدمات جليلة للقبيلة فلهم آخر القهوة ، ومن هنا فان القهوة بهذا الأسلوب تعتبر أسلوبا من أساليب التكريم والتقدير لدى البدوى ، وهى اذ تكرس هذه المفاهيم الاجتماعية بين البدو أكثر من الطعام فانما لأن لها دور في التخفيف من المجهود الذى يؤديه الانسان بخلاف الطعام الذى يعتبر حاجة ضرورية ، ومن هنا كانت نظرة البدوى بل النجدى عموما على أن القهوة هى صاحبة التقدير الأول بين المشروبات والمأكولات ، وهى المادة الوحيدة التى بها يكرم البدوى ضيفه لأول مرة قبل الطعام وبعده (١) .

ويحرص البدوى على صنع القهوة بطريقة تجعل الضيوف ، والمارين بالصحراء يتلذذون بذلك ويقدمون على المجئ اليها من بعيد فيدق بالنجر أول مرة اشارة الى بدء عمل القهوة ليتجمع لها الضيوف والسمار فى الليل ثم يبدأ بتجهيز مادة القهوة حمصا للبن ودما له وللهيل فى النجر وهو فى هذا يؤكد على رفع صوت النجر حتى يتزايد عدد القادمين اليه ، ويكثر من الهيل أو القرنفل " أملاح القهوة " (٢) .

وبعد أن تجهز القهوة يقف الذى يقدمها على قدميه مهما قل عدد الضيوف ، مسكا الدلة بيده اليسرى مادا الفنجال بيده اليمنى وان أى خرق لهذه العادة ليواجه بالنقد والتقريع والتعنيف ، ويحرص على عدم اكثار القهوة فى الفنجال لأن الزيادة فيها نوع من الاحتقار نظرا لأن القهوة لا تستلزمها حاجة الانسان الجسدية

---

(١) عبدالله الصقرى : من نوادر الأشعار ط (١) ١٤٠١هـ/١٩٨١م . مطابع الرياض ص ١٦١،
الراوى : ٠٣٠٥ .

(٢) الراوى ٠٣٠٧ .

بقدر ما تتطلبها حاجته الذهنية والفكرية (١).

ويعتني البدوى والنجدى عموما بأوانى القهوة وخاصة الدلة حرصا لا يتوفر لأوانى البيت الأخرى ، وهو فى هذا المجال لا يطيق أن يرى فى الدلة أى لون طارئ يؤثر من بعيد أو قريب - على طعم القهوة المتميز فيبادر بالذهاب بها الى الصناع أو الصلب ليجلوها ويطلوها بالمواد التى تحافظ على معدن النحاس الذى تصنع منه الدلة.

والى وقت قريب والنجدى عموما يحرص على اختيار أوانى القهوة وخاصة الدلة من أطيب أنواعها صناعة ويجلبها اما من بغداد كالدلال البغدادية ، أو من الشام كالدلال الرسلانية - نسبة الى رسلان وهو مشهور بصناعة الدلال - وكانت الرسلانية - بشكل خاص - تلقى قبولا أكثر لما تتميز به من دقة الصناعة وجمالها . وفى هذا تقول احدى البدويات معجبة بكرم أحد أبناء البادية :

راعى دلال متقنة عمل (رسلان) : ونجر يطقه للنشامى بجونه (٢).

أما الطباق أو التتن (٣) أو التنباك (٤) أو الدخان وهى كلها أسماء لمسمى واحد هو التبغ فقد ذكر أحد المؤرخين أن ظهوره فى العالم الاسلامى

---

(١) المرجع السابق : ٣٠٧.

(٢) راعى : صاحب ، يطقه : يدق فيه ، النشامى : الكرماء الشجعان وأحدهم نشمى ، بجونه : يأتونه . ابن رداس : ١٥٧ ، ١٥٨.

(٣) التتن : محرفة من التركية (توتون) ومعناها الدخان عامة ثم قصرت على التبغ لأن الدخان أهم سمة فيه . (مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ٦ / سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، ص ٢٠٥ من مقال للدكتور/ أحمد السعيد سليمان ، بعنوان : "تأصيل ماورد فى الجبرتى من الدخيل").

(٤) التنباك : بتشديد التاء وضمها : أخذتها التركية باسم طومباق أو تومباق من الهندية ، وقيل أنه من الفرنسية Tabac بمعنى التبغ ، وقيل أخذتها التركية عن الايطالية بصيغة تنباكو بفتح التاء ودخلت العربية بصيغة تنباك ، وقيل أصلها فارسى ، وقيل هى مركبة من كلمتين لاتينيتين =

قد بدأ سنة ١٠١٢هـ/١٦٠٣م (١) ، الا أن المنقور ذكر فى فواكهه نقلا عن الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة (ت ٩٤٨هـ/١٥٤١م) عددا من آراء العلماء فيه من المذاهب الأربعة وكلهم افتوا بتحريمة والنهى عن تعاطيه ، وبداهة فابن عطوة من عرضه لآراء هؤلاء العلماء وتأييده لها فانه ينظر الى الدخان نظرة تحريم (٢) ، والمهم أن بدء معرفة العالم الاسلامى به كان متقدما فمن المتوقع أن يكون قد ظهر بين المسلمين منذ أوائل القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى تقريبا ولا يمنع هذا أن يكون التاريخ الثانى ١٠١٢هـ هو تاريخ شيوعه وانتشاره بشكل واسع بين المسلمين ، اضافة الى أن معرفة بعض المناطق بأى عادة اجتماعية قد تتأخر عن بعض المناطق الأخرى ، على أن القضايا الاجتماعية من الصعب تحديد تاريخ لابتدائها أو انتهائها فى أى مجتمع (٣) .

= هما : Ton بمعنى وحدة ، Bacco اختصار تبغ. د. كرسى : الدخينة فى نظر طبيب ـ طبع مطابع الأصفهانى بجدة . نشر مكتبة المعارف ـ الطائف ، ص ١٠٨ ، المجلة السابقة ، العدد السابق ص ٢٠٨ .

(١) عمر الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، ط (١) نشر دار المعرفة بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م ٢/١١٥ من فقرة فى آخره بعنوان : " وقائع مهمة بعد هذا التاريخ " ليست من تأليف ابن الوردى .

(٢) المنقور : ٢/٧٨ .

(٣) يقال ان موطن التبغ الأصلى أمريكا وزرعه فيها الهنود الحمر قبل وصول الأوربيين اليها ، ثم أدخل الى أوربا عام ٩٦٤هـ/١٥٥٦م كأداة للزينة ثم انتشر شربه فيها عام ٩٩٥هـ/١٥٨٦م ، أما العالم الاسلامى فقد عرفه فى حدود سنة ١٠٠٠هـ/١٥٩١م تقريبا وأتى به يهودى يدعى الطبب الى المغرب ، ودعا الناس اليه ، وأدخله الى تركيا العثمانية رجل نصرانى ووصل الحجاز عن طريق الحجاج المغاربة والهنود ، وقد بلغ من افتتان كثير من الناس به أن أطلقوا عليه اسم " طابه " وألف فيه امام وخطيب المسجد الحرام عبد القادر بن محمد الحسينى الطبرى (ت ١٠٣٣هـ/١٦٢٤م) رسالة أسماها " رفع الاشتباك عن تناول التنباك " وذكر فيها أن أجوده الذى يأتى من الهند قد بيع بمكة بعشرين دينارا للرطل مما يدل على رغبة

=

وعلى أي حال فنتيجة لاحتكاك البدو بالحضر في الأمور التجارية وغيرها فقد حصل تأثر الأولين بالآخرين في شرب الدخان ، وهذا كله نتيجة لاحتكاك حاضرة نجد بسكان المناطق المجاورة سواء كان في الخليج أو الحجاز أو الشام أو العراق أو غيرها من البلدان ،اضافة الى من الممكن أن تكون بادية نجد قد عرفته من هذه المناطق بشكل مباشر حيث أنها تمارس الامتيار والاتصال الاجتماعي معها بشكل خاص ،ولا يستبعد المرء أن يكون انتشاره في نجد عامة وباديتها على وجه الخصوص عن طريق أوائل الرحالة الغربيين الذين كانوا ، فعلا - يغرون أبناء البادية البسطاء أن يعطونهم معلومات ويساعدونهم على اجتياز الصحراء بأمان مقابل حفنات من البن والدخان وقطع من الأقمشة ، والتي لم تجعلهم يجتازون الصحراء آمنين بل يحلون على البدو محبوبين معززين مكرمين (١)

ولم ينتشر الدخان بين أبناء البادية بشكل واسع في أوائل هذه الفترة الا أنه أصبح فيها وفيما بعدها من الانتشار بحيث عد سمة من سمات الكرم البدوي بعد الشجاعة لدى بعض البدو لأنهم يقرنون بينه وبين القهوة ،واطعام الطعام ، فان يذبح دوما لضيوفه وقبيلته ، ويدير القهوة كثيرا على زائريه ومارى الصحراء ،ويفتح أكياس تبغه ليملأ أصحابه وضيوفه غلايينهم ، ويشرك أصحابه وأقرباءه من غنائم غزوه يكتسب في نظر قبيلته احتراما وقدرا قد يفوق قدر واحترام شيخ القبيلة نفسه ،ومن هنا كان للتبغ لدى البدو قدرا لا يقل عن القهوة (٢) .

= بعض الناس به ، أما علماء نجد - قبل الدعوة - فقد وقفوا منه موقف التحريم فعلاوة على ابن عطوة ، ألف الشيخ عبدالله بن عضيب (١١٦١هـ/١٧٤٨م) رسالة في تحريم الدخان . أسماها (الأفعى) ، وفصل المنقور القول فيه مبينا آراء العلماء وفتاويهم ،(المنقور : الفواكه : ٢/ ٧٨-٨٧ ، عبدالله البسام : علماء نجد : ٢/ ٥٢٠ ، الموسوعة الميسرة ٤٨٩ مادة تبغ ، مجلة العرب ج ٩ ، ١٠ س ١٢/ ص ٦٨٦ ، مجلة الحرس الوطني ص ٥/ ٢/ ١٠٨).

(١) بيرين : ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، الدارة ع ٣/ س ٣/ ص ٢٢ .

(٢) بيرين : ٢٢٥ .

ونظرا لأن صناعة التمباك تتطور فقد كان يصل الى البادية اما بأكياس أو بالوزن وهم يمتارونه عن طريق بعض تجار نجد في تلك الفترة الذين يجلبونه اما من الخليج أو من جدة التي وجد فيها اثنان وثلاثون تاجرا لا يتعاطون الا تجارة التبغ(١) ، وقد يأتيهم عن طريق الرحالة الغربيين الذين يجوبون الصحراء - كما مر .

وكان انساء البادية وقفات ضد انتشار التبغ فجعلن ينصحن أزواجهن بتركه مبينات مضاره على الجسم والأسنان والمال ، وذلك في حدود النصيحة لأنهن ما يلبثن أن يعتذرن اذا رأين من الزوج اصرارا عليه ، فهذه زوجة ابن هذال " أمير الحبلان من عنزة " تقول ناصحة زوجها عن شرب الدخان :

يا شارب الدخان شاربك لا طال	: اياك وايا واحد جاز دونه
مادام به نقص على الحال والمال	: أيضا وشرّابه بدمّر سنونه

فغضب ابن هذال لقولها هذا فاسترضته بأبيات يشم منها رائحة التهكم بالمدخنين :

شرّابة التّنباك فيهم سعة بال	: واللّى طويل شاربه يقصرونه
يستاهل التّنباك مثل ابن هذّال	: اللّى يصرّه في مثاني ردونه (٢)

---

(١) جاكلين بيرين : ص ٢٣٦ .

(٢) شاربك لا طال : لن يطول شاربك ، والمقصود : ان تبغ المجد ، اياك ، وايا واحد جاز دونه : أي قارن نفسك وأنت تشرب التبغ مع شخص سليم منه تجد الفرق صحة وغنى وطيب نفس . مادام به نقص على الحال والمال : أي مادام أنه ينقص من صحتك ومالك، وشرابه يدمر سنونه ، كما أن شاربه أسنانه تسود وينخر فيها المرض ، شرابة : جمع شارب ، سعة بال : أي سعة صدر . وواضح تهكمها والا فالمدخنون فيهم ضيق نفس وعدم تحمل ، اللى طويل شاربه يقصرونه : الذى يتطاول عليهم يردعونه دون قصد ، يستاهل : يستحق ، يصره : يربطه ، في مثاني ردونه : داخل اكمامه الواسعة .(ابن رداس : ١ ٥٨)

أما هذه البدوية فيبدو أن نصحها قد أثر على زوجها فترك شرب الدخان ، ولعل لصوغ أبياتها دور في ذلك فان على عكس أبيات زوجة ابن هذال فيها مخاطبة لقلبه واستدرارا لعاطفته قالت:

لا تشرب التتن يا المطوح : يخرب ثناياك يا الغالي
لولاك عندي وزين الروح : ماشرتلك يابعد حالي (١) .

ورغم أن وسائل شرب التبغ لم تكن متطورة في ذلك الوقت فقد وجدت الغلايين التي كان يجلبها التجار النجديون الى البادية من جدة التي كان يباع فيها الغلايين بكثرة (٢) ، وربما حصل عليها البدوي أثناء الحج ، الا أنه يبدو أن السجائر لم تكن موجودة في ذلك الوقت فقد كان بعض البدو يشترون التبغ وزنا أو جزافا ويلفوه بقراطيس أو يشربونه بواسطة الغلايين التي يبدو أنهم كانوا يحصلون عليها أيضا عن طريق الرحالة الغربيين .

وعلى أي حال فان البدوي الذي بلي بالتبغ لاتهمه الوسيلة التي يشربه بها ، فقد يشربه ملفوفا في خرقة أو قد يشربه بواسطة العظام الصغيرة القديمة التي تأتي على شكل غليون والمنتشرة في في الصحراء ، قال أحد شعراء البادية الذين بلوا بالتبغ :

لولا شراب العظم يوم انّي أملاه : أكويه بالجمرة ويكوى جروحي

---

(١) المطوح : الطايح أو الجميل أو الغالي ، يخرب ثناياك : يفسد أسنانك ، لولاك عندي وزين الروح : أي لولا أنك عندي تعدل نفسي من الحب ، ماشرت عليك ، لم أبدلك مشورة ، يابعد حالي : هذا دعاء بأن تكون فداء له وأن تموت قبله . (ابن رداس : ٢٦٨)

(٢) بيرين : ص ٢٣٧ .

مع دلّة صفرا على النّار مركـاه : أبصر بصبتّها على كيف روحـي
لا طق طقّـة محّة البيض خباه : لا قام هاجوس الضّماير يجوحـي (١).

أما النارجيلة (٢) ، فيبدو أن ابن البادية في تلك الفترة لم يعرفها ، ولعل ذلك راجع الى كثرة ترحاله وتنقله وغزواته التي يصعب معها حمل النارجيلة في كل وقت بخلاف التبغ الذي يمكن أن يحمله في أكمام ثوبه - كما مر ، ولم أجد أثرا يبين استعمال البدوي لها على عكس ابن الحاضرة ، ومما لا شك فيه أن المدخنين من أبناء البادية لم يكونوا بالكثرة التي يعتقد أنها طغت على مظاهر الحياة الاجتماعية البدوية ، لكنها على أي حال ظاهرة تستحق الرصد والتحليل والنقد.

---

(١) عبدالله الصقري : المرجع السابق ، ص ١٢٨ . لولا شراب العظم..الخ : لولا أني أشرب التبغ بالعظم حالة كوني أملأه تبغا وأشعل النار فيه ليكوي جروحي ، مع دلة صفراء..الخ : أي ومع الدخان أشرب قهوة من دلة صفراء موضوعة على جانب النار وأسكب منها ما يجعل نفسيتي تتكيف وترتاح . . . لولا هذا كله ، لا طق طقة محة البيض..الخ : أي لا قوم من مجلس فزعا عند أدنى هاجس يختلج في ضميري ، والمعنى لا أتحكم في أعصابي .

(٢) النارجيلة أو النارجيل : هو جوز الهند وقد يهمز ، وهو معرب أصله العربي (المقل) ، وهو نخلة طويلة تشبه نخلة التمر الا أنها أدق منها وألين نبعا ، ويكون في قنوها الكبير ثلاثون نارجيلة ولبها لين له خاصيات وهناك نارجيل البحر له خاصيات أخرى ، ويؤخذ من جوز الهند مادة النارجيلة التي تدخل عناصرها في مشروب النارجيلة أو الشيشة أو البربورة كما كان يعرفها حضر نجد في تلك الفترة . (الفيروزابادي ٤/٥١ ، ٥٦ ، وذكر فيها أن اليهود كانت تتدخن به ، الزبيدي ٨/١١٨ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، الموسوعة العربية ٦٦٤ ، ٦٦٥ مادة جوز الهند)

٦ - الخوة[1] أو دبلوماسية البدو:

لن أتطرق للخوة كمصدر اقتصادى هام للبادية عموما، وبادية نجد التى تقع على طريق الحجاج وقوافل التجارة على وجه الخصوص. .. وانما سأبحث الخوة كنموذج للعلاقات الاجتماعية التى كان متعارفا عليها بين البادية أنفسهم فى ذلك الوقت وبين الحاضرة والبادية.

لقد كانت الخوة التى تنشأ بين مختلف القبائل والعشائر البدوية تحكمها نوع العلاقة الاجتماعية بين هذه القبائل والعشائر من قرابة أو حلف أو صداقة أو عداوة :

١ - علاقة القرابة : تلتزم القبيلة التى يكون جزء منها متحضرا والجزء الآخر بدويا فيما بينها على حماية الحضر منها أثناء اجتيازهم الصحراء للحج أو التجارة أو الاعتشاب(٢) من كلاء الخلاء فترة الربيع، ويتعاون البدو والحضر فى بعض القبائل تعاونا وثيقا، فقد يستغنى البدو عن ابلهم التى يستخدمونها فى الغارات والحروب ليؤجروها لاخوانهم الحضر الذين يستخدمونها طيلة ثلاثة أشهر فى مشروعات الرى لقاء كمية من القمح والتمر،

---

(١) الخوة مأخوذة من الاخاء والتآخى، والمقصود منها فى نجد الرفقة فى الطريق والحماية من قطاع ولها جانبان، اجتماعى وهو مدار حديثنا واقتصادى ويدخل فى الحياة الاقتصادية لدى البادية وهو الذى يتقاضى عنه رسم " الاخاوة ". وقد أطلق أحد الكتاب على هذه العلاقات اسم دبلوماسية البدو ولا شك أن هذه التسمية وان كانت حديثة ومقننة الا أنها من باب التجاوز يمكن اطلاقها على هذه العلاقات. انظر(صحيفة السياسة الكويتية عدد ٤٨٧٣ سنة ١٦ الخميس ٢٥ ربيع الأول ١٤٠٢هـ/ ٢١ كانون ثانى /يناير ١٩٨٢م ص ٢٠).

(٢) الاعتشاب، فصيحة من العشب وهو الكلاء الرطب والتعشب والاعتشاب أصوب من الاعشاب سواء كان ذلك من فعل الانسان أو الحيوان. (الفيروزابادى: ١٠٤/١، الزبيدى: التاج: ٣٨٢/١ مادة عشب).

واذا حصل هجوم سواء كان على الحضر أو على البدو تواعد الجميع للقتال سواء كان لرد ذلك الهجوم أو القيام بهجوم مثال ما أدى الى اكتساب الحضريين فى بعض القبائل - كشمر مثلا - نوعا من صفات البادية ، فيذهب عدد من سكان القرى والمدن خلال الربيع الى البادية بخيلهم وابلهم وقطعان أغنامهم للرعى وجمع الحشيش (١) ، كما أن لأكثر الأسر البدوية مزارع ، ونخيل ، وان تضامن الحضر مع البدو فى أى قبيلة ليسهم اسهاما عظيما فى زيادة سلطتها ونفوذها ... ، وهذا التعاون لا يترتب عليه أى التزام مادى ولكنه التزام تفرضه القرابة والعصبية (٢).

٢ - علاقة الحلف : وغالبا ما تكون من البدو فتتحالف القبيلة الضعيفة مع القبيلة القوية على أن تقوم بحمايتها من اعتداء المعتدين من القبائل الأخرى ، ولا يترتب على قيام القبيلة القوية بذلك أى التزام مادى ، الا أنه يبدو أن الضعيفة تعترف بسيادة القوية عليها ، مع اشتراط أن تكونا متعادلتين فى نقاوة النسب (٣).

ولعل اشتراط نقاوة النسب له ما يبرره اذ أن هاتين القبيلتين ربما اضطرتنا للتزاوج فيما بينهما - والبدوى شديد الحرص على نقاوة نسبه - ، وقد تضطر الضعيفة - مع مرور الوقت - الى الحاق نسبها بنسب القوية ، وقد تضعف القوية فتلحق نسبها بنسب الضعيفة التى ربما تقوت ، فاذا كانتا متعادلتين فى النسب لا يقف أمام ذلك حائل .

---

(١) الحشيش لفظة فصيحة من فعيل بمعنى مفعول وهو العشب بعد حشه وجمعه .(الفيروزابادى ٢/ ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، الزبيدى : التاج ٤/ ٢٩٧ ، ٢٩٨)
(٢) جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .
(٣) جاكلين بيرين : المصدر السابق ص ٢٧٨ .

وقد ينشأ الحلف بين مجموعة من القبائل ،أو مجموعة من العشائر الضعيفة على أن تجتمع لتحمي نفسها من القبائل القوية ، وتتخذ لها مواقع قريبة من بعضها ، ويتكون بعد ذلك حلف تنتسب اليه هذه القبائل كما حدث مع قبيلة " سبيع " التي دخلت معها بالحلف قبيلة " بني ثور " ، "والعرينات " فصار لها مالها وعليها ما عليها ، فأصبحت قبيلة " سبيع " تضم مجموعة قبائل تتحالف فيما بينها وتدين بالولاء للقبيلة الأم " سبيع " ، وكما حصل من آل بريك من الدواسر الذين تحالفوا مع شمر فأصبحوا منهم (١) ، وأن هذه القبائل لتشبه الكيانات السياسية الصغيرة التي تتفق فيما بينها لتكون كيانا سياسيا كبيرا يحميها من اعتداء المعتدين وطمع الطامعين .

٣ - علاقة الصداقة : وتكون في الغالب بين القبائل القوية التي لا تستغني عن اقامة هذه العلاقة فيما بينها اتقاء لشر قطاع الطرق من كلا القبيلتين لئلا يغير أحدهما على الآخر ، وتأمن بموجبها من أن يلقى أي فرد معاملة سيئة من القبيلة الأخرى ، الا أنه لا يحق لأي قبيلة أو عشيرة أن تمنع صديقتها من الاغارة على أي قبيلة أخرى أو على أي قافلة تريد ، مالم يكن معها هذه القافلة " خوى " من القبيلة الصديقة (٢) .

وتشبه هذه العلاقة علاقة الصداقة بين الدول التي تقوم علاقاتها على النّدّية فيما بينها ، منعا للاعتداء ، وتحقيقا للمصالح المشتركة بين الطرفين .

ولا يترتب على اقامة هذه العلاقة أي التزام مادي لكن كل قبيلة تسهل للأخرى تحقيق مصالحها في الرعي ،وتساعدها اذا تعرضت للهجوم من قبيلة أقوى منها .

---

(١) الشيخ عبدالله عبدالرحمن البسام: علماء نجد خلال ستة قرون ٢/ ٥٩٨ ، محمد بن أحمد السديري : أبطال من الصحراء ١/ ١٠٦، ١٠٧ .

(٢) جاكلين بيرين : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .

٤ - علاقة العداوة : وذلك في حال انعدام العلاقتين الثانية والثالثة فتتوتر العلاقات بين القبائل وحينئذ ترفع يد كل فرد من أفراد القبيلة أو العشيرة على كل فرد من أفراد القبيلة ،أو العشيرة العدوة ، ولا تكف القبائل عن الاعتداء فيما بينها الا اذا كونت فيما بينها هدنة قد تتحول الى صداقة والا فان أي مجتاز من أحد القبائل المتعادية للصحراء التي تقطن فيها القبيلة المعادية لقبيلته .. عليه أن يدفع رسم مرور " اخاوة " والا تعرض للسلب والنهب من هذه القبيلة .. واذا كان الغالب على هؤلاء المجتازين عدم الدفع لهذه الاخاوة لأنهم يعتبرونها ذلا واهانة ، فانهم قد يتعرضون - اضافة الى السلب والنهب - للأسر وعند ذلك ينطبق عليه نظام " الربيط " الذى سيأتي بيانه (١).

وان التاريخ السياسي لمنطقة نجد بشكل عام والبادية بشكل خاص .. ان هذا التاريخ ليحفل بالكثير الكثير من الغارات والغزوات التي تتعرض لها الحاضرة من البادية والقبائل البدوية فيما بينها .

ويعتبر عدوا لأي قبيلة كل عابر سبيل عادى ، واذا ما أراد أن يجتاز الطريق الذى يمر بهذه القبيلة عليه أن يختار مرافقا منها يعطيه مبلغا من المال يتفق عليه فيما بينهما وينطبق هذا على القوافل التجارية التي تجعل لها في كل قبيلة تتوقع الدخول الى أراضيها " أخوة " من هذه القبيلة تقدم لها منحة سنوية مجزية مع عمولة نقدية (٢).

---

(١) جاكلين بيرين : المصدر السابق ، ص ٢١٨ ، ٢٧٨.
(٢) " " : " ، ص ٢١٨.

الا أن هذا لا يكفي فقد تصادف القوافل وهي تجتاز الصحراء ومعها "الخوى" .. قد تصادف فريقا من قبيلة ليس معها من ينتمي اليها فتتعرض للنهب والسلب ولا يستطيع هذا "الخوى" أن يعطل شيئا .. صحيح أن القبيلة تتعهد مقابل رسوم الاخاوة أن تحمي دافعها من كل الأخطار ، ولكن ضمن حدود أراضيها فقط ، الا أن العادة جرت أن لا يجتاز أحد موطن (١) قبيلة ما الا ومعه خوى منها أو من حلفائها ،فاذا أراد اجتيازه الى موطن قبيلة أخرى بحث عن خوى من هذه القبيلة الثانية أو من حلفائها وهكذا .

ويبدو أن بعض القبائل تتعهد بأن توصل دافع الاخاوة الى بر الأمان وذلك لأنها تكون قد اتفقت مع القبائل الأخرى على عدم التعرض للقافلة التي يكون معها "خوى" منها .. والا اعتبر ذلك انتهاكا لشرف القبيلة كلها ، وتدفع القبيلة المعتدية ثمن ذلك غاليا ، فلا يكفي القبيلة الحامية أن تعيد القافلة ما سلب منها بل انها تقوم بسلب القبيلة المعتدية اثر حرب طاحنة تأخذ من أفرادها أسارى ، وهذا ما حدا بركهارت للقول عن هذه القبائل الحامية :"ان السلامة تشترى منهم شراء ، ولكنها سلامة مضمونة "(٢) .

ونظرا لأن البدو يعدون الحضر أعداء طبيعيين لهم في تلك الفترة ، فانهم لا يسمحون لهم أن يضربوا أطنابهم بجوارهم — وخاصة في فترة الربيع التي يحرص الحضر فيها على الرعي وجمع العشب والحطب ، الا اذا اشترط الجوار منهم وعند ذلك أحيانا يلتزم البدو بحماية الحضر ،لكن الحضر بقدر ما يكونون أقوياء وكثر بقدر ما يزداد امتناعهم عن تنفيذ مطالب البدو بالرحيل عن جوارهم ،وتنشأ من جراء ذلك حروب بدوية حضرية يكون البقاء فيها للأغلب (٣) .

---

(١) ابن بليهد :صحيح الأخبار ٢/ ١٢٦، ١٢٧ ،وقد ذكر فيها نماذج من الخوة ،وانظر مجلة الدارة ع٢/ س٣/ ٢١ ص،جاكلين بيرين ص٢١ .

(٢) جاكلين بيرين ٢١٨

3-Mohammed thenayan.AL thenayan:history.Writing in nagd.P13.
وجاكلين بيرين ٢٧٨ .

٧ - نظـــام الغـــزو :

من المعروف أن الغزو يعتبر من أهم الأنشطة الحياتية لـــدى البدو ، وهم يعتبرون أنفسهم مضطرون له ، فهم لايستطيعـــون العيش طويلا فى حالة سلام ، والا نقصت ثرواتهم . الأمر الذى يصبـح معه الغزو والحرب ضروريان فى حياة البادية .

ولكن البدوى ينظر للغزو من ناحية أخرى ، انه ينظر اليه علــى أنه زاد روحــى لنفسه التواقة الى الشجاعة والفروسية ، ثم انه ينظر اليـه على أنه حاجة أدبية لاستكمال الرجولة ومظاهر الهيبة ، ومنعة الجانب فى قيامه باستعراض قوته ومواهبه أمام القبائل الأخرى ، وحتى يجـــد ما يتمجد به أمام شباب قومه الذين يرون فى ترك الغزو اذهابا للشجاعـة ، واطفاء لنار الحمية ، والبدوى من هذه الناحية لاينظر الى الغزو كأسلـوب لكسب العيش والثراء فحسب ، فهو يلقى بنفسه فى المهالك ، وقد يبذل من ماله ومن شباب قومه أضعاف مايكسب من الغنائم التى قد لايستفيد منها بل يفرقها على قومه قبل وصوله الى أهله .. ولكنه ينظر اليه كوسيلة لكسب الهيبة والسمعة الأدبية (١) .

وعلى كل فقد أخضع البدو الغزو لنظام دقيق وكامل ومنظـــم ، ومرجع ذلك كل قانون الشرف الذى يحرص البدوى على أن يطبقه علـــى نفسه بصرامة (٢) .

ولعل أهم ما فى هذا القانون هو عدم جواز القتل - بأى حال مـن الأحوال - الا اذا كان ثأرا يراد الانتقام له (٣) .

---

(١) جاكلين بيرين : ص ٢٢٣ ، عبد الجبار الراوى : البادية ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .
(٢) Burckhardt, Nots on the Bedouins. And wahabys, 1/158.
(٣) جاكلين بيرين : ٢٢٣ .

وان فى نظام الغزو ولدى البادية بعض التفاصيل المشوقة التى بالغوص فيها يتضح أبرز جانب فى الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد قبل الدعوة .

فعندما يقرر رئيس الغزو – وهو ليس بالضرورة شيخ القبيلة ولكنه شخص محترم من وجهائها ... عندما يقرر القيام بغزو بعيد ، فانه يجمع الفرسان ، ويجعل مع كل واحد منهم رفيقا أو اثنين يركبان جملا قويا ، وتتقدم الابل حاملة الطعام والشراب على الخيول التى تسير خلف الابل فى أول الأمر حتى لا تتعب قبل الساعة الحاسمة ، فاذا اقتربت الخيول من الابل حدد رئيس الغزو ثلاثة أمكنة على المرافقين أن ينتظروا فيها الفرسان الذين يندفعون الى الامام للهجوم على القبيلة المقصودة . وتكون هذه الأمكنة على مسافات متباعدة يكون أولها قريبا من المخيم المقصود ، والثالث يبعد عنه مسافة يوم ، وينتظرون فيه ثلاثة أو أربعة أيام حتى اذا انتهت هذه المدة ولم يعد المهاجمون فان عليهم أن يرجعوا مسرعين الى موطنهم حتى لا يلحق بهم العدو ، واذا نجحت الغزوة فى الحصول على غنائم ، فان الرفيق يكافأ بناقة واحدة حتى ولو لم يحصل صديقه الفارس الا على جمل واحد .

ويحدث فى هذه الغزوات البعيدة أن يهلك جميع الفرسان اذا تمكن المخيم المهاجم من صدهم ، وقطع الطريق بينهم وبين رفاقهم الذين معهم الطعام والشراب ، فعندئذ لا مفر من أن يهلكوا فى الصحراء القاحلة أو يستسلموا ليتعرضوا للتجريد والسلب وربما التربيط كما سيأتى (١).

وهكذا نرى أن القوة هى الفيصل فى هذا النظام الذى ليس الهدف منه السلب والنهب فحسب بل هناك هدف آخر وهو احتلال موارد المياه ومواطن الكلأ لهدف أكبر من ذلك وهو استلام مركز الصدارة بين قبائل نجد يوضح ذلك ما كانوا ينتخون به فى هذا الغزو من شعار أصبح بعد ذلك مثلا لكل من يريد زعامة أو امارة : " نجد لمن طالت قناته " (٢) .

---

(١) Burckhardt, Nots 1/139 - 137.

(٢) خيرالدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز – الطبعة الثانية دار العلم للملايين – بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ١٠/١/١١١ ، ومجلة الدارة ع١/س٤ ، ص ٢٧ ، ٢٨ من مقال للدكتور عبدالله العثيمين .

ويقرر بركهارت على ضوء اقامته بين البدو أنه عندما يأتي الغـزو من مسافة بعيدة ليهاجم مخيما ما فانه لايهمه مافي الخيام مـن ممتلكات وعتاد بل يسرع بقيادة الابل والخيول ، وعلى العكس من ذلـك اذا كان معسكر العدو قريبا ، فان المنتصرين يأخذون معهم الخيـام بجميع ما فيها ، ويبدو أنهم يفعلون هذا لقربهم من منازلهم ، وفي هذه الحالة التي يكونون قد انتهزوا عدم وجود مدافعين من العدو فـان الشجاعة من النساء تستطيع أن تسترد أحد جمال زوجها بترجيها رئيس الغزو الذي يرى أنه من الشرف أن يعطيها ولو جملا واحدا ومن نصيبه الخاص (١).

وفي هذه الحالة من الغزو والتي تكون على مستوى كبير ، ولمسافة بعيدة ، واحد و مقصود فان قسمة الغنائم تتبع أسلوبين هما :

١ – كل فارس يسلب مايسلب فهو لحسابه هو ، وذلك بأن يكون هـذا السلب لأول من يلمسه ولو لم يأخذه الا بعد فترة المهم أن يكـون أول من لمسه سواء كان بحربته أو بعصاه أو بيده ، ولهذا فان كـل واحد من الغزو يسارع الى لمس أكبر عدد ممكن من الابل أو الخيول مشهدا أحد أصحابه بأنه لمسها (٢).

٢ – يتم تقسيم الغنائم تقسيما متساويا وذلك بعد أن يحصل رئيس الغـزو على جزء لابأس به – عشر المسلوبات – بالاضافة الى نصيبه العادي كعضو من أعضاء الغزو .. هذا اذا كانت المسلوبـات كثيرة والغزو قليل ، أما اذا كان الغزو كثير والمسلوبات قليلة فان رئيس الغزو يجمعها أمام خيمته ويوزعها بين أعضاء الغزو توزيعـا متساويا – ويأخذ حقه كعضو من أعضاء الغزو فقط .

---

(١) Burckhardt. Nots... 1/140, 139, 138.

(٢) المصدر السابق . 1/141

وتختلف القبائل في توقيت غزوها، فعنزة مثلا لا تقوم بالمهاجمة في الليل اذ أنهم يعتبرون ذلك " بوقا " أي خيانة يترتب عليها مذبحة عامة لا تريدها القبائل فيما بينها ، أما قبيلة شمر فانها تهاجم العدو بالليل وهم يسمون هذا " بيات أو بياتة " (١) يتم على أثرها سوق الماشية ، لكنهم لا يأخذون الرجال ولا النساء ولا العبيد أسرى ، ولا يقتل البدوى عامة من لا يقاوم الا من كان له عليه ثأر (٢) .

ويفشل الهجوم في حالة ما اذا أشعرت القبيلة المقصودة بواسطة من كانوا بين ظهراني العدو سواء كانوا من أفرادها أو المتعاطفين معها ، وقد يشعرها أحد أفراد القبيلة المعادية لرغبته في انقاذ بعض أصدقائه ، ويطلق على أحد المشعرين " نذير " حيث تكون القبيلة المقصودة قد استعدت لهم فتحصل معركة فاصلة قد لا تنتهي الا بازاحة القبيلة المهاجمة عن مواطنها ، ومن هنا فان الغزو الذى على مستوى مفرزة من القبيلة يتطور الى حرب مكشوفة بين قبيلتين تنتهى بتنقلات قبلية تتغير بمقتضاها حدود هذه القبائل (٣).

ولقد زخر تاريخ الغزو لدى القبائل النجدية بغزوات عديدة فيما بينها أثرت على الوضع القبلي حيث ينتج عنها — وخاصة الكبيرة — ازالة قبيلة من مرابعها لتحل محلها فيه قبيلة أخرى ، وشيئا فشيئا حتى تكثر هذه القبيلة ويكثر أحلافها فتتسنم زعامة القبائل النجدية الأخرى ، بل تصبح مرهوبة الجانب في نجد جميعها حاضرة وبادية مما جعل الوضع

---

(١) البيات والبياتة فصيحتان ، والمعنى الايقاع بالليل وقد وردت عدة آيات كريمة بهذا المعنى منها قوله تعالى : " وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون " ،الأعراف آية (٤) بياتا : ليلا ، والقائل النائم بالظهيرة ، والقيلولة : نوم ،نصف النهار اذا اشتدت القيلولة ،(الشوكاني التفسير ٢/ ١٨٨).

(٢) Burckhardt. Nots 1/142, 141.

(٣) المصدر السابق: 1/13,142

القبائل فى نجد يتغير فترة بعد أخرى ، فتختفى أسماء قبائل من الوجود نهائيا - وان كان يبقى منها أسر تحت أسماء أخرى ، وتضعف قبائل فلا يعد لها ذلك المجد والقوة اللذين كانت تدل بهما على سائر النجديين كما سبق بيان جانب منه عند الحديث على بادية نجد قبل الدعوة ضمن الكلام على الفئات الاجتماعية فى نجد (١).

ويمكن للباحث اعتبار الغزو عاملا من عوامل الطرد السكانى من نجد سواء كان ذلك فى فترات الخصب والنماء حينما تفد قبائل من جنوب الجزيرة أو من غربها مزيحة القبائل النجدية الأصلية عن أماكنها فتضطر هذه القبائل الى النزوح شمالا وشرقا أو غيرهما من الجهات تحت ضغط هذه القبائل الجنوبية لتضغط هى بدورها على قبائل هذه الجهات أو تعيش معها بسلام، أو سواء كان ذلك فى فترات الجدب والمحل حينما تضطر بعض القبائل النجدية أو جزء منها الى النزوح منها الى الجهات الأخرى وخاصة بلاد الرافدين والشام فتبعد قبائل هذه الجهات أو جزءا منها أو تعيش معها بسلام لتصبح بعد ذلك من قبائل هذه المناطق ناسية الوطن الأصلى لها ، ومن هنا جاء انقسام كثير من القبائل النجدية الى أقسام بعضها فى نجد والبعض الآخر فى مناطق أخرى بل وجود قبائل نجدية بأسمائها القديمة التى لم يعد لها فى نجد أى ذكر (٢).

---

(١) ابن بابطين : صحيح الأخبار ٢/١٢٧ - ١٣١.

(٢) س. هـ. لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، وقد ذكر فيها نزوح قسم من قبيلتى شمر وعنزة الى العراق والشام ، كما ذكر قبيلة بنى لام من ضمن القبائل العراقية ، وانظر: الحلاق - حوادث دمشق اليومية ص ٨٨ ، ١٠١ ، ١٨٦.

٨ - السلب والسرقة :

من الصعب اعتبار أبناء البادية لصوصا بشكل عام كما ينظر الى ذلك الغربيون الذين قاموا برحلات الى شبه الجزيرة العربية ، غير أنه - في الوقت نفسه - لا يمكن اغفال دور قسم كبير من بعض القبائل البدوية في أعمال اللصوصية وقطع الطريق .. لكن بوركهارت الذى عاش فترة متنقلا بين البدو يقرر بأنه يجب أن لا نلصق بهذه الممارسة مفاهيم الاجرام نفسها التى نحتفظ بها لقطاع الطريق ومقتحمى المنازل فى أوربا ، فاللص العربى يعتبر مهنته مهنة شريفة ، ومن يسرق من المخيم ، أو بين القبائل الصديقة - يوصم بالعار ، لأن أساس الفخر فيما يتعلق بالسرقة هى أن تكون من الأعداء (١).

واذا قرر البدوى قطع الطريق أو الاغارة على مخيم بطريقة سرية لنهب أى شىء تقع عليه يده ، فانه يأخذ معه عددا لا بأس به من الرفاق ، ويأخذون معهم زادا قليلا من الدقيق والملح أو التمر ، وقربة صغيرة من الماء ، ويبدأون رحلة على الأقدام قد تستغرق ثمانية أيام ، وفى الغالب فان اللصوص وقطاع الطرق لا يركبون ، وعندما يصلون قريبا من المخيم المستهدف ، يبعثون نحو الخيام ثلاثة من أجرأهم ، عليهم أن يصلوها فى منتصف الليل ، بعد التأكد من نوم أهلها ، وعلى البقية انتظارهم على مسافة قصيرة من المخيم ، وتبدأ مهمة الثلاثة من خلال أدوارهم التى أوكلوا بها ، فأحدهم يسمى " المستنبح " ويتخذ موقعه خلف الخيمة المستهدفة محاولا اثارة انتباه كلاب الحراسة التى تهاجمه فى الحال ، فيهرب فتتبعه الى مسافة بعيدة عن المخيم ويبدو أنه يربطها أو يسامها للمنتظرين ، وفى الغالب

1- Burckhardt. 1/158 , 157.

وجاكلين بيرين : ٢٢٣، ٢٢٤

يشغلها بنفسه حتى يتم رفاقه المهمة ، وهكذا يتم تخليص المهمة من هذه الكلاب ، وسمى المستنبح لأنه يثير الكلاب فتنبح لاثارة أهل المخيم الذين قد لايستيقظون ، أو عندما يستيقظون ولا يرون أحدا يأمنون .

وهنا يأتى دور " زعيم الفرقة " وهو الماص الكبير ، الذى يتجه نحو الابل ليفك حبالها ويقود واحدة من النوق الى خارج المخيم فتتبعه الأخريات بدون أية حركة يمكن أن تستفز أهل المخيم لأن الابل لاتحدث صوتا اذا لم يكن عليها حمل .

أما الثالث ويسمى " القعيدة " لأنه يجلس عند مدخل الخيمة لئلا يخرج منها أحد ومعه عصا طويلة وثقيلة يرفعها عند المدخل ليطرح بها أى شخص يحاول أن يتقدم الى أن يهرب الزعيم بالابل فيتخلص بطريقة ما — من أهل المخيم ليلحق به ، فيسوق معه الابل التى قد تصل الى ٥٠ جملا بسرعة الى مكان اللقاء .

وتبدأ بعد ذلك قسمة الغنائم ليأخذ رئيس المجموعة والممثلون الثلاثة الرئيسيون حصة أكبر من الغنيمة (١) .

أما اذا فشلت المهمة فان نتائج عكسية تنتظرهم بالسجن كما فى الربيط ، أو قد يسلموا ولكنهم يخسرون ماسلبوا كما فى الدخيل .

٩ — <u>نظام الرّبيط والدّخيل (٢) :</u>

نظرا لأن هذين النظامين متداخلان فيما بينهما فمن الصعب القاء الضوء على أحدهما مستقلا عن الآخر .

1- Burckhardt, 1/160 -158,

وجاكلين بيرين : ص ٢٢٤ .

(٢) ان نظام الدخيل بمثابة حماية سياسية للمجرم ،كما أنه أسلوب لتخليص الربيط من أسره . وهو نوع من أنواع الاستجارة والحماية وبعض القبائل تقصر الدخالة على أبناء قبيلتها فقط ، وهذا النظام وان كان يعتبر نوعا من النخوة والتكريم الا أنه فى المقابل يعتبر أسلوبا من أساليب ضياع الحقوق =

قد تفشل مهمة اللصوص بأن يراهم جار للخيمة المستهدفة فيوقظ أصدقاءه من أهل الخيام الأخرى ليحيطوا بهم، والذى يمسك واحدا منهم فانه يعتبر ربيطا له " أى سجين ".

ثم يبدأ الربّاط بسؤال ربيطه عن غرضه مع ضربه على رأسه فيرد الربيط "جئت للسرقة ولكن الله أطاح بى " فيقوده الى خيمته حيث يثير أسر أى لص ابتهاجا كبيرا ، ولكى لا يهرب بسهولة أو يصبح دخيلا لأى أحد : تحفر حفرة فى أرض الخيمة نحو قدمين ويمدد فيها الأسير بعد ربط قدميه ويديه بالسلاسل الى الأرض ، ويشد شعره الى وتدين على جانبى رأسه ويثبت حول الحفرة أعمدة يوضع فوقها أكياس الحبوب أو أى شىء ثقيل ، ويترك فتحة صغيرة فوق وجه الربيط ليتنفس من خلالها ، وسنرى كيف أن هذه الفتحة تؤدى دورا مهما فى خلاصه ، ويحاول الرباط أن يستخرج منه أى فدية لكنه - ان كان - من عائلة غنية نفى ذلك مصورا نفسه شحاذا أو فقيرا ، الا أنه اذا عرف الرباط بحقيقته فان عليه أن يدفع فدية كبيرة ، واذا أصر على ادعاء الفقر واخفاء اسمه الحقيقى فان هذا يطيل من سجنه ، ولعل غياب الرباط ولو لهنيهة فرصة لا تعوض ليهرب الربيط الى أقرب خيمة معلنا أنه دخيل لصاحبها (١).

ويستميت أقاربه وأصدقاؤه فى تخليصه من سجنه : اما بالقوة المكشوفة ، أو تأتى احدى قريباته فى صورة " شحاذة " وتحاول أن تجعل نفسها ضيفة لدى الربّاط ، وفى الليل تدخل الى خيمة الربيط ، وفى يدها كرة من الخيوط التى غزلتها ، وتفرد طرفها لتلقى

= عند البادية فهو من قبيل أنصر أخاك ظالما أو مظلوما بمفهومها الجاهلى لا الاسلامى .(فهد المبارك ، من شيم العرب ٢ / ١٤١ ، مجلة الدارة : ع١ / س٤ ، ص ٢٧).

(١) جاكلين بيرين : ص ٢٢٤. Burckhardt 1/165-163-160 ,

به مع الفتحة التى فوق وجه الربيط ليعض عليه أو يشته الى قدمه ، ثم تخرج المرأة من الخيمة ، وهى تفرد الخيط حتى تصل الى أقرب خيمة مجاورة فتوقظ صاحبها ، وتجعل آخر الخيط عند صدره وهى تقول : " انظر الى : أستحلفك بالحب الذى تحمله لله ، ولنفسك أن تجعل هذا تحت حمايتك" : " ترانى بالله وبك هذا دخيلك" (١) وينتشى صاحب الخيمة لأن الدفاع عن الدخيل من الأمور الواجبة فى البادية ، ويعنى أن القائم به محسوب وله وجاهة . وينهض ليمشى مع الخيط الذى يرشده الى موقع الربيط ليوقظ الرباط ويريه الخيط الذى يمسك به الربيط بفمه أو رجله ويعلن أنه دخيله ويجب أن يتحرر ، فتفك السلاسل التى ربط فيها ، وتقطع قيود شعره بسكين ، ويطلق سراحه ويعامل معاملة الضيف .

واذا حصل أن انتقل المخيم الذى فيه الربيط عن مكانه فانهم يحملونه مربوطا فوق بعير ، وعندئذ يجتهد صديقه الذى يكون قريبا من المخيم فى استغلال فرصة ما لفصل البعير الذى عليه الربيط عن الابل الأخرى ، ويذهب به الى أى خيمة أخرى أو شخص من القافلة ليحرر الربيط ، أما اذا افشلت محاولته وقبض عليه فانه يعامل هو الآخر كربيط .

وهناك وسيلة أخرى وهى الفدية ، وتكون اما أن يضحى أبو الربيط بجميع ممتلكاته لأنه يعتبر أنه من الشرف له أن يكون ابنه حنشولى (٢) ، وهو اذ يفديه هذه المرة فانه يرجو أن يعوضه سريعا من نتاج غارة أكثر نجاحا .

---

(١) السنة أن يعطف بثم لأن العطف بالواو يقتضى التسوية مع الله وهذا شرك . وهو يصور جانبا من جوانب الحياة الدينية لدى بادية نجد قبل الدعوة ، وقد عقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بابا تحت عنوان " قول ماشاء الله وشئت" للتفصيل فيه وشرحه : عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - نشر وتوزيع رئاسة البحوث العلمية والافتاء . الرياض ، من ص ٣٧٩ - ٣٨٢ .

(٢) Burckhardt . 1/171 , 170 , 169,167-105,
ولفظة حنشولى عامية نجدية ليست فصيحة الا أن تكون محرفة من حشل بفتح الحاء وسكون الشين ، وهو الرذل من كل شئ لغة فى الحسل وقد ذهب العبودى الى هذا الرأى على أساس أن الحنشل من أرد أ
=

واذا لم يجد وسيلة من تلك الوسائل فانه يبرم بعض شـــروط الفدية ، فاذا تحدد المبلغ فانه يحدث أن يكون بين قبيلـــة الـرباط أفرادا من قبيلة الربيط يكفلونه ليجمع المبلغ من قبيلتـــه ، ويأتى بها الى الرباط ويتحرر .

أما اذا عجز عن جمع قيمة الفدية فيستسلم الى ربّاطه ليعـــود أســـيرا .

وفى بعض الأحيان فان الربيط يحرر بدون فدية ، أو فديـــة متواضعة جدا ، خاصة اذا تعرضت حياته للخطر نتيجة لسجنه ، لأنـه اذا مات وهو فى رباطه ، فان دمه يقع على الرباط الذى تثأر منـــه قبيلة الربيط (١) .

ويمكن للبدوى اذا قابل بدويا عدوا له وهو يمشى على قدميه أن يجعل منه ربيطا ، لأنه يفترض فيه النية السيئة على سرقة مخيمة فـــى هذه الليلة .. هذا اذا رآه قريبا من المخيم ، أما اذا قابله فـــى مكان يبعد أكثر من مسيرة نهار ، فانه لايخول له أن يجعل منه ربيطـــا بل عليه أن يعامله معاملة العدو العادى الصريح ، لأنه جرت العادة عند البدو أن لايقترب العدو من مخيم عدوه وهو على رجليه ، أو فـــى أعداد قليلة الا من أجل السرقة .

أما اذا أرادت القبيلة هجوما صريحا فانهم يأتون راكبين الخـــيول أو الجمال ، وهدفها ليس السرقة فقط بل الاستيطان فى مواطـــن

= الناس لأنهم يغتصبون الضعفاء ، ويتحاشون من يكون معهم سلاح الا أن هذا الرأى وان جاز لغويا وأمكن تعليله من واقع النقد الاجتماعى الا أن التاريخ الاجتماعى النجدى يثبت أن الحنشولى رجل شجاع ذكى بارع ولقب حنشولى أو حنشل يدل على المهارة حتى أن من يطلق عليه لا يغضب من ذلك وهذا شيء متعارف عليه عند البادية والحاضرة على السواء رغم أن المحنشل (بضم الميم وفتح الشين) اذا ظفـــر بالحنشولى أدبه ، للتفصيل : (الفيروزابادى ٣/ ٣٥٧ ، الزبيدى : التاج ٧/ ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، العبودى : الأمثال ١/ ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، جاكلين بيرين ٢٢٤) .

(١) Burckhardt. 1/ 169, 67.

الكلأ والماء ، وهنا اذا فشلت محاولتها فان أفرادها يعاملون معاملة الأعداء الصرحاء ، وليس معاملة اللصوص ، وفي هذه الحالة فانهم يجردون ويسلبون ولكنهم لا يسجنون ، وان كانت قلة من القبائل لا تفرق في ذلك .

ومن تكريم البادية للمرأة أن النساء لا يمكن بأي حال من الأحوال معاملتهن كربيط ، ومن يفعل ذلك فقد أخل بقانون الشرف، ولم أعثر على عقاب اللص من النساء لدى البادية لأنه يبدو أن هذا نادر الحدوث، أو أنه تعاقب القبيلة أو الأسرة التي تنتمي اليها ولا تعاقب بشخصها (١) .

أما فيما يتعلق بالدخيل : فقد تأصل بين البدو كقانون أنه بمجرد أن يصبح شخص ما في خطر حقيقي من شخص آخر ، ويستطيع أن يلمس شخصا ثالثا حتى لو كان الطموس أخا المعتدي ، أو اذا لمس شيئا عزيزا بين يدي شخص كسيف أو رمح أو عصا أو ملابس ، أو بالقاء حجر عليه ، فانه بمجرد أن يعمل هذه ، يصبح دخيلا للطموس ، وبمجرد أن يقول : " أنا دخيلك " " أنا محميك " " تراني بالله وبك أنا دخيلك " يعلن الطموس أن هذا دخيلي وسأدافع عنه (٢) .

ويمكن للربيط منذ اللحظة الأولى التي يجري فيها رباطه أن يطلب أن يكون دخيلا ، ولكن هذا في أول يوم ، ففي الأيام التالية لا يقبل هذا الطلب ... هذا اذا أتاح له الرباط ذلك .

ويمكن للصوص بمجرد أن يعلموا أن خطتهم قد انكشفت أو أن ضوء النهار قد أزف مما يعرضهم للخطر ، أو أن أحد جماعتهم قد أصيب

---

(١) Burckardt, 1 170,1 69.

(٢) جاكلين بيرين : ٢٢٤ .

بعجز ، ولم يعد فى مقدوره أن يتبعهم ، يمكنهم والحالة هذه أن يدخلوا أحد الخيام قائلين : " نحن حنشل نريد أن نتحول" فيقول لهم صاحب الخيمة " سلمتوا " أى أنتم آمنون ، ويعد لهم القهوة والافطار ، ويستضيفهم طيلة المدة التى يريدون البقاء فيها ، وعند رحيلهم يعطيهم زادا يكفيهم للوصول الى أهلهم.

فاذا التقوا أثناء عودتهم الى أهلهم بجماعة معادية من القبيلة التى كانوا ينوون سرقتها وفشلت خطتهم ، وأرادوا بهم شرا فانهم بمجرد قولهم : "نحن مالحون" أى أكلنا طعاما عند الخيمة الفلانية تتركهم هذه الجماعة وتخلى سبيلهم ، ويكون هذا بمثابة جواز ، ويمكن لشهادة مضيفهم أنهم أكلوا عنده أن تخلصهم من أيدى أى بدوى يعترضهم سواء كان من القبيلة التى كانوا ينوون سرقتها أو من أى قبيلة صديقة لها (١) .

الا أنه اذا كان هؤلاء اللصوص من اللؤم بحيث أنهم بعد استضافة حاميهم لهم وفى أثناء عودتهم الى أهلهم قد سرقوا بعض البدو الذين فى الطريق من القبيلة التى كانوا ينوون سرقتها ، فانهم يفقدون امتيازهم كدخيل يلجؤ الشخص المسروق الى مضيفهم الذى يرسل فى الحال الى شيخ قبيلة اللصوص مطالبا بممتلكات هذا الشخص على اعتبار أنها سرقت بطريقة مخالفة لقوانين الشرف ، فاذا ما أعادها اللصوص حل الموضوع، أما اذا رفضوا فان المضيف نفسه يذهب الى شيخ قبيلتهم ، ويجمع القبيلة كلها بما فيها اللصوص ويبرز الطبق الذى أكلوا فيه عنده " رمز الحماية الممنوحة لهم" طالبا منهم اعادة الممتلكات المسروقة فان استجابوا انتهى الموضوع ، والا فان المضيف يرفع الطبق ويقول للصوص : أنتم خونة ويكون نتيجة ذلك فقدانهم لأن يكونوا ضيوفا أو دخلاء بل يمكن حتى لمضيفهم أن يجردهم من جميع ممتلكاتهم ، ويعاملهم مرة أخرى معاملة الربيط اذا ظفر بهم ، وتسمى هذه الحالة "رفع الجناية" وتتجاوز حالة رفع الجناية كونها تنطبق على من سرقوا مضيفهم الى انطباقها على كل رجل من احدى القبائل يعمل شيئا مع رجال

---

(١) Burckhardt 1/ 172 , 17 , 164 , 162 ,161 .

القبيلة الثانية وخاصة المرتبطة معها بأى نوع من أنواع العلاقات الاجتماعية التي مر ذكرها ، وعندما يحصل هذه الجناية فان المجنى عليه يأتي الى رئيس قبيلة الجاني ويشتكي اليه فيبلغ رئيس القبيلة بصورة تعميمية بأن فلانا عليه جناية فلا يستطيع رجل من القبيلة اجارته اذا استجار به ، وان أجاره فان هذا يعد من الخيانات العظمى في البادية فيرغم المجير على تسليم المستجير ويقتل ليس عقابا للمستجير لوحده بقدر ماهو عقاب أدبي ونفسي للمجير اذ أن قتل المستجير أو تأديبه يعاني منها المجير عناية شديدة لأنها تعد خفرا لاجارته وعهده ، ولا شيء أشد على المجير من ذلك ولهذا فان المجير يعمل المستحيل ويهدد ويتوعد حتى لا تخفر اجارته ، ولا ينقض عهده وعموما فمن المتعارف عليه بين قبائل البدو وأن مرفوع الجناية لا يعطى عهدا ولو حصل وأعطاه أحد رجال القبيلة أى عهد فان رئيس القبيلة له الحق في أن ينقض هذا العهد ولا يأبه به معاقبا المعاهد والمعاهد بما يشاء من العقاب (١) .

وهكذا نرى أن الحياة الاجتماعية لدى البادية لا تخضع لنظام عادل صارم في احقاق الحق وابطال الباطل وان كانت هذه العادات والتقاليد تختلف من قبيلة الى أخرى قربا أو بعدا من تحقيق العدالة والعيش الكريم سواء لابن البادية أو المار فيها ، الا أن بعض هذه العادات وخاصة المتعلقة بالعهود والحماية ينطبق عليها المفهوم الجاهلي لمبدأ : " انصر أخاك ظالما أو مظلوما " فهي وان كانت قد راعت قوانين الشرف والعدل في بعض الجوانب فانها جعلت ابن البادية يعيش أحيانا في فوضى يأكل فيها القوى الضعيف ويتعصب فيها كل لقبيلته وأسرته ، ورغم كونها فوضى مقننة بأعراف وتقاليد بعضها حسن وبعضها سيء الا أنها في حاجة الى عقيدة صافية وحكم شرعي ينمي الحسن ويوجهه وينبذ السيء ، ويعيد هؤلاء البدو الى دينهم الاسلامي الذى يعيشونه مشوها يحتاج الى توضيح وتطهير .

---

(١) فهد المارك : من شيم العرب ١٥٢/٢ - ١٥٧ ، وانظر :
Burckhardt , 1/ 173, 172, 168.

الباب الثالث

اثر الدعوة على الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد .

توطئة :

الفصل الأول : مواقف بادية نجد من الدعوة السلفية .

الفصل الثاني : اثر الدعوة على الحياة الدينية لدى بادية نجد .

الفصل الثالث : اثر الدعوة على مظاهر الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد .

١- أثر الدعوة على الوضع الأمني .
٢- " " على النخوة
٣- " " " التحرك الجماعي وزعامة القبيلة .
٤- " " " بعض اساليب الحياة العامة . والعادات والتقاليد لدى بادية نجد .

أ- اثرها على نظام الربيط والدخيل .
ب- " " وضع المرأة .
ج- " " الملبس .
د- " " المشرب وبقية العادات .

توطئة :

لقد كان من الطبيعي أن تولى الدعوة الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد اهتمامها فقد كانت البادية تشكل غالبية سكان نجد في تلك الفترة .

ومن هذا المنطلق جاء تركيز الشيخ محمد على نقد الأوضاع الدينية لدى هذه البادية كما مر ، الا أن من الصعب أن يلم الباحث بآثار الدعوة على كل الجوانب الاجتماعية لدى بادية نجد لأنه سيواجه بالحقائق التالية :

أ - شح المصادر التي تحدثت عن هذه الفترة فيما يتعلق بآثار الدعوة عموما على المجتمع النجدي من جميع النواحي ،وخاصة على البدو ، ولو ذهبنا نتتبع ذكر آثار الدعوة في هذه المصادر الى جانب الأحداث السياسية والعسكرية لوجدنا أن هذه الآثار لا تشكل الا نسبة ضئيلة من الحديث عن هذه الفترة .

ب - طبيعة هذه المظاهر مثلها مثل المظاهر الاجتماعية لدى أي أمة أو شعب فيها الحسن وفيها السيئ ، وفيها ما يمكن اعتباره مظهرا حضاريا يعكس مالدى البدو من قيم اجتماعية مثلى وفيها ما هو الى شريعة الغاب أقرب.

ج - طبيعة الدعوة نفسها وأنها تجديد لهذا الدين ، وتطبيق لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة ومعتقد السلف الصلح ،ومعروف أن الرسالة الاسلامية جاءت باقرار مالدى العرب من عادات وأعراف اجتماعية

حسنة ،وتهذيب ما كان الى الخير أقرب ، ونبذ ما كان متنافيا مع القيم الاجتماعية المثلى التي جاء بها الاسلام ،وعلى هذا الاساس عاملت الدعوة السلفية مالدى أهل نجد من مظاهر اجتماعية ، فأقرت بعضها ولم ير لها أثر فيها ، ونبذت أو حسنت بعضها فبدا تأثيرها فيها واضحا .

د - طبيعة البدو أنفسهم في كونهم رحل لا يستقرون في مكان معين مما يصعب معه على الدعوة ملاحقتهم في هذه الصحراء الفسيحة ،ويستحيل بالتالي نزع هذه العادة الاجتماعية أو تلك منهم ،هذا اضافة الى حساسية البدوي عند التعرض لقيمه وعاداته الاجتماعية بأي نقد ، مما جعل الدعوة لا تصطدم بالبدوي بسبب هذه العادات بشكل مباشر لأنها تسير على مبدأ " أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة " فهي قد اكتفت باستعداد البدوي لتقبل مبادئ الدعوة عامة لما كان يعيشه من فراغ عقدي ،وما يتمتع به من فطرة سليمة وصفا نفسي ،واكتفت باستعداده قبول مبدأ الولاء العام للدولة ، أما العادات الاجتماعية وبعض الجوانب العقدية أيضا فلم يتخل عنها الا تدريجيا ، وارضاء للكيان السياسي للدعوة الجديدة والذي ما ان سقط حتى عادت بعض هذه المظاهر الى حالتها الأولى .

هـ - محدودية الامكانات لدى الدعوة والدولة اذ لم يتوافر لها عدد من العلماء الذين لديهم الوعي الكافي بجوانب الحياة الاجتماعية التفصيلية لدى البادية ، اضافة الى عدم فهمهم الفهم الكافي لنظارة الاسلام نحو البدو في استثارة نوازع الخير لديهم ،هذا فضلا عن انشغالها في أغلب الأوقات باخضاع المدن والقرى والقبائل من ناحية ،وصد المعتدين على حكومة الدرعية من النجديين وغيرهم من ناحية أخرى .

الا أن الباحث لا يعدم ولو اشارات خفيفة يتلمس معها بعض آثار الدعوة على بعض المظاهر الاجتماعية لدى بادية نجد .

الفصل الأول

مواقف بادية نجد من الدعوة السلفيــــة :

بدأ الشيخ بعد ما استقر في الدرعية تحت حماية أميرها محمد بن سعود يراسل هــو والامام بن سعود أهل البلدان وعلماءهم ،ورؤساء قبائل الباديــة يوضحان مبادئ الدعوة السلفية ونظام الدولة السعودية الأولى الوليدة (١) وأن هدفها لا يعدو أن يكون الرجوع الى الدين الاسلامي بمنابعه الصافية ،وتعميــم الوعي فيه ،وتحقيق الكيان السياسي لهذه الدولة لتوفير الأمن الاجتماعي بــين البادية والحاضرة على حد سواء فاختلفت المواقف البدوية ازاء ذلك في البداية .

ولعل من أوائل القبائل البدوية تلبية للدعــــوة هم أفخاذ من قبيلـــة سبيع العارض ، ولهذه المبادرة جذور من الولاء والتبعية لآل سعود مذ كانــوا أمراء الدرعية فقد كان ولاء هذه القبيلة قبل الدعوة يتنازعه آل معمر في العيينــة وآل سعود ففي سنة ١١٢١هـ/١٧٠٩م اشتركت هذه القبيلة ـ أو أفخاذ منها ـ مع ابن معمر في حرب أهل حريملاء ،ويبدو أن هذا الولاء قد استقر أخيرا لآل سعود ففي سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م اشتركت هذه القبيلة مع زيد بن مرخان ـ أمــير الدرعية آنذاك ـ في محاولته غزو العيينة ،هذه المحاولة التي أودت بحياة زيد هذا عندما مناه ابن معمر ـ خرفاش ـ بتلبية مطالبه وأمر رجاله أن يرمــوه اذا جلس فرموه فمات فتولى بعده في الدرعية محمد بن سعود (٢) .

---

(١) ابن بشر : ٢٦/١ .
(٢) المصدر السابق : ٢٢٩/٢، ٢٣٧ .

وكمحصلة طبيعية لهذا الولاء انضمت قبيلة سبيع العارض الى الدعـــوة السلفية والدولة السعودية الأولى ، ولئن كان قد حصل من هذه القبيلـــة أو أفخاذ منها عدم استجابة أولية للدعوة الا أن استجابتها تعتبر من أولى الاستجابات ان لم تكن أولها ، وكبداية لهذا فان فخذا من هذه القبيلة قد تعرض في سنـــة ١١٧٤هـ/١٧٦٠م لاغارة من الدرعية ، وغنم جيش الدرعية منهم غنائم من الابل والامتعة وقتل عشرة رجال ، كما أنه في سنة ١١٧٦/١٧٦٢م غزا عبد العزيز بن محمد عربانا من سبيع وغنم منهم مائتي بعير (١) .

وعدا هاتين الحادثتين فقد كانت علاقة هذه القبيلة بالدولة السعودية الأولى علاقة ولاء وتبعية ، وقد وعى قادة هذه الدولة هذه الحقيقة فأخذوا يدافعون عنهـا ضد القبائل المعادية لها ففي سنة ١١٧٧هـ/١٧٦٣م أخذ غزو من العجمان فريقـا من سبيع فثأر لهم عبد العزيز بن محمد في جيش الدرعية وقتل منهم أشخاصا وأخــذ ركابا ، وقد فتحت هذه الغزوة وهذا الثأر المجال أمام المكرمي - صاحب نجــران - لغزو الدرعية عندما لجأ اليه العجمان طالبين منه الثأر لهم ومنوه بالقضاء علـــى الدرعية ، أو غنائم الحرب معها (٢) .

ولم تمض سنة على هذه الحادثة حتى أصبحت سبيع تشكل قسما كبيرا مـــن التشكيل البدوي لجيش الدرعية ففي سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م اشتركت سبيع فـــي المعركة التي دارت رحاها بين صاحب نجران وجيش الدرعية (٣) ، ويبدو أن هـــذه

---

(١) ابن غنام : روضة ٢/٥٨ ، ٦٣ ، ابن بشر ١/٥٣ ، ٥٦ .
(٢) ابن غنام : ٢/٦٤ وذكر فيها أن الذين أخذوا سبيعا غزو من أهل اليمن وانظر ابن بشر : ١/٥٦ ، ٥٧ .
(٣) ابن بشر : ١/٥٧ ، ٥٨ .

القبيلة قد بايعت على الولاء والطاعة للدعوة والدولة فى أواخر سنة ١١٧٧هـ (١) الا أن هذا الولاء لم يكن شاملا للقبيلة فقد تعرضت أفخاذ منها لغزوة من الدرعية سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٥م، وفى سنة ١١٨٢هـ/١٧٦٨م غزا عبدالعزيز بن محمد قسما من سبيع يبدو أنه نقض البيعة، ولكن عبدالعزيز نفسه قد ثأر لسبيع سنة ١١٨٣هـ/١٧٦٩م عندما تعرضت لغزوة من دهام بن دواس أخذت منها ابلا، ولعل اغارة ابن عريعر على هذه القبيلة سنة ١١٩٤هـ/١٧٨٠م كانت بسبب ولائها للدعوة والدولة (٢) هذا الولاء الذى وان كان مذبذبا بالنسبة لبعض أفخاذها فان مما يظهر أن أغلبية أفخاذ هذه القبيلة قد ثبتت على ولائها وهو مايمكن أن يفسر به الباحث اشتراك سبيع فى جيش الدرعية من ناحية، وتعرض بعض أفخاذها لتأديب ذلك الجيش من ناحية أخرى، ويبدو أن حكومة الدرعية قد أوعزت لقادتها مساعدة هذه القبيلة اذا تعرضت لغزو أو غزت هى، وأكبر دليل على ذلك مساعدة سليمان بن عفيصان لسبيع عندما غزاها ابن زامل أمير الدلم، هذه المساعدة التى كانت سببا فى مقتل ابن زامل وبعض رجاله واستنقاذ ابل سبيع (٣)، وعلى العموم فان هذه القبيلة تعتبر فى نظر مؤرخى هذه الفترة من القبائل الموالية للدعوة والدولة فقد كانت تشترك فى المعارك التى تدور رحاها بين الدولة السعودية الأولى وأعدائها سواء كان من بنى خالد فى شرقى الجزيرة أو من الأشراف فى غربيها، أو ضد الحملات التى وجهت للقضاء على حكومة الدرعية من خارج الجزيرة (٤).

---

(١) مؤلف مجهول: كيف كان ظهور شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب، دراسة وتحقيق وتعليق د: عبدالله الصالح العثيمين، مطابع دار الهلال. الرياض منشورات دارة الملك عبدالعزيز ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص ٦٢.

(٢) ابن غنام: ٢/٧٥، ٧٧، ٧٨، ١٠٦، ابن بشر: ١/٦٤، ٦٦، ٦٧، ٧٣، ٨٨، مؤلف مجهول: ٧٤، وقد أشار صاحب لمع الشهاب الى قدم موالاة سبيع للدعوة ص ٩٧

(٣) ابن غنام: ٢/١١٩، ابن بشر: ١/٩٥، ٩٦، أحداث سنة ١١٩٧هـ/١٧٨٢م.

(٤) ابن غنام: ٢/١٥٧، ابن بشر: ١/١٢٧، ١٣٥، ١٤٢، ١٦٢.

ويذكر صاحب اللمع عن سبيع الحارض : " أنهم في عين الطاعة والانقياد لآل سعود وهم معهم في الحمية وتعصب (١) كانكاللحمة وأبناء العم ، ودائما مهما ركب أحد من آل سعود في الحروب فهم معه ولا يأمن أحدا مثل ما يأمنهم ، ولهم شجاعة معروفة في نجد " (٢) . ولعل تأديب ابراهيم باشا ، والقادة الاتراك من بعده ، لهذه القبيلة مع بعض قبائل نجد يؤكد قدم ولائها للدعوة والدولة ، كما يؤيد ما ذهب اليه صاحب اللمع في هذا المجال (٣) .

ويبدو أن قبيلة السهول التي يقال انها ترجع الى سبيع أيضا من القبائل الموالية للدعوة في فترة متقدمة من بدايتها يؤيد ذلك عدم ذكر هذه القبيلة ضمن من كانت حكومة الدرعية تشن غاراتها عليها في أول قيامها ، كما يؤيد ذلك اشتراكها في أغلب الجيوش والغزوات التي كانت تشن من قبل الدولة السعودية الأولى (٤) .

ولقد كان تقرير الشيخ محمد بن عبدالوهاب عن قبيلتي عنزة والظفير ومواقفهما من الدعوة صحيحا فقد شاركت الظفير أكبر مناوئ الدعوة من الزعماء النجديين — دهام بن دواس — وذلك في غزوته لمنفوحة (٥) عندما أعلن أهلها ولاءهم للدعوة والدولة مما يعطي الباحث بعض التصور عن هذه القبيلة وانها تنظر

---

(١) هكذا وردت ولعل الألف واللام قد سقطتا من أول الكلمة .

(٢) ص ٦٤ .

(٣) ابن بشر : ١/٢٩١ ، ٣٠٠ ، لوريمر : دليل الخليج العربي : القسم التاريخي : ١٦٢٦/٣ .

(٤) ابن بشر : ١/١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، الريكي : ٦٤ .

(٥) منفوحة : بلدة قديمة ذكرها الأصفهاني ، والهمداني ، والبكري وياقوت واشتهرت قديما بأعشى قيس الذي لا تزال بعض اطلاله باقية في جنوبها وظلت بلدة لوحدها الى أن أصبحت أحد أحياء مدينة الرياض . للتفصيل في موقعها وتاريخها . (الأصفهاني : ٣٦٠ ، ٣٦١ ، الهمداني : ٢٦٤ ، ٢٨٤ ، ٣٠٧ وذكرها أحيانا باسم منفوحة وأحيانا باسم المنافيح ، البكري : ١٢٧٢/٤ ، ١٣٦٨ ، ياقوت : ٢١٤/٥ ،
=

للدعوة نظرة عداء (١) ،ويؤيد ذلك أن هذه القبيلة قد ساعدت بعض أهل الزلفي (٢) وأهل سدير والوشم في اغارتهم على بلدة رغبة (٣) بدعوة من بعض أهلها الذين نقموا على أهل بلدتهم دخولهم في الدعوة ، وتمكن الغزاة من دخول البلدة ونهب الأموال (٤) ،كما أن هذه القبيلة قد ساعدت بعض أهل الوشم وأهل سدير وبعض أهل الجنوب على غزو ضرماء بدعوة من بعض أهلها الذين جلوا عنها ، ويبدو أن ذلك كان بسبب عدم موافقتهم لعامة أهل ضرماء على الولاء للدعوة ، وقد حدثت هاتان الغزوتان لهاتين البلدتين سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م (٥) .

= ٢١٥ ،ابن بشر: ١/ ٢٩، ٣٠، ٣٣، ٣٤ ،وللاستزادة من أخبارها في ابن بشر انظر: أحمد مرسى عباس: فهارس عنوان للمجد . ط (١) مطبعة المدينة الرياض - نشر دارة الملك عبد العزيز ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ١٤٩ ،ابن خميس: معجم اليمامة: ٢/ ٣٩٧ - ٤٠٠)

(١) ابن بشر : ١/ ٣٠ .

(٢) بلدة قديمة ذكرها الأصفهاني وياقوت بأسم زلفة وذكرها البكرى باسم الزليفات الا أن ابن بليهد قال ان زلفة غير زليفات وأن زليفات هي القرى التابعة للزلفي التي تحمل هذا الاسم منذ القدم ،وقد حفلت الزلفي بأحداث كثيرة ، وانجبت عددا من العلماء والفضلاء ،وللتفصيل فيها موقعا وتاريخا (الاصفهاني : ٢٥٠، ٢٦٢، ٢٦٥ ،البكرى : ٢/ ٧٠٠ ،ياقوت: ٣/ ١٤٦ ،ابن بشر: ١/ ٤١، ٤٣، ٥٢، ٦٦، ٧٩ وفيه أخبار كثيرة عن الزلفي ،للاستزادة منها يمكن الرجوع الى : أحمد مرسى عباس . المرجع السابق ١٣٠، ١٣١ ،ابن عيسى : ٧٢، ٨٠، ١١٠، ١٧٤، ١٩١ ،ابن بليهد : ٥/ ٤٧، ٤٨ ،مقبل الذكير: طوق الحمامة (مخطوط) ورقة ١٥٨ ،ابن خميس: ١/ ٥٢٩- ٥٣٥).

(٣) رغبة : احدى بلدان المحمل . لم أر لها ذكرا فيما بين يدى من معاجم البلدان القديمة ،وذكر ابن عيسى أن محلاتها الأولى قد بنيت سنة ١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م ،ولها تاريخ حافل حيث خرجت قضاة وعلماء ومرت بها أحداث قبل الدعوة وبعدها . وللتفصيل (ابن بشر: ١/ ٤٠، ٤١، ٥٠-٥٢، ٥٦، ٨٨، ٣٠٢، ٢/ ٢٢١، ٢٣٠ ،ابن عيسى : ٦٢، ٧٦، ٩٠، ١٠٩، ٢٢٧ ،والذكير: ورقة ١٢٩ ، عبد الله البسام: علماء نجد : ١/ ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٠٩ ،ابن خميس: ١/ ٤٧١-٤٧٤).

(٤) ابن غنام: ٢/ ١٦ ،ابن بشر : ١/ ٤١ .

(٥) ابن غنام : ٢/ ١٦ ،ابن بشر: ١/ ٤١ .

وكانت حكومة الدرعية حريصة كل الحرص على تأديب هذه القبيلة على مناوأتها للدعوة وتحزبها ضدها ففى سنة ١١٧٣هـ/١٧٥٩م انتهز عبدالعزيز بن محمد ورود آل عسكر من الظفير على مورد ماء قرب رغبة فصبحهم بعد أن استنفر كافة رعاياه وحدثت بينه وبينهم معركة هزم فيها آل عسكر وقتل زعيمهم وبعض رجاله وأخذ عبدالعزيز وجيشه كثيرا من أثاثهم وابلهم غنيمة (١) ،وتعتبر هذه الغزوة من أولى غزوات الدرعية ضد هذه القبيلة ان لم تكن أولها اضافة الى أنها تعد من كبار الغزوات التى شنتها حكومة الدرعية ضد مناوئيها فى المرحلة الأولى من انتشارها ويكفى دليلا على ذلك أن عبدالعزيز قد استنفر لها جميع رعاياه بادية وحاضرة يدفعه الى ذلك قوة بأس هذه القبيلة وقدرتها على تجميع نفسها وتهيئة أعوان لها من البدو والحضر .

ويذكر مؤرخو نجد أن لهذه القبيلة دور فى تسهيل مهمة المكرمى فى غزوته لنجد حيث اجتمع على تأييده زعماء المعارضة السياسية النجدية من بادية وحاضرة عاقدين العزم معه على القضاء على حكومة الدرعية (٢) .

وفى سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م أرسل عبدالعزيز بن محمد ابنه سعود للغزو وفى رواية أنه سار هو بنفسه فذكر له غزو من آل ظفير فلحق بهم وقتل عددا منهم وأسر آخرين (٣) .

أما عنزة فقد كانت هى الأخرى مناوئة للدعوة فى بدايتها ففى سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م سار ابن عريعر متجها لغزو نجد واشترك معه بعض حاضرة نجد .

---

(١) ابن غنام : ٥٧/٢ ، ابن بشر : ٥٢/١ .

(٢) ابن غنام : ٦٧/٢ ،ابن بشر: ٥٨/١ أحداث سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م.

(٣) ابن غنام : ٨٠/٢ ويذكر أن الذى قام بالغزو سعود بينما يذكر ابن بشر: ٧٤/١ أنه عبدالعزيز ، ويتفقان فى تفصيل الغزوة كما يتفقان فى أن عبدالعزيز قد قصد الظفير فى السنة السابقة لتلك السنة وأنه هزمهم وأخذ بعض مواشيهم وقتل بعض =

المناوئين للدعوة وانضم اليهم فخذ الحبلان من عنزة بزعامة ابن هذال ، ويبدو أن هذا الجمع من كبر الحجم بحيث أصبح مصدر خطر على الدولة الوليدة اذ أن كثيرا من النجديين حاضرة وبادية قد اشتركوا فيه ومن لم يشترك فيه بقي محايدا أو نقض عهده مع الدولة حتى يتبين الأمر ، وأخذت الدرعية في الاستعداد التام لمواجهة هذا الغزو فأمر عبدالعزيز البلدان النجدية بالاستعداد والتحصين كما تم بناء سورين محصنين بأبراج حول الدرعية ، الا أن هذا الجمع لم يتمكن من تنفيذ خطته ويبدو أن ذلك بسبب خلاف نشب بين مجموعاته ففشل وعاد كل الى محلته مما اضطر الدولة لتأديب كافة من ساهم فيه من النجديين حاضرة وبادية الا من طلب العفو واستعد لدفع ما تقرره الحكومة من جزاء مادي عن هذه الخيانة(١)، واذا كانت المصادر لم تذكر القبائل النجدية الأخرى التي اشتركت في هذه الأحزاب فليس معنى هذا عدم اشتراك بعض هذه القبائل الا أن ذكر عنزة لوحدها يعني أنها اشتركت بأكبر كمية من أبنائها مع ابن عريعر ، وأن القبائل الأخرى اشتركت بكميات أقل .

والذي يظهر أن هذا الفخذ من عنزة من العداء للدعوة والدولة في مراحلها الأولى بحيث أن انهزامه أمام أي من القبائل النجدية ولو لم تكن قد والت الدعوة بعد ، مصدر فرح لمؤيدي الدعوة ، فقد حدث سنة ١١٩٥هـ/١٧٨٠م أن قصد سعدون بن عريعر مع الحبلان غزو الدهامشة من عنزة (٢) ، وصارت الهزيمة على

= رجالهم. (ابن غنام: ٢/ ٨٠ ، ابن بشر: ١/ ٧٤ ، حسين خلف خزعل : حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ٣٠١/ ٣٠٢)

(١) ابن غنام: ٢/ ٥٤ - ٥٦ ، ابن بشر : ١/ ٥١ ، ولكن صاحب اللمع أشار الى قدم موالاة أفخاذ من عنزة للدعوة : (ص ٣٧)

(٢) الحبلان: والدهامشة كلاهما فخذان يرجعان الى العمارات من بشر من عنزة فالدهامشة يرجعون الى العلي العمارات والحبلان يرجعون الى الجبل العمارات . حمد الجاسر : (معجم قبائل المملكة : ٢/ ٥٥٦)

الدهامشة مما دفع بهم الى الاستنجاد بقبيلة مطير فالتقى الجمعان وقتل من بني خالد والحبلان عدد كبير فرحل ابن عريعر الى مرابعه فاضطر ابن هذال للاستعانة بالظفير وبقية أفخاذ عنزة لمنازلة مطير وتواعدوا للقتال فحصل بينهم مداولات وجولات حتى هزم الظفير وعنزة ، وكان الاثخان في عنزة واضحا اذ قتل عدد من رؤسائهم وفرسانهم، ويلمح الباحث فرح مؤيدي الدعوة لهذا النصر المطيري من عبارة ابن غنام: "فأراد الله أن يوافقه — ويقصد ابن هذال — مطير في ذلك السير فناوخه أولئك العربان وقتل جديع وأخوه وثلاثة معهما فباؤا بالخسران"(١) ، ولا يستبعد أن يكون تحالف عنزة والظفير والخوف من قوة هذا التحالف وتأثير انتصاره على مستوى موالاة بعض بادية وحاضرة نجد للدعوة ما حدا بابن بشر هو الآخر الى تسجيل فرحته بهذه الهزيمة (٢) ، اضافة الى أن هذا التحالف يدخل في سلسلة التحالفات بين هاتين القبيلتين والتي تؤثر من قريب أو بعيد على الجبهة النجدية ودرجة ولائها للدولة السعودية الأولى اذ ما من شك في أن انتصاره على مطير سيدفعه الى غزو القبائل والبلدان النجدية الموالية للدرعية ان لم يغز الدرعية نفسها .

---

(١) ابن غنام: ٢/ ١٠٨ .

(٢) ابن بشر: ١/ ٩١ ، وقد ذكر مقبل الذكير في مخطوطته "العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية" ما ملخصه أن هذه الوقعة بين عنزة ومطير كانت سنة ١١٩٣هـ/١٧٧٩م وأنها تسمى وقعة الحجناوي حيث وقعت فيه وهو موضع بين البدائع والرس ، والذكير في هذا قد خطأ ابن غنام وابن بشر في تحديد تاريخ الوقعة ، ووضح مكانها ، وبين سببها في أن عنزة كانت من قوة الجانب بحيث ترهبها أكثر القبائل النجدية حاضرة وبادية ، وكانت تهيمن على معظم بادية القصيم ومطير تجاورها من الشرق وحدث أن أمحلت مرابع مطير في حين أخصبت مرابع عنزة فطلبت مطير الجوار مدة الربيع وهي ثلاثة أشهر ووافقت عنزة على ذلك حتى اذا انتهت هذه المدة أنذر ابن هذال أمير عنزة الدويش أمير مطير بانتهائها وبانهم مصبحوهم غدا ، ولم تفد =

ومن المؤكد أن تخوف الدولة من هذا التحالف في محله فقد اجتمع قسم كبير من هاتين القبيلتين في هذه السنة نفسها ولا يبعد أن يكون قد انضم اليه أخلاط أخرى من حاضرة وبادية نجد المناوئة للدعوة حيث بلغ مجموع هذه الأحزاب سبعة آلاف مقاتل، وقد نزلوا على مابض (١) ، فلما علم بهم سعود استنفر أتباعه من البادية والحاضرة واتجه اليهم ولما يعلم بعددهم الكبير فلما أشرف عليهم واستكثرهم رجع القهقرى الى احدى البلدان المجاورة في سدير (٢) ، ويقال أنه قد دخل معهم في معركة جانبية استكثرهم بعدها فخشي الهزيمة الساحقة خاصة وأنه لم يستطع هزيمتهم ، وفي أثناء اقامته القصيرة في ذلك البلد استنفر أهل سدير رجالا وركبانا فأتوا اليه من كل مكان فسار بهم الى الماء السابق - مابض - ونازل هؤلاء الأحزاب الذين فرحوا برجوع سعود وقومه معتقدين بأنهم سيقعون غنيمة

= محاولات علوى والجبلان من مطير في الامهال ثلاثة أيام فأيقنوا بالحرب والتقى الجمعان في الحجناوى فانهزمت عنزة وقتل جديع بن هذال وبعض قادته ، وسجل مسعود الملقب حصان ابليس أمير الجبلان من مطير هذه الوقعة في أبيات شعبية بعث بها الى الامام عبدالعزيز بن محمد ليس هنا مجال ذكرها تبين أن مطيراً كانت قد والت الدعوة . وللتفصيل في رأى الذكير وتحليله لهذه الغزوة انظر (مخطوطته السابقة ورقة ٣١ ، ٣٢)

(١) مابض : بضم الميم بلدة قديمة كانت مورد ماء تحمل اسمها الحالي وأحيانا أبابض وقد ذكرها جغرافيو البلدان المسلمون بهذين الاسمين وكان بها يوم من أيام العرب في الجاهلية بين بكر وتميم ، وتقع شرقي مجزل وغربي العرمة بينهما وهي اليوم هجرة يقطنها فخذ من الهواملِ من مطير وتعتبر احدى هجر منطقة سدير وتتبعها اداريا . للتفصيل : (الأصفهاني : ٢٥٧ ، ٢٨٤ ، ٣٢٩ ، الهمداني ٢٨٥ ، ٣٩٦ ، البكرى : ٤/ ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ياقوت : ٥/ ٥١ ، الفاخرى : ١١٩ ، ابن بشر : ١/ ٨٦ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٩٤ ، ابن بليهد : ٢/ ٩٠ ، حمد الجاسر : مقدمة المعجم الجغرافي : ٢/ ١٠٨٠ ، ابن خميس : اليمامة : ٢/ ٣٢٦ - ٣٣٠)

(٢) هي تمير الواقعة جنوب شرقي المجمعة وهي معروفة منذ القدم بهذا الاسم . (الأصفهاني : ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٨٤ ، ٣٢٩ ، الهمداني : ٢٨٥ ، ياقوت : ٢/ ٤٦ ، ابن بليهد : ٤/ ٢٤٥ ، ابن خميس : ١/ ٢٠١ ، ٢٠٢)

سهلة لهم اعتمادا على المنازلة الأولى ، الا أن سعود؟ا وقد تقوى بأهل سدير قد عزم على المقاتلة مهما كانت شديدة فنازلهم على مائهم وحصلت معركة كبيرة مالبث بعدها الأحزاب أن انكشفوا وولوا مدبرين وهرب قسم منهم اضافة الى مايربو على المائة من القتلى من الفرسان والرجال ، وغنم سعود وجنده منهم حوالى سبعة عشر الف رأس من الغنم وخمسة آلاف من الابل ، وخمسة عشر فرسا هذا عدا الأمتعة والأثاث مما كان معهم في غزوتهم أو في مقاطنهم القريبة من مكان المعركة (١) .

لقد كان هذا التجمع البدوى فيما يبدو أكبر تجمع واجهته الدعوة من أهل البادية ، وذا كان من غير المستبعد انضمام تلك الاخلاط الحضرية والبدوية اليه التى ساهمت فى كبر حجمه ، فان تزعم هاتين القبيلتين (عنزة والظفير) له أعطاه قوة الى قوته لأن هاتين القبيلتين تعتبران من القبائل الكبيرة فى نجد فى تلك الفترة كثرة عدد وسعة نفوذ وقوة بأس (٢) ، وما من شك فى أن انتصار جيش الدرعية على هذه الأحزاب كان مصدر فرح وسرور للدعوة والدولة ومؤيديها فى نجد يفوق الفرح والسرور الذى نشا من هزيمة هذه الأحزاب السابقة فى معركتها مع مطير ، هذه الهزيمة التى لم تحل بينها وبين تجميع هذا العدد الضخم لغزو الدرعية فى عقر دارها أو منازلة جيشها اذا ما أراد التوجه اليهم واذا كانت مصادر تلك الفترة لم توضح هذين الهدفين لهذه الأحزاب فانهما ما من شك - يعدان من الأهداف الأولية لهما ، ويلمح الباحث رنة الفرح والسرور تلك من عبارة ابن غنام: " فحين حمل عليهم المسلمون طاعنوهم ساعة ، ثم جدوا فى الفرار لا يلوون ، فتولى المسلمون أكتافهم حين حقق الله تعالى انكشافهم" (٣) ، ومن عبارة ابن بشر: " فأدال الله المسلمين عليهم وانهزم تلك العربان فولوا مدبرين" (٤) .

---

(١) ابن غنام: ٢/ ١١١ ، ابن بشر ١/ ٩١ ، حسين خزعل: ٣٠٢ .

(٢) لعل المثل: "كل قوم دون عنزة" يؤكد أن ليس فى نجد أحد يقاوم عنزة فى تلك الفترة (الربكى: ٩٥ ، العبودى: الأمثال: ٣/ ١٠٥٤ مثل رقم ١٦٨١ وروى المثل" كل قوم ولا عنزة) وأورد سببه فيما يقال .

(٣) ابن غنام: ٢/ ١١١ .

(٤) ابن بشر: ١/ ٩١ .

ولا توضح لنا المصادر المعاصرة هل هذا التجمع البدوى قد حظى باشتراك فعلى من سعدون بن عريعر العدو الألد للدعوة والدولة ، أو بمباركته وتأييده على الأقل سواء كان ذلك فى منازلة هذا التجمع لمطير أو فى معركته مع جيش الدرعية ، الا أن هذه المصادر وغيرها من مراجع تاريخ نجد قد ذكرت أن سعدونا هذا قد جمع جموعا من بنى خالد وشمر وعنزة والظفير سنة ١١٩٦هـ/١٧٨١م وسار بهم الى القصيم بعد ما علم بوجود قسم من العلماء وطلاب العلم وأئمة المساجد يدعون لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية وهو على يقين بأن القصيم تتبع بنى خالد (١) ،وكان قد أرسل الى أمراء القصيم بقتل من يوجد لديهم من هؤلاء بحكم امارته العامة عليهم فوافق على ذلك بعضهم وامتنع البعض الأخر ، وهذا ما عجل فى مسيره لتأديب الممتنعين وقتل من لديهم من الدعاة لآل سعود ،ولما وصل الى بريدة طلب أن يؤتى بمن فى عنيزة من الدعاة وقتل اثنين منهم (٢) ،ثم حصل بينه وبين معارضيه من أهل القصيم عدة جولات جانبية ونهب وسلب من كل منهما لمواشى الطرف الآخر حتى غادر القصيم بجموعه ولم يظفر بشئ ،واستغل أمير بريدة حجيلان بن حمد العليان الذى كان قد والى الدولة السعودية ذلك لتأديب الأمراء الذين أيدوا سعدونا والتشنيع على بقية أهل القصيم - وخاصة عنيزة - ببغض الدعوة وقتل أئمة المساجد المؤيدين للدعوة ، وهو ما وجد أذنا صاغية من سعود بن عبد العزيز فغزاها مع حجيلان بغتة سنة ١٢٠٢هـ/١٧٨٧م وليس من المعروف هل كان ذلك

---

(١) ابن غنام : ١١٢/٢، ١١٣ ،ابن بشر : ٩٢/١ ،مقبل الذكير :المرجع السابق : ورقة ٣٣.

(٢) ذكر ابن غنام وابن بشر فى الصفحات السابقة أن ابن عريعر عندما وصل الى بريدة أرسل اليه أهل عنيزة - على سبيل الاكرام والامتثال - مؤيدى الدعوة فى عنيزة عبد الله القاضى ،وناصر الشبيلى فقتلهما صبرا ، بينما يذكر الذكير - وهو من أهلها - أن ابن عريعر هو الذى طلب أن يؤتى بطالب العلم الذى فى عنيزة على حين جهل من أميرها المسافر الى الدرعية لمقابلة الامام عبد العزيز ابن محمد .(المخطوطة السابقة ، ورقة ٣٣)

باذن من الامام عبد العزيز أم لا ، وأوغرت تلك الأحداث فيما بعد صدرى مؤرخي نجد ابن غنام وابن بشر ضد أهل القصيم عامة وهو مايلمحه الباحث في تاريخهما لهذه الأحداث في تفصيل ليس هنا مجال البسط فيه (١).

والمهم في هذا أن عنزة والظفير كانتا من القبائل البدوية الرئيسية في جموع سعدون تلك ، ولعل هزيمتهما أمام جيش الدرعية كما مر هو السبب الرئيسي في اشتراكهما في هذه الجموع اضافة الى نظرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب نحوهما . هذه النظرة التي لا شك أنها مبنية على مواقفهما المعادية للدعوة والدولة .

وفي سنة ١٢٠٢هـ غزا الامام سعود بن عبد العزيز بجيوشه من حاضرة نجد وباديتها وأغار فيها على عنزة وهي مجتمعة في عالية نجد فقتل منهم رجالا وغنم أموالا ، ويظهر أن هذه آخر الغزوات الكبيرة التي تعرضت لها هاتان القبيلتان مجتمعتين أو كل واحدة على انفراد وبعدها ركنتا الى الهدوء وضعفت شوكتهما بعد أن جلا قسم كبير منهما الى العراق ، ودخل قسم في طاعة حكومة الدرعية (٢).

ويبدو أن قسما من قبيلة الظفير قد والى الدعوة في أوائل عهد الامام عبد العزيز بن محمد ، وفي فترة قريبة من موالاة سبيع لها (٣) على أن ابن سويط زعيم قبائل الظفير قد قام بدور الوساطة بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والامام

---

(١) ابن غنام: ١١٢/٢ ، ١١٣ ، ابن بشر: ٩٣/١ ، ٩٤ ، الذكير ورقة ٣٣ ، ٣٤ ، ولقد حاولت أن أجمع بين روايتي ابن غنام وابن بشر لحادثة قتل المطاوعة بالقصيم وورود هذا التجمع له وبين تصحيح الذكير لهما ، ولا شك أن الذكير بهذا قد أحسن صنعا بتوضيح جانب خفي من القضية ، وهو اذ ترحم على المؤرخين السابقين فانما أراد أن يرد على ماوقعا فيه من أخطاء بخصوص هذه القضية والتي صورتهما في صورة المتحاملين على أهل القصيم ، وقد أورد أبياتا شعبية للعرف مولى عبد الله بن رشيد أمير عنيزة آنذاك تؤكد قوة دليله في رده على هذين المؤرخين.

(٢) ابن غنام: ١٣٨/٢ ، ابن بشر: ١٠١/١ ، حسين الشيخ خزعل : ٣٠٢ لكنه وهم في ذكره أن الغزوة كانت على الظفير.

(٣) مؤلف مجهول: كيف كان ظهور شيخ الاسلام: ص ٦٢.

محمد بن سعود وبين المكرمي صاحب نجران في غزوته لنجد سنة ١١٧٨ هـ ، واذا علمنا أن هذه الوساطة قد تمت بناء على طلب من الشيخ محمد والامام محمد بن سعود أدركنا الى أى مدى كان يحظى ابن سويط بالتقدير لدى أئمة الدعوة ، وبالسمعة العالية في نجد كأحد كبار زعماء القبائل فيها آنذاك ، وكان موضوع الوساطة المصالحة بين الطرفين وأن يغادر النجراني العارض الى وطنه ، ويطلق كل منهما أسرى الطرف الآخر الذين أسروا في المعارك التي حدثت في المنطقة — وقد حدث ذلك فعلا ، ولا يملك الباحث ازاء هذه الوساطة الناجحة وماصاحبها من تشجيع ابن سويط للمكرمي على غزو الدرعية (١) ، وعلى اشتراكه في التجمعات البدوية ضد الدعوة ، وعلى غزو جيش الدرعية لقبيلته كما مر . لا يملك ازاء هذه التناقضات الا أن يعتبر هذا في سلسلة التذبذب الذى تتسم به علاقات القبائل البدوية مع الدعوة في تأييدها فترة والانقلاب عليها أخرى بعدها ومناوأتها حينا والخضوع لقوتها حينا آخر.

وموالاة قبيلة الظفير للدعوة تتضح جليا عندما اشتركت هذه القبيلة أو أفخاذ منها مع سعود بن عبدالعزيز في غزوته لبني خالد قرب الأحساء وذلك في سنة ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م حيث هزم بنو خالد وقتل عدد من رجالهم وغنم سعود وجنده منهم غنائم كبيرة : ابلا وغنما وأثاثا وأمتعة ، وأهمية هذه الغزوة واشتراك الظفير فيها تأتي من أنها قد غيرت ميزان القوى بين نجد والأحساء لصالح الدرعية حيث دانت الأحساء لحكومة الدرعية وقدم بدوها وحضرها لمبايعة سعود والدخول في طاعته (٢) .

---

(١) ابن غنام: ٦٧/٢ ولكنه لم يشر الى دور ابن سويط في هذه الوساطة بينما أشار اليها ابن بشر : ٥٨/١ ، ٥٩ .

(٢) لم يذكر ابن غنام: ١٤٢/٢ اشتراك الظفير مع سعود في غزوته بينما ذكر ذلك ابن بشر : ١٠٥/١ .

الا أن هذه الموالاة لم تستمر طويلا فقد اجتمعت جموع كثيرة من بادية نجد أبرزهم قبيلة الظفير وذلك في شمال نجد ويبدو أنه قد بلغ سعودا ما أثاره ضدهم فسار بجيشه نحوهم وذلك سنة ١٢٠٩هـ/١٧٩٤م وأغار عليهم حيث قتل منهم رجالا وغنم غنائم كثيرة وأفشل خطة هذه الجموع في غزو الدرعية أو البلدان والقبائل المؤيدة لها على الأقل (١).

ولا شك أن هذه الغزوة بهذه النتيجة قد أثارت الظفير ومن تحزب معها فيه فاخذت على عاتقها اهتبال أي فرصة للانتقام من حكومة الدرعية ففي سنة ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م وعندما عزم ثويني بن عبد الله - شيخ المنتفق - على غزو نجد ثانية انضمت اليه قبيلة الظفير بأكملها مشكلة قوة كبيرة في جيشه، وذكر المؤرخين لها من دون سائر القبائل التي اشتركت في هذا الغزو دليل على دورها الرئيسي وكثرتها العددية فيه (٢).

ويمكن اعتبار هذه الغزوات بين الدرعية وقبيلة الظفير سواء كانت بمفردها أو مشتركة مع قبائل أقوى أخرى من أبرز ملامح المرحلة الثانية لعلاقة هذه القبيلة بالدرعية ، هذه العلاقة التي رغم أنها أدت الى جلاء قسم كبير من هذه القبيلة الى العراق كما مر ، فقد ظل هذا القسم رغم بعده عن منطقة نفوذ حكومة الدرعية عدوا لدودا لها تتحين الفرصة لغزوه - وخاصة اذا تحزب مع قبائل أو قوى أخرى ضدها ، كما يحرص هو الآخر على استغلال الفرص للانقضاض على الدرعية أو المؤيدين لها ، وفي هذا المجال اجتمعت أفخاذ من شمر والظفير وغيرهما من

---

(١) ابن غنام: ٢/ ١٦٩ ، ١٧٠ ، ابن بشر : ١/ ١٣٣ ، حسين خلف خزعل: ٣٦٣.

(٢) ابن غنام: ٢/ ١٩٣ ، ابن بشر : ١/ ١٤١ ، وكانت غزوة ثويني الأولى عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م.

البوادى التى جلت عن نجد وقطنت جنوب غربى العراق فاستغل سعود بن عبدالعزيز فرصة وجوده فيه لغزو بعض بلدانه فغزا هذه الجموع سنة ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧م فحصلت بينهم عدة معارك سجال الى أن انتهت بهزيمة هذه الجموع وغنم سعود وجنده كثيرا من ماشيتهم وأثاثهم ، وجدير بالذكر هنا أن السهول قد اشتركوا مع سعود فى هذه الغزوة (١).

وقد انتهت غزوات هذه المرحلة بتقديم قسم من هذه القبيلة فروض الطاعة والولاء للدعوة وحكومتها وابرز مظاهر هذا الولاء دفع الزكاة الشرعية للحكومة حيث أصبحت زكاة الظفير تشكل موردا أساسيا من موارد الزكاة الواردة لبيت المال فى عهد الامام عبدالعزيز بن محمد ، الا أن دفع هذه الزكاة - فى الواقع - لا يعدو أن يكون مظهرا من مظاهر الولاء الاسمى الذى ما ان تختفى دواعيه حتى تسرع بعض القبائل فى نقضه ، ولعل من أبرز دواعيه قوة شخصية الامام عبدالعزيز التى أسرت كثيرا من القبائل وحفزتها نحو الطاعة والانقياد بما تحمله من حزم وعطف على الرعية فى وقت واحد (٢) ، وفى هذا الصدد تشير الأحداث الى أن هذه القبيلة بمجرد أن توفى عبدالعزيز سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م حتى بدت منها بوادر تحلل من ربقة الولاء للدعوة ودولتها . ولما كانت بعض فرائض الدين تعتبر مظاهر ولاء كالزكاة فقد كان ترك دفعها الى الدرعية مظهر تحرر لدى أى قبيلة تريد ذلك وتشير عبارة ابن بشر: "وكان قد حدث من عربان الظفير حوادث من تضييع بعض فرائض الدين واهواء المحدثين وتوهيلهم واضافتهم" (٣) الى أنه ربما كانت بعض الشعائر التعبدية بالاضافة الى الزكاة فى نظر بعض القبائل أمورا ينبغى التخلص منها اذا ما أرادت التحرر من

---

(١) ابن بشر : ١/١٥٠ ، ١٥١.
(٢) ابن بشر : ١/١٧٣ - ١٧٥ .
(٣) ١/١٨١.

انولاء السياسي لحكومة الدرعية ، ولا يبعد أن تكون الظفير قد حدث منها ذلك فعلا في سبيل هذا التحرر اضافة الى ايوائها الناقمين والمعارضين لحكم آل سعود وفي هذا المجال - وفي سنة ١٢١٩هـ/١٨٠٤م غزا قسم من بوادي الشمال البوادي المؤيدة للدعوة وأضافهم الظفير علاوة على اشتراك قسم من الظفير أنفسهم في هذا الغزو بل قد غزا الظفير بمفردهم بعض البلدان والبوادي المؤيدة للدعوة وأخذوا منها مواش وأمتعة (١) .

وأبرز هذه الغزوات هو ما حدث بين الظفير ومطير حيث قتل عدد من رؤساء القبيلتين فأرسل لهم الامام سعود للاصلاح وكف أيدي بعضهم عن البعض الآخر ، وتوعد من اعتدى منهم على الآخر ، الا أن الظفير لم يأبهوا لهذا التوعد فاستمروا يتحينون الفرص لغزو مطير وغيرها من البوادي أو البلدان المؤيدة للدرعية (٢) .

واجتمعت هذه الأسباب كلها مع موقف الظفير القديم ضد الدعوة ليسير لها سعود في هذه السنة وورى في هذه الغزوة بغيرها ، فلما اجتاز بواديهم في الدهناء أوهمهم أنه يريد غزو جنوب العراق حتى يتبين صدقهم حيث أمرهم بالنفور معه فنفر معه شرذمة قليلون ، ولما رأى تمسك غالب القبيلة بموقفها ضده حرف الجيوش عن جهة العراق اليهم وشن عليهم غارات فاعملت فيهم القتل والنهب وأخذ قسما كبيرا من أموالهم اضافة الى ما أخذوه من البوادي والبلدان في غزواتهم السابقة ، وكانت هذه الغزوة الكبيرة ضد هذه القبيلة بمثابة النهاية للفصل الأخير لوجودها في نجد اذ لم ينج منها الا الشريد ، وتفرق الباقون في المناطق النجدية حيث أخلدوا للسكينة فيها بينما هرب القسم الأكبر على شكل جماعات الى جنوب العراق ، والى الجزيرة الفراتية ، والى مناطق الخليج المجاورة

---

(١) المصدر السابق: ١٨١/١ ، ١٨٢ ، صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية ، ط (١) منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م ، ٨٨/١ ، ٨٩ .

(٢) ابن بشر: ١٨٢/١ ، المختار: ٨٨/١ .

أما سعود فانه بعد اطمئنانه الى القضاء على الوجود الظفيرى فى مرحلته الاخيرة ، رحل الى الزلفى فأخذ يقسم الغنائم فيها ، ويعيد لأهل سدير وغيرها من المناطق والبوادى الأموال والمواشى التى أخذها منهم الظفير فى غزواتهم السابقة (١) .

وقد حرصت الأفخاذ الظفيرية التى قطنت العراق على قطع الطريق على القوافل المتجهة الى نجد والعائدة منها اضافة على غزوها البوادى والبلدان المؤيدة للدرعية والمجاورة لها وكل هذا ردا على تأديب سعود لهم فى الغزوة السابقة ، الا أن سعودا أرسل لهم جيشا فى سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م حيث صادف غزوا لظفير الجزيرة الفراتية يضم كبار رؤساء الظفير والتحم هذا الجيش بهم قرب الحفر وأعمل فيهم قتلا وأخذ أموالهم غنيمة (٢) .

وكما سلف فان عنزة بعد غزو جيش الدرعية لها سنة ١٢٠٢هـ قد استسلمت للدعوة والدولة وأبرزت ولاءها بدفع زكاتها لبيت المال ليس بالنسبة لمن يقطن منها نجدا فحسب بل دفع أفخاذها الذين يقطنون فى الشام زكاتهم الى الدرعية تضامنا مع أبناء قبيلتهم فى نجد واعترافا بقوة وسعة نفوذ هذه الدولة (٣) الا أن عنزة الشام كانت أحيانا تمتنع عن دفع الزكاة وتناوئ حكومة الدرعية لأنها تعتبر نفسها خارج منطقة نفوذ هذه الحكومة ، ولكن سعودا كان يطمح الى بسط نفوذه عليها باعتبارها قبيلة نجدية الأصل وتمشيا مع مبدأ نشر الدعوة وتوسيع النفوذ ففى سنة ١٢٢٥هـ/١٨١٠م استنفر

---

(١) الفاخرى : ١٣٣ وذكر أن ذلك فى شهر ذى الحجة لكنه لم يفصل أحداثها كما فصل ابن بشر : ١/١٨٢ ، المختار : ١/٨٩ .

(٢) الفاخرى : ١٣٤ ، ابن بشر : ١/١٨٥ ، ١٨٦ .

(٣) ابن بشر : ١/١٧٣ ، ٢٣٢ .

سعود كافة رعاياه بادية وحاضرة فى نجد والحجاز والجنوب والشرق وسار الى بوادى عنزة الشام ولما وصلهم حصل بينه وبينهم جولات حربية جانبية أثارت أهل الشام عموما ورجع منها بغنائم كثيرة من مواش وأموال بعد أن قتل منهم عددا ، وكانت هذه سببا فى تغيير باشوية الشام (١) .

واستمرت قبيلة عنزة نجد على ولائها للدولة السعودية الأولى طيلة عهدى الامامين عبدالعزيز بن محمد وابنه سعود تؤدى الزكاة وتخضع لكافة الأحكام الصادرة من الدرعية (٢) ،ولم يذكر لها أدوار ذات أهمية فيما بعد ذلك الا ما كان من تعرضها لغزوة من ابراهيم باشا بعد هدم الدرعية مباشرة مثلما حدث تماما مع سبيع كما مر مما يوحى بان هذه القبيلة قد استمرت على ولائها لحكومة الدرعية ولم تؤيد حملات محمد على على نجد كما حدث من بعض القبائل البدوية (٣) .

أما مطير وهى من القبائل الرئيسية فى نجد فقد تعرضت فى سنة ١١٨١هـ/١٧٦٧م لغزوة من الدرعية بقيادة عبدالله بن محمد بن سعود (٤)

---

(١) ابن بشر : ١/١٩٨، ١٩٩ .

(٢) ابن بشر : ١/١٧١، ١٧٣، ٢٣١، ٢٣٢ .

(٣) ابن بشر : ١/٢٩١ ،على أن جلاء قسم كبير من عنزة الى الشام قد ساهم الى حد كبير فى تقليص الأدوار الكبيرة التى كانت تقوم بها عنزة فى نجد .

(٤) هو أحد أبناء الامام محمد بن سعود ويبدو انه اصغر من الامام عبدالعزيز وهو والد تركى بن عبدالله ـ الجد الثانى للملك عبدالعزيز ،والذى انتقل به حكم آل سعود من أبناء عبدالعزيز بن محمد الى أبناء عبدالله بن محمد فى الدورين الثانى والثالث ،ولعبدالله هذا عدة مشاركات فى الغزو ففى سنة ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م غزا أفخاذا من سبيع وبلد العودة ، وفى هذه السنة غزا مطيرا ، وفى سنة ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م غزا حرمة ومناطق من سدير ، وفى سنة ١١٩٣هـ/١٧٧٩م غزاها مرة أخرى وفى سنة ١١٩٤هـ/١٧٨٠م غزا الزلفى وفى السنة التى بعدها غزا الخرج واليمامة وكاد أن يقتل مع أخيه عبدالعزيز =

الا أنها كانت قد استعدت لهذه الغزوة فقد سبق النذير اليها فجهزت ستمائة فرس ، فلما حصلت الجولة الأولى من المعركة اعتقد جند الدرعية أنهم سينتصرون عليهم لأنهم يظنون أنهم لم يكونوا يعلموا بهذه الغزوة فاخذوا بعض ابلهم فما كان من مطير الا أن ردوا عليهم – وهم أهل الردات (١) – بهذه الخيول المعدة ، فحصل بين الفريقين معركة قتل فيها عدد من جند عبد الله وفروا الى الدرعية هاربين ، ولم تشر المصادر النجدية الى عدد القتلى من غزو الدرعية لكنه فيما يبدو كان كبيرا كما لم تشر الى عدد القتلى من مطير ، وكانت هذه الغزوة أولى غزوات الدرعية ضد هذه القبيلة (٢) .

ولا شك أن هذه الهزيمة قد أثارت قادة الدرعية ضد هذه القبيلة فأرادوا ان يستعدوا لها، ولما تعلم، فيأخذونها على غرة ، فجهز الامام عبد العزيز جيشا يظهر أنه أكبر من السابق ولم يكل أمر قيادته لأحد بل قاده بنفسه ، ولم يدرك من هذه القبيلة الا ألف رجل فقتل منهم خمسين وغنم منهم غنائم رجع بها الى الدرعية ولم يقتل من جيشه أحد (٣) .

= وجرح فتصارع هو وقاتل عبد العزيز حتى صرعه عبد الله ، وقد توفي سنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م في الدرعية . للتفصيل: (ابن غنام: ٢/ ٧٥، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٦، ١١٠ ، الفاخري: ١٣٢ ، ابن بشر: ١/ ٦٤، ٦٦، ٨٣، ٨٤، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ١٦٧، ٢/ ١٢، ١٤ ، ابن عيسى: ٤٢، ٤٣، ١٣٠، ١٤٠).

(١) سموا أهل الردات لأنهم مهما انكسروا وانهزموا وتبعهم العدو يتحينون الفرصة حتى يردون عليه ويغلبوه. (الريكي: ٦٢، ٦٣ ، ابن بسام: الدرر الفاخر ٩٧، ٩٨).

(٢) ابن غنام: ٢/ ٧٦ وقد فصل الكلام عن الغزوة ولكنه لم يشر الى قيادة عبد الله بن محمد لها ، ابن بشر: ١/ ٦٦ ، مؤلف مجهول: كيف كان ظهور شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب: ٦٧ ، على أن صاحب اللمع ذكر أن مطيرا قد والت الدعوة في فترة متقدمة من بدايتها: (ص ٣٧).

(٣) مؤلف مجهول: المصدر السابق: ٦٧ ، ولكنه لم يحدد تاريخ هذه الغزوة ، الا أن تاريخها بعد السابقة فيما يبدو.

ومن المعتقد أن هاتين الغزوتين قد دفعتا بهذه القبيلة أو بطون منها الى اعلان ولائها للدعوة وحكومتها — ولو أنه فيما يبدو كان ولاء اسميا — ففي موقعة الحجناوي (١) التي هزمت فيها عنزة من قبل مطير نلاحظ فرح مؤرخي الدعوة ابن غنام وابن بشر بهذا الانتصار المطيري كما مر مما يؤكد رضا حكومة الدرعية عن هذه القبيلة المبني على ولائها لها ، هذا الولاء الذي صورته أبيات مسعود (حصان ابليس) (٢) التي أرسلها للامام عبد العزيز بن محمد والتي منها :

ياراكب من فوق ناب الفقارا	كن الضواري تنهشه من مقافيه
الى مشيت الليل هو والنهارا	تلفي الى قصر بين هو وراعيه
أقره سلام وخبره كيف صارا	ما دبر المولى لحكمه نسويه (٣)

---

(١) الحجناوي : كانت قرية تابعة للرس منذ فترة متقدمة ثم اندثرت وأصبحت مزارع فقط ، ويقال انها كانت موغلة في القدم وهي تقع الآن بين الرس والبدائع بقرب نحو البدائع على ضفة وادي العاقلي (العاقل قديما) ملتقى وادي النسا مع دخنة ، وقد كانت هي والشبيبية مركزين استراتيجيين لجيوش محمد علي وعبد الله بن سعود (ياقوت: ٦٨/٤ ، ابن بشر: ٢٥٠/١ ، ابن عيسى : ١٤١ ، العبودي بلاد القصيم: ٧٨٥/٢ ، ٧٨٦).

(٢) هو مسعود الجبلي رئيس فخذ الجبلان من طوا من مطير . لم أجد ترجمة كاملة له فيما بين يدي من المصادر الا اشتراكه في موقعة الحجناوي مع الدويش أمير طوا وفي موقعة العدوة التي حدثت بين قبائل من مطير وشمر من جهة وجيش الدرعية من جهة أخرى قتل فيها مسعود سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م وكان فارسا مغوارا ولعل ذلك هو سبب تسميته حصان ابليس جريا على عادة البدو في تسمية من يتصدى للفروسية بأسماء قبيحة كذيب ، وعير وشيطان (ابن بشر: ١٠٩/١ ، ١١٠ ، الذكير: العقود : ٣٢ حمد الجاسر معجم قبائل المملكة : ٨٥/١ ، ٥٤٨/٢ ، وذكر الفاخري : ١٢٣ أنه من البراعصة ، الريكي : ٩٩ وذكر انه هو الذي كنى نفسه حصان ابليس أو الشيطان وأن اسمه سعود من البراعصة).

(٣) ناب الفقارا : أي التي ظهر فقارها كناية عن الابل لبروز سنامها ، كن : مخففة من كأن ، الضواري جمع ضاري وهي السباع ، تنهشه : النهش اللسع والعض

=

وختم القصيدة بأبيات يصور فيها شجاعة مطير وأن الذى اضطرها لابراز هذه الشجاعة هو غدر عنزة بها بعد ما أعطتها الجوار ، ويجدر بالذكر هنا أن هذه الغزوة كانت فى عداد الغزوات التى غيرت ميزان القوى القبلية البدوية فى نجد .

وكغيرها من القبائل فلم تكن كل هذه القبيلة قد والت الدعوة فى هذه الفترة المتقدمة بل بقى منها أفخاذ على مناوأتها للدعوة أو لم تستجب لها بسرعة غيرها ففى سنة ١١٩٧هـ/١٧٨٢م سار سعود بن عبد العزيز الى أحد بطون هذه القبيلة التى تقطن شمالى نجد حيث التقى بهم وقتل عددا من رجالهم وزعمائهم وغنم بعض ابلهم وغنمهم وخيلهم وأثاثهم (١) .

وفى سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م أغار سعود على أخلاط بدوية أكثريتها من مطير فى عالية نجد ، ويبدو أنهم قد علموا باستعداد سعود لهم فانهزموا ، ثم مالبثوا أن استعدوا بخيولهم الا أن جند سعود كروا عليهم فحصلت بينهم معركة ضارية انهزمت هذه الأخلاط فقتل منهم سعود وجنده نحو خمسين وغنموا غنائم متنوعة (٢) .

= (فصيحة) ، مقافيه من خلفه وهو فى هذا يصف بعيره بشدة العدو وكأن وراءها سباع تعضها فهى لا تنى من سرعة السير هربا منها ، الى : اذا ، تلفى : تصل ، بين واضح ، راعيه : صاحبه ، والمعنى تصل الى قصر هو كالعلم في الوضوح سواء المبنى أو صاحبه والمقصود : الامام عبد العزيز بن محمد ، أقره سلام : الواجب نصب سلام ، خبره : أعلمه ، نسويه : نعمله . (الفيروزابادى : ٢/ ٢٩١ ، أحمد رضا : ٢٧٥ ، وعن الأبيات : الذكير : العقود : ٣٢) .

(١) ابن غنام : ٢/ ١١٨ ، ١١٩ ، الفاخرى : ١٢٠ ، ابن بشر : ١/ ٩٥ ، ابن عيسى ١٢٠ ، حسين خزعل : ٣٠١ .

(٢) ابن غنام : ٢/ ١٤٥ ، ابن بشر ١/ ١٠٧ ، الريكى : ٩٥ ، ٩٦ وقد ذكر فيهما أن سبب الغزوة موالاة مطير للشريف غالب وتنكرها للدرعية .

وفي السنة نفسها وعندما سير الشريف غالب بن مساعد (١) جيشا الى نجد لمحاربة حكومة الدرعية والبلدان المؤيدة لها أيده عدد من القبائل البدوية وأشرأبت اليه أعناق المناوئين للدعوة ودولتها حيث راسله الدويش زعيم مطير مؤيدا كما انضم اليه عدد من قحطان وشمر والدواسر وأيقن المعارضون والمؤيدون للدعوة نجاح حملة الشريف هذه ، وكان تأييد هذه القبائل له حافزا لتكثيف استعداداته بالرجال والعتاد ، واستنفر الامام عبد العزيز كافة البلدان والبوادي المؤيدة واستعد الجيشان للالتقاء ، الا أن ذلك لم يحصل فرابط جيش الشريف في السر بعد أن حاول هدم بعض حصونه ولم يستطع ، ثم مالبث الشريف غالب نفسه أن سار على رأس مدد نزل به على الجيش الشريفي في السر ثم تحول الى عالية نجد وأقام فيها أكثر من شهر لتهبيب حاضرتها وباديتها ثم رحل الى الحجاز بعد أن قتل من جموعه خمسون في احدى الجولات ، ثم تفرغت حكومة الدرعية لتأديب البوادي التي أيدت الشريف في حملته تلك فأغار سعود على بعض قبيلة مطير برئاسة الدويش فقتل

---

(١) هو الشريف غالب بن مساعد بن سعيد من بني الحسن تولى شرافة مكة بعد وفاة أخيه سرور وتنازل أخيه عبد المعين له عنها بعد أن ظل فيها يوما أو بعض يوم وقيل أياما ، في أيامه بدأ الخلاف السعودي الشريفي يشتد وأظهر غالب خلال مراحله عددا من التناقضات : كالحرب ومنع حجاج نجد ومكاتبة أعداء الدرعية من داخل نجد وخارجها كآل عريعر الى موالاة الدعوة واعتبار نفسه عاملا لها ، ولما جاء محمد علي لحرب الدعوة تحول عنها فاستخدمه محمد علي فترة قصيرة ثم شك فيه بسبب خدمته السابقة للسعوديين ثم قبض عليه محمد علي بحيلة وأرسله الى مصر مع أولاده فتركيا حيث ارسل الى سلانيك فمات فيها سنة ١٢٣١هـ/١٨١٦م. للتفصيل [أحمد دحلان : خلاصة الكلام : ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٦٠-٢٧٩ ، الريكي : ٩٥-١٠١ ، ابن بشر : ١/١٠٦-١٠٩، ١٣٤، ١٣٥، ١٥١، ١٥٢، ٢٥٣ ، وللمزيد من أخبار غالب فيه : فهارس ابن بشر : ٧٦ ، أحمد السباعي تاريخ مكة ص ٤٤٨-٤٥٠، ٤٨٧، ٤٨٩-٤٩٠، ٤٩٤، ٥٠٤، ٥١١ ، الزركلي ٥/٣٠٤، ٣٠٥ ، د. منير العجلاني : عهد عبد العزيز بن محمد ١٣٨-١٦٤ عهد سعود بن عبد العزيز ، ٥٤-٦٣، ١٣٥-١٤٠].

منهم عشرين وأخذ بعض ابلهم (١) .

على أن قسما كبيرا من مطير برئاسة حصان ابليس قد تجمعوا مع قسم من شمر وغيرهم بعد أن انسحب الشريف الى مكة وشكلوا تجمعا مناوئا للدعوة في شمال نجد فسار اليهم سعود بعد أن انتهى من هزيمة الدويش ،وكان هذا التجمع المطيري الشمري كبيرا مما جعل سعودا يستنفر بادية نجد وحاضرتها لمنازلتهم فحدثت بينه وبينهم موقعة كبيرة قرب حائل فانهزم هذا التجمع وقتل منهم قتلى أغلبهم من الفرسان والقادة كحصان أبليس وغيره وغنم جيش الدرعية منهم غنائم كثيرة مختلفة ثم استنفر هذا التجمع ما حوله من القبائل لينازل سعودا وجيشه مرة أخرى ويبدو أن مطيرا قد وكلت القيادة الى شمر بعد مقتل أكثر فرسانها الا أن الهزيمة مالبثت أن حلت بهم مرة أخرى فقتل سعود منهم قتلى من القواد والجنود ، وأخذ اموالهم غنائم ،وتعتبر هذه المعركة من أقوى المعارك بين الدرعية والتجمعات البدوية المناوئة (٢) .

وتوالت بعد ذلك غارات الجيش السعودي ضد مطير ،ولعل مما زاد في كثرتها ماسبق من تأييدها للشريف ،وتحزبها ضد الدعوة مع عدد من القبائل المناوئة ، ففي سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م أرسل الامام عبدالعزيز بن محمد

---

(١) ابن غنام: ٢/١٤٥-١٥٠، ابن بشر : ١/١٠٧-١٠٩ ،ابن عيسى : ١٢٥ ، الريكي : ٩٦-٩٨ ،العجلاني : عهد عبدالعزيز: ١٤٢، ١٤٣ .

(٢) ابن غنام: ٢/١٥٠-١٥٢ ،الفاخري : ١٢٣ ،ابن بشر: ١/١٠٩، ١١٠ ،مؤلف مجهول : ٩٥،ابن عيسى : ١٢٥ ، الريكي : ٩٩، ١٠٠ ، وذكر فيهما أن حسين الدويش اشترك في المعركة بعد هزيمته في الأولى ، وكانت المرحلة الأولى من المعركة عند العدوة وهي قرية تقع الى الجنوب الشرقي من حائل بحوالي ٧٠ كم ، أما الثانية فكانت عند ياطب وهو مورد ماء يبعد عن حائل شرقا بحوالي ٤٠ كم (حمد الجاسر : شمال المملكة : ٢/٨٨٨، ١٣٩٩).

هادى بن قرملة (١) مع جيش من قحطان فأغار على قسم من مطير وهم على أحد موارد المياه فى عالية نجد فحصل بين القبيلتين قتال شديد انهزم على أثره المطران وأخذت قحطان منهم عددا من الابل غنيمة (٢)، ولا يستبعد الباحث أن تكون هذه الغزوة وغيرها بين هاتين القبيلتين داخلة فى نطاق التحرك القبلى فى نجد الذى ينتهى بازاحة قبيلة عن مرابعها واحتلال المنتصرة مكانها، كما أنها وغيرها كذلك تدخل فى سلسلة الغزوات التى يرجع سببها للتنافس بين هاتين القبيلتين على احتلال مركز الصدارة القبلية فى نجد، ويظهر أن حكومة الدرعية كان يفيدها مثل هذا التنافس بين القبائل حينما تقوم بتأديب القبيلة المناوئة لها خاصة اذا أظهرت القبيلة الأخرى ولاء للحكومة وحرصا على استتباب النظام والأمن

---

(١) هو هادى بن غانم الجحدرى القحطانى، وينسب الى أمه قرملة، بايع أئمة الدعوة سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٦م وأصبح أحد كبار قادة الدولة السعودية الأولى حيث لعب أدوارا رئيسية فى توسيع رقعتها، فغزا فى هذه السنة مطيرا واشترك قبلها مع قاعد بن ربيع الدوسرى فى احدى غزواته، وتعرض سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م لغزوة من الشريف غالب بسبب مواقفه المؤيدة للدعوة وفى السنة نفسها اشترك مع البوادى المؤيدة للدعوة فى غزوة الجمانية ضد الشريف غالب وكان له دور رئيسى فيها، وغزا فى سنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م قبيلة البقوم المؤيدة للشريف، وكان له دور رئيسى فى معركة الخرمة فى السنة نفسها، وغزا فى ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م بجموع من قحطان وعتيبة الطائف فهرب الشريف منها، قتل سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م فى معركة الصفراء - قرب بدر - احدى معارك الحملة التركية الأولى، وتولى بعده ابنه محمد بن هادى.
(ابن غنام : ٢/ ١٣٠، ١٤٨، ١٧١، الفاخرى: ١٢٤، ١٤٠، ابن بشر: ١/ ١٠٠، ١٠٧، ١١١، ١٣٤ - ١٣٦، ١٤٦، ١٥١، ١٦٢، ٢١١، مؤلف مجهول: ١١٩، الريكى : ٩٩).

(٢) ابن غنام: ٢/ ١٥٧، الفاخرى : ١٢٤، ابن بشر : ١/ ١١١.

في نجد الذي كانت توليه الدعوة ودولتها جل اهتمامهما (١).

وفي السنة نفسها وبعد أن انتهت هذه الغزوة بهزيمة مطير لملمت صفوفها واتصلت ببعض القبائل المناوئة كحرب وربما شمر كذلك وتمركزت هذه الجموع في شمالي نجد بين منطقة حائل والمدينة حيث شكل هذا التجمع البدوي خطرا جديدا على الدعوة ودولتها ، مما جعل سعودا يسارع اليهم بجيش كثيف بلغ عشرة آلاف مقاتل صبحهم فيه في موقعهم وحصلت بينه وبينهم معركة هربت بعدها هذه الأحزاب البدوية لا تلوى على شيء بعد أن قتل منهم ثلاثون ، وغنم جيش الدرعية منهم غنائم مختلفة من ابل وخيل وأمتعة وأموال . وسواء كانت هذه الغزوة قبل التي سبقت أو بعدها (٢) فان حكومة الدرعية قد عقدت العزم فيها على اخضاع قبيلة مطير لسيادتها ، والحيلولة بينها وبين أن تؤيد المناوئين للدعوة ، أو تتزعمهم ضدها ، ومن هنا فان هذه الغزوة بما حشدت لها حكومة الدرعية من جيش كثيف واستعدادات كبيرة يمكن اعتبارها آخر الغزوات الكبيرة التي وجهتها هذه الحكومة ضد مطير وأحلافها وبعدها انخفضت حدة المعارضة المطيرية للدولة السعودية

---

(١) ذكر صاحب اللمع ما قد يدل على استفادة الحكومة من هذا التنافس حينما أشار في كلامه عن معركة العدوة التي سبقت أن عنزة قد صاحبت جيش الدرعية في غزوته لمطير - عدوتها - . الريكي : ٩٩ ، قلت: اذا كانت عنزة قد استغلت هذه الغزوة لصالحها فان حكومة الدرعية لم تضع مثل هذا الهدف في حسبانها بقدر ما يحقق مثل هذا الاشتراك استتباب النظام والخضوع للحكومة لتبدأ مرحلة من تصافي القبائل فيما بينها ، وهو ما كانت تعمله هذه الحكومة بالصلح حينا والقوة حينا آخر .

(٢) ابن غنام: ٢/ ١٥٧ ، الفاخري : ١٢٤ ، مؤلف مجهول: ٨٩ وذكر أن الغزوة كانت ضد حرب ولم يشر الى مطير فيها مع تواتر ذلك لدى مؤرخي نجد ، ابن بشر: ١/ ١١١ ، وقد ذكر ابن غنام هذه الغزوة قبل غزوة ابن قرملة ، الا أن الفاخري وابن بشر ذكراها بعدها بل ان الفاخري ذكر أنها سنة ١٢٠٧هـ مما يؤكد تأخرها عن =

الأولى - في أوج قوتها على الأقل - وركنت هذه القبيلة بعدها الى الهدوء (١).

وعدا غزوتين صغيرتين نسبيا اذ ما قورنتا بالغزوات الكبيرة ضد مطير احداهما توجهت من القصيم الى أحد موارد المياه في السر وكانت تقطنه مطير ، وكان جيش القصيم التابع لحكومة الدرعية يبلغ ألفا ومائتي رجل ومائة وثلاثين فرسا فقط وحصلت معركة صغيرة بين الجانبين انهزمت فيها مطير وقتل من أفرادها خمسون وأخذ منها عدد من الابل والخيول والأغنام كغنائم (٢) . والأخرى سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م والتي أغار فيها سعود على تجمع صغير من عتيبة ومطير في الحرة وحصل بينه وبينهم قتال قتل فيه رئيس الخيالة السعودي في هذه الغزوة وقتل من التجمع البدوي حوالي ثلاثين رجلا بين قائد وجندي وغنم سعود منهم عددا من الابل والأغنام والأمتعة (٣)، عدا هاتين الغزوتين فلم يذكر المؤرخون غزوات ذات بال بين مطير وجيش الدرعية ، اذ بعد تلك الغزوات الكبيرة السابقة والت مطير الدعوة وحكومتها وبرهنت على ذلك باشتراكها في الغزوات التي توجهها الدولة الى القبائل والبلدان المناوئة لها ، فضلا عن أدائها للزكاة الواجبة شرعا للحكومة وخضوعها لكافة الأحكام الصادرة من الدرعية (٤) .

= غزوة ابن قرملة ، وأنها آخر غزوات الدرعية الكبيرة ضد مطير ، وهذه الغزوة تسمى غزوة الشقرة وهي مورد ماء شمالي الحناكية .(ابن بليهد : ٢/١٣ ، ١٠٤).

(١) حسين خلف خزعل : ٣٠١ .

(٢) مؤلف مجهول : ١٢٠ .

(٣) ابن غنام : ٢/١٧١ - ١٧٣ ، الفاخري : ١٢٧ ، ابن بشر : ١/١٣٤ .

(٤) انظر على سبيل المثال لهذه الموالاة ابن بشر : ١/١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ٢٣١ .

وفى سبيل ذلك فقد اشترك قسم كبير من مطير فى غزوة أرسلتها الدولة سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م الى قبيلة بنى هاجر (١) فى عالية نجد ، وذلك ضمن جيش اشترك فيه كذلك عدد من البلدان والقبائل المؤيدة للدعوة ، وعادت هذه الغزوة بنجاح تمثل فى قتلها عددا من بنى هاجر وأخذها قسما كبيرا من ابلها وأغنامها وأمتعتها غنائم ،هذا بالاضافة الى اشتراك مطير أو أفخاذ منها فى عدد من الغزوات والمعارك بين الدعوة ومناوئيها فى داخل نجد وخارجها (٢) .

أما شمر فيبدو أن تأييدها للدعوة كان متقدما مثلها فى ذلك مثل بعض القبائل البدوية أو أفخاذ منها كما مر ، فيشير صاحب اللمع الى أن كثيرا من شمر قد دخلت فى طاعة حكومة الدرعية منذ عهد الامام محمد بن سعود ، وهو فى هذا لا يبين هل دخلت هذه القبيلة فى هذه الطاعة عن طريق الغزو أو عن طريق الاقتناع، ولكنه يؤكد أنها قد رجعت عن هذه الطاعة كما رجع عنها كثير من البلدان والبوادى النجدية بسبب قدوم المكرمى صاحب نجران وابن عريعر

---

(١) قبيلة متفرعة من شريف من جنب أحد أفخاذ قبيلة قحطان المعروفة فى جنوبى المملكة وكانت منازلها فى سراة عبيدة حتى انتقلت منها فى القرن الثالث عشر الهجرى الى منطقة الأحساء وبقى منها أقسام فى الجنوب وبعض مناطق نجد ، ومن أبرز من أنجبتهم قبيلة بنى هاجر الشيخ عبدالله بن حسين المخضوب (١٢٣٠/١٨١٤م - ١٣١٧/١٨٩٩م) العالم المعروف وصاحب الخطب المنبرية ، للتفصيل :(عبدالله البسام : علماء نجد : ٢/ ٥٣٠ - ٥٣٢ ، حمد الجاسر : معجم قبائل المملكة : ٢/ ٨٦٩ - ٨٧٢، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة : ٢/ ٩٥١، ٩٥٢ ،عمر كحالة: ٣/ ١٢٠٦).

(٢) ابن غنام: ٢/ ١٦٩ ،ابن بشر : ١/ ١٣٢، ١٣٥ ،حيث ذكر فى السنة نفسها غزوة اشتركت فيها مطير أرسلتها الدرعية لتأديب عتيبة ،وذكر اشتراك مطير بزعامة فيصل الدويش فى معركة الجمانية ضد الشريف غالب وذلك سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م .

بجيوشهما لغـزو الدرعية والقضاء على حكومتها الجديدة ، واستغل قسم من شمر هذا الرجوع للاغارة على الأطراف الموالية لهذه الحكومة (١) .

وكان رد الدرعية على هذا أن جهز الامام محمد بن سعود جيشا بعد رجوع النجراني وابن عريعر الى بلديهما في نهاية سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م يبلغ ستة آلاف مقاتل بقيادة ابنه عبدالعزيز فغزاهم ليلا وقتل منهم عددا كثيرا وأسر مائتي رجل أو يزيدون ثم قفل راجعا الى الدرعية وقد تم هذا الغزو والقفول بموافقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأمره مثلما كان يتبع ذلك الأسلوب وخصوصا في المراحل الأولى لقيام الدولة السعودية الأولى (٢) .

ولما غزا ابن عريعر القصيم حينما بدت منها بوادر تأييد للدعوة كما مر انضمت شمر الى الجموع التي أيدته وسارت معه في غزوته تلك ، ولعل تلك الغزوة الكبيرة التي قام بها عبدالعزيز ضد شمر وما ترتب عليها من نتائج أضرت بهذه القبيلة مع أسباب أخرى تكاتفت لتجعل هذه القبيلة تنظر نظرة عداء للدولة السعودية وتتحزب مع كل من يحاول الاطاحة بها (٣) .

ولما توسعت الدولة السعودية الأولى وكثرت بالتالي غزواتها وأعمالها ، ونظرا لقرب القصيم من منطقة حائل ولكونه أيد الدعوة قبلها ، فقد وكل أئمة هذه الدولة الى امراء القصيم مهمة غزو الشمال عموما وخصوصا قبيلة شمر وتأديب المناوئين فيها للدعوة ، ويبدو أن الدرعية قد وكلت هذا الأمر في بدايته لمنطقة عنيزة حيث

---

(١) السريكي : ٣٧ ، ٤٢ .

(٢) المصدر السابق : ٤٢ ، وأعيد الى الأذهان ماسبق أن أشرت اليه في نظام الغزو أن الغزو عند شمر يتم في الليل "بيات" فكأن عبدالعزيز عاملهم بأسلوب الغزو لديهم .

(٣) ابن غنام : ١١٣/٢ ولكنه لم يذكر شمرا ضمن هذه الجموع الا أن ابن بشر : ٩٢/١ ذكرها ضمنها .

غزا أميرها (ابن رشيد) قوما من شمر فاسر منهم مائتي رجل فدوا أنفسهم بأموال (١)، مما يوحي بأن عنيزة كانت أقدم ولاء للدعوة من كثير من بلدان القصيم حتى نظر بعض مؤرخي تلك الفترة الى القصيم في مرحلة تأييده الأولى للدعوة من خلال دخول عنيزة تحت حكم الدرعية أن أمير عنيزة كان هو الحاكم على القصيم التابع للدعوة (٢).

على أنه في مرحلة تالية فيما بعد واستطاعت بريدة أن تكون منافسة لعنيزة في هذا التأييد ليكون شاملا لمنطقة القصيم باكملها الا أن حادثة قتل المطاوعة في القصيم وما صاحبها من ملابسات لعبت فيها بعض الأهواء جعلت حكومة الدرعية تنظر نظرة مريبة نحو أمير عنيزة وبعض أمراء بلدان القصيم الأخرى، واستتبع ذلك تحويل انطلاق الغزو نحو الشمال وخاصة شمر الى امارة بريدة التي أصبحت تسمى امارة القصيم.

وفي نطاق ذلك غزا أمير بريدة حجيلان بن حمد آل ابو عليان ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م منطقة شمر، ولما علم بورود قافلة من جنوب العراق محملة بمؤن لأهل هذه المنطقة اهتبلها فرصة حيث رصد لهذه القافلة في احدى البلدان المجاورة وتمكن من أخذ القافلة بما فيها بعد أن تم قتل عدد كبير من رجالها (٣).

ولما كانت شمر قد اشتركت مع ثويني بن عبد الله في غزوته لمناطق القصيم سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٦م فقد غزاها حجيلان في آخر هذه السنة بأمر من الامام عبد العزيز وسار معه في هذه الغزوة قسم كبير من أهل القصيم وغيرهم من البوادي

---

(١) مؤلف مجهول: ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق: ٨٢، ٨٣ حيث قال عن أمير عنيزة: "وابن رشيد المذكور هو شيخ من تحت يد عبد العزيز ومطيع له، وحكمه على القصيم".

(٣) ابن غنام: ١٢٦/٢ وذكر فيها اشتراك بعض عنزة مع حجيلان، ابن بشر: ٩٨/١، حسين خزعل: ٣٠٣.

المؤيدة للدعوة حولها ، وحاصر المنطقة وضيق على أهلها فطلبوا منه الأمان ، وتعهدوا فيه بأن يعودوا موالين للدعوة تابعين للدولة السعودية حيث بايعوه على دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والسمع والطاعة ، وكانت هذه الغزوة متجهة الى القسم الحضرى من منطقة شمر ، ولما غادر ثويني منطقة القصيم وتفرغ حجيلان لتأديب المؤيدين له من البوادى أغار فى السنة نفسها على بوادى شمر حيث قتل منهم مايقرب من مائة رجل وأخذ منهم غنائم متنوعة (١) .

ومبايعة القسم الحضرى من شمر وغيرها ممن يقطنون تلك المنطقة لايعنى أن بوادى شمر قد ثبتت على ولائها السابق للدعوة بل ذكر صاحب اللمع أن حربا قد حدثت بسبب هذا الولاء بين القسم الحضرى لشمر والموالى للدعوة ، وبين القسم البدوى برئاسة الجرباء حيث أرسل الحضر للامام عبدالعزيز أن الجرباء يغير عليهم لهذا السبب ، اضافة الى اشتراك بادية شمر مع عدد من بوادى نجد والحجاز التى أيدت الشريف غالب فى غزوته السابقة لنجد ، كل هذا حدا بالامام عبدالعزيز أن يرسل ابنه سعودا بجيش كي يؤدب شمر ومطير على هذا التأييد كما سبق بيانه فى معركة العدوة التى كانت زعامة التجمع البدوى فيها لشمر حيث كان قائد هذا التجمع مصلط بن مطلق الجربا ابن زعيم شمر قاطبة (٢) ، ومن طريف مايروى ابن بشر فى هذه الموقعة أن مصلطا هذا قد نذر أن يجشم فرسه مجلس سعود الخاص ومكان

---

(١) ابن غنام: ٢/ ١٣٠ ، ابن بشر: ١/ ٩٩ ، ١٠٠ ، حسين خزعل: ٣٠٣ .

(٢) ذكره صاحب اللمع باسم سلطان بن مطلق ، ويبدو أن مصلط يطلق أحيانا على سلطان ، وذكر الراوى فى كتابه "البادية" (ص ١٥٥) أن أسرة الجرباء نسبوا الى أمهم التى ابتليت بالجدرى فغير بشرتها على عادة العرب قديما وحديثا بالتسمي بامهاتهم سواء من جهتهم اذا كانت أمهم ذات مركز وسمعة عالية ، أو من غيرهم اذا كانت غير ذلك ومن أمثلة ذلك باهلة الطفاوة وقرملة ، وذكر العارك فى شيم العرب: (٤/ ٣٣٢) أن مطلق الجرباء كانت رئاسته فى تلك الفترة على شمر قاطبة بل ترأس تحالفا من عنزة وشمر والظفير. (من شيم العرب : ١/ ٦٨).

أكله فأرخى عنان فرسه لذلك وما أن قرب من المكان حتى اختطفه جند سعود ورماه أحدهم بعود فيه نار كان يشوى به قرصا حيث سقط عن جواده فقتل وبقتله انهزمت تلك البوادى حيث أخذ سعود وجنده يتتبعونهم يومين وهم لا يلوون على شئ فقتل منهم عددا كبيرا وسيقت نعمهم وأخذت أموالهم وأمتعتهم غنائم (١).

ولما كان الأثخان فى مطير وشمر كان شديدا ، اضافة الى أن هذه المعركة تعتبر من كبار المعارك بين قبيلة شمر وحكومة الدرعية فقد كانت نتائجها على هذه القبيلة واضحة اذ خضع قسم كبير منها لحكومة الدرعية بعد حروب يسيرة استتبعت تلك المعركة الكبيرة ، وجلا قسم كبير آخر من هذه القبيلة الى بوادى جنوب العراق والشام بزعامة مطلق بن محمد الجربا الذى ما من شك فى أن هزيمته فى تلك المعركة علاوة على مقتل ابنه مصلط كانا سببين رئيسيين وراء دفعه بجموع كثيرة من شمر نحو تلك المناطق حيث اتجه بقسم منها نحو السماوة جنوب غربى العراق ، وأصبح هذا القسم يسمى شمر الجرباء والرئاسة فيه لآل محمد الجرباء (٢) وبجلاء مطلق وهذه الأقسام من تلك القبيلة عن نجد دانت شمر النجدية للامام عبد العزيز بن محمد حيث أصبحت تؤدى الزكاة الى بيت المال رمزا لهذه الطاعة ،كما اشتركت فى حملة الحج سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٦م تحت قيادة الامام

---

(١) ابن غنام: ٢/ ١٥٠-١٥٢ ،الفاخرى : ١٢٣ ،ابن بشر: ١/ ١٠٩، ١١٠ ،الريكى : ٩٩، ١٠٠ ،ابن عيسى : ١٢٥ ،حسين خزعل : ٩٧ ووهم حين قال ان زعامة الجرباء كانت لعنزة على أنه خلط بين أحداث شمر ومدينة عنيزة ، ثم تأكد فى ص: ٢٩٩ أن امارة شمر فى أسرة الجرباء واورد احداث معركة العدوة كما ذكرها المؤرخون الآخرون.

(٢) الريكى : ١٠٠ ،حسين خزعل: ٢٩٩ ،الراوى: البادية : ٣٤٤-٣٥١ وذكر فيها أن أول من رحل من نجد هو فارس الجرباء وهو يتفق فى هذا مع لونكريك (١٠٤) الذى ذكر أن ذلك عام ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠ على انه قد ذكر مؤرخو نجد من اهلها وغيرهم ان مطلقا قد رحل بقسم كبير من شمر ثانية من نجد للاسباب السابقة، ويؤكد الريكى (٦٢) ان الامام عبد العزيز بن محمد هو الذى أجلا قسما من شمر مع مطلق فى اواخر ايامه بسبب مابدر منهم من خلاف ضده.

سعود بن عبدالعزيز ، هذه الحملة التي كان من أهدافها كذلك توطيد الحكم السعودي في الحجاز واشتركت فيها قبائل نجد والحجاز والجنوب (١).

أما شمر الجرباء فتحت تأثير ذلك الجلاء وأسبابه أخذت تكيد العداء للدعوة ودولتها متحينة الفرصة للاغارة على الأطراف الموالية لهذه الدولة وكانت هذه القبيلة تتحزب في سبيل ذلك مع القبائل النجدية الجالية الى العراق للسبب نفسه كالظفير ففي سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م غزا سعود بن عبدالعزيز جنوبي العراق وأغار على بعض بلدانه فذكر له تجمعا بدويا مكونا من شمر الجربا والظفير وغيرهما ،وكان هذا التجمع مقيما على أحد موارد المياه في جنوبي العراق ، فالتقى به سعود ونازله وحصل بين الفريقين قتال شديد تداوله الفريقان وقتل فيه من جند سعود خمسة عشر رجلا ، وفي المرحلة الأخيرة من الغزوة حمل سعود وجنده على هذا التجمع فقتلوا عددا من فرسانه من القبيلتين ،وكانت نهاية المعركة اثر مقتل زعيم هذا التجمع مطلق بن محمد الجرباء الذي عثر جواده وهو يطارد خيل سعود في نعجة أدركه بعدها زعيم السهول المشتركين مع سعود في هذه الغزوة فقتله فانهزم هذا التجمع وغنم جيش الدرعية ابلهم وأثاثهم وأمتعتهم (٢) ،وهكذا انتهت علاقة هذه القبيلة بالدعوة ودولتها بدخول قسم منها في طاعة هذه الدولة ،

---

(١) ابن بشر: ١/ ١٧٣، ١٨٨، ٢٢٣ وذكر فيها اشتراك شمر بقيادة أمير منطقة حائل محمد العلي مع أهل القصيم بقيادة حجيلان من قبل حكومة الدرعية للاغارة على بوادي حرب قرب الحناكية .

(٢) ابن بشر: ١/ ١٥٠، ١٥١ ،عثمان بن سند البصري : مطالع السعود باخبار الوالي داود ورقة ١٢١ حيث ذكر فيها مقتل مطلق الجرباء مشيرا الى أن سعودا كان يفضل أسره على قتله ، ولعل ذلك لما يتمتع به مطلق من حنكة ودهاء وكرم أراد سعود أن يستثيرها فيه ليضمه وقبيلته الى صفه.

وجلاء قسم منها الى بوادى الشام والعراق حيث يمكن اعتبار هذا الانتهاء لهذه العلاقة من معالم التقسيم القبيلى لهذه القبيلة ، ودافعا من دوافع التحـــرك والتغيير الاجتماعى لهذه القبيلة ومن يشابهها .

أما الدواسر فقد ابتدأت علاقتها بالدعوة حينما انضم فخذ الوداعين منها مع النجرانى فى غزوته للدرعية سنة ١١٧٨ هـ ، الــتى مر ذكرهـا اذ كان حويل الودعانى من المحرضين والمؤيدين بالأنفس والأموال للنجرانى أسوة بزعماء المعارضة النجدية حاضرة وبادية ، ولعل لقرب منطقة الدواسر من نجران وكثرة التعامل بـين المنطقتين أثر كبير فى هذا التأييد الذى برز مرة أخرى عندما قدم النجرانيون مرة ثانية سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م لغزو منطقة العارض وأيدتهم المعارضة النجدية كذلك وكانوا أثناء مرورهم بوادى الدواسر قد اصطحبوا معهم قسما كبيرا من أهله ويبدو أن الوداعين أيضا تولوا كبرهم ، وحصل بين النجرانيين وبعض بلدان العـــارض مقاتلات صمد لهم فى آخرها أهل ضرما مما اضطرهم للخروج منها والعودة مـن حيث أتوا وتفرقت الجموع التى أيدتهم نادمة على هذا التأييد المادى والمعنـوى ، وخاصة مابذلته تلك الجموع من أموال طائلة فى سبيل نجاح خطة النجرانيين (١) .

ولم تشر أحداث تلك الفترة الى أى محاولة قامت بها حكومة الدرعية لغزو منطقة وادى الدواسر سواء باديتها أو حاضرتها ، وكان تركيز الغزوات منصبا على شمال نجد وأواسطها ، ولعل ذلك كان راجعا لقوة بأس الدواسر بزعامة الوداعين ، اضافة الـى قربهم من نجران التى يشكل حاكمها قوة لا يستهان بها خاصة وهى تقف موقف العداء من الدعوة ودولتها ، الا أن المرء لا يستبعد أن تكون هناك معرفة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من بعض الدواسر سواء كان ذلك بالاتصال بينهم وبين الدرعية التى مـن الممكن كذلك أن تكون قد أوعزت لمن يوضح مبادئ الدعوة فى المنطقة ولو لم يكـن ذلك بشكل علنى ، أو كان ذلك نتيجة لقدوم بعض الدواسر لمنطقة العارض ومعرفتهم

---

(١) ابن بشر : ١/ ٨٠ .

أو سماعهم بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

وعلى أى حال ففى سنة ١١٩٩هـ/١٧٨٤م قدم الى الدرعية ربيع ويدن ابنا زيد الدوسرى رئيس فخذ المخاريم من الدواسر وبايعا الشيخ محمد والامام عبدالعزيز على السمع والطاعة عنهما وعن فخذهما حيث شكلا فى الوادى قوة لا يستهان بها تستطيع أن تقف فى وجه الذين يريدون غزو الدرعية من الجنوب، اضافة الى دورها فى نشر الدعوة والولاء للدرعية فى المنطقة ، ورغم أن عددا كبيرا من قومهما قد انضموا اليهما ، الا أن قسما كبيرا من عشائر الدواسر الأخرى بقى على عدم ولائه لحكومة الدرعية (١) .

وفى ١٢٠٢هـ/١٧٨٧م قدم قسم كبير من الدواسر مع ربيع ويدن رئيسا المخاريم[٢] لمبايعة حكومة الدرعية بعد معارك قامت بينهما وبين بقية الدواسر بزعامة الوداعين وكانت بسبب ما قاما به من ازالة ما فى الوادى من أشجار وأحجار كانوا يقدسونها ، واستعان ربيع ويدن بالامام عبدالعزيز الذى أمدهما بجيش من قحطان بزعامة مبارك بن عبدالهادى بن قرملة ، وخضع قسم كبير من أهل الوادى بعد هذه المعارك لطاعة ربيع ومبارك ، وبقى قسم على محاربته لجيش الدرعية واستفزع أهل نجران

---

(١) ابن غنام: ٢/١٢٢ ، ابن بشر: ١/٩٧ ، مؤلف مجهول : ١٥٣ وذكر فيهما أن ربيع قد بايع قبل قومه بثلاث سنين ، ويمكن أن يفهم من هذا أن المخاريم أنفسهم لم يبايعوا الا سنة ١٢٠٢هـ الا اذا كان يقصد عموم الدواسر.

(٢) ذكر ابن غنام أن ربيع ويدن فيهما رئاسة المخاريم منذ مبايعتهما الأولى بينما ذكر ابن بشر فى الحادثة الأولى أنهما أبناء الرئيس وفى الثانية بلقب رئيس المخاريم مما يبدو معه أن أباهما فى الأولى كان موجودا وتوفى بعدها الا أن رواية ابن غنام — فيما يبدو — أدق ، ويمكن تعليل رواية ابن بشر بوجود خطأ مطبعى أو أثناء نقله من ابن غنام هذه الاحداث .

الذين جاءوا بخيلهم ورجلهم وحدثت بينهم وبين جيش الدرعية والمؤيدين له من الدواسر عدة مقاتلات انهزم فيها الوداعين والرجبان مع النجرانيين الذين تركوا حلفاءهم وعادوا الى نجران فما كان من الرجبان والوداعين الا نزلوا على طاعة ربيع الذى قدم مرة أخرى بقسم من أهل الوادى الى الدرعية للمبايعة حيث أكرمتهم الحكومة غاية الاكرام، ولم يفت ربيع هذه المرة أن يطلب من الشيخ محمد والامام عبد العزيز معلما يتولى تعليم الدواسر أمور دينهم مؤكدا فى هذا أن الخضوع نتيجة الحرب لا يستمر طويلا مبينا أن الدواسر سيكونون قوة فى يد الدعوة اذا ما انضموا اليها على بصيرة وعن اقتناع ووافق الشيخ محمد والامام عبد العزيز على ذلك حيث أرسلا معه واحدا من كبار العلماء والمعلمين فى عهد الدولة السعودية الأولى هو الشيخ عبد الله بن فاضل (١) ليكون معلما لأمور الدين

---

(١) هو الشيخ عبد الله بن فاضل أحد علماء الدرعية، ويبدو أنه كان محل ثقة الشيخ محمد وأئمة الدولة السعودية الأولى حيث كانوا يرسلونه معلما للبلدان التى تتطلب جهدا كبيرا فى التعليم والاقناع اما لغشو الجهل فيها كوادى الدواسر، أو لوجود فئات معارضة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولمذهب أهل السنة عامة كالأحساء، فقد كان معلما فى المنطقتين حيث انتقل من الوادى الى الأحساء بعد الاستيلاء عليها سنة ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م من تلاميذه الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م) والشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م) وقد تتلمذ عليه الأخير فى السيرة ويبدو أن الأول تتلمذ عليه فيها، وفى يوم الجمعة ١ شوال ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م وبعد مضى أشهر معدودة على مبايعة أهل الأحساء للامام عبد العزيز نكص جماعة منهم عن هذه البيعة حيث قتلوا الأمير السعودى وصاحب بيت المال والمعلمين حيث بلغ مجموع القتلى ثلاثين رجلا كان من بينهم الشيخ عبد الله بن فاضل، (ابن غنام: ٢/ ١٣٥، ١٦٢، الفاخرى: ١٢٥، ابن بشر: ١/ ١٣، ١٢٩، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ: مشاهير علماء نجد وغيرهم: ص ٢٩، ٥٩، ٦٥، عبد الله البسام: علماء نجد: ١/ ٥٦، ٢٩٤، محمد القاضى: روضة الناظرين: ١/ ١٢١، ٢٠٠) وذكر فيها أن عبد الرحمن بن حسن قد

=

واماما للصلاة حيث بقوا على هذا الولاء مدة ستة أشهر الا أن فخذ الرجبان والوداعين نقضوا هذا الولاء - وليس من المعروف سبب ذلك - فأرسل الامام عبدالعزيز اليهم جيشا قاتلهم فهزمهم حتى طلبوا من قائده الأمان ، الذى طلب منهم الذهاب الى الدرعية لترى فيهم رأيها فقدموا على الامام عبدالعزيز وعاهدوا على السمع والطاعة فاشترط عليهم دفع ثلاثة آلاف ريال منها ألف معجلة مع ألف بندق فقبلوا بذلك الشرط وسلموا المعجل منها (١) .

ويبدو أن الرجبان والوداعين استنكفوا أن تكون امارة الدواسر فى المخاريم (٢) ففى سنة ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م غزا قاعد بن ربيع الدوسرى مع هادى ابن قرملة بنى هاجر فانتقض عليه بعض الدواسر حيث قتل من جيش قاعد عددا وأسر آخر ، وكان أبرز المنسحبين عن قاعد حويل الودعانى وجماهر الرجبانى مع قومهما : الوداعين والرجبان ، ولعل كون القيادة بيد قاعد وهما يريان نفسيهما أكبر وأقدر على القيادة منه سببا رئيسيا فى هذا الانسحاب (٣) .

= تتلمذ عليه فى الأصول والفروع والحديث وعلوم العربية والفرائض وحسابها مما يدل على أن الشيخ ابن فاضل كان من كبار العلماء حتى لقب بعالم الدرعية)

(١) ابن غنام: ٢/١٣١-١٣٦، ابن بشر: ١/١٠١-١٠٤.

(٢) ذكر الشيخ حمد الجاسر فى معجم قبائل المملكة: أن المخاريم أحد أفخاذ الرجبان الذين هم من الوداعين من الدواسر . وللتفصيل فى هذه الأفخاذ الثلاثة انظر (معجم قبائل المملكة : ١/٢٦٥، ٢/٧٢٦، ٨٥٩) .

(٣) ابن غنام: ٢/١٤٣، ١٤٤، وقد ذكر فيها أن قاعدا اسم آخر لربيع بينما ذكر ابن بشر : ١/١٠٧ فى الحادثة نفسها أن قاعدا ابن لربيع وهو الذى يتفق مع الأحداث الأخرى ومع ذكر ابن غنام لذلك فى سنة ١٢١٠ هـ القادمة على أنه يخلط بين كون الامارة لأبيه أو له .

واستفحل خطر الرجبان والوداعين على حكومة الدرعية ومؤيديها في منطقة جنوب نجد عامة ووادي الدواسر خاصة حينما أرسل الشريف جيشه لغزو نجد فانضمت اليه القبائل النجدية كما مر وانضمت اليه جموع من الدواسر مؤيدة ، ولم يكتف الرجبان والوداعين بالتأييد فقط كما فعلت سائر القبائل النجدية بل أرادوا أن يكونوا قوة رئيسية أخرى مساندة للشريف وقبلوا - في هذا الصدد - أن يكون وادي الدواسر ولاية شريفية حيث أمر فيهم الشريف غالب الشريف شاكر الذي تولى قيادة جيش شريفي قوامه الرجبان والوداعين وبني هاجر ومفرزة من الجيش الشريفي القادم الى نجد ، ونظرا لخطورة هذا التجمع فقد بادرت حكومة الدرعية بارسال جيش على وجه السرعة بقيادة نغيمش بن حمد (١) ، وشكل مع ربيع ومبارك بن عبد الهادي الودعاني مجلس قيادة للجيش السعودي القادم من الدرعية وجموع الدواسر الموالين للدعوة ، والتقى هذا الجيش في وادي الدواسر بالجيش الشريفي والجموع البدوية المؤيدة له وحصل بين الجيشين عدة مقاتلات وجولات انهزم فيها جيش الشريف وجموعه بعد أن قتل من الطرفين عدد من الرجال (٢) .

وتسكت الأخبار عن علاقة الدواسر بالدعوة بعد هذه المعركة ، الا أنه يبدو أن لها تأثير قوي في خضوع قسم كبير منهم ، وتمثل هذا في اشتراكهم مع الجيش الذي أرسلته الدرعية لتأديب بني هاجر كما مر ، وليس من المعروف هل كان

---

(١) نغيمش بن حمد : أحد قواد الدولة السعودية الأولى وهو من أهل التويم ، (ابن بشر : ١٠٨/١) ، ولعله من آل ابن حمد من آل يمني من قحطان ، (حمد الجاسر : جمهرة : ١٧٩/١).

(٢) ابن غنام : ١٤٨/٢ ، ابن بشر : ١٠٨/١ ، الريكي : ٩٦ .

الرجبان والوداعين ضمن الجيش السعودى أو من المؤيدين لبنى هاجر والبقوم فى تحزبهم ضد الدولة السعودية الأولى (١).

واشتركت الدواسر مع عدد من القبائل المؤيدة للدعوة وكان ذلك سنة ١٢١٠هـ/١٧٩٥م بزعامة ربيع الذى أصبح أميرا عاما على الدواسر حاضرة وبادية والتقت هذه الجموع ضد جيش الشريف فى مورد الجمانية بعالية نجد حيث انهزم جيش الشريف، على أنه فى السنة نفسها غزا قاعد بن ربيع مع قسم من الدواسر قبيلة بنى هاجر حيث قتل منهم عددا من الرجال، وأخذ قسما من الابل والخيل والأغنام والأموال كغنائم (٢).

وواصل الدواسر بزعامة ربيع غزو القبائل والبلدان غير المؤيدة للدعوة والمناوئة لها لتوسيع رقعة الدولة وكسب الأموال لبيت المال ففى سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م غزا ربيع بجيش كثيف من الدواسر ومعهم غيرهم بامر الامام عبد العزيز الذى حدد له قبائل الطائف مقصدا حيث غزا قبيلة شهران وقتل منهم عددا من الرجال وغنم ابلا وأغناما (٣).

وبدأ نجم ربيع العسكرى فى الصعود حيث أصبح من كبار قادة الدولة السعودية الأولى، وأمراء المقاطعات الذين يحظون بتقدير واحترام أئمتها،

---

(١) ابن غنام: ٢/١٦٩، الفاخرى ١٢٥، ابن بشر: ١/١٣٢ وهى التى قتل فيها ناصر بن شرى أمير بنى هاجر سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م، وأشار الى اشتراك الدواسر فى جيش الدرعية ابن بشر فقط.

(٢) ابن غنام: ٢/١٧٢، ١٧٣ وذكر أن قاعد بن ربيع فى غزوته لبنى هاجر رئيس للدواسر، بينما ذكر اشتراك ربيع فى الجمانية وهو رئيس للدواسر وسار على ذلك ابن بشر: ١/١٣٥ الا أنه وصف قاعد بأمير وادى الدواسر بينما وصف ربيع بأمير جميع الدواسر حاضرة وبادية.

(٣) ابن غنام: ٢/١٩٩، ابن بشر: ١/١٤٧.

وقد استغل الرجل هذه الثقة في التفاني والاخلاص لهذه الدولة ، وفي هـذا المجال غزا سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م بجنود من الدواسر وغيرهم منطقة بيشـة حيث نازلهم وضيق عليهم الحصار حتى بايعوه على الولاء للائمة السعوديين ، الا أن الشريف غالب لما علم بذلك سارع بارسال جيش التحم مع أهل بيشـة وحاصرهم وقطع بعض نخيلهم ، وقتل عددا من رجالهم مما أثر على ولائهم للدولة السعودية حيث تحولوا عنه ودخلوا في طاعة الشريف (١) .

ولعل أبرز دور بطولي قام به الدواسر بقيادة ربيع بن زيد هو اشتراكهـم الرئيسي في معركة الخرمة ضد الشريف غالب في السنة نفسها حيث سـار الشريف بجيش كثيف بادية وحاضرة ، ويبدو أنه استثار من قدم للحج أو للجوار من المصريين والمغاربة حتى أصبح جيشه ضخما في العدد والعدة سار به حتى نازل بعض بلدان الجنوب ، ونزل الخرمة (٢) ، ولما كان سعود بن عبد العزيز غازيا في شمال نجد وجنوب العراق في المعركة التي قتل فيها مطلق الجربـاء كما مر (٣) ، فلم يرد الرجوع بكامل جيشه بل رد مفرزة من هذا الجيش تكون عونا لمن يتعرضون لهجمات الشريف الى أن يأتي اليهم جيش آخر من الدرعية أو من القبائل والبلدان المؤيدة التي لم تشترك في حرب الشمال ، وفي الوقت نفسـه

---

(١) ابن غنام : ٢/ ١٩٩ وقد ذكرها سنة ١٢١١هـ بينما ذكرها ابن بشر : ١/ ١٢٩ في سنة ١٢١٢هـ ، وذكرها ابن غنام مرة أخرى سنة ١٢١٢هـ ، ٢/ ٢٤٢ .

(٢) الخرمة : بلدة تقع الى الجنوب الشرقي من الطائف على وادي الخرمة أو تربـة شمال حضن سكانها من سبيع مع بعض الأشراف وغيرهم تشتهر بزراعة النخيل وجودة التمور ترتبط بالطائف اداريا وتتصل به عبر طريق معبد بطول ١٨٠ كم ويتبعها عدد من القرى . (الفاخري : ١٢٩ من حاشية المحقق ، ابن بشر : ١/ ٥٣ من حاشية المحقق ، حمد الجاسر : مقدمة المعجم الجغرافي : ١/ ٣٩٤ ، ابن خميس : المجاز : ١٨٦ ، ٢١ ، عاتق البلادي : معجم معالم الحجاز : ٣/ ١١٨) .

(٣) ومن الموافقات أن مقتل الجرباء وهزيمة الشريف غالب في يوم واحد (ابن بشر : ١/ ١٥٢) .

أرسل الامام عبد العزيز الى هادى بن قرملة لينفر بمن لديه من قحطان، والى ربيع بن زيد لينفر بمن لديه من الدواسر وغيرهم والى أخلاط أخرى من البادية وبعث جيشا من الحضر، وأمر هذه الجموع بالمسير لملاقاة الشريف فى الخرمة فسارت اليه - ويبدو أنها بقيادة ربيع وهادى، وقومهما هم الأكثرون - فأغارت عليه فى منزله الخاص حتى أصيب جنده بالرعب فانهزموا لا يلوون على شئ تاركين خيامهم وأموالهم، والجيش السعودى وراءهم يعمل فيهم قتلا، ومن لم يقتل أدرك ظمأ وجوعا فكانت هذه الموقعة على حد تعبير ابن بشر: " وقعة عظيمة ومقتلة كبيرة (١) حتى بلغ عدد القتلى من الأشراف والمصريين والمغاربة وقريش وعتيبة وثقيف الفين وأربعمائة، وأخذ السعوديون مافى خزائن غالب المنقولة معه من النقود التى بلغت ثمانية عشر ألف مِشْخَص (٢) كان يريد توزيعها صبيحة ذلك اليوم على الجند تشجيعا لهم اضافة الى ماغنموه من الأسلحة والأثاث والأمتعة مع ماردوا من الأموال والامتعة التى أخذها الشريف من قحطان فى غزوة سابقة، علاوة على الاستيلاء على العدد العثمانى للشريف غالب (٣) المكون من الابل المجهزة للحرب، ورجع الشريف الى بلده منهزما يتحين الفرص لمهادنة السعوديين اذ لم يلبث الا فترة قصيرة حتى صالح الامام عبد العزيز سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م على تعيين

---

(١) ١/١٥١.

(٢) المشخص: عملة عالية القيمة من الذهب الخالص عيار أربعة وعشرين وهو من النقود الأوربية التى كانت تضرب فى البندقية منذ القرن السابع الهجرى وسمى بالمشخص لوجود صور بعض قديسى ودوقات البندقية عليه ويبدو أن معرفة نجد بهذه العملة كان عن طريق الحجاز التى عرفتها عن طريق مصر ولقى قبولا فى هذه المناطق وغيرها حتى كان النجديون وخاصة البدو يطلقونه على الرجل الطيب الأصل والمحبوب.
(د. أحمد عزت عبد الكريم وآخرون : عبد الرحمن الجبرتى، دراسات وبحوث الهيئة المصرية العامة للكتاب، نشر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص ٥٧٧، الفاخرى ٩٦، ابن بشر ١/١٨٠، ١٥٢، ٢/٢٣٢).

(٣) بينما ينفى دحلان فى خلاصة الكلام: (٢٦٦) أن تكون الدولة العثمانية قد أيدت الشريف فى معركته تلك وذلك فى قوله: " وفى سنة اثنتى عشرة أرسل مولانا الشريف الشيخ أحمد تركى للدولة العلية يستنجدهم ويطلب منهم الاعانة على دفاع الوهابى فلم يجيبوا دعوته، ولم يلتفتوا لذلك ولم يكترثوا به فمازال قائما بدفاعهم وحده"، بينما ينفى ذلك يؤكد ابن بشر مساندة الدولة للشريف غالب فى غزوته تلك وأن ابل الدولة ورواحلها كانت من ضمن الغنائم التى أخذها السعوديون: (١/١٥٢).

حدود القبائل والممالك التابعة لكل منهما ، وعلى السماح لأهل نجد بالحج ، وما من شك فى أن هذه المعركة برجحان كفتها لصالح السعوديين قد هيأت الأوضاع لهم للاستيلاء على الحجاز وأبرز مظاهر ذلك دخول بعض القبائل الحجازية فى طاعة حكومة الدرعية حيث أصبحت هذه القبائل تثير المشكلات أمام الشريف ، علاوة على ضعف الجانب العسكرى ، وسوء الحالة الاقتصادية ، كل هذا مهد السبيل لدخول السعوديين الحجاز ، وجعل الشريف لا يكترث بذلك بل يقبل أن يصبح تابعا لحكومة الدرعية (١) .

والمهم فى هذا أن هذه المعركة قد أثبتت اخلاص بعض القبائل البدوية للدعوة ودولتها هذا الاخلاص الذى دفع بهذه القبائل الى الاستماتة فى حرب الشريف أكبر قوة كانت تناوئ حكومة الدرعية على الرغم من أن أغلب الجيش السعودى يحارب فى الجبهة الشمالية ، على أن هذه القبائل كانت تقدر جيدا القوة الكبيرة والاستعداد العظيم الذى كان عليه جيش الشريف وخاصة فى هذه المعركة .

واستمرت بعد ذلك اشتراكات الدواسر فى الغزوات التى ترسلها الدولة السعودية لتأديب المعارضين أو فتح بلاد جديدة ففى سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م اشترك الدواسر فى جيش يبلغ مقداره ثلاثين ألف مقاتل لغزو نجران — القوة التى كانت تهابها حكومة الدرعية فى أول نشأتها — وقد كان بلاء الدواسر فيها حسنا حيث قتل أمير الوداعين ابراهيم بن مبارك بن عبد الهادى ، وادريس بن

---

(١) للتفصيل فى معركة الخرمة ونتائجها : ابن غنام : ٢/ ٢٤٢ — ٢٤٨ ، ابن بشر ١/ ١٥١ ، ١٥٢ ، دحلان : ٢٦٧ ، د : عبد الرحيم عبد الرحمن : الدولة السعودية الأولى . ط (٢) مطابع دار نافع ، نشر معهد البحوث . جامعة الدول العربية ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ص ١٣٧ — ١٤٨ ، د : العجلانى : عهد عبد العزيز : ١٥٤ — ١٥٨ .

حويل الودعاني وعدد من الدواسر ، وقد كان لهذه الغزوة الأثر الكبير في توسيع رقعة الدولة جنوبا ، وأصبح امام اليمن يحسب لقوتها حسابا كثيرا خاصة بعد ما خضع رئيس الحديدة وبيت الفقيه للسيادة السعودية (١) .

ولا شك أن ولاء الدواسر بصدق واخلاصه يرجع السبب الأول والأخير فيه لصدق واخلاص ربيع بن زيد الذى لا شك أنه عانى في سبيل تعميم هذا الاخلاص لكافة الدواسر بعد ما كان مقتصرا على فخذه (المخاريم) الشئ الكثير ، وقد قدرت حكومة الدرعية لربيع هذا الاخلاص كل التقدير فرفعته من امارة فخذ صغير الى امارة الدواسر كافة — حاضرة وبادية — حيث استمر على هذه الامارة — بلا منازع — طيلة عهدى الامامين عبد العزيز وسعود ليخلفه ابنه قاعد في عهد الامام عبد الله بن سعود (٢) .

أما قحطان فقد ابتدأت علاقتها بالدعوة والدولة حينما غزاها سعود بن عبد العزيز سنة ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م وغنم منها ابلا وأموالا ، ويبدو أن هذه الغزوة هى الوحيدة فيما قبل دخول هذه القبيلة في طاعة الدرعية ، واذا علمنا أن قحطان

---

(١) ابن بشر: ١/١٨٦، ١٨٧، الريكى: ١٣٧، د. عبد الرحيم: ١٧٧ وقد فصل علاقة السعوديين باليمن في الصفحات ١٥٧ — ١٨٧ ، واشترك الدواسر في غزوة سعود لكربلاء سنة ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م وفي حجته السادسة سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م . ابن بشر: ١/١٩٠، ١٩٥ .

(٢) ابن بشر: ١/١٧٧، ٢٣٧، ٢٨١، د: عبد الرحيم عبد الرحمن: ٢٣٦ ، د: عبد الكريم الغرايبة : قيام الدولة السعودية العربية . مطبعة الجبلاوى ، نشر معهد البحوث ، جامعة الدول العربية ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ص ٦٨ ، وقد وهم حين قال ان الولاء للسعوديين اقتصر على ربيع وابنه قاعد اذ لم تشر المصادر الى هذا الاقتصار وان الوادى كان مصدر متاعب للسعوديين بل كان الولاء فيه عاما وابرز مثل لذلك اشتراكهم — حتى الوداعين فيما بعد — في الغزوات التى ترسلها حكومة الدرعية وخاصة معركة الخرمة كما مر .

لا تقل عن الدواسر قوة بأس وشدة مراس أمكننا - الى حد ما - فهم السبب وراء قلة أو ندرة الغزوات التي وجهتها الدولة ضد هذه القبيلة في بداية تكوينها ، بل ان سعودا وجنده قد ذهل في هذه الغزوة مما أظهرته قحطان فيها من ضروب البأس والشدة والشجاعة في القتال حتى شد عليهم بجنده وهزموهم (١).

على أنه لم تمض فترة قصيرة حتى قدم أحد أفراد هذه القبيلة وهو هادى بن غانم - المعروف بابن قرملة - وذلك سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٦م على الشيخ محمد بن عبدالوهاب والامام عبدالعزيز وبايعهما على السمع والطاعة على دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم معلنا صدقه مع الدعوة واعدا بأن يجاهد بأفراد أسرته بقية قحطان حتى تخضع لسيادة حكومة الدرعية (٢).

ولم يكن هادى من كبار رجالات قحطان ولا مشهوريهم بل كان أحد أفراد فخذ الجحادر اذ لم تشر المصادر الى ترؤسه هذا الفخذ كذلك ، الا أن صفات القيادة كانت موجودة لديه فيما يبدو ، فاجتمعت هذه الصفات فيه مع الصدق والاخلاص في الولاء للدولة السعودية الأولى حتى استطاع أن يضم قحطان الى طاعة هذه الدولة مشكلا منها قوة للجيش السعودى حيث أبلت قحطان بلاء حسنا في الغزوات التي قامت بها أو أمرت ببعثها حكومة الدرعية (٣).

---

(١) ابن غنام : ١٢٥/٢ ، ١٢٦ ، ابن بشر : ٩٨/١ ، حسين خلف خزعل : ٣٠٥ وقد ذكر تاريخ الغزوة : ١١٩٩هـ/١٧٨٤م.

(٢) ابن غنام : ١٣٠/٢ ، ابن بشر : ١٠٠/١.

(٣) ابن غنام : ١٣٠/٢ ، ١٣١.

ويقرر صاحب اللمع أن هذه القبيلة قد بان منها النصح والاخلاص للدعوة السلفية منذ مبايعة هادى ومن معه على السمع والطاعة مما جعلهم لا يقلون فى ذلك عن بعض القبائل البدوية التى أيدت الدعوة كسبيع مثلا حيث أنهم قد أخلصوا فى تبنى المبادئ السلفية والخضوع التام للسيادة السعودية ، ومنذ الوهلة الأولى لهذه البيعة وهم قد ألزموا أنفسهم الغزو باسم الدعوة ودولتها فيما والى بلادهم من الحجاز وتهامة واليمن وحتى أطراف حضرموت ، ولم يفتروا عن هذه الغزوات منذ تلك الوهلة رغم وجود خروج عن ذلك من بعضهم فى فترات تخلت فيها القبائل البدوية أو بعضها عن هذا الولاء (١) .

وتؤكد الأحداث التاريخية صدق هذا التقرير عن هذه القبيلة اذ فى سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م ، وفى الغزوة التى غزاها قاعد بن ربيع الدوسرى ضد بنى هاجر كما مر اشترك هادى بن قرملة معه فيها بجموع من قحطان وثبت معه على حين انخذل عنه قسم كبير من الدواسر أنفسهم كالرجبان والوداعين (٢) .

وتدل هذه الغزوة وغيرها من التى اشترك فيها الدواسر مع قحطان فى الغزو باسم الدعوة ودولتها على قوة تأثير مبادئ الدعوة فى هاتين القبيلتين اذ استطاعت هذه المبادئ أن تجمع بينهما وتزيل ما كان بينهما من أحقاد وضغائن ورثته تلك الحروب والمناوخات(٣) الكثيرة التى كانت تقوم بينهما — فى فترة ما قبل الدعوة —

---

(١) الريكى : ٦٥ ، ابن بشر : ١/١٠٨ .

(٢) ابن غنام : ٢/١٤٣، ١٤٤ ، ابن بشر : ١/١٠٧ .

(٣) المناوخات: جمع مناوخة أصلها فصيح من أناخ الابل اذا أجلسها ، ونوخت الابل جلست والمقصود به هنا المصافة للقتال ، وحدوث هذا القتال فعلا ، فهو يطلق على زمن المعركة ومكانها ، ويقال نوخ : أى هجم وهزم ، ويكثر استعمال هذا التعبير لدى مؤرخى نجد ، وعلى سبيل المثال : انظر: (المنقور : التاريخ : ٨١ ، الفاخرى: ٦٧ ، ٧٢ ، ٩٤)

نظرا لقرب مرابعهما من بعضهما (١) ،واستطاعت هذه المبادئ بقوتها، وبعزم القبيلتين ممثلتين في ربيع وهادي على الاخلاص للدعوة وتناسي كل شئ في سبيلها ،استطاعت هذه المبادي وهذا العزم أن يحولا القوة والشجاعة التي اشتهرت بها هاتان القبيلتان الى قوة لنشر الدعوة وتوسيع رقعة السيادة السعودية في جنوبي شبه الجزيرة ، وهذا ما يؤكد أن الشيخ محمد وأئمة الدولة السعودية كانوا حريصين على التآخي بين القبائل في سبيل نشر الدعوة ،وتحقيق الأمن والنظام في ربوع نجد ،وأنهم ان لجأوا الى استغلال التنافس بين القبائل لتأديب المناوئة والمثيرة للقلاقل فان ذلك على نطاق ضيق ، وبقدر مايحقق استتباب الأمن والنظام، وبعد استحالة تطبيق أسلوب التآخي كما تم بين الدواسر والقحطانيين.

ولما أرسل الشريف غالب جيشه بقيادة أخيه عبد العزيز في السنة نفسها لغزو نجد كما مر تابعه قسم من قحطان وخاصة عندما نزل السر ورأت القبائل النجدية كثافة جيشه الذي عقد العزم به على القضاء على حكومة الدرعية (٢) ،الا أن فشل

---

(١) ذكر البسام في تحفته المخطوطة عددا من هذه الحروب والمناوخات في فترة ما قبل الدعوة وتكاد لا تمر سنة الا ويحدث فيها مناخ أو أكثر بين هاتين القبيلتين يقتل فيه من زعمائهما وفرسانهما عدد كبير وأبرز مظهر لهذه المناوخات وقوع الهزيمة على الدواسر في الغالب . أنظر (التحفة : الورقات : ١٣ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٦١) وذلك على سبيل المثال لا الحصر .

(٢) ابن غنام : ١٤٧/٢ ، ابن بشر : ١٠٨/١ ، الريكي : ٩٦ ، دحلان : ٢٦٥ .

هذا الجيش والمدد الذى جاء اليه بقيادة الشريف غالب نفسه فى تحقيق أى هدف من أهدافه جعل هذا القسم من هذه القبيلة يرجع عن تأييده للشريف كما رجعت عن ذلك أغلب بادية نجد ،اضافة الى أن قحطان قد تعرضت بعيد انصراف الشريف وجيشه الى مكة لغزو تأديبى من احدى مفارز الجيش السعودى الذى جاء لملاقاة الشريف ثم لتأديب القبائل التى أيدته بعد ذلك حيث أغارت هذه المفرزة على قحطان وأخذت عليهم ابلا أراد استردادها بعض فرسان قحطان ، فالتحمت هذه المفرزة بهم وحصل قتال بين الطرفين هزمت قحطان على أثره وأخذ السعوديون منهم خمسة عشر فرسا (١) .

وعدا هذه الغزوة التى كانت بسبب هذا التأييد للشريف والذى حصل من كثير من قبائل نجد ، فان قحطانا قد عوضت عن ذلك بكثرة الغزوات التى قامت بها أو اشتركت فيها بقيادة ابن غانم سواء كان ذلك لتأديب مناوئين نجديين حضرٍ وبدوٍ أو لفتح بلدان جديدة خارج منطقة نجد .

وتعتبر معركة العدوة التى مر ذكرها أول اشتراك فعلى لقبيلة قحطان بشكل كبير بعد ثبوت ولائها لحكومة الدرعية حيث قاد هادى قسما كبيرا من قحطان للاشتراك مع جيش الدرعية بقيادة سعود بن عبدالعزيز ،ويبدو أن هاديا وجموعه قد أبدوا من ضروب البسالة فى محاربة مطير وشمر فى هذه الغزوة ماجعل شأنهم يشتهر فى شبه جزيرة العرب بالولاء لآل سعود فضلا عن أن ذلك أعطى لهادى نفسه صيتا كبيرا لدى حكومة الدرعية حيث عد من كبار قادتها وولاتها (٢) .

---

(١) المصادر السابقة على التوالى : ٢/ ١٥٠ ، ١/ ١٠٩ ، ٩٩ ، ١٠٠ وذكر فيهما أن قحطانا التجأت بالامام عبدالعزيز وطلبت منه الأمان عن اشتراكها مع الشريف.

(٢) سبق ذكر مصادر موقعة العدوة ،وعن اشتراك قحطان فيها : الريكى ٩٩ .

وتوالت بعد ذلك غزوات قحطان بقيادة هادى بن غانم لتأديب القبائل المناوئة ، فقد مر بنا أن مطيرا قد تعرضت لغزوة من هذه القبيلة سنة ١٢٠٦ هـ بقيادة هادى وبأمر من الامام عبد العزيز بن محمد حيث هزمتهم قحطان وأخذت بعض ابلهم ، وقد اشترك مع قحطان عدد من البدو المؤيدين للدعوة الا أن القيادة والعدد الأكثر كانا لهذه القبيلة ، كما أن هذه القبيلة اشتركت في جيش الدرعية الذى أغار على بوادى بنى هاجر سنة ١٢٠٨ هـ كما مر (١) .

وقد شكل الثنائى الدوسرى القحطانى قوة رئيسية فى الجيش الذى أمر بتشكيله الامام عبد العزيز بن محمد من بوادى نجد وحاضرتها لملاقاة الشريف غالب سنة ١٢١٠ هـ فى عالية نجد ، وذلك عندما أرسل هذا الشريف جيشا لغزو نجد التحم به الجيش السعودى حتى انهزمت جموع الشريف وكان لهادى وجنوده من قحطان دور رئيسى فى هذه الهزيمة فقد استطاعوا أخذ ابل كثيرة منه علاوة على خيمته ومدفعه مما عجل بهزيمته وتفرقت البوادى التى كانت معه وعاد الى وطنه ، وكان الامام عبد العزيز قد أرسل مددا لهذا الجيش الا أن هاديا استطاع أن ينهى المعركة لصالح السعوديين ، وكانت هذه المعركة كسابقتها القيادة والأكثرية فيها لقحطان ثم الدواسر وبقية القبائل الأخرى (٢) .

وقد اشتركت قحطان ضمن البوادى المؤيدة للدعوة فى صد الهجوم الكبير الذى قام به ثوينى بن عبد الله لغزو الدرعية والذى لم يكتب له النجاح حيث قتل ثوينى ولما يصل الى نجد فى احدى استراحاته وذلك سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م (٣) .

---

(١) ابن غنام : ٢/ ١٥٧، ١٦٩ ، الفاخرى : ١٢٤ ، ابن بشر : ١/ ١١١، ١٣٢ .
(٢) ابن غنام : ٢/ ١٧٣، ١٧٤ ، الفاخرى : ١٢٧ ، ابن بشر : ١/ ١٣٥، ١٣٦ ، دحلان : ٢٦٥ .
(٣) ابن بشر : ١/ ١٤٢ ، ابن سند : مطالع السعود : الورقات : ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٧ .

وكان لقحطان دور رئيسي في تأديب القبائل الحجازية أو مابين منطقة الحجاز ونجد والتي كانت تؤيد الشريف في غزواته على نجد ففي سنة ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م غزت قحطان برئاسة هادي قبيلة البقوم الحجازية وكان أغلبها معروفا بالولاء للشريف ، وهزم البقوم بعد قتل عدد من رجالهم ، ثم بعد شهرين أعادت قحطان الكرة على البقوم حيث غنمت الأولى من الثانية عددا من الابل والغنم وقتلت بعض الرجال (١) .

ولعل أبرز دور قام به الثنائي الدوسري القحطاني هو الاشتراك الرئيسي في معركة الخرمة التي مر ذكرها والتي كانت باجماع المؤرخين الحجازيين والنجديين وغيرهم أعظم المعارك التي دارت رحاها بين الشريف غالب وحكومة الدرعية ، وكان لهذا الثنائي الدور الرئيسي في هزيمة جيش الشريف هزيمة شنعاء كما مر ، وقد صور الشريف راجح (٢) هذا الدور وشدة بأس وقوة وشجاعة الدواسر

---

(١) ابن غنام : ٢ / ٢٤٣ ، ابن بشر : ١ / ١٤٩ .

(٢) هو الشريف راجح بن عرز الشنبري (هكذا رسمه ابن بسام في تحفته ورقة ٩٨)/ ويبدو أن هذا خطأ من الناسخ فقد ذكره دحلان باسم راجح بن عمرو الشنبري ، من أبرز القادة الأشراف أرسله الشريف غالب سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م على رأس كوكبة من الفرسان والرماة لصد اغارة قام بها قسم من قحطان بقيادة سعد بن قرملة المؤيد للسعود بين حيث انهزم القحطانيون وقتل سعد وغنم راجح منهم غنائم كثيرة ، كما غزا سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م قوما من بني لحيان كانوا مؤيدين لحكومة الدرعية فهزمهم وغنم منهم ، وفي سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م نجا من هجوم فرسان سعود بين أرسلهم المضايفي لنهب ابل الشريف ، وكان الشريف غالب قد أرسله على رأس ستة من الخيالة لطرد فرسان المضايفي حيث لم ينج غيره ، واشترك في أولى غزوات حملات محمد علي على الطائف مع ابن الشريف غالب سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م كما اشترك في غزوة لجيش محمد علي ، على تربة في السنة نفسها ، وفي ذي القعدة من هذه السنة قبض محمد علي ، على الشريف غالب وأراد أن ينصب راجحا على شرافة مكة فخاف منه أن يعمل به ما عمل بغالب فهرب الى تربة حيث اشترك

=

والقحطانيين في هذه المعركة بالبيتين التاليين :

جونا الدواسر مع فريق القحاطين : كلنا لهم بالمد وأوفوا لنا الصاع

الأشراف لا نوعقب ماهم بقاسين : والشق مايرفاه خمسة عشر باع (١)

= مع الأميرة غالية البقمية التي هزمت جند محمد علي في احدى المعارك بتأييد من راجح وجند الشريف غالب الهاربين اليها ، ثم صالحه محمد علي سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٤م بأموال كثيرة ومرتبات معلومة حتى أصبح من كبار جنده ومستشاريه ، فبعثه الى رنية سنة ١٢٣٠هـ/١٨١٤م حيث دمر ثغورها السعودية وبعض بيوتها ، واستطاع في السنة نفسها أن يحقق رغبة عزيزة عند محمد علي في القبض على طامي بن شعيب المتحمي أمير مقاطعة عسير للدولة السعودية وذلك بحيلة ودقة تدبير بعد أن عجز عنه في الحروب ، وفي سنة ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م قتل الشريف راجح في معركة بين الاشراف الموالين لمحمد علي وقبائل عسير التي مقتت حكم محمد علي . للتفصيل في هذه النبذة : (ابن بشر : ١/٢١٥، ٢١٦، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٤٦، أحمد دحلان : خلاصة الكلام : ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٨، ٢٩١، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٤ ، د : عبد الرحيم المرجع السابق : ص ٣١١، ٣١٢، د : منير العجلاني : عهد سعود بن عبد العزيز : ١٢٧-١٤١، ١٤٥، عهد عبد الله بن سعود ص ٤٢، ٤٣) .

(١) جونا : تحريف من جاؤنا ، القحاطين : عامية من القحطانيين ، الصاع : مكيل يعادل ثلاثة أكيال تقريبا ، والمد : ثلثه ، لا نوا : من اللين بمعنى التسامح ، عقب : بعد ، ما هم بقاسين : أي بعد ما كانوا متشددين ، الشق : الفتق أو الخرق ، يرفاه : من الرفأ (فصيحة) بمعنى خياطة الشقوق في الثوب ، باع : مقياس طولي يعادل مترين . (الفاخري : ١٢٩ ، ابن بشر : ١/١٥٢) على اختلاف بسيط بينهما في رواية البيتين ، ويروى ابن بسام في تحفة المشتاق ورقة : ٩٨ البيت الأول كالتالي :

جينا الدواسر مع فريق القحاطين : كلنا لهم بالمد وأوفوا لنا الصاع

ويروى بعض الدواسر الشطر الأول : " جونا الدواسر مثل ورد محسين " ويكملون بقية البيتين كما وردتا مؤكدين أن قحطان لم يكن لها دور رئيسي في هذه المعركة بل أي دور على الاطلاق ، ويروون سببا آخر لهذه الغزوة ملخصه أن شخصا هرب من الشريف ولجأ الى سبيع الخرمة فرفضوا ذلك فلجأ

=

وسواء كان الشريف راجح قد قال هذه الأبيات بعد الهزيمة مباشرة أو بعد ما رأى أهم نتائجها وهى الصلح بين الامام عبد العزيز والشريف غالب وما ترتب على ذلك من الاسراع فى فتح الحجاز ، سواء كان هذا أو ذاك فان هذين البيتين يصوران أثر هذه الهزيمة الكبير أمام تلك المعارك التى كان الشريف يشنها على هذا الثنائى - وخاصة قحطان - كما سيأتى ، مما تعتبر معه هذه المعركة بنتيجتها قد عوضت قحطانا عن كافة الضربات التى تلقتها من جيش الشريف على مدى غزوات متعددة ، كما أن هذين البيتين قد أوجزا النتائج والآثار التى ترتبت على هذه المعركة بما لا يمكن تغطيتها أو اصلاح ما قضت عليه أو رد ما أضاعته من الرجال والمال والمعنويات مما أثر على نفسية الشريف غالب والاشراف عموما فى اتباع أسلوب اللين والمهادنة مع حكومة الدرعية بعد أن كانوا لا يرضون معها بالحرب بديلا (١).

وبعد هذه المعركة العظمى أرسلت الدرعية جيشا قوامه الدواسر والقحطانيين وفيه غيرهم لكن الكثرة والقيادة فيهم وذلك سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م بقيادة ربيع بن زيد الدوسرى وهادى بن غانم القحطانى حيث سار الجميع الى بيشة وحاصروها واستولوا على قراها بعضها بالصلح وبعضها بالعنوة وذلك بسبب تحول أهلها عن ولاء آل سعود الى الشريف قبيل معركة الخرمة (٢).

= الى الدواسر فحموه ومنعوا الشريف من الوصول اليه فشن الشريف عليهم هذا الجيش والله أعلم. (افادة من أحد أفراد قبيلة الدواسر، وهو يحفظ عددا من القصص والأبيات الشعبية القديمة مما ليس موجودا فى المصادر المتوافرة ومما سيرد ذكر بعضها).

(١) الفاخرى : ١٢٩ من حاشية المحقق .

(٢) ابن بشر : ١/١٥٧ ، مؤلف مجهول : ١١٩ .

وكان لقحطان دور في فتح الطائف سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٢م حيث اشترك جيش من هذه القبيلة برئاسة هادى ضمن القبائل البدوية النجدية والحجازية المؤيدة للدعوة ، وقد تمكنت هذه الجموع من دخول الطائف عنوة بغير قتال حيث قتلت عددا من أهله وأخذت قسما كبيرا من الأموال والأمتعة والسلاح والسلع والجواهر ، وهرب الشريف غالب الى مكة ، وكان فتح الطائف بهذه الصورة ايذانا بدخول مكة بل الحجاز كله (١) .

وشكل الفريق القحطاني قوة رئيسية في الجيش الذى أمرت بتشكيله وتجميعه حكومة الدرعية سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م لتأديب من حصل منهم خلاف ، من أمراء منطقة عسير حيث سار هادى بن قرملة بكافة قحطان واجتمع مع من أرسلتهم الدرعية من قبلها أو أمرت عليهم من أبناء منطقة عسير المؤيدين لها حيث شكل القحطانيون قوة كبيرة في هذا الجيش الذى التقى بالمناوئين وهزمهم وغنم منهم غنائم كثيرة ، كما اشتركت قحطان مع الجيش الذى غزا اليمن سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م حيث غنم منها غنائم متنوعة (٢) .

وفي سبيل هذا التأييد المطلق لحكومة الدرعية ، وهذا الزخم المتعدد الجهات من الغزوات في سبيل الدعوة وتوطيد أركان هذه الدولة فقد تعرضت قحطان لكثير من الغزوات من مناوئي الدعوة من القوى غير النجدية ، وتركز انطلاق هذه الغزوات التأديبية من أشراف الحجاز حيث كانت منطقة قحطان تقرب من مناطق نفوذ الأشراف مما جعل الغزوات التي تقوم بها قحطان أو تتعرض لها تتركز فيما بين الحجاز ونجد ، وفي نطاق ذلك فقد كانت أخبار الغزوات الشريفية ضد القبائل المناوئة لها لا تخلو من ذكر لقحطان بمختلف أفخاذها بل يلمح الباحث تركز هذه الغزوات الشريفية ضد عامة قحطان في الغالب .

---

(١) الفاخرى : ١٣٢ ، ابن بشر : ١/١٦٢ ، وعن نظرة المؤرخين الحجازيين لفتح الطائف انظر (دحلان ٢٧٣ - ٢٧٥) .

(٢) ابن بشر : ١/١٩٤ ، ٢٠٠ .

وان لا مجال للتفصيل فى هذه الغزوات فلا بد من ذكر أمثلة لها تبين معاناة قحطان من كونها تقطن على حدود ألد أعداء الدولة السعودية فى شبه الجزيرة وهم الأشراف علاوة على أن هذه القبيلة قد شكلت بتكثيفها الغزوات ضد الأشراف العدو الأول فى القبائل النجدية للاشراف .

ومن هذا المنطلق فان جل الغزوات الموجهة من الدرعية ضد الأشراف تشكل فيها قحطان النسبة الكبرى كما مر ، وفى المقابل فان أغلب الغزوات التى كان يشنها الأشراف ضد السعوديين أول من يتضرر منها قحطان بمختلف أفخاذها .

وما من شك فى أن اعتقاد قحطان بمبادئ الدعوة ، وتحمسها لها ، وولائها للسيادة السعودية كانا - بادئ ذى بدء - الأسباب الرئيسية وراء شن الأشراف الغزوات المتلاحقة على هذه القبيلة بغض النظر عن الغزوات التى قامت بها أو اشتركت فيها ضمن الجيش السعودى ضد الأشراف الذين كان من ضمن مايدفعهم لشن مثل هذه الغزوات كذلك - فيما يبدو - اعتقادهم أن قحطان من القبائل التى يجب أن تتبع فى ولائها السيادة الشريفية .

واذا كانت مصادر التاريخ النجدى تشح علينا بمثل هذه الغزوات على عكس التى كان يقوم بها السعوديون أو مؤيدوهم ضد الأشراف فان مصادر التاريخ الحجازى تبرز مثل هذه الغزوات التى يبعثها الأشراف ضد القبائل المؤيدة للدعوة ، فعلى سبيل المثال وتأديبا لقحطان على دخولها فى طاعة آل سعود بعث الشريف غالب سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م غزوة قوامها عتيبة والبقوم وغيرهما ، وذلك لمقابلة أحد أفخاذ قحطان حيث حصل بين الطرفين ملحمة أخذ بعدها جيش الشريف ابل قحطان ثم كرت عليه قحطان فهزمته ولكنها لم تستعد ابلها (١) .

---

(١) دحلان : خلاصة الكلام ص ٢٦٣ ، ويبدو أن اشتراك عتيبة فى هذا الجيش ضد قحطان كان من ضمن دوافعه منافسة قحطان على أهم مناطق نجد الرعوية وهى عاليتها ، مما يجعل هذه الغزوة وما شابهها تدخل فى نطاق الغزوات التى أثرت على الوضع القبلى فى نجد .

وفى سنة ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤ جهز الشريف غالب جيشا بقيادة أخيه عبد المعين حيث اشتركت فيه كثير من القبائل الحجازية علاوة على الجند النظامى ، وكان هدف هذا الجيش هادى بن غانم الذى كان مقيما مع قومه فى أحد المواضع قرب الطائف، وكان هادى قد أنذر بالجيش ففر هاربا الى نجد فحول عبد المعين هدفه الى القبائل والبلدان قرب الطائف والتى دخلت فى طاعة السعوديين - ربما بتأثير هادى - حيث استطاع أن يشمل بجيشه عددا من الغزوات ضد هذه القبائل والبلدان بعد أن كان هدفه الوحيد هادى وجماعته (١) .

وفى سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م أرسل الشريف غالب جيشا لتأديب القبائل الخارجة عن طاعة الأشراف والمؤيدة لآل سعود ، ولما كانت قحطان هى التى لها التأثير الأكبر فى هذا المجال ، فقد قصد هذا الجيش آل روق (٢) منها حيث قتل منهم عددا كبيرا وأخذ عددا من قطائع ابلهم ثم رجع الى مكة (٣) .

ولعل من أبرز الغزوات التى وجهها الشريف غالب ضد قحطان تلك الغزوة التى كانت فى السنة السابقة بل بعد مضى أقل من شهرين على الغزوة السابقة ، وكان هدف هذه الغزوة مجموعة أفخاذ من قحطان اتخذت ما بين الطائف ونجد مسرحا لغزواتها التى تهدف من ورائها كسب التأييد والمال للدعوة ودولتها ، وفى البداية قبض جيش الشريف على ثلاثة جواسيس يتنطسون الأخبار لهادى بن غانم حيث أخبر أحدهم بعد قطع رأسى صاحبيه بموقع ابن غانم وجنده فجد جيش الشريف فى طلبه حتى التقى الجمعان فهزم

---

(١) المصدر السابق : ٢٦٣، ٢٦٤ .

(٢) آل روق أحد فخذى آل الأبيطن من آل محمد من قحطان ، يربعون أحيانا قرب ضرما : (ابن بشر : ٢/ ١١٥ ، محمد الجاسر : قبائل المملكة ١/ ٦١٠) .

(٣) دحلان : المصدر السابق : ٢٦٤ .

هادى بعد أن قتل من قومه مايقرب المائة رجل ، وبعد ذلك مباشرة التقى الجيش الشريفى بفخذ آخر من قحطان موال للدعوة وهو برئاسة أحد رؤسائه فأغار عليه وقتل عددا من رجاله ، واستولى على عدد من الابل ، وكان آخر مراحل هذه الغزوة أخذة فخذ كبير من أفخاذ قحطان كان غازيا لبعض القبائل فى تلك المنطقة برئاسة شيخه الذى وجه هذه الغزوة باسم حكومة الدرعية والتقى به جيش الشريف فقتل من رجاله خمسة وأربعين وأسر زعيمه وعددا من جنده ، واستولى على قطائع من الابل ، وقلائع من الخيل (١) ولعل أبرز ماميز هذه الغزوة الشريفية قصر وقتها ، اضافة الى شمولها لعدد من بطون قحطان ممن كانت تؤدى أدوارا رئيسية فيما بين الحجاز ونجد لضم قبائل وبلدان الى الدولة السعودية وكل بطن منها يعمل لتحقيق دوره على انفراد.

ويبدو أن هاديا وفخذه كان هدفا رئيسيا لغزوات الأشراف ضد قحطان باعتباره أول المؤيدين للدعوة ودولتها ، وعلى أساس أنه وجماعته أكثر قحطان اخلاصا لهذه الدعوة وحرصا على تكثيف الغزوات فى سبيلها وضم أكبر عدد ممكن من القبائل والبلدان لها ، ففى سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م غزا الجيش الشريفى جماعة من قحطان برئاسة هادى حيث حصل بين الطرفين مقتلة عظيمة أخذ فيها جيش الشريف فرس هادى الخاص ، وابلا كثيرة له ولجماعته (٢) .

وقد برز فى هذه الغزوات الشريفية القحطانية أكثر من قحطانى أثبتوا جدارتهم فى قيادة الجيوش الصغيرة والكبيرة التى كانت تبعثها حكومة الدرعية أو تأمر بتشكيلها من أبناء القبائل الموالية لها ، فقد أمد سعود حامية الطائف بجنود تحت قيادة سعد بن قرملة - ولعله كان أخا لهادى - وذلك حينما أرسل الشريف غالب مجموعة لمحاصرة الطائف والتضييق على حاميتها مما اضطر جند الشريف الى الارتحال الى مكة ، ودخلت ثقيف فى طاعة الدولة السعودية بعد أن كانت تشكل نسبة كبيرة فى تلك المجموعة الشريفية (٣) .

---

(١) المصدر السابق : ٢٦٤، ٢٦٥ .
(٢) المصدر السابق : ٢٦٥ .
(٣) المصدر السابق : ٢٨١ .

ولقد تعرضت قحطان لمذبحة فى احدى غزواتها على الحجاز حينما بعث الشريف غالب قوة بقيادة الشريف راجح بن عمرو الشنبرى عندما ذكر له أن عشرين من الخيالة التابعين لآل سعود ينهبون من البادية المؤيدة للشريف فأقبل الشريف راجح بأربعة عشر فارسا وعشرين من الرماة حيث رأى خمسمائة نفر من قحطان - ربما كانوا تابعين لأولئك الخيالة - فثار بينه وبينهم حرب لم تلبث قحطان بعدها أن هزمت هزيمة شنيعة ، وكانت هذه المجموعة القحطانية بقيادة سعد بن قرملة الذى قتله الشريف راجح فى هذه الغزوة ، وقتل جنده كثيرا من قحطان بعد أن غنموا منهم ابلا وفيرة وخيلا كثيرة وأسلحة متنوعة (١).

وما من شك فى أن ولاء قحطان الشامل للدعوة ودولتها يرجع السبب فيه لاخلاص وصدق هادى بن غانم فى نشر مبادئ هذه الدعوة ، وتحقيق الولاء لحكومتها ، وهو فى سبيل ذلك قد دفع بأفراد أسرته وخاصة أخيه سعد لقيادة المجموعات القحطانية الغازية لمناوئى الدولة السعودية ، ويختلف وضعه الاجتماعى فى قبيلته بعد الدعوة عن ربيع بن زيد فى الدواسر ، اذ لم يشر المؤرخون الى اختلاف قحطان عليه مايبدو معه أن مشائخها كانوا يدينون له بالطاعة على أساس أنه ممثل الدعوة ودولتها فيهم بغض النظر عن غمور وضعه الاجتماعى السابق فيهم ، بينما اختلف الدواسر على ربيع وهو أمير فخذ منهم فكثر معارضوه ومحاربوه ، فعانى من ذلك أكثر من معاناة هادى ، ولكن الأثنان لقيا من أئمة الدولة السعودية كل التقدير فى تعيينهما أمراء عامين على قبائلهم وان كان ربيع يختلف عن هادى فى كونه أميرا بدويا حضريا له مركز ثابت فى وادى الدواسر بينما كان هادى أميرا بدويا وذلك بحكم اختلاف الوضع الاجتماعى بين القبيلتين

---

(١) المصدر السابق: ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ولقد كانت قحطان فى الغالب تدين بالولاء للشريف قبل الدعوة مثلها فى ذلك مثل القبائل الحجازية فى تلك الفترة كعتيبة وحرب . (د : الغرايبة ٨٢).

حيث كانت الدواسر فيها حاضرة وبادية بينما كانت قحطان قبيلة بدوية فــي تلك الفترة (١).

ويمثل ولاء قحطان الشامل للدعوة وتفانيها في سبيل نشر مبادئهـــا عاملا من ضمن العوامل التي أدت الى دخول بعض القبائل الحجازية النجدية في طاعة هذه الدعوة (٢) وخاصة عتيبة بغض النظر عن الأسباب الكامنة وراء هذه الطاعة من جانبها التي ربما كانت الغيرة من قحطان وربما لمحاولـــة التسلل الى عالية نجد والاستيلاء على أهم مرابعها وطرد قحطان منها كمـــا حصل ذلك من عتيبة فعلا.

الا أن عوامل أخرى قد دفعت ببعض القبائل الحجازية النجديـــة للدخول في طاعة السعوديين لعل أبرزها تقريب الأشراف للعناصر الأخرى فـي الحجاز من أبناء العالم الاسلامي الذين يقيمون في الحجاز اما للمجاورة أو بعد الحج حيث شكلوا جيشا نظاميا للشريف علاوة على تبوئهم المراكز الادارية بحكـم معرفتهم السابقة لذلك في بلادهم.

وسواء كانت هذه العوامل أو غيرها وراء دخول هذه القبائل تحت السيادة السعودية، فان مبادئ الدعوة السلفية قد تغلغلت في قبيلتين من كبار القبائل الحجازية هما عتيبة وحرب اللتين يمكن اعتبارهما من أبرز القبائل التي لهـــا وجود في نجد كما لها كيان في الحجاز، ذلك أن عتيبة كانت تتسلل الى مرابع نجد من جهة الطائف، بينما كانت حرب تفد الى نجد ويقطن بعض أفخاذهـا فيها من جهة المدينة وذلك منذ فترة متقدمة جدا عن بدء الدعوة (٣)، وقـد استطاعت مبادئ الدعوة أن تصرف قسما كبيرا من هاتين القبيلتين عـن الولاء للشريف الى الولاء لحكومة الدرعية.

---

(١) ابن بشر: ١/ ٢١١ وتولى رئاسة قحطان بعد هادي ابنه محمد. (ابن بشر ٢/ ٩٠).

(٢) لعل لالتزام قحطان في مبايعتها لآل سعود باخضاع من تستطيع اخضاعه من قبائل الحجاز دور كبير في هذا. (الربكي: ٦٥).

(٣) فهما على هذا الأساس قبيلتان حجازيتان نجديتان.

أما عتيبة : فبحكم كون أغلبها حجازيا فى فترة قيام الدعوة فقد والت حكم الأشراف ، وبحكم التنافس بينهما وبين قحطان على المراعى بين الحجاز ونجد فقد شكلت فى البداية عدوا تقليديا للدعوة والدولة التى كانت قحطان تغزو منطقة الحجاز باسمها ، وأبرز مظاهر هذا العداء اشتراكها فى الحملات التى يقوم بها الأشراف لغزو منطقة نجد أو القبائل الموالية لحكم السعود بين فيما بين الحجاز ونجد وخاصة قحطان ، اضافة الى غزوها بنفسها لقحطان يدفعها الى ذلك ولاء قحطان لحكومة الدرعية ، وشنها الغزوات باسمها ضد القبائل والقوى الموالية لها ، علاوة على منافسة عتيبة لقحطان فى الاستيلاء على تلك المرابع .

ولعل أول مظهر لموقف عتيبة المناوى للدعوة السلفية فى البداية هو اشتراكها فى أول غزوة شنها الأشراف فى عهد غالب ضد الدولة السعودية سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م كما مر حيث شكل أفرادها قوة فى جيش الشريف بالاضافة الى الجيش النظامى والقبائل الحجازية الأخرى ، الا أنه لما لم يكتب لهذه الحملة النجاح تفرقت الجموع القبلية عن الشريف حيث رجع الى مكة بجيشه النظامى ويبدو أن هذه الغزوة كانت فرصة لعتيبة للزحف عن مواطنها قليلا باتجاه أطراف نجد من جهة الطائف تمهيدا للاستيلاء على عالية نجد فيما بعد (١) .

وقد اشترك قسم من عتيبة فى الغزوة التى بعثها الشريف غالب سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م والتقى بأفخاذ من قحطان دخلت فى طاعة آل سعود كما مر ، وكانت هذه الغزوة التى اشتركت فيها قبيلة البقوم مع عتيبة وجيش شريفى نظامى تهدف الى تأديب من أيدوا الدعوة السلفية من قبائل شرقى الطائف عامة الا أنها وقد لقيت فخذا من قحطان فقد جعلته هدفها الرئيسى نظرا لدور قحطان الكبير فى دخول هذه القبائل فى الطاعة السعودية (٢) .

---

(١) المصدر السابق : ٩٦ ، ٩٩ .
(٢) دحلان : ٢٦٣ .

ولما رأت عتيبة تأديب الدولة السعودية للقبائل النجدية وغيرها ممن أيدت الشريف في غزوته لنجد طلبت الأمان من الامام عبد العزيز والعفو عن جريرة اشتراكها في تلك الحرب فقبل منها تأليفا لقلوبها في الطاعة، وحتى يحين موعد هذه الطاعة فقد قبل منهم ذلك بلا قيد أو شرط (١) .

على أن البادية النجدية المؤيدة للدعوة أخذت تغزو الحجاز وتركز على بوادي مابين الحجاز ونجد، وكان كل ذلك بعلم الامام عبد العزيز، وبأمره أحيانا، وأحيانا كان يبعث جيشا مكونا من الحاضرة والبادية اما لينضم الى هذه البوادي المؤيدة، أو ليغزو بنفسه بوادي الحجاز، ففي السنة السابقة تشكل جيش سعودي مكون من أهل الوشم والبوادي النجدية المؤيدة وأمرهم الامام عبد العزيز أن يقصدوا بوادي الحجاز وخاصة عتيبة بعد أن تحولت الى أطراف نجد من جهة الحجاز حيث وقع بين الجيش السعودي وهذه القبيلة قتال شديد هزم فيه السعوديون وأخذت عتيبة منهم مائة ركيبة وقتلت عددا من رجالهم على أنه قتل منها هي الأخرى عدد من الرجال (٢)، وليس من المعروف سبب هذه الغزوة وهل كانت عتيبة قد نقضت ما عاهدت عليه الامام عبد العزيز أو أن هذه الغزوة قد وجهت نحو قسم منها لم يعاهد أو أن هذه الغزوة في نطاق الغزوات التي تبعثها حكومة الدرعية لكسب المال، وابراز قوتها أمام القبائل المعادية سواء عاهدت أو لم تعاهد على الهدنة، وذلك حتى تهاب هذه القوة تمهيدا لتقديم فروض الطاعة من قبل هذه القبائل للسعوديين .

وفي سنة ١٢١٠هـ/١٧٩٥م غزا جيش من أهل الوشم وغيرهم قبيلة عتيبة حيث التقوا بقسم منها هزموه وأخذوا منه ابلا كثيرة، وكان هذا القسم مقيما على أحد موارد المياه في طريق الحجاج (٣)، ويلمح الباحث من هاتين الغزوتين

---

(١) الريكي : ١٠٠ .

(٢) ابن بشر : ١/١٣١، ١٣٢ .

(٣) ابن بشر : ١/١٣٤ .

تحمس أهل الوشم لغزو عتيبة تنفيذا لأوامر حكومة الدرعية ، على أنه يبدو أن لذلك بعض الأسباب الأخرى التى ربما كان أقربها تعرض منطقة الوشم للنهب والسلب التى تستتبع الغزوات العتيبية ، والتى استفحلت فيما بعد — ربما نكاية بأهل الوشم — حتى أصبحت عتيبة تشكل أغلب بادية هذه المنطقة فى الوقت الحاضر .

على أن الدولة السعودية لم تكتف بهذين الجيشين لتأديب هذه القبيلة على عدم دخولها فى الطاعة ، وولائها للأشراف فأرسلت فى السنة نفسها جيشا بقيادة سعود بن عبد العزيز حيث أغار على أخلاط مجتمعة من عتيبة ومطير فى الحرة والتقى الجمعان فيها فهزمهم جند سعود ولم يحل بين سعود واستمرار القتل فيهم الا أنهم توعروا فى الحرة ولم يستطع السعوديون اللحاق بهم والمشى فى حجارتها فتركوهم ورجعوا ، وكانت حصيلة هذه الملاحقة مقتل زعيم هذا التجمع (أبو مجهور العتيبى) وأحد رؤساء مطير مع ثلاثين من رجاله ، وقتل من السعوديين رئيس الخيالة بعد أن غنموا من هذا التجمع البدوى عددا من الابل والاغنام والأمتعة (١) .

ويبدو أن قسما كبيرا من عتيبة قد التزم بعهد الأمان الذى تم بينه وبين الامام عبد العزيز بل اشترك مع الجيش السعودى الذى تشكل من هذا القسم من عتيبة برئاسة محمد بن حمود بن ربيعان ، وفيصل الدويش مع قسم كبير من مطير وعدد من بوادى نجد ، وكانت القيادة العامة لهادى بن غانم ، وتقابل هذا الجيش مع الأشراف فى عالية نجد فى العشر الأواخر من السنة السابقة .

---

(١) ابن غنام: ٢ / ١٧٢ ، ولم يذكر مطيرا مع عتيبة فى هذه الغزوة ، وذكر أن السعوديين أخذوا مايزيد على الألفى بعير والعشر آلاف من الغنم ، بينما ذكر الفاخرى :(٢٧) اشتراك القدح وهو من رؤساء مطير ، وذكر ابن بشر : (١ / ١٣٤ ، ١٣٥) أن الابل المأخوذة من عتيبة نحو مائة بعير ، وكثيرا من الغنم ، وذكر اشتراك مطير ومقتل ثلاثين من رجالها .

كما مر (١) .

وما من شك فى أن اشتراك هذا القسم من عتيبة فى صف السعوديين يدل دلالة أكيدة على أنه قد دخل فى ولائهم وآمن بالدعوة السلفية وان لم تصرح المصادر النجدية بذلك مما يبدو معه أن غزوات البوادى المؤيدة للدعوة لهذه القبيلة علاوة على غزوات الحاضرة، وجيش الدرعية قد آتت نتائجها المرجوة من حكومة الدرعية ، ويؤكد حسن سياسة الامام عبدالعزيز فى استمالة كبار القبائل الحجازية لتشكل قوة ضغط على الشريف لتسهيل مهمة فتح الحجاز ، كما يعطى تصورا باستغلال قسم من عتيبة لهذا الولاء للانسياح الى المناطق الرعوية الجيدة فى نجد .

ومعنى هذا أن ولاء قسم من عتيبة قد بدأ منذ سنة ١٢١٠هـ ، وبهذا يمكن تعليل ماذكره مؤرخو نجد وأشار اليه صاحب اللمع من أن حمود بن ربيعان قد ناب عن قسم كبير من عتيبة ممن يخضعون لرئاسته ، وكذلك بعض قبائل الحجاز فى تأدية البيعة للامام عبدالعزيز على السمع والطاعة وأداء الزكاة ، وعدم التعرض للطرق وذلك سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م ، يمكن تعليل ذلك بأن القسم الذى طلب الأمان من عبدالعزيز ثم دخل فى الولاء بعد تعرضه لعدد من الغزوات

---

(١) هى المعروفة بغزوة الجمانية وهى ماء بعالية نجد قرب جبل النير ولم يذكر: (ابن غنام ٢/ ١٧٣، ١٧٤ اشتراك العتبان فيها بشكل خاص ، ولا الفاخرى ١٢٧ ، بينما ذكر ابن بشر : ١/ ١٣٥ اشتراك بن ربيعان مع قسم من عتيبة مع الجيش السعودى وان كان فى طبعة وزارة المعارف ١٣٩٤هـ قد ورد اسمه على بن محمد بن حمود بن ربيعان بينما ورد فى طبعة مكتبة الرياض الحديثة : ١/ ١٠٤ وغيرها من الطبعات الأخرى محمد بن ربيعان وهو الذى تطمئن اليه النفس على أساس أنه ابن حمود بن ربيعان لا حفيده ، وقد ذكر دحلان فى خلاصته : ٢٦٥ اشتراك ابن ربيعان فى الجيش السعودى من دون ذكر اسمه) .

قد نقض ذلك الولاء لسبب أو لآخر ، وربما تعرض هو وعدد من أفخاذ عتيبة وبعض قبائل الحجاز لغزوات جعلته يقدم فروض الطاعة والولاء للمرة الثانية وبشكل أشمل من السابق ، على أنه يمكن فهم إشارة مؤرخي نجد بأن هؤلاء المبايعين قد بذلوا دراهم معلومة نكالا (١) نتيجة لترتيب الامام عبد العزيز قبول بيعتهم الثانية بجعله على كل بيت منهم شيئا من النقود عقوبة ونكالا ، بأن ذلك دلالة على نقضهم البيعة الأولى لأن من أسباب توقيع النكال في الدولة السعودية الأولى نقض البيعة أو الامتناع عن تقديم أي شئ يؤدى اليها كالزكاة مثلا (٢) .

---

(١) النكال معناه العام: العقوبة قال تعالى : " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم " المائدة آية : ٣٨ ، والمراد به هنا غرامة مالية نقدية أو عينية أو هما معا بدون تأديب جسدي أو معه جزاء من خرج عن طاعة حكومة الدرعية ، أو حاربها ، أو أخفى سائمته أو تجارته أو نتاجه فرارا من الزكاة . (تفسير الجلالين ص ١٤٩ ، ابن بشر : ١/ ١٧٣ من حاشية المحقق) .

(٢) ابن غنام : ٢/ ٢٤٥ وذكر فيها أن العتبان وبعض قبائل الحجاز أرسلوا حمود بن ربيعان رسولا لهم في ذلك ، بينما ذكر ابن بشر : (١/ ١٤٩) أن حمودا ومن تبعه من عتيبة وعربان الحجاز أرسلوا لعبد العزيز في ابرام البيعة ، وحمود ابن ربيعان رئيس الروقة من عتيبة وهو أكبر زعيم عتيبي ومن جلالة قدره وعظم مكانته في عتيبة يطلق عليه رئيس بوادي عتيبة وتوفي سنة ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م . (ابن بشر : ١/ ١٦٢) .

ومن الجائز أن يكون ذلك القسم الذى اشترك مع الجيش السعودى ضد الأشراف برئاسة محمد بن حمود بن ربيعان قد استمر على ولائه ، وأصبح أداة ضغط أو تأثير على القسم الأكبر من عتيبة وغيرها من بعض قبائل الحجاز لتقدم الطاعة والولاء لحكومة الدرعية فى هذه السنة .

ويرى ابن غنام فى روضته أن دخول هذا القسم الكبير من عتيبة وبعض قبائل الحجاز فى الطاعة السعودية كان أحد الأسباب التى دفعت بالشريف غالب أن يخرج بمجموعة من نظاميين وبوادى لملاقاة الجيش السعودى وتأديب هذه القبائل حيث وقعت بين الطرفين معركة الخرمة التى مر ذكرها (١) ، ومعنى هذا أن دخول عتيبة وهذه القبائل فى الدعوة السلفية كان أحد الأسباب التى أشعلت نار معركة الخرمة ، ويبدو أن هذا القسم قد شارك فى هذه المعركة الى جانب السعوديين وان لم يكن ذلك بالكثرة التى كان عليها الدواسر والقحطانيين .

على أن هذا لا يمنع أن يكون قسم من عتيبة قد ظل على ولائه للأشراف وخاصة أولئك الذين بقوافى بوادى الحجاز القريبة من مكة حيث اشترك هذا القسم فى هذه المعركة الى جانب الشريف غالب وقتل منهم رجال ، ويبدو أن هذا القسم قد اعتبر فى عداد القبائل الحجازية فى الصلح الذى أعقب هذه المعركة (٢).

وقد اشترك القسم العتيبى المؤيد للدعوة فى الجيش السعودى الذى فتح الطائف (٣) ، وليس من المستبعد أن يكون لهم دور رئيسى فى هذا الفتح بحكم كونهم من بوادى المنطقة مما جعل الفتح يتم بصورة سريعة وبدون قتال كما مر .

---

(١) ٢/٢٤٥ ، وألمح الى ذلك الريكى فى اللمع ص : ١٠٠

(٢) ابن بشر : ١/١٥١ .

(٣) ابن بشر : ١/١٦٢ .

واستمر هذا القسم من عتيبة ممن يقطن نجدا فى تقديم الطاعة والولاء لحكومة الدرعية مؤديا لأبرز مظاهرها وهى الزكاة (١) ، ومشاركا فى غـزوات الجيش السعودى ، أو يقوم بغزوات بأمر أو علم هذه الحكومة ، وفى هـذا النطاق غزا الهيضل زعيم الدعاجين (٢) فى أربعمائة مقاتل وقصد شمالا حيث التحم مع قسم من شمر والشرارات (٣) ورجع الى مرابعه (٤) .

أما القسم الحجازى فقد ظل أحد القبائل الحجازية المهمة والتى تقدم الولاء للأشراف ، وكان رؤساؤه من مستشارى بعض الأشراف وسفرائـه حيـث اشترك ابن حميد شيخ برقاء من عتيبة فى سفارة بعثها الشريف غالب لحكومـة الدرعية لأجل تجديد الصلح الذى تم فى أعقاب معركة الخرمة ، كما كان لبعض هذا القسم دور فى القبض على بعض مناوئ الشريف ممن يعتبرون خارجين عـن الطاعة فى نظره ، على أن بعض أفخاذ هذا القسم تدخل أحيانا فى طاعـة السعوديين عندما كانت الأوضاع السياسية فى الحجاز تنقلب عن الأشراف الـى السعوديين (٥) .

---

(١) ابن بشر : ١٧٣/١ .

(٢) الدعاجين وأحدهم دعجانى أحد أفخاذ برقاء من عتيبة . (حمد الجاسر : قبائل المملكة : ٢٢٨/١ ، ٢٢٩) .

(٣) الشرارات وأحدهم شرارى . قبيلة ترجع الى بني كلب القحطانية ومع الزمن دخل فيها قبائل من طئ وعنزة وغيرهما وهى الآن قبيلة كبيرة ذات أفخاذ متعددة يكثرون فى شمال المملكة الغربى فى منطقة الجوف وما والاهـا (حمد الجاسر: فى شمال غرب الجزيرة ٤٣ - ٤٦ ، وقبائل المملكـة ٣٨٨/١ - ٣٩٠) .

(٤) مؤلف مجهول : ١٢٣ .

(٥) دحلان : ٢٧١ ، ٢٧٢ ، وكان أبرز دور قام به العصمة أحد أفخاذ برقاء هو القبض على عثمان المضايفى زوج أخت الشريف غالب ووالى الطائـف السعودى الذى انشق على غالب ، وكان القبض عليه سنة ١٢٢٨هـ/١٨١٣م (ابن بشر : ٢١٧/١) .

أما حرب : فقد كانت علاقتها بالأشراف متذبذبة بين الولاء والعصيان الا أن الغالب عليها المعارضة من قبل حرب لحكم الأشراف ، وأبرز سبب لهذه المعارضة تحيز الأشراف لأمراء الحج الذين يرفضون أحيانا دفع ما كان مقررا دفعه لهذه القبيلة حين المرور بمواطنها أو الدخول الى المدينة فيلجأون الى الشريف الذى يجرد الحملات ضدهم وقد حفل التاريخ الحجازى بالعديد من هذه الغزوات بين الأشراف وحرب مما ليس مجال التفصيل فيها أو الاشارة اليها هنا ، وهى تبين بعض الأسباب لولاء هذه القبيلة للدعوة السلفية ودولتها السعودية فيما بعد (١) .

أما عن موقف هذه القبيلة من الدعوة ودولتها ، فقد بدأ سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م بغزو سعود بن عبد العزيز لقسم من حرب كان مجتمعا مع أخلاط بدوية من مطير وغيرها في شمال نجد كما ويبدو أن القسم الأكبر في هذه الغزوة كان لحرب لقرب مكان المعركة من مواطن هذه القبيلة حيث قتل سعود منهم ثلاثين رجلا ، وأخذ قسما من أموالهم كغنائم (٢) .

وقد تعرض القسم الحربى مما يلى القصيم لغزوة من أهل القصيم بقيادة أمير المنطقة سنة ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م ، ويبدو أنهم كانوا يناوئون الدعوة ومؤيديها فى القصيم ، وأن حكومة الدرعية قد وكلت لأمارة المنطقة تأديبهم من قبلها ، وقد قتل من حرب فى هذه الغزوة عدد من الرجال ، وغنم الجيش السعودى بعض ابلهم (٣) .

---

(١) انظر على سبيل المثال لهذه الغزوات وتعرض عرب الحجاز وخاصة حرب للحجاج : (العصامى سمط النجوم العوالي:٤/٣٠١ ، ٣٠٦ ، ٣٦٥ ، ٥١١ ، ٥٢٧ ، ٥٣٠ ، دحلان : ٧٥ ، ٢١٣ ، ٢١٦–٢١٨ ، ٢٣٣ ، ٢٦٦ ، السباعى : تاريخ مكة ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، عاتق البلادى : نسب حرب: ١٢١–١٣٤ . وانظر أيضا البديرى : حوادث دمشق : ٧ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨).

(٢) هى المعروفة بغزوة الشقرة . (ابن غنام: ٢/ ١٥٧ ، ابن بشر: ١/ ١١١ ، مؤلف مجهول : ٩٨ وذكر أن الغزوة اتجهت لحرب فقط) .

(٣) ابن غنام: ٢/ ١٦٤ ، ابن بشر: ١/ ١٣٠ ، حسين خلف خزعل : ٣٦٣ .

وفي طريق عودة جيش أهل القصيم من احدى غزواتهم للشمال سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م التقوا بجمع من حرب هزموه ، وأخذوا منه بعض الغنائم ،وكان أهل القصيم في غزوة الشمال ضمن جيش سعودى مكون من أهل الوشم ،وأما غزوتهم لحرب فيبدو أنها بعد أن تفرق الغزو السعودى كل الى بلده (١).

وما من شك في أن هذه الغزوات وغيرها بالاضافة الى موقف الأشراف من حرب ،علاوة على الفشل الذى منى به جيش الشريف غالب في غزوته الأولى لنجد سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م ، كل هذا دفع بقسم كبير من هذه القبيلة سواء الحجازية منها أو النجدية الى اعلان ولائها للدولة السعودية منذ فترة متقدمة.(٢)

ولقد كان لمبايعة حرب المدينة ممثلين في آل مضيان أثر في دخول المدينة تحت السيادة السعودية سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م والذى أضاف على دخول الطائف في هذه السيادة عامل ضغط على الشريف غالب حتى أعلن دخوله هو الآخر فيها أميرا اقليميا من قبلها على الحجاز.

وكان لسيطرة حرب على بوادى المدينة علاوة على أحياء من المدينة نفسها أثر كبير في دخول المدينة في طاعة السعوديين ، وبيان ذلك أن رؤساء حرب من آل مضيان وفدوا على الامام عبد العزيز منذ فترة متقدمة وبعيد غزوة الشريف الأولى حيث بايعوا عن قبيلتهم ،والتزموا باخضاع المدينة للحكم السعودى ،وطلبوا ايفاد أحد العلماء لتعليمهم التوحيد والشرائع ثم بدأوا يطاولون المدينة بلا حرب،

---

(١) ابن غنام: ١٦٨/٢ ، ابن بشر : ١٣٢/١ ،١٣٣ وقد ذكرا غزو أهل الوشم والقصيم والجبل لدومة الجندل في هذه السنة ولم يذكرا غزو حرب بينما أشار الى ذلك صاحب كتاب كيف كان ظهور شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب :(ص ١١٢) وان لم يذكر غزو الشمال فيها ولكن المحقق عقد مقارنة بين الغزوتين وضح فيها أن غزو حرب كان في هذه السنة ، وتبعا لغزوة الشمال .

(٢) الريكي : ١٠٠.

وفي هذه الأثناء جاءتهم أوامر من الامام عبدالعزيز ببناء قصر للحامية السعودية فيها ثم بعد فترة تبعهم أهل قباء ومن حولهم ، واستمروا على هذه المطاولة سنين يقطعون السابلة عن المدينة ويضيقون على أهلها حتى بايع أعيانها وحاميتها وقضاتها للامام سعود بن عبدالعزيز في السنة السابقة (١) .

ولعل من أبرز مظاهر ولاء هذه القبيلة تأديتها للزكاة لحكومة الدرعية اذ شكلت زكاة حرب موردا ماليا لهذه الحكومة منذ عهد الامام عبدالعزيز ، كما أن تولية مشائخها أصبحت تخضع لموافقة هذه الحكومة ،وخاصة بين آل مضيان الموالين للدعوة ، وان كانت الحكومة غالبا لا تخرج عن الأسلوب التقليدى الذى تسير عليه هذه القبيلة في تولية زعمائها (٢) .

وقد اشتركت حرب المدينة وخاصة آل مضيان ومن ينضوى تحت زعامتهم في منع الحج الشامي من دخول الحجاز سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٦م خوفا من أن يثيرهم الشريف غالب ضد سعود ،واشتركوا مع سعود في حجته في السنة نفسها ،وكان الهدف من ذلك كله القيام بحركات استعراضية تبين قوة الدولة السعودية اذ لم يحدث من جراء ذلك أى حرب أو مقاتلة تذكر حيث فهم رئيس الحج الشامي ذلك فرجع الى وطنه ، ولا يبعد أن يكون أثار الدولة العثمانية ضد السعوديين أو أن تكون هي قد استثارت من ذلك العمل (٣) .

ومما لا شك فيه أن هذه القبيلة بما تحمله من بغض للأشراف نتيجة لكثرة غزواتهم لها فيما قبل الدعوة وبعدها قد استغلت اتباعها للدولة السعودية في

---

(١) ابن بشر : ١٨٦/١ ،وتكاد تكون المدينة المنورة المدينة الوحيدة التي اذ ذكرت حرب ذكرت معها .(البلادى : المرجع السابق : ٤٠ ، ١٣٥)، وذكر ابن بشر في الصفحة السابقة أن لحرب دور في هدم القباب التي كانت على القبور والمشاهد في المدينة .

(٢) ابن بشر : ١٧٣/١ ، ١٨٧ .

(٣) الفاخرى : ١٣٥ ، ابن بشر : ١٨٨/١ ،وقد عزل رئيس الحج الشامي الذى رجع عن الحج .

القيام بكل ما من شأنه تعكير صفو الأمن في الحجاز ضد الأشراف ، وكان وقت الحج هو المجال لهذه الأعمال بما يثبت فشل الأشراف في السيطرة على الوضع الأمني في الحج ففي حج سنة ١٢١٩هـ/١٨٠٤م اشترك قسم من حرب في تجمع بدوي حجازي – يبدو أنه موال للدعوة – فقطع الميرة والماء عن مكة بأوامر من القيادة السعودية في الحجاز مما سبب تضايقا بين القليل من الحجاج الذين دخلوا مكة قبل حصار هذا التجمع لها ، وأوجد في مكة مجاعة ربما كانت من الأسباب التي دفعت بالشريف غالب الى اعلان ولائه للسعوديين فيما بعد (١) .

وكان هذا الأسلوب اضافة الى الاغارة على قوافل الشريف ناقلة الميرة عبر مواطن هذه القبيلة أو القادمة الى المدينة هو أبرز الأساليب التي تتبعها في تأكيد معارضتها للأشراف وخاصة الشريف غالب حيث أضفى دخول هذه القبيلة في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هدفا أبعد مما كانت ترمي اليه من قبل ، هذا الهدف الذي يرمي الى تثبيت أقدام السعوديين ونشر الدعوة السلفية في الحجاز وخاصة منطقة المدينة .

وفي سبيل ذلك فقد تعرضت هذه القبيلة لعدة غزوات من الشريف غالب لا على أساس قطعها الطريق أو تعكيرها صفو الأمن ضده فحسب بل لدخول هذه القبيلة أو أفخاذ منها في الدعوة السلفية ، واعلان ولائها السياسي للدولة السعودية ، وتؤكد الأحداث وقوع عدد من الغزوات من الشريف لهذه القبيلة منذ فترة متقدمة ، ولهذا السبب نفسه فقط ففي ٢٥ محرم سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م جهز الشريف غالب جيشا وأمر عليه أحد الأشراف وأمره بغزو قوم من حرب دانوا للدعوة السلفية بالولاء حيث غنم منهم غنائم رجع بعدها الى مكة (٢) .

---

(١) الفاخري : ١٣٤ ، ابن بشر : ١/١٨٢ – ١٨٥ ، ولم يذكر دور حرب فيها بالتحديد بينما ذكر ذلك دحلان : ٢٨٦ ، والسباعي : ٥٠٠ ، ٥٠١ ، والبلادي : ١٣٤ .

(٢) دحلان : ٢٦٦ .

وقد كثف الشريف غالب الغزوات ضد هذه القبيلة في هذه السنة مما يبدو معه أنها هي التي تمت فيها أول مبايعة من حرب للامام عبدالعزيز ، ففي ٢٥ ربيع الثاني منها أرسل الشريف غالب جيشا بقيادة أحد الأشراف أيضا أغار فيه على قسم من حرب كان قد تابع الدعوة السلفية ربما كان القسم السابق وربما غيره وحصل بين الفريقين مقاتلة على أحد المواضع الحجازية التابعة لحرب استطاع هذا الجيش الشريفي أن يغنم من الحربيين بعض مواشيهم (١).

على أن هذه المبايعة لم تكن - فيما يبدو - شاملة لأكثر حرب الحجاز ، وأن زعماء حرب الكبار والعدد الأكثر منها لم يبايع في تلك السنة المتقدمة ، وأن من دخل في الدعوة لا يعدو أن يكون قسما صغيرا من هذه القبيلة ، أو أن الاعلان العام عن هذا الدخول لم يكن في هذه السنة (١٢١٢هـ) ، وفي هذا المجال تذكر المصادر الحجازية أنه في شهر صفر سنة ١٢١٩هـ/١٨٠٤م جاءت الأخبار أن بداي شيخ حرب (٢) دخل ومن معه من حرب في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب واستولوا على بعض البلدان الحجازية بمساعدة بعض القبائل المؤيدة للدعوة كذلك (٣) ، ومعنى هذا أنه ليس بين الدخول العام لحرب في الدعوة ، ومبايعة أهل المدينة الا بضعة أشهر لا سنين كما يذكر ابن بشر الا أن تكون المطاولة التي قامت بها حرب ضد أهل المدينة كانت من ذلك القسم الذي دخل

---

(١) المرجع السابق ٢٦٦.

(٢) هو بداي بن بدوي بن عيد بن مضيان من الظواهر من بني سالم من حرب تولى بعد وفاة أخيه بادي سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٢م ، وتوفي سنة ١٢٣٠هـ/١٨١٤م وتولى مشيخة حرب بعده أخوه مسعود بموافقة الامام سعود بن عبدالعزيز . للاستزادة : (ابن بشر: ١/ ١٦٢، ١٨٦، ١٨٧ ، دحلان: ٢١٣، ٢٨٤ ، حمد الجاسر: معجم القبائل: ٢/ ٧٧٤).

(٣) دحلان: ٢٨٤ ، ومن الطريف أن دحلان - في معرض تحامله على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - يعبر عن الدخول في الولاء لها بالدخول في الطين حيث يقول: " وفي شهر صفر جاءت الأخبار أن بداي شيخ حرب دخل ومن معه في الطين وفي ص٢٧٣ يقول عن عثمان المضايفي: صار يمدح ما ابتدعه محمد بن عبدالوهاب من الطين ، ويثني عليه ويرغب في اتباعه والدخول في طينه" وللاستزادة من الاطلاع على هذا التعبير المتحامل انظر: (٢٨٨، ٢٨٩).

في الدعوة سنة ١٢١٢هـ ، ومن هنا فان اشتراك حرب في محاصرة مكة في حج عام ١٢١٩ هـ كان بعيد اعلان ولائها للسعوديين بأشهر .

وبهذا يمكن الجمع بين اشارة صاحب اللمع أن حربا أطاعت الدعوة عقب فشل حملة الشريف غالب الأولى على نجد سنة ١٢٠٥ هـ (١) ، وبين اشارات ابن بشر من أن حربا كانت تؤدي الزكاة للامام عبد العزيز وأن المدينة بايعت على أثر بيعة حرب عام ١٢٢٠ هـ (٢) ، وما ذكره دحلان من غزو الشريف غالب لقوم من هذه القبيلة سنة ١٢١٢هـ مرتين بسبب دخولهم في الدعوة السلفية ، وما ذكره من أن ولاء حرب للدعوة والدولة كان في أوئل سنة ١٢١٩هـ (٣) .

هذه أبرز الملامح والأحداث لمواقف أغلب القبائل البدوية النجدية من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما ترتب على ذلك من موقف هذه الدعوة من تلك القبائل سواء المؤيدة أو المعارضة وسواء كانت نجدية خالصة كالثمان القبائل الأولى أو كانت نجدية حجازية كعتيبة وحرب ، واللتين ذكرتهما مع القبائل النجدية بحكم وجودهما النجدي الكبير ، وبحكم التأثر المتبادل بين قسمي هاتين القبيلتين الحجازي والنجدي .

وما من شك في أن استيفاء أحداث وملامح المواقف البدوية عامة من هذه الدعوة يصعب التفصيل فيه اذ أن هناك قبائل أخرى لم أستطع التعرف على ملامح مواقفها من الدعوة في ضوء المصادر المتوافرة .

على أن مواقف تلك القبائل التي ذكرتها لم تكن بالتفصيل والوضوح الذين يطمح اليهما الباحث فيها ويتمثل ذلك في اختلاف المؤرخين في تاريخ

---

(١) الريكي : ص ١٠٠ .
(٢) ابن بشر : ١/١٧٣ ، ١٨٦ .
(٣) دحلان : ٢٦٦ ، ٢٨٤ .

دخول بعض القبائل في الولاء للدعوة ، بل الغموض الذي يكتنف هذا التاريخ عند مؤرخ واحد مهم في تاريخ الدعوة كابن بشر الذي ذكر أن حربا تؤدي الزكاة لعبدالعزيز ثم ذكر مبايعة حرب قرب سنة ١٢٢٠هـ ، وهي السنة الثانية لوفاة الامام عبدالعزيز ،ثم انه ذكر في هذه المبايعة أن بداي وبادي ابني بدوي بن مضيان قد بايعا الامام عبدالعزيز مما يؤكد أن ذلك كان قبل سنة ١٢١٨هـ وهي السنة التي قتل فيها عبدالعزيز ، ثم انه ذكر في أحداث سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٢م وفاة بادي بن بدوي وتولية أخيه بداي مما يدل أن هذه المبايعة كانت قبل سنة ١٢١٧ لأنهما بايعا سويا عن تبعهما من حرب (١) الا أن المصادر الحجازية كدحلان مثلا تذكر أن بداي قد بايع سنة ١٢١٩هـ علما أنه ذكر غزو الشريف لأفخاذ منها سنة ١٢١٢هـ كما مر (٢) ، وهذا الاختلاف لا شك أنه يجر الى الغموض الذي يصيب الباحث عندما يحاول رصد درجة ولاء مثل هذه القبيلة ، اضافة الى أن الباحث قد يضطر الى الجمع بين الروايات بصفة الاحتمال لا التأكيد عندما يواجه بأن الدولة قد شنت غزوات على قبيلة قد أيدتها ودخلت في ولائها .

وحقا ما قاله "جان ريموند" (٣) في هذا المجال من أنه : " من المستحيل أن تحصى القبائل التي دانت للوهابية" (٤) وكل هذا يرجع الى كثرة الغزوات بين الدعوة وهذه القبائل والتي كان منطلقها كثرة نسبة البادية في نجد في تلك

---

(١) ١/١٦٢ ، ١٧٣ ، ١٨٦ .
(٢) ٢٦٦ ، ٢٨٤ .
(٣) هو جان ريموند : ضابط مدفعية فرنسي سابق أرسل من قبل وزارة الخارجية الفرنسية في عهد نابليون للخدمة والتجسس لدى والي بغداد العثماني ، كان على اطلاع واسع على التقارير والمؤلفات التي كتبت عن الدعوة السلفية بالاضافة الى أنه شاهد عيان في أكثر بعض أحداثها ، ومعاصر لأغلب هذه الأحداث فجاء تقريره هذا ذو قيمة كبيرة .(من مقدمة ادوارديوليت لهذا التقرير)
(٤) جان ريموند : مذكرات في أصل الوهابيين . تقرير مقدم الى ديه شامباني وزير خارجية فرنسا في عهد نابليون ، وقد كتب سنة ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م وهو مستخرج من محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية ومترجم ومطبوع على الآلة الكاتبة ص ١٠ .

الفترة ، ودورها الرئيسي ـ اذا دخلت في الدعوة ـ في سرعة وسعة انتشارها ، علاوة على التداخل في هذه الغزوات أحيانا بين توجهها ضد القبائل المعارضة ـ لمعارضتها ـ أو المؤيدة لتأديبها على عمل قامت مخالف لمبادئ الدعوة ، أو مناوئ للدولة بعد أن تكون قد أعلنت ولاءها .

وبصرف النظر عن سوء النية التي نظر بها بعض المستشرقين الى الهدف من ولاء القسم الذي أيد الدعوة من هؤلاء البدو في أنهم يظهرون منتهى التعصب والحماسة خدمة لمصالحهم الشخصية ، هذه النظرة الاستشراقية التي لا شك أنها وجدت في بعض القبائل ما يؤيدها بأن ظلت قلوب بعض أفرادها غلفا بعيدة عن التشرب بروح الدين الخالص الذي جاءت الدعوة السلفية بتجديده في النفوس (١) بصرف النظر عن هذه النية السيئة ، فان الباحث المنصف لا يمكن أن يعمم مثل هذه النظرة على غالب البدو الذين أيدوا الدعوة ، أو أعلنوا ولاءهم التام لها ، اذ أن جهاد قسم كبير من هؤلاء البدو في سبيل الدعوة ، وهي لما تكتسب القوة الكافية لذلك دليل على اخلاص هذا القسم في ولائه ، ولا ينفي في الوقت نفسه وجود عناصر ممن راعت مصالحها الشخصية فقط ، وبين هذا وذاك خيط رفيع يصعب معه تحديد من اتخذ الدين تجارة ، ممن أخلص في ولائه له ، والذي جدت ظروف وحالات قاهرة جعلته يتحول عن الدعوة ـ ظاهرا ـ أو يبقى على الحياد عندما أصبح لا قبل للنجديين بالجيوش التي أرسلها محمد علي للقضاء على الدعوة السلفية ، وهو ما حصل من بعض البدو الذين اضطروا الى اتخاذ هذا الموقف .

وانطلاقا من هذا فقد تواتر لدى المؤرخين المؤيدين للدعوة ، والمعارضين لها على حد سواء بل لدى الكتاب الغربيين أن القسم الأكبر ممن والى الدعوة من البدو قد التزموا الطاعة المطلقة للقيادة الجديدة المنظمة والتي أشبعت نهمهم في الغزو والحرب ووجهتهما نحو الأهداف الخيرة التي جاءت بها ، وفي هذا المجال يشير هؤلاء المؤرخون الى أن أئمة الدولة السعودية بمجرد أن

---

(١) رينهارت بيتر آن دوزى : تاريخ مسلمي أسبانيا . ترجمة : د . حسن حبشي . طبع ونشر دار المعارف . القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م . ١ / ٣٤٠

يكتبوا ، أو يبعثوا كلاما شفويا مهما بلغ من الاختصار بأن يكون فحواه الى شيخ القبيلة الفلانية كذا عدد من الرجال يكونون في مكان كذا ، بمجرد أن يصل هذا الى أى شيخ قبيلة فانه ينفذ كاملا بل وتتكفل القبيلة أو الأفراد أنفسهم بكل ما يحتاجون اليه من مأكل ومشرب وأسلحة تكفيهم لمدة طويلة ، وقد أدهشت هذه الظاهرة المصادر المعارضة للدعوة بل المصادر الغربية التى أبدت استغرابا شديدا من هذا الولاء العظيم ، وهذه السرعة فى تكوين الجيوش مما جعل الدولة السعودية تخضع فى فترة قصيرة كل القبائل النجدية وقسما كبيرا من غيرها (١) ، وكان هذا الأسلوب التجهيزى للغزو تلتزم به الحاضرة والبادية على حد سواء ، وان كان التزام البادية به أوضح لاشتهارهم بالغزو والحرب وتوفر أدواتها لديهم أكثر من الحاضرة .

على أن هذه المصادر لم تغفل السبب الرئيسي وراء هذه الطاعة المطلقة ذلك أن أئمة الدولة السعودية اذا أرادوا ضم قبيلة الى جانبهم استثاروا نزعة الخير فيها قبل مهاجمتها وغزوها بأن أرسلوا اليها أو كتبوا عبارات تحمل من معانى الاصلاح والتغيير الاجتماعى الى الأفضل أكثر من عبارات الضم السياسى والتهديد العسكرى ، ولعل من أبرز معانى هذا الاصلاح اشعار أى قبيلة بدوية بأن اتباع مبادى الدعوة ، والولاء للكيان السياسى التابع لها فيه ارضاء الله سبحانه لان هذه الدعوة لا تعدو أن تكون تجديدا للدعوة الاسلامية الأولى ، بقدر ما فى معارضة ذلك واحتقاره — حلول غضب الله وعقوبته التى قد تأتى على شكل غزو من جيش الحكومة السلفية ، ولا شك أن هذا فيه ما فيه من استثارة نوازع الخير فى البدو ، والتهديد بالقوة العسكرية لهذه الحكومة ، وقد أدى هذا

---

(١) ابن بشر: ١/١٧٤ ، دحلان : ٢٣٧ ، جان ريموند: ص ١٠ ولا شك أن اتفاق هؤلاء المؤرخين على اختلاف وجهات نظرهم ، وفترات تسجيل تواريخهم دليل على تأصل هذه الظاهرة وانتشارها بين البدو ، وتسجيل ريموند لها وهو لم يطلع على أى من المصادر المؤيدة للدعوة لأن تقريره كتب قبلها يضفى دليلا آخر على ذلك .

الأسلوب عمله القوى فى نفوس أبناء البادية مما أوجد تلك الكثرة من القبائل المؤيدة للدعوة وقذف فى قلوبها هذه الطاعة المطلقة لهذه الحكومة (١).

وعلى أى حال فقد استمرت القبائل البدوية على ولائها لهذه الدولة وخاصة فى عهدى الامامين عبدالعزيز وابنه سعود ،وكل هذا يرجع الى شخصية الامام عبدالعزيز الذى تعلقت به رعيته واطاعته طاعة مطلقة يستوى فى ذلك الحضر والبدو (٢) ، حتى اذا جاء عهد الامام عبدالله وبدأت حملات محمد على فى الكثافة ، والاغراء المادى ، والتهديد الحربى انقسمت القبائل حيال ذلك الى أقسام بعضها تابع هذه الحملات تحت تأثير هذه العوامل من أول بدايتها ،-ولا يستطيع الباحث تعميم ذلك على كل قبيلة بعينها- وبعضها ناوأ هذه الحملات فى بدايتها واشترك مع السعوديين ضدها حتى اذا كثفت جهودها اضطرت هذه القبائل تحت تأثير هذين العاملين أيضا الاشتراك مع محمد على أو البقاء على الحياد ، وبعضها الأخير استمر على ولائه للدعوة ودولتها وعانى من حملات محمد على نتيجة لذلك (٣).

---

(١) ريموند : ٩ ، ١٠.

(٢) ريموند : ١٠ .

(٣) أما الآثار الاجتماعية لهذه المواقف البدوية من الدعوة فسيأتى تفصيله فى الفصل الثالث من هذا الباب - ان شاء الله .

الفصل الثانـــي :

أثر الدعوة على الحياة الدينية لدى بادية نجـد :

لقد مر بنا ذكر جانب من نظرة الاسلام نحو البدو والبداوة ،هذه النظرة التي تنطلق من منطلق توفر عناصر الخير في ابن البادية الى جانب وجود عناصر الشر فيه كأي انسان ،وما من شك في أن هذه النظرة جعلت البدوي يحافـــظ على أسلوب حياته في صحرائه وهو متابع لمبادئ الاسلام وشرائعه حتى اذا دعـى داع الجهاد في سبيل الله لبى هذا النداء حيث شكل أبناء البادية أغلـــب القواد المسلمين الذين فتحوا مختلف بلاد الدنيا في العصور الأولى للاسلام .

ورغم ماران على الحياة الدينية لدى البدو من بعد عن مظاهر الديـــن وشعائره عبر العزلة التي مارسها هؤلاء على أنفسهم في فترات من التاريخ استدعت ذلك حتى أصبحت هذه الحياة بعيدة بعدا شديدا عن هذه المظاهر والشعائر مما سبق ذكر جانب منه في الحياة الدينية لدى البدو قبل الدعوة ، رغم كل ذلك فان عناصر التدين متأصلة في البدوي عامة بعد الاسلام بل ان العناصر السليمـة لهذا التدين هي التي يشتهر بها البدوي عن غيره ،وهذا ما ميز البدوي بالسلفية من دون سائر العناصر المسلمة عبر فترات التاريخ المتعاقبة ، يدعم هذا عـدم وجود مايشوب هذا التدين لديه من الخرافات والبدعيات وقد أكد هذا الخليفـة عمر بن عبد العزيز رحمه الله يحنما قال : " ماقوم أشبه بالسلف من الأعراب لولا جفاء فيهم" كماأكده أحد العلماء حينما قال : " اذا أردت أن تسمع الدعاء فاسمع دعاء الأعراب "(١) وهذه النظرة تنطبق على البدو بشكل عام .

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٤/ ٣

على أن الرحالة الغربيين قد لاحظوا هذه الظاهرة فى البـــــدوى النجدى منذ فترة متقدمة مما شكل لدى بعض البادية النجدية استعدادا نفسيا لقبول مبادئ الدعوة السلفية، ومما يؤسف له أن يدرك الغربيون فقط هـــــذا الاستعداد النفسى لدى البدو وأنهم بمجرد أن يوجهوا التوجيه الاسلامـــى الصحيح يصبحون طاقة دينية هائلة يمكن توجيهها نحو الخير، وأن هذا البعـد عن شعائر الدين ومظاهره القولية والفعلية يرجع السبب الأول والأخير فيه الـى أنهم لم يجدوا من يقوم فيهم بتلك المهمة الاصلاحية وفى هذا المجال يقول دارفيو: "ان البدو متدينون ولا ريب، ولكنهم يأتون فى أغلب الأحيان على ذكر اللـــه، ولا يقرنون بذكره الا القليل من الدين لأن أحدا لم يلقنهم اياه "(١).

ويقابل هذه النظرة الغربية نظرة أخرى تنم عن جهل أو تجاهل بأوضاع البادية بعد الاسلام بشكل عام ،هذه النظرة تتلخص فى أن قسما كبيرا من البادية النجدية لم يصل اليها الاسلام منذ بعثته ،وتستند هذه النظرة الى الجهــل المطبق والبعد شبه الكامل عن معالم الدين الرئيسية (٢) ،الا أن الواقــع أن العزلة التى مارستها القبائل البدوية على نفسها، والتى فرضت عليها من قبــل الخلافات الاسلامية المتعاقبة بعد الراشدة ،هذه العزلة بنوعيها هى السبــب الرئيسى وراء هذا الجهل المطبق بتعاليم الاسلام.

واذا كانت هاتان النظرتان تلتقيان عند كون "عرب نجد أكثر بعدا عــن الاسلام من أية مجموعة أخرى فى العالم الاسلام" (٣) فذلك راجع الى توافـــر أسباب المعرفة التفصيلية بشرائع الاسلام لدى مجموعات العالم الاسلامى الأخــرى وهو ما كان نتيجة طبيعية لانتقال مراكز الثقل الحضرى من شبه الجزيرة العربية اليهــا بعد الخلفاء الراشدين.

---

(١) جاكلين بيرين: ١٢٤، محمد أسد :الطريق الى الاسلام: ص ٢١٧.
(٢) محمد جلال كشك :السعوديون والحل الاسلامى: ١٠٦، ١٠٧.

(٣) محمد أسد :المرجع السابـــق: ص ٢٠٠.

وانطلاقا مما سبق من كون الحياة الدينية لدى بادية نجد بعيدة كل البعد عن تعاليم الاسلام بشكل عام ، وتوفر الاستعداد النفسي لدى البدوي بوجود نزعة التدين لديه ، فقد أولت الدعوة السلفية هذه الناحية جل اهتمامها وأبرز مثل على ذلك تقريرات الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي حللت الوضع الديني لدى البدو كما مر ، وهذا الزخم الكبير من الغزوات ، والمحاولات السلمية لضم هؤلاء البدو الى الدعوة كما مر .

ولعل أول مظهر لمحاولات الدعوة تصحيح الوضع الديني لدى بادية نجد بعد اعلان ولائها للدولة السعودية هو بعث العلماء الذين يقومون بدور التوجيه والارشاد والتعليم لمن لم يكن لديه أية معرفة بمعتقدات وشعائر الدين ، أو لديه معرفة قليلة لا تفي بالغرض المطلوب لممارسة أقل مستوى من الحياة الدينية كما يريدها الاسلام ، ويقومون كذلك بدور تركيز الولاء للدولة .

ولقد كان ارسال العلماء لهذا الهدف سمة من سمات انتشار الدعوة في نجد عامة وبين القبائل البدوية خاصة ، وكان يتم ذلك سواء طلبت هذه القبائل بعث من يقوم بهذا الدور أو لم تطلب ، وقد مر بنا كيف أن بعض القبائل بمجرد مبايعة زعمائها لائمة الدولة السعودية يبعثون معهم أحد العلماء ، وكانوا يتخيرون من هؤلاء حسب أهمية القبيلة ودرجة جهلها وولائها السابق ، وما أرسال الشيخ عبدالله بن فاضل وهو الذي تتلمذ عليه أكابر علماء الدعوة الى وادي الدواسر المشهورة بالجهل في تلك الفترة الا مثلا من الأمثلة على ذلك حيث أقام مدة لا شك أنها أثرت في درجة تشبع بعض الدواسر بمبادئ الدعوة والولاء للدولة ، وربما أرسلوا الى قبيلة من القبائل أو بلدا من البلدان عالما واحدا لاستطاعته القيام بتوجيه البدو والحضر على حد سواء فبعد ما ينهي مهمته لدى قبيلة أو يمكن أن يقوم عنه أحد في ذلك يوجه الى بلد من بلدان الحضر كما حصل من الشيخ عبدالله بن فاضل نفسه فيما مر (١) .

---

(١) ابن بشر : ١/١٠٣ ، ١٢٩ .

وقد يجمعون فى هذا العالم أو ذاك وظيفة القضاء ، والافتاء ، وامامة الصلوات فى القبيلة ، ويبدو أن ذلك يتم فى حالة كون القبيلة قليلة العدد ، مركزة المكان ، وأحيانا يجعلون فى كل قبيلة قاض تنضم اليه وظيفة الافتاء ، وامام للصلوات ، ويتعاونان مع أمير القبيلة فى أمور الحياة العامة (١) .

ومما لا شك فيه مدى التأثير البالغ لهذه البعوث الدينية فى أبناء القبائل رغم وجود معارضات لما تأمر به من أوامر شرعية وأحكام دينية نتيجة لاعتقاد قسم من البدو أن هذه الشعائر والأحكام لا تعدو أن تكون جزءا من مستلزمات الولاء للسياسي للدولة النظامية مما يحد من حريته على أن هذه المعارضات نطاقها ضيق ولا تأتي الا نتيجة لتصرف الأمير القبلى المعين من لدن الحكومة ، أونتيجة لرفض دفع الزكاة أو هما معا مايستتبع معه رفض بقية الشعائر التعبدية كما سيأتى.

ومن الطبيعي وقد جاءت الدعوة السلفية بتصحيح العقيدة من البدع والخرافات التى رانت عليها عبر فترات التاريخ الاسلامى أن تولى هذا الجانب أهميته فى دعوتها لبادية نجد . ذلك أن تركيز الشيخ على الوضع الدينى لدى بادية نجد قبل الدعوة كان منصبا فى عمومه على انحرافها العقدى عن التوحيد ثم ان عرض بعض تفاصيل تلك الانحرافات فيما مر يعطى تأكيدا بتركيز الدعوة على هذا الجانب لأنه هو أساس أى توجيه تشريعي بعد ذلك ، ويرى المرء فى مبايعات القبائل النجدية ، أو ارسال العلماء لها التأكيد على تقرير التوحيد لهم

---

(١) الريكى : ٥١ ، وقد ذكر ابن بشر: ١/ ١٨٦ أن حربا بعد مبايعتها الامام عبد العزيز بعث معها الشيخ عثمان بن عبد المحسن أبا حسين يعلمهم فرائض الدين وأركان الاسلام ، ويقرر لهم التوحيد حتى دانوا بالولاء لهذه الدعوة ودولتها وبدأوا بحرب أهل المدينة عن طريق المطاولة كما مر حتى دخلوا فى الولاء ، ثم ان الامام سعود بعث اليهم الشيخ قرناس بن عبد الرحمن حيث أصبح فى قلعتها السعودية اماما ومعلما وقاضيا يأتى الى قبيلة حرب فيها كل سنة . انظر للاستزادة (عبد الله البسام : علماء نجد : ٣/ ٧٦٦ ، محمد القاضى : روضة الناظرين : ٢/ ١٥٣ ، ١٥٤ ، العجلانى ، عهد عبد العزيز: ٤١٠)

بادئ ذى بدء ، وعلى صعيد الحروب والغزوات التى قامت بها الدولة ضد البدو كان الهدف الرئيسى هو تقرير التوحيد أيضا ، وما من شك أن هذا التوجيه وهذه الغزوات قد آتت نتائجها المرجوة فى دخول بعض القبائل البدوية أو أقسام كبيرة منها فى العقيدة السلفية ، ونبذ ماكانت عليه من البدع التى مر ذكر جانب منها فى الحياة الدينية لدى بادية نجد قبل الدعوة (١) .

ورغم عدم وجود اشارات من المؤرخين النجديين للمحاولات التى قامت بها الدعوة السلفية لتصحيح الجانب العقدى لدى البدو بالتفصيل ، الا أن الباحث قد يجد فى رسائل الشيخ التى وصف فيها الحياة الدينية قبل الدعوة مايشير الى أن الدعوة قد راعت أن تعمق فى نفوس البدو احترام الدين وتقدير أحكامه وتلقيها بالقبول والتسليم ، وتلك قضية عقدية بالدرجة الأولى حيث أن قسما من البدو قبل الدعوة كان يسخر من الدين ، ومن الحضر الذين كانوا يقيمون أحكامه وشعائره ويؤمنون بمعتقد صحيح الى حد ما ، اضافة الى أن هذه الرسائل تشير الى أن الدعوة قد غرست فى نفوس البدو وبأساليبها المتنوعة الايمان بالبعث والنشور ، وهى قضية عقدية رئيسية نعى الشيخ - فيما مر - على بعض القبائل عدم ايمانها بها ، ولا شك أن نقد الشيخ للأوضاع العقدية فى الجانب الدينى لدى البدو قبل الدعوة قد دفع بأئمة الدولة السعودية الأولى الى الاهتمام بتعليم البدو هاتين القضيتين العقديتين الرئيستين : احترام الدين ومن تمسك به ، والايمان بالبعث والنشور (٢) .

---

(١) ابن بشر : ١/ ١٠٣ ، ١٨٦ ، الريحانى : ٤٤ ، د : عبد الكريم الغرايبة : ٩١ .

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب : مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم : ٣٩ - ٤٥ ، ١٠٨ ، الرسائل الشخصية : ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ابن غنام : ١/ ١٠٨ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، وفصل " الحياة الدينية لدى بادية نجد قبل الدعوة " من هذا البحث .

ومن المعروف أن كتاب "التوحيد الذى هو حق الله على العبيد" والذى ألفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان عماد التعليم والتوجيه لقضايا العقيدة ، ولما كان الذبح لدفع ضرر الجن ، والاستطباب بذلك مما تواتر لدى بعض بادية نجد فقد ركز الشيخ اهتمامه به فى هذا الكتاب فعقد له بابا تحت عنوان : "باب ماجاء فى الذبح لغير الله" ومن المؤكد أن تعليم البدو هذا الباب بتفاصيله كان له دور رئيسى فى اختفاء تلك الظاهرة العقدية السيئة ، والتى كانت متزامنة مع كثرة الأمراض، وقلة الوعى الصحى المعتمد على التوكل على الله ، وتلمس العلاج فى الأسباب الطبيعية المعروفة فى تلك الفترة (١) ، ويمكن اعتبار كتاب التوحيد بأبوابه المختلفة مرآة تعكس جانبا من الأوضاع العقدية فى نجد قبل الدعوة ، وجهود الدعوة ودولتها فى تصحيح هذه العقيدة عن طريق دراسة هذه الأوضاع دراسة علمية ، ونشر هذه الدراسة وتلقينها للمؤيدين للدعوة حاضرة وبادية ، ولا شك أن هذا قد أوجد تأثيرا دينيا نسبيا من البدو خاصة حيث كانوا يفتقدون هذا التأثير عكس الحاضرة الذين كان لديهم مفهوما دينيا واضحا بعض الشئ .

وقد أكد عمق هذا التأثير الدينى فى البدو الامام عبد الله بن سعود رحمه الله فى رسالته لمحمد على التى عرض فيها وجهة نظره فى الصلح بين السعوديين وقوات محمد على ، والمهم فى هذا أنه بين فى هذه الرسالة أن حكومة الدرعية قد جاهدت بادية نجد خاصة وشبه الجزيرة الواقعة تحت حكمها عامة ، حتى عرف هؤلاء البدو الصلاة وأقاموها بعد أن كانوا يجهلون الأركان والواجبات اللازمة لقيامها ، وحتى آتوا الزكاة كركن من أركان الاسلام ودفعوها الى بيت المال ، وعرفوا الصيام وأدوه كماينبغى وكذلك الحج الى بيت الله الحرام حيث عرفوا أحكامه (٢) ، وبالجملة فلم تأت نهاية عهد الامام سعود حتى كانت

---

(١) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : فتح المجيد : ص ١١٧ ومابعدها .
(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق : ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، د :العجلانى : عهد عبد الله بن سعود : ٤٦٩ .

البادية فى غالبها تعرف أحكام الشرع العامة وتقيم شعائر الدين التعبدية على وجه العموم وان كان ذلك على نطاق محدود .

أما الامام عبدالله بن سعود فقد كان هو الآخر حريصا على تعليم أبناء البادية أمور الدين فلم تنقطع البعوث الدينية فى عهده ، ورغم أن البلاد بدأت تواجه خطر حملات محمد على فان المسائل الدينية قد لقيت اهتماما كبيرا من الحكومة فى عهده حيث كان الأمر باقامة الصلاة جماعة والتشديد فى ذلك يعد سمة من سمات عهده كما فى عهود أسلافه (١) .

وبينما لا تذكر المصادر النجدية مظاهر التأثير الدينى على البدو بالتفصيل فان كتب الرحالة الغربيين تذكر أن من أبرز هذه المظاهر هو ترحيب البدو منذ تحولهم الى الدعوة السلفية بالعلماء الذين توفدهم حكومة الدرعية لتعليمهم أمور دينهم ، وكمثل على ذلك فان عنزة أو أفخاذ منها على وجه الخصوص قد أعلنت ولاءها للدعوة ، وانتشر بينها العلماء وأئمة الصلوات الذين اضافة الى تعليم هؤلاء أمور دينهم وامامتهم فى صلواتهم ، وحل مسائلهم الشرعية كانوا يقومون بتعليم أطفالهم القراءة والكتابة (٢) .

ونتيجة لذلك فقد عرف البدو أحكام الصلاة وأوقاتها فراعوها بدقة حيث فصل علماء الدعوة فى عهد حكومة الدرعية أحكام الصلاة وقصرها لدى البدو فتشير احدى الفتاوى بناء على سؤال من أحد البدو أو من يقوم بتعليمهم أن البدو ليسوا كالمقيمين ولا كالمسافرين ، فاذا نزلوا منزلا ونووا استيطانه مادام المرعى فيه ، أو وقتا ونوقت فهم مقيمون وعليهم أحكام الاقامة ، وأما اذا ظعنوا من منزل الى منزل آخر أو ارتحلوا من ماء الى ماء وما بين هذين المنزلين والمائين مسيرة يومين قاصدين فانهم فى حكم المسافرين يقصرون الصلاة ، كما قد بين هؤلاء العلماء أن البدو المتنقلين ليس عليهم جمعة فى الحالة التى يكونون فيها فى حكم المسافرين أى فى حالة الانتقال (٣) .

---

(١) محمود شكرى الألوسى : أخبار بغداد وما جاورها من البلاد . مخطوط بمكتبة المتحف العراقى : ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٢) Burckhardt. Nots. 1/99.

(٣) عبدالرحمن بن قاسم : الدرر : ٤/ ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣ .

وراعى البدو أحكام الصيام فى رمضان الذى يأتيهم أحيانا فى حمارة القيظ فلا يسمحون لأنفسهم بالفطر فيه الا خشية الموت حيث يجوز هنا الفطر ، وقد راعى أئمة الدعوة مجئ رمضان فى الصيف أحيانا وتكلف الرعاة للابل والغنم مشقة الصيام لأجل ذلك فرتبوا بعض الأحكام التى تندرج كلها تحت جواز الافطار خشية الموت من العطش (١) .

وعرف أبناء البادية الزكاة فأصبح يؤديها قسم كبير منهم طيبة بها نفسه ، وان كان بعضهم يؤديها كرمز من رموز الولاء ، وبعضهم يمتنع عن تأديتها لاحن بينهم وبين الأمير المعين من حكومة الدرعية ، وبعد أن كانوا يأخذون الاخاوات من المارين بمواطنهم من حجاج ، أو قوافل تجارة ، أو عابرى سبيل ، منعت هذه الحكومة كل تلك الاخاوات واستبدلتها بالزكاة الشرعية التى انبثت عمال الحكومة يجمعونها من القبائل ويوزعونها فيها مما أثر على المستوى الاقتصادى للبادية حيث كانت تؤخذ وفق الأمر الشرعى وتوزع فى مصارفها الشرعية ، فلا يؤخذ فيها كرائم الأموال ولا ضعيفها بل أواسطها الا من غيب من ابله أو غنمه شيئا لتقليلها أمام الخرّاص (٢) . فانه تؤخذ منه الزكاة بعد أن يلزم باخراج بهائمه كاملة ثم يؤخذ منه النكال بلا ظلم من الخراجين الذين كان الامام عبد العزيز يوصيهم - قبل انطلاقهم لجمع الزكاة - بتقوى الله وعدم ظلم الناس وضبط اخراج الزكاة ودفعها بشدة ودقة (٣) .

وكان توزيع الزكاة أحيانا يتم عن طريق بعثها للدرعية لحصرها ومن ثم ترسل الى فقراء النواحى والبلدان والبوادى ، كما أن أخذها كان يعقب أخذ صاحب الدين دينه من الشخص المراد أخذ الزكاة منه ، وكذلك من سرق له شئ (٤) .

---

(١) ابن قاسم : ٤ / ٣٨٣ .

(٢) الخراص من الخرص : وهو الحزر والتقدير . فصيحة والمقصود به هنا العامل الذى يرسله ولى الأمر لحصر أملاك الناس وتقدير زكاتها ، ويسمى أحيانا المزكى ، وان كان لا يقبض الزكاة بل تقبضها عوامل أخرى مرسلة من الدرعية أو توزع فى بلدها على أهل الزكاة . (الفيروزابادى : ٢ / ٣٠٠) .

(٣) ابن بشر : ١ / ١٤١ ، ١٧٣ ، الريكى : ٥٣ ، د : العجلانى : عهد عبد العزيز بن محمد ص ٢٦٧ .

(٤) ابن بشر : ١ / ١٧١ .

ونظرا لكون أداء الزكاة يشكل صورة من صور الولاء السياسي الذي كانت تعتقد به القبائل من هذا الجانب فقط مما أثر على درجة ولائها فيما بعد ، وحرصا من أئمة الدولة السعودية على تركيز المفهوم الشرعي لهذا الركن من أركان الاسلام ، فقد أصبح قسم من أبناء البادية يؤمن بهذا المفهوم نتيجة لتأكيد الامام عبد العزيز خاصة عليه مما جعله يكسب قلوب رعايه وخاصة أبناء البادية الذين لم يبلغ احترامهم للدولة السعودية درجته كما في عهد الامام عبد العزيز (١) .

وعلى أي حال فقد أثرت هذه الشخصية في بعض القبائل شديدة المراس كعنزة التي لم تستطع الدولة السعودية في أوائل عهدها اخضاعها ، حيث وافقت متطوعة على أداء الزكاة الذي يبدو أنه كان مظهرا من مظاهر احترامها لهذا الامام الورع حيث أن قسما من هذه القبيلة لم يدفع الزكاة منذ عدة سنوات بعد وفاة عبد العزيز (٢) .

والمهم في هذا أن زكاة القبائل النجدية كانت ترد الى الدرعية بانتظام طيلة عهد الامامين عبد العزيز وسعود وصدر من عهد الامام عبد الله حيث توضح الأرقام التي يوردها المؤرخون النجديون لها أن هذه الزكاة تشكل موردا اقتصاديا رئيسيا للدولة والمجتمع بقدر ما تشكل التزاما دقيقا بركن مهم من أركان الاسلام يؤدي دافعه جانبا من واجباته الشرعية وولائه السياسي وهذا مايوضح حرص حكومة الدرعية على تأدية اتباعها له بكل دقة (٣) .

وقد تمثل حرص هذه الحكومة في الطريقة التي تقبض بها زكاة البوادي بشكل خاص — حيث الخوف من عدم تأديتها — فقد كانوا يبعثون الى البدو

---

(١) أثنت المصادر المؤيدة للدعوة ، والمعارضة لها ، والتقارير الغربية على شخصية الامام عبد العزيز ، وعلى سبيل المثال انظر: (ابن بشر: ١٦٧/١— ١٧٤ ، الريكي : ٣٧ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، العجلاني : عهد عبد العزيز بن محمد : ٢٠ — ٢٢ ، ريموند : ص٢٠) .

(٢) كان قسم من عنزة بزعامة آل هذال يناوئ الدعوة وآل سعود منذ بدء الدعوة وتكوين الدولة السعودية الأولى . (أمين الريحاني نجد وملحقاته ص٤٠) ، (Burckhardt. Nots. 1/106

(٣) ابن بشر : ١٧٣/١ ، ١٧٤ ، ٢٣٢ .

بضعا وسبعين فرقة كل فرقة سبعة رجال : أمير ، وكاتب، وحافظ دفتر ، وقابض للدراهم التى تباع بها ابل وأغنام الزكاة ، وثلاثة خدم لرعاية شئون الأربعة ، وجمع الابل والأغنام المقبوضة لبيعها ، والذى يظهر من هذه الطريقة أن الزكاة تباع ثم ترسل دراهم للدرعية ، الا أن بركهارت يقرر بأنها تدفع نقدا من صاحب المواشى بعد تقويمها لأنه لا أغلى على البدوى من مواشيه التى يريدها أن تتكاثر (١).

وقد حرص ابن بشر على ذكر القبائل البدوية التى تؤدى الزكاة لحكومة الدرعية كرمز لولائها لها وذلك فى نهاية عهد الامامين عبد العزيز وابنه سعود بشكل خاص ، ويستفاد من ذكره للاحصاءات شبه الدقيقة لزكاة كل قبيلة من هذه القبائل أن زكاة البوادى لا تقل كثرة عن زكاة الحاضرة ان لم تفقها نظرا لكثافة النسبة البدوية بين سكان نجد فى تلك الفترة ، وكثرة الأموال وخاصة المواشى بينهم وفى أوج سعة الدولة السعودية الأولى بلغت نسبة زكاة بوادى نجد الى نسبة زكاة البلدان النجدية ، والبوادى والبلدان خارج نجد أكثر من خمس الزكاة الاجمالية (٢).

وباعتبار الزكاة ركنا من أركان الاسلام ، ومظهرا من مظاهر الولاء للدولة ومصدرا اقتصاديا رئيسيا للدولة والمجتمع ، فقد حرص أئمة الدولة السعودية الأولى على الألزام بدفعها من خلال الخطابات العامة التى يوجهونها ، والتى كانوا يركزون فيها على استثارة الجانب الخير فى النفوس لتأديتها من منطلق شرعى حيث يخوفون مانعيها من عقاب وعذاب الله قبل أن يهددوهم بالعقاب الصادر من الحكومة ، وما من شك فان هذا الأسلوب كان عاملا مهما فى دفع كثير من أبناء البادية لتأدية الزكاة طيبة بها نفوسهم على أن هذا كان يتزامن أحيانا مع أحيانا مع عقاب الحكومة حيث أن قسما من أبناء البادية لا يفيد معهم هذا الأسلوب وحده لأن تأدية الزكاة لا مجال للتهاون فيه (٣).

---

(١) ابن بشر: ٢٣٢/١ ، Burckhardt.Nots.1/105

(٢) ابن بشر: ١٧٣/١ ، ٢٣٢ ، الريكى : ١٧٠ ، د : عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق : ٢٤٥.

(٣) د : العجلانى : عهد سعود الكبير : ٢٥٣.

ويبدو أن من أسباب عدم تأدية بعض البدو للزكاة المترتبة على عدم اعتناقهم الدعوة السلفية هو اعتقادهم أن الزكاة مثلها مثل الجزء الأكبر من الغنائم داخلة ضمن ماكان يلزمهم به زعماؤهم من مستلزمات مادية يعجزون عن تحقيقها مما يترتب على ذلك استلاب ثرواتهم من هؤلاء الزعماء قبل الدعوة، فخشي هؤلاء البدو أن يكون دفع الزكاة أسلوبا آخر يضاف الى هذه المتطلبات المادية المرهقة، ويبدو أيضا أن هذا الخوف هو مادفع بأئمة الدولة السعودية الأولى الى التأكيد على الجانب الشرعي في الزكاة، والمصالح الدنيوية والأخروية المترتبة على أدائها بطيب نفس، والى التأكيد على أن من يعترف بعقيدة التوحيد وشريعة الاسلام لن يضار في نفسه ولا أمواله مادام محققا لأركان الاسلام في نفسه وأمواله (١).

ولعل أهم شيء بعد المعرفة التفصيلية الواعية بعقيدة الاسلام، واقامة أركانه اقامة شرائعه، فعلى ضوء ما مر ذكره من أن بادية نجد كانت تتحاكم فيما بينها الى أعراف وتقاليد لا تمت الى الاسلام بصلة، وعلى ضوء نقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب لتلك الأعراف والتقاليد التي كان من أوضح معطياتها ابطال الحق واحقاق الباطل، على ضوء ذلك كان اهتمام الدولة السعودية الأولى بتحكيم شريعة الله عبر مصادرها الرئيسة واحلالها مكان حكم العارفة، فالزمت البادية بالتحاكم الى الشريعة حيث طبقت فيهم وفيما بينهم وبين غيرهم أحكام الاسلام فأقامت الحدود والعقوبات التعزيرية التي جعلت للشرع هيبته (٢).

وكان النكال المادي وحلق اللحية من أبرز الأحكام التعزيرية التي تصدرها الحكومة ضد البدو ذلك أن محبة البدوي للمال وتكريمه التام للحيته يوجبان طيه

---

(١) جان ريموند: ٢٠

(٢) د: عبد الله الشبل: الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب ص ٦٦،

مجلة الدارة: ع٣/س٤ ص ٣٨ من مقال للدكتور عبد الله العثيمين، و ص ١٠٢ من مقال للاستاذ منصور الرشيد عن قضاة نجد.

الخوف من ارتكاب أى محظور لا تسمح به الدولة ، وفى هذا المجال يذكر بركهارت أن أحد البدو قد ارتكب ذنبا لا يوجب حدا بل تعزيرا حسب رأى الحاكم فما كان من سعود بن عبد العزيز الا أن أمر بحلق لحيته ، ولما كان هذا العقاب من أصعب العقوبات على البدوى التمس من سعود أن يبقى لحيته ، ويدفع بدلا عن ذلك فرسا ، ولما كان سعود وأئمة الدعوة السلفية عامة فى تلك الفترة ينظرون الى وضع اللحية من منظور شرعى مستند الى عادة عربية فقد آثر أن يترك له لحيته مقابل الفرس الذى سرعان ماجاء به البدوى ، ويبدو أن أصالة هذا الفرس وحب سعود لمقاومة هذا البدوى بشكل خاص هو ما دفعه الى التنازل عن العقوبة التعزيرية الى النكال المادى ، وتدل هذه الحادثة وغيرها على حرص حكومة الدرعية على تطبيق الأحكام الشرعية بما يكفل احترام الدين ، كما تدل على احترام بعض البدو للأحكام الصادرة من هذه الحكومة باعتبارها جهة دينية وسياسية فى الوقت نفسه والاسلام لا يعرف التفريق بين الدين والسياسة (١) .

ولقد كانت القبائل التى تخضع للدرعية تنعم بنظام قضائى صالح وعادل لتطبيق أحكام الشرع فيه وفى هذا المجال فان الامام عبد العزيز كان يركز على أبناء البادية بالتزام النظام والاحتكام الى القضاء الشرعى لا العرفى ، وقد توسع سعود فى ذلك حيث أكثر من القضاة ليشملوا مواطن البدو ، وكان يتشدد فى اختيار القضاة من أعلم الناس وأنزههم ، وقد دعم احترام هذا القضاء الشرعى لدى البدو كونه عادلا ونزيها على العموم ، ومجانيا ، ومستقلا وحرا لا سلطان لأحد عليه حتى ولا الامام ، وهذا ما جعل ابن البادية الذى لم يألف هذا النوع من القضاء يأنس به ، ولا يتصرف الا بمقتضى حكمه ويخضع له ولا يخضع لسواه كما أن كون القضاء العرفى قبل الدعوة يلزم المتخاصمين دفع أموال للقاضى مما يؤثر على عدالة الأحكام الصادرة منه حيث يكون الحكم مع من يدفع ضد من لا يدفع ، ومن يدفع أكثر ضد من يدفع قليلا ، كون هذا القضاء بهذه الصورة

---

(١) د : العجلانى : عهد سعود الكبير : ١٧٩ نقلا عن بركهارت .

وتأكيد حكومة الدرعية على مجانية القضاء ونزاهته أضفى عاملا رئيسا لاحترام البدوى لهذا القضاء الشرعى (١) .

وبالاضافة الى ذلك فان هذا القضاء الشرعى كان أسلوبا من الأساليب التى اتبعتها حكومة الدرعية والتى أدت الى تحضر البدو ووضعهم وهم فى باديتهم (٢) لأن هذا القضاء قد طبق على البدوى والحضرى والغنى والفقير أحكام الشرع فلم يطبق على الحضر أساليب البدو الجائرة حتى فيما بينهم، بل طبق فيهم وفى الحضر الأساليب الحضرية المتمشية مع مبادئ القضاء الشرعى مما أخضع رؤساء القبائل لأحكام هذا القضاء ،وأوجد بالتالى نوعا من العلاقات الاجتماعية الطيبة بين القبائل البدوية فهدأت الأحوال فيما بينها لأنها أصبحت تتحاكم فيما تختلف فيه الى القضاء العادل بعد أن كانت تتحاكم الى القضاء العرفى الذى يزيد هذا الاختلاف ويؤدى به الى التناحر (٣) .

---

(١) د : العجلانى : المرجع السابق : ٣٢٧ .

(٢) يعتبر أسلوب الدولة السعودية الأولى فى هذا المجال أسلوبا بعيد النظر حيث حرصت على تحضير البدو سلوكا وابقائهم على أسلوب معيشتهم وسكناهم فى الصحراء ادراكا من هذه الدولة بأهمية الحفاظ على الجوانب الايجابية فى حياة البدوى سواء كان ذلك من زاوية اجتماعية ببقاء البدوى محتفظا بعاداته وتقاليده الطيبة والتى يخشى عليها من الاندثار اذا تحضر، أو من منظور اقتصادى بالحفاظ على مهنة من أهم المهن البدوية التى لا يستغنى عنها أى مجتمع مهما بلغت درجة رقيه وحضارته وهى مهنة الرعى التى تحافظ على التكاثر النوعى والعددى للمواشى بدرجة لا تستطيع معها الزراعة وتربية المواشى عن طريقها أن تسد حاجة المجتمع منها ، يؤكد ذلك حرص الدول المتقدمة على هذه المهنة وتشجيع من يقومون بها ، واذا كان هذا الأسلوب لم يتح له التطبيق الفعلى على نطاق واسع لعدم تمكن الدولة — لأسباب عديدة — من ذلك فهو على الأقل يمثل جانبا من جوانب التطبيق العملى لنظرة الاسلام للبدو والبداوة .

(٣) د :العجلانى : المرجع السابق : ٣٢٩ .

ولما كان القضاء لدى بادية نجد قبل الدعوة منوطا بشيوخ القبائل الذين يصدرون أحكاما عشائرية قد تلزم المتهم - ولو لم يكن مذنبا - بالتزامات أدبية ومادية يعجز عن تحقيقها ، أو منوطا بالقاضي العرفي الذى يفعل الشئ نفسه . ويأخذ البدوى النجدى الأحكام الصادرة من أى من الجهتين مأخذ التسليم المطلق ، لما كان القضاء البدوى بهذه الصورة فقد جاء تطبيق القضاء الشرعي ليوجد نوعا من الحرية الشخصية المنظمة لدى البدوى فجعله لا يعترف بالأحكام الصادرة من شيخ القبيلة أو العارفة - وان كان يعزهما ويأتمر بأوامرهما العامة - بل جعله ذلك لا يعترف الا بحكم الشرع الذى يتقبله منشرح الصدر حتى وان كان الحكم الصادر ضده (١) .

وكما مر فقد كانت حكومة الدرعية تجعل في كل قبيلة قاضيا ومفتيا واماما للصلاة ،وقد تجتمع هذه المهمات في شخص واحد ،الا أن القاضي يبعث الى البادية ليجلس سنة فقط ثم يعود ليرسل الى قبيلة أخرى ويرسل بدله غيره ، ولعل السبب في ذلك خشية الدولة من سيطرة شيوخ القبيلة ووجهائها على سلطة القاضي اما عن طريق اكرامه أو اهانته ، أو أن الخلافات بينه وبين أفراد القبيلة كانت تكثر مما يستلزم معها ارجاعه وارسال غيره ، أو أن ذلك يخضع لتنظيمات داخل السلك القضائي تتطلب بعث هذا القاضي أو ذاك الى هذه القبيلة أو تلك سواء كان ذلك راجعا الى شخصية القاضي أو لحجم القبيلة ومكانتها في المجتمع البدوى (٢) .

ولم يقتصر الأمر على هذا فقط بل كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناؤه وتلاميذه من بعده ،والأئمة من آل سعود يرسلون بين الفترة والأخرى رسائل ومواعظ عامة للمسلمين حاضرة وبادية مذكرينهم أحكام الدين وشرائعه ،وقد يلاحظ هؤلاء العلماء والأئمة ملاحظات على أهل بلدة معينة أو قبيلة فيخصونها

---

(١) الأب انستاس ماري الكرملي : خلاصة تاريخ العراق الى يومنا هذا . مطبعة الحكومة . البصرة ١٣٣٧هـ/١٩١٩م ص ١٦٥ ،مجلة الدارة ع٢ س٤ /١٧ ص.

(٢) ابن بشر: ١/ ٢٣٩ ،الريحاني : ٥١ ،حسين خلف الشيخ خزعل : مرجع سابق ٢٦٧.

برسالة فيها تذكير بالله سبحانه وأليم عقابه ، والحرص على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان أسلوب هذه الرسائل من الوضوح بحيث يفهمه عامة أهل نجد حاضرة وبادية علاوة على كونه يحوى كثيرا من الألفاظ النجدية العامية (١) .

على أن عدم الاستجابة السريعة من بعض بادية نجد للمبادئ الدينية الاصلاحية التي جاءت بها الدعوة قد أوجدت بعض المظاهر السلبية التي ما من شك في أنها أثرت على درجة التطبيق لأحكام الشرع بل والتزام أحكام الاسلام وبعض أركانه ، فرغم مجاهدة الدعوة ودولتها هؤلاء البدو على معرفة أحكام الدين ورغم التزام بعضهم بذلك وأدائهم الشعائر التعبدية من صلاة وزكاة ، والقاء أكثرهم السلم لهذه الدولة ، رغم كل ذلك فقد بقي قسم من أبناء البادية على بغيهم وظلمهم وعدوانهم سواء كان ذلك على الحضر أو على من استضعفوه من البدو ممن دخلوا في الدعوة ، وكانت الحكومة كلما أرادت تأديب مثل هؤلاء استندوا الى القبيلة التابعين لها ظانين أن ذلك يعجز ولاة الأمر من أخذ الحق منهم (٢) .

---

(١) لقد حفل تاريخ ابن غنام بعدد من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كما جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم مجموعة من رسائل الشيخ محمد وأبنائه وتلاميذه والأئمة من آل سعود في كتاب " الدرر السنية " وقد نشرت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب في أسبوعه ولكنها لم تحقق التحقيق المطلوب من هذا الأسبوع ، وقد نشرت أكبر رسائل الامام عبد العزيز بن محمد بواسطة مؤسسة النور بالرياض ، والى الوقت الحاضر وعلماء الدعوة ، والحكام من آل سعود يرسلون بين الفترة والأخرى رسائل تحمل الأسلوب السابق نفسه ، وان كانت تختلف عنها في معالجة ما جد في هذا العصر من القضايا ، وأصبحت كتابة الرسائل منذ تلك الفترة لهذا الهدف تقليدا يحرص علماء الدعوة وحكام آل سعود على التمسك به وتوجيه الناس عن طريقه .

(٢) عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : الرسائل المفيدة : ١٥٦ .

الا أن أئمة الدولة السعودية الأولى كانوا بقوة جانبهم ، وعلى قدر ما يحدثه هؤلاء من البغى والظلم والعدوان والتعاون على اخفائه فى أوساط القبيلة ، واستنادا الى النظام البدوى بجعل رئيس القبيلة والقبيلة كلها مسئولة عن أى جريمة يرتكبها فرد من أفرادها حتى يعثر على المجرم الحقيقى ويحكم عليه ، استنادا الى ذلك كله فقد ساغ لهؤلاء الأئمة أن يؤدبوا ابن العم فى ابن عمه ليقوم بأداء ما وجب عليه من الحق والطاعة فى المعروف ، ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف والبراءة من المحاربين وقطاع الطريق (١) ، ولا شك أن أبرز النتائج التى أعقبت تلك الاجراءات احترام الشرع ، ومبادئ الدعوة والداخلين فيها من قسم كبير من أبناء البادية ، علاوة على تركيز المفهوم الدينى تجاه هذه الاجراءات المتمثلة فى بيان العقوبة من الله سبحانه على من أوى محدثا (٢) ، والأجر العظيم منه سبحانه كذلك لمن دل ولاة الأمر على أى محارب أو قاطع طريق ، ومن هنا فانه كما أن لهذه الاجراءات جانبها الأمنى فقد كان لها جانبها الدينى نظرا لأن الأحكام كلها مستمدة من الشريعة الاسلامية التى ركزت على الجانب التأديبى ، وعلى الوعى بفلسفة هذا التأديب وحكمته ، اضافة الى أن هذه الاجراءات قد أدت الى الاحسان للبدو المؤوين لقطاع الطرق والمحاربين بتخليصهم من ارتكاب ما حرم الله عليهم وبالتالى فان ذلك كان سببا لصلاح قسم كبير من البدو وصيانة لأحوالهم الأمنية والدينية (٣) .

---

(١) المرجع السابق : ١٥٦ ، وانظر محمد المانع : توحيد المملكة العربية السعودية ، ترجمة د . عبد الله العثيمين . ط (١) مطابع المطبوع . الدمام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص ٠١٤٣

(٢) ورد فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لعن الله من آوى محدثا " .

(٣) عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ : المرجع السابق : ١٥٧ ، وقد ذكر أن تلك الاجراءات هى التى تأولها أئمة الدولة السعودية الأولى وظهرت مصلحتها وقلت مفسدتها ، واستدل على ذلك بمن أخذ النبى صلى الله عليه وسلم ناقته العضباء وقال له : لم تأخذ سابقة الحاج ؟ . ولعل المقصود التى تسبق نوق الحاج فتسلبهم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخذتها بجريرة حلفائك من ثقيف " أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وان توسيع نطاق هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (١) لتشمل قسما من البادية فى عهد هذه الدولة لمن الأسباب التى أدت الى تعميق الوعى

---

(١) تشبه هذه الهيئة ديوان الحسبة التى عرفها الماوردى بأنها أمر بالمعروف اذا ظهر تركه، ونهى عن المنكر اذا ظهر فعله، على أن هذه الهيئة قد تنقص اختصاصاتها عن الحسبة، وكان أساس وجودها فى المجتمع المسلم قول الله تعالى: " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون" آل عمران آية ١٠٤، أما أساس تنظيمها فى هذه الدولة فهى رسالة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر للامام أحمد بن حنبل (١٦٤هـ/ ٧٨٠م - ٢٤١هـ/ ٨٥٥م) لأن فقرات هذه الرسالة تقرب من اختصاصات هذه الهيئة، وكذلك رسالة الحسبة للامام ابن تيمية (٦٦١هـ/ ١٢٦٣م - ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م)، وقد أكد الشيخ وأئمة الدولة السعودية الأولى على أهمية هذه الهيئة حيث حددوا شروط القائم بها فى ثلاثة هى: ١ - أن يعرف ما يأمر به ٢ - أن يكون رفيقا فيما يأمر به وينهى عنه ٣ - أن يكون صابرا على ما جاء من الأذى، وقد كانت هذه الهيئة واسعة الصلاحيات فى تلك الفترة فمن مراقبة الناس فى أداء الصلاة جماعة ومعاقبة المتخلفين عنها، والقضاء على مظاهر الفسق والانحراف فى المجتمع الى مراقبة البيع والشراء ومطابقتها للشرع وعدم البخس فى المكاييل والموازين الى مراقبة الناس فى تعدى بعضهم على بعض الى مراقبة القضاة وعدم محاباتهم وجورهم الى مراقبة أمراء المناطق بل مراقبة الامام نفسه، وقد ظلت هذه الهيئة محل تقدير أئمة وملوك آل سعود حتى الوقت الحاضر حيث لا تخضع لأى سلطة ما عدا سلطة الامام أو الملك، للتفصيل عن هذه الهيئة: (أحمد ابن حنبل: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تعليق اسماعيل الانصارى مطابع القصيم . الرياض ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م. نشر دار الافتاء، على بن محمد الماوردى: الأحكام السلطانية ط ٣ مطبعة ومكتبة البابى الحلبى. القاهرة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ص ٢٤٠ - ٢٥٩، أبو يعلى الفراء الحنبلى الأحكام السلطانية تعليق محمد حامد الفقى ط٣ مكتبة ومطبعة البابى الحلبى . القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م ص ٢٨٤ - ٣٠٨، أحمد بن تيمية: الحسبة فى الاسلام، الشيخ محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية، ص ٢٩٦ د. عبد الله العثيمين: الشيخ محمد بن عبد الوهاب من ص: ١٥١-١٥٣، جلال الدين العمرى: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. ترجمة عن الأردية محمد أجمل الاصلاحى . نشر شركة الشعاع. الكويت. الكتاب بأكمله، د: منير العجلانى: عهد سعود ٢٤١ - ٢٦٤).

الديني لدى البدو ذلك أن قيام هذه الهيئة بمهماتها في أوساط البدو ساعد على التزامهم بأداء الشعائر التعبدية - وخاصة الصلاة جماعة - ومعاقبة من لا يحضرها بدون عذر ، ومن المعتقد قيام هذه الهيئة بين البدو بمهمات أخرى سواء كانت عقدية أو تعبدية أو مظهرية سلوكية تتناسب مع المهمات الموكولة اليها بين الحضر رغم عدم ذكر المصادر لأدوارها بين البدو بالتفصيل ورغم أن المرء يلمح تأثيرها فيهم ليس قويا لأسباب لعل من أبرزها انشغال الدولة بحروب القوى والقبائل النجدية ، وكذلك القوى غير النجدية في آن واحد تقريبا علاوة على مجيء حملات محمد على المدعومة من الدولة العثمانية في وقت مبكر من قيام الدعوة السلفية ودولتها .

ورغم كل ماسبق فان مما لا شك فيه وجود أثر لهذه الهيئة في اضفاء شيء من الطابع الديني على حياة بعض البدو تمثل في تظاهر هؤلاء ببعض المظاهر الدينية التي جاءت الدعوة السلفية باقرارها والحث عليها ، ورغم أن بعض هذه المظاهر السلوكية كان التمسك بها بشكل واضح ومستمر مقتصرا على زعماء القبائل الذين يلقى نواب (١) هذه الهيئة منهم كل احترام وتقدير باعتبارهم يمثلون أئمة الدولة السعودية الأولى الذين كانوا قد أعطوا هذه الهيئة صلاحيات واسعة وكبيرة ، رغم ذلك ، فقد كان عامة البدو الموالين للدعوة يحرصون على أن يظهروا أمام هؤلاء النواب بالمظهر الاسلامي اللائق بمن هم تابعين للدعوة السلفية على أن ذلك كان لا يعدو أن يكون مظهرا من مظاهر الولاء العلني فقط عند بعض هؤلاء البدو وساعدهم على ذلك جو الصحراء الفسيح ، وكراهية الدولة للتجسس ، وخاصة في أوساط البدو ، علاوة

---

(١) كان يطلق على أعضاء هذه الهيئة النواب وواحدهم نائب منذ عهد الدولة السعودية الأولى كما تطلق الهيئة - بتحريف لفظى - عليهم جميعا أو على أحدهم ، والى وقت قريب بل الى الآن وهذان الاطلاقان ساريان عليهم في بعض المناطق والبلدان النجدية ، وعن قدم هذه اللفظة : (ابن بشر : ١/ ١٩١).

على أن دور هذه الهيئة بين البادية ـ فيما يبدو ـ لم يكن بالقوة التي كان عليها بين الحضر (١) .

وكان أئمة الدولة السعودية الأولى من الحدب على هذه الهيئة أن كانوا في رسائلهم العامة للمواطنين بادية وحاضرة يؤكدون على أهمية أدوارها بل يلزمون أمراء المناطق ومشائخ القبائل الموالية لهم بتأييد أعضائها ، والقيام بأدوارها انطلاقا من تأكيد الدعوة السلفية على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان التعريض بترك الصلوات الخمس أو عدم الاهتمام بوقتها وتجميعها من أطراف البوادي والموارد والمزارع النائية عن البلدان من ملامح تلك الرسائل ، علاوة على نقد الأوضاع الدينية عامة مما تعتبر داخلة في اختصاص هذه الهيئة (٢) .

ولعل من أبرز مظاهر عدم الاستجابة السريعة من بعض البدو الامتناع عن أداء بعض الشعائر التعبدية ، ومنشأ ذلك ما حدث من تغيير اجتماعي في بعض القبائل بعد الدعوة نتيجة رفع أمراء أفخاذ صغار الى امارة قبيلة كبيرة كالدواسر مثلا الذين رقى فيهم ربيع بن زيد رئيس فخذ المخاريم الى امارة القبيلة كلها حاضرة وبادية مما ترتب عليه احتقار كبار مشائخ القبيلة وحسدهم له هذا المنصب ، وعدم اعترافهم بهذه الامارة العامة عليهم اذ يرى بعضهم نفسه أولى بها لما له من رصيد قيادي سابق مما أوجد حاجزا نفسيا بين زعماء هذه القبيلة المرموقين قبل الدعوة ومن تابعهم ، والأمير الرسمي الذي لم يكن يملك ولاء جماعيا في القبيلة علاوة على ما يبدو أنه كان ينتهجه من قسوة في معاملة معارضيه من زعماء أو أفراد ، وهي قسوة لم تكن تألفها هذه القبيلة أو غيرها سواء كان ذلك فيما يتعلق بالولاء الجماعي لأمير عام ، أو الانصياع لحكومة مركزية منظمة ، وهو ما يحتاج الى شيء من الترويض .

---

(١) مقدمة تقرير جان ريموند : ص٣ ، Burchhardt . Nots. 1/106

(٢) د : العجلاني : المرجع السابق : ٢٤٣ ، كما أن الرسائل الوعظية في المرجع نفسه تؤكد على أدوار هذه الهيئة من ص ٢٤١ – ٢٦٤ .

ولما كانت الزكاة تعتبر مظهرا من مظاهر الولاء للأمير الأقليمي أو القبلي المعين من الحكومة السعودية وبالتالي فهي مظهر من مظاهر السيادة لهذه الحكومة، لما كانت الزكاة كذلك فقد كان عدم أدائها يشكل خرقا لهذا الولاء وتلك السيادة وهو أبرز ما كانت تلجأ اليه الفئات المتمردة عن طاعة حكومة الدرعية، وفي هذا المجال حفظ لنا الشعر الشعبي المروى صورة من هذا القبيل، ويبدو أن لها أمثلة في بعض القبائل حيث يوجد فيها بعض المناوئين للحكومة المركزية، أما ما أطلعت عليه في هذا فقد كان في الدواسر حينما حاول ربيع بن زيد أن يشمل بولايته كافة الدواسر كما نص عليه تعيينه وطفق يجمع الزكاة الشرعية رمزا لهذه الولاية، حيث ناوأه قسم من الدواسر كما مر ذكره في الفصل الأول فرفض أداء الزكاة، وجعل ربيعا هدفا لسخريته وتندره وصاغ ذلك على شكل أهازيج حرب، أو أراجيز من تلك التي تردد عند مزاولة أي عمل من الأعمال أو حرفة من الحرف، فمن ضمن ما يروى في هذا الصدد قولهم عن ربيع :

ربيع شيخٍ هبيل : يبغي من الوادي زكاة (١)

وهذا البيت كما يصور السخرية والرفض عن أداء الزكاة بسبب أن ذلك يتم عن طريق ربيع بن زيد، فانه يصور مظهرا من مظاهر عدم الاستجابة السريعة لأداء الشعائر التعبدية سواء كانت مالية أو بدنية، وهو بالتالي يعطي تصورا عن نسبة التأثر الديني بمبادئ الدعوة السلفية بين القبائل الموالية للدعوة كما أنه يعيد الى الأذهان قصة امتناع بعض القبائل العربية عن أداء الزكاة في أول عصر الراشدين الا أنه هنا لا يعدو أن يكون جهلا بأهمية الزكاة كركن من أركان الاسلام وكونها عنوانا للالتزام بالنظام الذي لم يألفونه، علاوة على أسلوب بعض الأمراء في تحصيلها وصرفها فيما يبدو.

---

(١) هبيل: من الهبل وهو الكسب باحتيال، وان كان قد يأتي بمعنى خفة العقل، والوادي: وادي الدواسر، ومعنى البيت استحالة دفع الزكاة لربيع لأن البيت يحمل السخرية منه، والتهديد بالامتناع عن أدائها والبيت الثاني الذي سيأتي الكلام عنه يؤكد هذا المفهوم، (الفيروزابادي: ٤ / ٦٧)، أما البيت فهو من مروياتي عن أحد الدواسر.

على أن ذلك لم يقتصر على الامتناع عن أداء الزكاة بل تعداه الى الامتناع عن أداء الصلاة أحيانا (١) لدى بعض الفئات من القبائل المؤدية للدعوة كمظهرين من مظاهر التحدى السافر لهذه السيادة الجديدة فى نظر تلك الفئات ، ويبدو أن لأسلوب المعاملة الذى تنتهجه بعض القيادات القبلية الجديدة دور كبير فى هذا حيث أساءت به الى الدعوة السلفية ، والى المدعوين من قبيلتهم.

ويؤكد البيت التالى هذا الامتناع عن أداء الصلاة باعتباره أبلغ فى التحدى لهذه القيادة الجديدة من الامتناع عن أداء الزكاة حيث كانوا يرجزون بعد البيت السابق بقولهم :

لعيون منسوع الجديل : ما عاد نركع للصلاة (٢)

وبغض النظر عن دقة دلالة اللفظ على الواقع الدينى لديهم حيث قد يجوز أن يكون ذلك من باب التلفظ فقط لابراز التحدى ولا يعنى الحقيقة ، فان ابراز التحدى بهذا الأسلوب ينم عن جهل عميق بالدين الاسلامى كما ينم عن عدم استعداد لتلقى مبادى هذا الدين ، وهو بالاضافة الى ذلك يبين نسبة التأثير الدينى من قبل الدعوة السلفية بين الدواسر ، ويجدر بالذكر هنا أن هذين البيتين ومايندرج تحتهما من مفاهيم لا يمكن أن يكونا نتيجة للتحول الدينى بين البدو عقب سقوط الدرعية اذ أن ذلك يدخل فى نطاق تحدى بعض الدواسر لربيع بن زيد الذى كان واليا لوادى الدواسر حتى عهد سعود أو أوائل عهد ابنه .

---

(١) اما الامتناع عن ذلك كله أو الامتناع عن اقامتها جماعة ، وهو ما كانت تؤكد عليه تعليمات الدعوة السلفية انطلاقا من تأكيد الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك فى عدد من الآيات والأحاديث .

(٢) لعيون : أى لأجل عيون ، وفيه قسم بغير الله ، الا أن يكون هناك مقدر بلفظ الجلالة فيكون الكلام : والله لأجل عيون ، منسوع : لعلها من النسع بمعنى الظهور ، أو الاسترخاء ، أو الطول ، وكلها دواعي تغزل بشعر المرأة ، الجديل : من فعيل بمعنى مفعول ، وهو الشعر المفتول باحكام ، وكان الجدل من علامات الجمال عند المرأة حتى لتسمى به بعض النساء كجديلة بنت سبيع بن عمرو من حمير بل أصبح علما لحى من حمير ينتسب لها ، على أن بعض رجال البدو يجدلون شعورهم كذلك ، ما عاد ، أى لن نعد عن تحليل الكلمات : (الفيروزابادى : ٣ / ٣٤٧،٣٤٦،٨٨) ، أما

عبدالله ثم خلفه ابنه قاعد كما مر بيانه في الفصل السابق (١) .

ولا شك أنه رغم وضوح هذه الصورة لدى قبيلة الدواسر فان من المؤكد وجود مايشبهها لدى بعض القبائل النجدية الأخرى بنسب أكبر مما لدى الدواسر ، وبكيد للدعوة ورغبة في القضاء عليها وعلى كيانها السياسي أكثر منه جهلا بأحكام الدين والولاء لحكومة منظمة كما هو الحال لدى الدواسر وبعض البدو .

ولعل أهم قبيلة برزت فيها هذه المظاهر بشكل واضح هي قبيلة الظفير التي اتخذت من تركها لبعض الفرائض الدينية وسيلة للخروج عن طاعة حكومة الدرعية التي كانت ترى في أي خروج جماعي عن تعاليم الدين الاسلامي الأساسية خروجا عن طاعتها نظرا لأن هذه الحكومة قامت لتتبنى هذه المبادئ ، ولأن ترك هذه الفرائض يسبقها أو يعقبها خروج مسلح على هذه الحكومة ، وهو ماحدث من هذه القبيلة سنة ١٢١٩هـ/١٨٠٤م كما أشرت الى ذلك في الفصل الأول حيث قد تزامن تركها لبعض فرائض الدين في تلك السنة مع تحزبها بجموع من بعض القبائل المناوئة للدعوة التي يبدو أنها اتفقت معها في ترك هذه الفرائض اما ابتداء حيث لم تصلها مبادئ الدعوة السلفية أو لم تدخل في طاعتها رغم علمها بهذه المبادئ ، واما أنها قد دخلت في هذه الطاعة مثلها في ذلك مثل الظفير وأرادت التحلل من هذه الشعائر التعبدية كمظهر من مظاهر تحديها للدولة السعودية الأولى ، ومعارضتها للدعوة السلفية ، واذا كان ابن بشر لم يبين هذه الفرائض التي كان تركها مع هذا التحزب سببا في ارسال جيش سعودي عرمرم ضم قسما كبيرا من البلدان والبوادي الموالية للدعوة وبقيادة الامام سعود نفسه ، اذا كان ابن بشر لم يبين ذلك فان ذلك - فيما يبدو - كان متمثلا في الامتناع عن دفع الزكاة ، وأداء الصلاة كلية ، أو الاجتماع عليها في الموارد والمقاطن وهو ماكان يعتبر مظهرا من مظاهر المتابعة للدعوة السلفية وحكومتها ويلقى المتهاون به التوجيه أو التأديب (٢) .

= البيت فهو كسابقه ضمن افادة شفوية من أحد الدواسر.

(١) ابن بشر: ٢٣٧/١ ، ٢٨١ .

(٢) ابن بشر: ١٨١/١ ، ١٨٢ .

وما من شك فى أن الدعوة السلفية رغم كل ما سبق لم تتمكن من حمل البدو على الاهتمام بالأمور الدينية بشكل كبير لانشغال الدولة السعودية الأولى بتوحيد منطقة نجد ثم نشر الدعوة خارجها ، ولم يتسنى لها بعد أن فرغت من ذلك أن تتفرغ للبدو ولتكثف لهم الحملات الدينية لاصطدامها بالقوى غير النجدية ، ولأن الدولة العثمانية قد جدت فى القضاء على هذه الدولة الوليدة بأى شكل كان ، اذ لو فرضت العزلة على نفسها حتى تتمكن من تلقين البدو والحضر الدين على حقيقته كما تهدف اليه ، ثم انطلقت بعد ذلك فى الفتوحات لاستطاعت أن تحول بين بعض البدو وبين ما كان يروم اليه من التخلص من تعاليم الدين التى جاءت بتجديدها الدعوة السلفية والتى كانوا يعتقدون أنها عقبة فى سبيل حريتهم ٠ (١)

ورغم أن قسما كبيرا من القبائل الخاضعة للدولة السعودية خضوعا مباشرا قد اضطرت طيلة عهد هذه الدولة الى مراعاة قواعد الدين الاسلامى الرئيسية مراعاة دقيقة الا أن قسما من بعض هذه القبائل كان يظهر منتهى الايمان والحماسة فى سبيل هذه الدعوة خدمة لمصالحهم الشخصية فقط ، وبقيت قلوب بعضها غلفا بعيدة عن الدين تنتظر أى فرصة تسنح لتتخلص من تعاليمه ، فلم تكد جيوش محمد على تقضى على قوة السعوديين حتى بادر قسم من هؤلاء البدو الى التحلل من تلك الطقوس الدينية التى أرهقتهم على حد اعتقادهم (٢) ٠

ومن أبرز مظاهر هذا التحلل هو ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى أوساط البدو ، علاوة على تعطيل بعض الشعائر التعبدية ، وكذلك تعطيل التحاكم بالشريعة ، وانشغال البدو بالغارات على المدن والبلدان وعلى بعضهم البعض عن اقامة تلك الشعائر مما جر الى انتشار بعض المظاهر الانحرافية عن الدين وأصبح ذلك أمرا مألوفا بين البدو وبعد ما كان من يقوم بها يلقى العقاب من حكومة الدرعية (٣) ٠

---

(١) ر ٠ ب ٠ دوزى : تاريخ مسلمى أسبانيا : ١/ ٣٣، ٣٤ ٠
(٢) المرجع السابق : ٣٤ ٠
(٣) ابن بشر : ١/ ٢٨٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٢/ ٧ ، د : العجلانى : عهد عبد الله بن سعود : ١٣٥ ٠

وكان لاهانة ابراهيم باشا بعد سقوط الدرعية وكذلك جنود الحاميات التركية فيما بعد للعلماء وأئمة المساجد النجديين الدور الأكبر فى انحراف كثير من النجديين حاضرة وبادية ،علاوة على ماأفرزته تلك الجموع التركية من مؤثرات عقدية منافية للتعاليم السلفية حيث انتشرت مثل هذه المؤثرات فى أوساط البدو خاصة وأصبح الاعتقاد بهامألوفا لدى هذه الأوساط (١).

وفى هذا المجال يقول أحد الباحثين الغربيين بعد سقوط الدرعية :
" ان الدين اليوم يكاد يكون منعدما فى الصحراء ، وليس هناك من أحد يراعى أوامر القرآن ونواهيه" (٢).

وعلى أى حال فرغم أن الأثر الدينى للدعوة السلفية على البادية فى تلك الفترة لم يكن على مستوى كبير يرضى طموح هذه الدعوة ، ولم يؤد النتيجة التى كان يرجوها علماء وأئمة الدعوة له ، ورغم ما زامنه وأعقبه من مؤثرات دينية مغايرة أثرت على نسبته بين هؤلاء البدو ، رغم كل ذلك فانه قد شكل أرضية جيدة لمحاولات التوجيه والتوعية الدينية التى حصلت للبدو فيما بعد حيث أن ماحصل عليه البدو من تعاليم سلفية وان كانت قليلة ، ولم تنتشر بين البدو النجديين عامة قد كونت مادة رئيسية لعودة تلك القبائل للولاء لهذه الدعوة السلفية وكيانها السياسى فى أدوارها التى تلت بعد ذلك.

---

(١) ابن بشر : ١/٢٨٢، ٣٠٢ ، مقبل الذكير : طوق الحمامة : ٨٦ ، العقود الدرية : ٥٥ ، العجلانى المرجع السابق : ١٣٦ ، محمد الأحمد السديرى : أبطال من الصحراء : ١/٢٢٧، ٢٣٢ - ٢٣٤،

R. B. Winder, Saudi Arabian The 19 Century, P. 56.

(٢) دوزى : المرجع السابق : ص ٣٤.

الفصل الثالث

أثر الدعوة على مظاهر الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد :

رغم كل ما سبق ذكره فى أول الباب من صعوبة تلمس آثار الدعوة السلفية على الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد بالتفصيل الا أن الباحث لا يعدم أن يلمح أشارات من هنا أو هناك تعطى بعض الملامح لآثار الدعوة على بعض مظاهر الحياة الاجتماعية لدى تلك البادية على اختلاف فى تقدير نسبة هذا التأثير بين قبائل البادية النجدية .

ومن المؤكد والدعوة قد ضمت فى ولائها عددا من تلك القبائل - على اختلاف فى درجة هذا الولاء بينها - أن تكون قد تركت تأثيرا واضحا على بعض جوانب الحياة الاجتماعية لدى تلك القبائل التى ما من شك فى أنها فى محاولة منها لاثبات ولائها لهذه الدعوة قد أتاحت للمبادئ السلفية من التغلغل الى بعض جوانب حياتها الاجتماعية فتنازلت عن بعض مظاهر تلك الحياة السيئة وسمحت للمبادئ السلفية بتوجيه المظاهر الاجتماعية الجيدة لديها وجهة دينية على أن هذا التأثير كان نسبيا بين القبائل وبين مظاهر الحياة الاجتماعية فى القبيلة الواحدة ذلك أن اختلاف الولاء السلفى بين القبائل قد ساعد على اختلاف نسبة هذا التأثير السلفى بينها علاوة على أن أى قبيلة والت الدعوة ولاء جيدا لم تكن على استعداد للتنازل عن موروثات اجتماعية قديمة خصوصا وأن الدعوة - فيما يبدو - لم تصطدم بتلك القبائل لأجل الموروثات مادامت لا تتعارض مع مبدأ عقدى من تلك التى أكدت الدعوة على تسيير دفة الحياة الاجتماعية على أساسها .

وفي هذا الفصل سأحاول - على ضوء المعلومات المتوافرة - أن أبين جوانبا من التأثير السلفي على بعض نواحي الحياة الاجتماعية لدى البادية النجدية سواء كان ذلك بالنسبة للعادات والتقاليد أو الوضع القبلي الذي نجم عن انتشار هذه الدعوة بين تلك القبائل وسواء ترتب على ذلك تغيير في الوضع القبلي تحركا بين القبائل أو كان تغيرا اجتماعيا والقبيلة في مرابعها التي كانت تقطنها قبل الدعوة :

١ - أثر الدعوة على الوضع الأمني :

ان الأمن المقصود ههنا هو اسم جامع لكل ما يحفظ للانسان حياته وكرامته من أمن جنائي الى أمن غذائي الى أمن اجتماعي ، وهو ما تسعى الحضارات والدول بمختلف أساليبها الى ايجاده لشعوبها ، وما من شك في أن الاسلام قد حرص - عبر آدابه وتشريعاته الى توفير الأمن بمختلف أنواعه من حثه على الرعي والزراعة والتجارة والصناعة الى قطعه لدابر الجريمة وفساد الأخلاق في المجتمع الى حرصه على رعاية الفرد والحفاظ على الأسرة باعتبارها عماد المجتمع الى تبنيه لمبدأ التكافل الاجتماعي بجانبيه المعنوي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمادي بتوفير العيش الكريم في أوساط المجتمع المسلم لمن يحتاجه ولا يستطيعه عبر الزكاة والصدقة وغيرهما من وجوه البر والاحسان في تفصيل في ذلك كله ليس هنا مجال البسط فيه .

ولقد حرصت الدولة السعودية الأولى بتطبيقها لمبادئ الدعوة السلفية على تهيئة السبل لتنفيذ كافة أنواع الأمن بين البدو تمهيدا لاستتباب الأمن المقصود بذلك وهو الأمن في السبل وبين المرابع الذي استفادت منه بالدرجة الأولى حاضرة نجد أكثر من باديتها .

ولما كانت هذه الدولة قد أشبعت نهم ابن البادية في كثرة غزواتها مستغلة في ذلك محبة البدوي للغزو علاوة على توجيهها لهذا الغزو نحو

الأهداف السامية التى جاءت بها الدعوة السلفية بجعله جهادا فى سبيل الله لايجاد كيان سياسى منظم ، لما فعلت الدولة ذلك فقد قنع البدوى النجدى بذلك لممارسة رياضة الغزو لديه ، ثم انها — فى نطاق ذلك — قد سدت حاجة البدو الاقتصادية من هذا الجانب ، فقد أبدلت البدوى الكسب الذى يحصل عليه من جراء غزواته التى كان يقوم بها فى فترة ما قبل الدعوة هذا الكسب الذى يعتبر موردا اقتصاديا ضروريا فى نظر البدوى ، أبدلته بغنائم الحروب التى كانت تقوم بها ويتم توزيعها على المحاربين وفق الأحكام الشرعية المرتبة لذلك ، ولا شك أن شمول توزيع الغنائم على المحتاجين من الفقراء والمساكين قد أوجد تكافلا اجتماعيا فى أوساط البدو بخلاف توزيع كسب الحروب السابقة ، وأوجد بالتالى ارتياحا عاما من البدو تجاه هذا التوزيع الشرعى ، علاوة على أن كثرة تلك الغزوات وكبر حجمها أحيانا كانا يؤديان الى مردود مالى جيد بالقياس الى الغزوات البدوية قبل الدعوة (١) .

ونظرا لكون الضرائب المرورية أو الاخاوات تشكل موردا ماليا جيدا للبدو قبل الدعوة سواء تلك التى يفرضونها على القوافل التجارية أو حملات الحج أو أى مجتاز للصحراء ، ونظرا لكون عوائد هذا المردود لاتصل الا الى الأقوياء من البدو ، وحرصا من الدولة — من قبل ومن بعد — على توسيع المنافذ المؤدية للأمن فى نجد ، نظرا لهذا كله فقد قامت الدولة السعودية الأولى بحرب شعواء ضد هذه الاخاوات ، وهى فى سبيل تنفيذ ذلك قد رتبت رواتب مجزية من بيت المال لزعماء القبائل التى تتعرض للطرق وخاصة طرق الحج ، وما من شك فى أن هذا الأسلوب يعتبر أسلوبا مثاليا للقضاء على ظاهرة قطع الطرق بتجفيف الروافد المؤدية الى ذلك بتلبية حاجات الضرورة الاقتصادية الملحة التى تدفع للقيام بهذا العمل عن

---

(١) ابن بشر : ٢٢٨/١ ، الريحانى : ١٧٠ ، د .عبدالرحيم عبدالرحمن : ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

طريق اجراء تلك الرواتب ، وأخذ التعهد من الزعماء بعدم القيام بكل ما من شأنه تعكير صفو الأمن في الطرق العامة في نجد وخاصة تلك التي يسلكها حجاج بيت الله الحرام (١) .

وقبل هذا وذاك فقد كان دور الزكاة كبيرا في تحقيق قدر واسع من الأمن الاجتماعي بين البدو اذ كانت من أهم العوامل التي سدت الفراغ الاقتصادي الذي خلفه القضاء على الاخوات ، ولما كانت تشكل موردا ماليا كبيرا لبيت المال سواء تلك التي تجبى من الحضر أو البدو فقد كان توزيعها شاملا لمصارفها الشرعية بين الفريقين ، ولا شك أن مجئ تلك الكمية الكبيرة من زكاة البدو - كما مر - دليل على اقتناع البدو بالمردود الاجتماعي الجيد لها اضافة الى معرفتهم بها كركن من أركان الاسلام رغم وجود بعض مظاهر التحدي للسلطة الاقليمية أو المركزية التي كانت تصاحب قبضها كما مر (٢) .

أما الأموال المصادرة أو النكال المادي الذي كان يقضي بضمها الى بيت المال وصرفها في مصارفه فقد كان من أهم أهدافها سد حاجة المحتاجين من أبناء البادية والحاضرة على حد سواء مما يجعلها تحقق قدرا من الأمن الاقتصادي يدفع البدو - بشكل خاص الى سد حاجتهم عن طريق ذلك بدلا من سدها عن طريق الغزو والنهب والسلب مما يجعلها بالتالي تسهم بدور جيد في تحقيق الأمن الجنائي بين البدو أنفسهم وبين البادية والحاضرة (٣) .

---

(١) ابن بشر : ١٤/١ ، الريكي : ١٧٠ ، جاكلين بيرين : ٢٧٧ ، ٢٧٨ .
(٢) د : عبدالرحيم عبدالرحمن : ٢٤٢ - ٢٤٦ .
(٣) ابن بشر : ١٦٩/١ ، ١٧٣ ، الريكي : ٥١ ، د : عبدالرحيم عبدالرحمن : ٢٤٧ .

وما من شك فى أن هذه الموارد الرئيسية قد أدت دورا رئيسيا فى تحقيق أهداف الدولة السعودية الأولى باستتباب الأمن بكافة أنواعه ، وهى اذ قامت بتنفيذ حقوق المسلمين عامة والبدو خاصة فى بيت المال من هذه الموارد فانما أرادت أن تقضى على الدافع الاقتصادى وراء تعكير الأمن فى نجد .

ولقد حرصت هذه الدولة على توجيه الصرف من هذه الموارد بما يحقق مبدأ التكافل الاجتماعى وبما يساعد على تجفيف الروافد المؤدية الى الاخلال بالأمن وخصوصا فى أوساط البدو ، ومن هنا فقد كان الصرف على المساكين والفقراء ، وأبناء السبيل ومن تحل بهم كوارث أو يتوفى عائلهم من أوائل أوجه الصرف من بيت المال باعتبار أن هذه الأوجه من مصارف الزكاة الشرعية التى تعتبر موردا رئيسيا من موارد بيت المال فكان الامام ملزما بتقديم الصرف على هذه الأوجه عن غيرها من المصارف الأخرى (١) .

ثم ان تنفيذ الدولة لمبدأ الضمان الاجتماعى كان عاملا من عوامل الاستقرار وشيوع الأمن فى المجتمع ، ذلك أن كثيرا من أعمال السلب والنهب التى كان يقوم بها بعض أبناء البادية وبعض أبناء الحاضرة أيضا مبعثها الفقر والفاقة وعدم وجود من يعول هذه الأسرة أو تلك ، وفى هذا السبيل يذكر المؤرخون أنه كان اذا مات الرجل فى جميع نواحى نجد أتى أولاده الى الامام عبد العزيز وابنه سعود يستخلفونه (٢) فيعطيهم عطاء جزيلا ، وربما كتب لهم فى الديوان راتبا شهريا أو سنويا على شكل ضمان اجتماعى (٣) .

---

(١) المرجع السابق : ٢٤٨ .

(٢) يستخلفونه : من الاستخلاف بمعنى يطلبون منه أن يكون خليفة لهم عن عائلهم بالانفاق عليهم أو تهيئة فرص العمل للقادر منهم .

(٣) ابن بشر : ١/١٧٣ ، صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية : ١/٨٣ .

وبالاضافة الى ذلك فقد اهتمت الدولة بالضعفاء والمساكين الذين ربما يؤدى تركهم الى ارتكابهم الجرائم فكان هؤلاء بمجرد قدومهم الدرعية وتقديمهم كتابا يبين حاجتهم وفاقتهم يوافق عليه الامام ولو كان مع أحدهم أكثر من كتاب باسماء متعددة، ولا شك أن فى هذا الاجراء قطع لدابر الجريمة بقطع مسبباتها وخاصة بين البدو ، كما أن فيه ترسيخ وتعميم لمبدأ التكافل الاجتماعى فى أوساط المجتمع النجدى (١) .

والدولة السعودية بالاضافة الى ذلك قد حرصت على تركيز الاهتمام بالاكثار من الصدقات فى المجتمع النجدى عن طريق ارسال الصدقات من بيت المال وتشجيع الأثرياء بدفع صدقاتهم الى فقراء البلدان والنواحى وضعفاء البوادى .

وكان شهر رمضان المبارك مجالا رحبا لصرف المزيد من صدقات التطوع والزكاة الشرعية مما جعل فقراء ومساكين نجد حاضرة وبادية يفدون الى الدرعية ويقيمون فيها طيلة الشهر الكريم يطعمون ويشربون ليحصلوا فى آخره على ملابس وعطاء مالى ، على أن الدولة تأمر أمراء الأقاليم بالانفاق على بيوت الضيافة فيها فى رمضان وغيره وترسل لهم مخصصات لهذا الغرض اذا بقى وفر فى بيت المال بعد ارسال الصدقات الى النواحى والبوادى لمن لم يتمكنوا من القدوم الى الدرعية فى رمضان (٢).

وكانت المحصلة الطبيعية لهذه الاجراءات التكافلية وغيرها مما ليس هنا مجال التفصيل فيه أن خفت حدة السلب والنهب التى كان يقوم

---

(١) ابن بشر : ١/١٧٣ ، د : العجلانى : عبدالعزيز بن محمد ٢٦٨،٢٦٧.

(٢) ابن بشر : ١/٢٣٠ ، ٢٣١.

بها البدو فيما بين بعضهم البعض أو فيما بينهم وبين الحاضرة فتشير مصادر تلك الفترة الى شيوع قدر جيد من الأمن فى المجتمع النجدى حاضرة وبادية فى جل عهد هذه الدولة (١).

واستكمالا لتلك الاجراءات الوقائية ضد ما كانت تعانى منه نجد من أمراض اجتماعية نتيجة الفوضى ، فقد كان أئمة هذه الدولة من الحزم والسرعة والدقة فى تنفيذ الأحكام التأديبية ضد أى بادرة يشم منها رائحة العودة الى أسلوب النهب والسلب مهما كانت الحادثة المصاحبة لهذا الأسلوب صغيرة أو كبيرة (٢).

واذا كانت النظرة المتبادلة بين البدو والحضر والعلاقة الاجتماعية المترتبة على ذلك سيئة على ما مر بيانه فى الباب الثانى ، فان هذه العلاقة قد تغيرت نسبيا وقلت العداوة بينهما فى هذا العهد -خوفا من النظام على الأقل - فلم يذكر عن غزو بدوى على القرى والبلدان النجدية، بل ولم يذكر عن نهب وسلب قام به أحد البدو ضد الحضر حتى وهم فى الصحارى فى أيام الربيع وغيره وهم يجمعون العشب أو الحطب (٣).

ويشير المؤرخون فى هذا الصدد الى أن المسافر يسافر فى عهد الامام عبد العزيز بن محمد بالأموال ولا يتعرض له أحد بسلب أو نهب ، علاوة على أن عامة أهل نجد يتركون مواشيهم ترعى فى أوقات الربيع ولا يتعرض لها أحد من أبناء البادية (٤).

---

(١) ابن بشر: ١/ ١٧٠، ١٧١ ، د: المجلانى :عهد سعود بن عبد العزيز ٢٣. ، د :محمد عبد الله ماضى :النهضات الحديثة فى جزيرة العرب ط (٢) نشر دار أحياء الكتب العربية ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م ١/ ٧٨.

(٢) د: عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق : ٢٢٨.

(٣) ابن بشر : ١/ ١٧١.

(٤) ابن بشر : ١/ ١٦٩، ١٧٠.

ولما كانت المواشي تشكل مصدرا رئيسيا للاقتصاد النجدي في تلك الفترة ولما كانت الابل بشكل خاص مما يعتني به النجديون حاضرة وبادية، ويضطرون لرعيها وهي سائبة في أوقات الربيع مما يعرضها للضياع والسرقة، وهي ما تسمى بضوال الابل أو الهمل (١) بلغة نجد الدارجة، تلك الضوال التي عنيت بها الدولة السعودية الأولى في نطاق الترتيبات الأمنية التي اتبعت في تنفيذها أسلوب الاسلام في هذا المجال (٢) فقد قضت هذه الترتيبات أن من وجد ابلا ضالة يقدم بها الى الدرعية فيسلمها الى الحكومة التي خصصت لها رجلا يحفظها (٣)، ويجعل فيها رعاة، ويتعاهدها بكل ما تحتاج حتى كانت تتناسل أحيانا قبل أن يأتي صاحبها للبحث عنها، وقد عممت الدولة على الناس بأن كل من له شيء منها أن يأتي بشاهدين أو شاهد مع يمينه ويأخذها، ويبدو أنه في حال الضرورة كانت تعرف ثم تباع حتى اذا جاء صاحبها وتحقق منه أعطى ثمنها على طريقة عثمان رضي الله عنه في ذلك (٤).

---

(١) الهَمَل بفتح الهاء والميم يندرج تحتها عدة معان وهي بهذا المعنى فصيحة. (الفيروزابادي: ٤/٧١).

(٢) لقد مر القضاء في ضوال بهيمة الأنعام عموما والابل خصوصا بمراحل لخصها الامام مالك رحمه الله في موطأه تحت عنوان القضاء في الضوال، فأورد فيه عن سليمان بن يسار أن ثابت بن الضحاك الانصاري أخبره: أنه وجد بعيرا بالحرة فعقله ثم ذكره لعمر بن الخطاب، فأمره عمر أن يعرفه ثلاث مرات فقال له ثابت: انه قد شغلني عن ضيعتي، فقال له عمر: أرسله حيث وجدته، كما أورد عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قال وهو مسند ظهره الى الكعبة: من أخذ ضالة فهو ضال، كما روى عن ابن شهاب قوله: كانت ضوال الابل في زمان عمر بن الخطاب ابلا مؤبلة - أي متروكة مهملة - تناتج لا يمسها أحد حتى اذا كان زمان عثمان بن عفان أمر بتعريفها ثم تباع، فاذا جاء صاحبها أعطى ثمنها أ هـ. (الامام مالك: الموطأ ص ٥٣٨).

(٣) ذكر ابن بشر اسم الرجل المسئول عن ذلك وهو عبيد بن يعيش. (١/١٧٠).

(٤) الموطأ ص ٥٣٨، ابن بشر: ١/١٧٠، صلاح الدين المختار: ١/٨٢.

ولم يقتصر ذلك على الابل فقط فقد أمنت كافة المواشى ، وفى هذا الصدد يذكر ابن بشر حادثة نقلا عن علماء نجد (١) أن رجالا من البدو المشهورين بالنهب والسلب قد وجدوا عنزا ضالة فى أحد مراعى نجد (٢) وهم جياع نتيجة بقائهم يومين أو ثلاثة بدون طعام ، فقال بعضهم لبعض : لينزل أحدكم على هذه العنز فيذبحها لنا لنأكلها فكل منهم يقول لصاحبه : انزل اليها فلم يستطع أحد منهم النزول خوفا من العاقبة على الفاعل (٣) .

كما يروى صاحب السلمع - وهو من المصادر غير المؤيدة للدعوة - قصة مؤداها أن امرأة من بريدة فى القصيم ذات جاه وجمال ومال خرجت الى الصحراء فى الربيع ببعض خدمها وفى الرجوع الى البلدة وحينما جن الليل انفردت عنهم فبرز لها أحد لصوص الصحراء فخوفته بحزم وشدة الامام عبدالعزيز بن محمد ولكنه لم يرعو بل أخذ يتملق لها حتى أخذ بعض حليها وخلى سبيلها فاغتنمت تركه لها وهربت فلما وصلت بيتها أخبرت زوجها بما حدث فرفع المشكلة الى حكومة الدرعية حيث أخذت تجرى

---

(١) هو الشيخ عثمان بن عبدالعزيز بن منصور الحسينى الناصرى العمرى ، ولد فى الفرعة - احدى بلدان الوشم - فى سنة (١٢١١هـ/١٧٩٦م) ، وقرأ على علماء سدير ، والشيخ عبدالعزيز الحصين ، ورحل الى العراق فدرس على داود بن جرجيس وعلماء غيرهم كان مذبذبا فى موالاة الدعوة السلفية فمرة يواليها ، ومرة يوالى أعداءها ، ولكنه من علماء نجد البارزين قال عنه الشيخ على الهندى : "كان ذا فهم حاد" تولى القضاء للامام تركى بن عبدالله وابنه فيصل فى جلاجل وحائل ، من أبرز تلاميذه عثمان بن بشر المؤرخ المعروف ، توفى فى حوطة سدير سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م . للتفصيل : (عبدالله البسام : علماء نجد ٦٩٣/٣ - ٦٩٩ ، عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ : مشاهير علماء نجد ٦٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، محمد القاضى : روضة ٧٦/٢ - ٨٠ ، وعن النواصر : حمد الجاسر : جمهرة أنساب الأسر المتحضرة فى نجد ٩١١/٢ - ٩١٥) .

(٢) هو نفود السر المرعى المعروف قرب الوشم ، والذى يضم عدة بلدان تتبع امارة منطقة الرياض ، للتفصيل فيه : (حمد الجاسر : مقدمة المعجم الجغرافى ٥٧/١ ، سعد الجنيدل : عالية نجد ٦٨١/٢ - ٦٨٥) .

(٣) ابن بشر : ١٦٩/١ ، ١٧٠ ، المختار ٨١/١ ، ٨٢) .

تحرياتها التي استمرت أربع عشرة سنة حتى اذا ظفرت به حاكمه الامام عبدالعزيز فأقر بما سرق من تلك المرأة وسلم ما كان موجودا لديه وقيمة المفقود ، فبعث الامام عبدالعزيز فى طلب تلك المرأة وزوجها فأطلعهم على ما حدث من قبض على الرجل ومحاكمته واستيفاء المال المسروق منه حتى يعلما قوة سطوة الحكومة فى ملاحقة المجرمين وقطاع الطرق وأعطى المرأة مالها ومثل بالرجل السارق على أساس أنه قاطع طريق تنطبق عليه الأحكام الواردة فى آية المحاربة (١) ، وذكر صاحب السلمع فى نهاية هذه القصة أن حكومة الدرعية قد نفذت عددا من الأحكام فى قضايا مثل هذه القضية أو من نوع آخر ونفذ فيها من الأحكام ماينا سبها شرعا (٢) .

أما عن التعرض للحجاج والذى يشكل معلما بارزا فى ظاهرة السلب والنهب لدى ابن البادية ، ومصدرا رئيسيا من مصادر حياته الاقتصادية ، أما عن هذا التعرض فتشير مصادر تلك الفترة الى أن حدته قد خفت بسبب أخذ الحكومة العهد على رؤساء البوادى بعد اجراء المرتبات لهم من بيت المال منعا للاخاوة ونهب الحجاج كما مر .

وما من شك فى أن سد الجانب الاقتصادى من السلب والنهب وشدة الحكومة فى تطبيق الجزاءات الرادعة ضد المتعرضين للحجاج كانت أسبابا رئيسية وراء التقليل من تلك الحوادث التى يزخرج بها تاريخ نجد قبل الدعوة ، وفى هذا المجال تذكر لنا المصادر المعاصرة أن أحد الحجاج الايرانيين قد سرق منه أثناء مرورهم بنجد كيسا فيه بعض الأشياء الزهيدة ، فكتب صاحبها الى الامام عبدالعزيز بن محمد الذى أرسل الى

---

(١) هى قول الله سبحانه : "انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم" المائدة آية ٣٣ .

(٢) الريكى : ٥٣ ، ٥٤ .

رؤساء تلك القبيلة التى نهب أحد أفرادها فلما حضروا عنده قال لهم ان لم تخبرونى بسارق المحفظة أدخلتكم السجن ، وأخذت نكالا من أموالكم فقالوا : نغرمها باضعاف ثمنها فقال : كلا حتى أعرف السارق ،فطلبوا منه الذهاب الى مرابع القبيلة للتعرف على السارق واخباره به فما كان منه بعد أن علم بشخصه حتى أرسل الى ابله وكانت سبعين ناقة فباعها وأدخل ثمنها بيت المال نكالا ، وجئ بالمحفظة لم تتغير وكان الايرانى قد وصل الى بلده فأرسلها الامام عبدالعزيز الى أمير الزبير وطلب منه أن يرسلها الى صاحبها فى ايران (١) .

ولكن صاحب اللمع يضيف جانبا آخر فى مسألة أمن الحجاج يتلخص فى أن حكومة الدرعية قد رتبت سقاية واطعاما للحجاج المارين بالدرعية على طريقة مدن الحجاج الآن اكراما للحجيج ، وتعرفا على أحوالهم حتى لايفاجأوا بقافلة حج تحمل معها الشر للحكم السعودى والدعوة السلفية ومن يخالف هذا الأسلوب لايؤدب من يتعرض له من البدو بل ترسل له الحكومة من يقدمهم مع الحجاج الذين معه الى الدرعية ، ويفهموا أسلوب الحكومة فى هذا المجال وعدم العودة الى مثل هذا العمل ،وكان من أهداف هذا الأسلوب التكريمى كذلك تعريفهم بمبادئ الدعوة السلفية ، ومن هنا فهى أسلوب من أساليب نشر الدعوة خارج شبه الجزيرة (٢) .

وقد أتاح هذا التنظيم لحجاج بيت الله الحرام أن يعبروا نجدا ومناطق شبه الجزيرة الخاضعة للحكم السعودى دون أن يعترض سبيلهم أحد من البدو ، ويبدو أن حكومة الدرعية قد شكلت مجلسا استشاريا من البدو لضمان تنفيذ عدم التعرض للحجاج ، وكان هذا المجلس يضم رؤساء القبائل ووجهائها (٣) .

---

(١) ابن بشر : ١٦٩/١ ، د . العجلانى : عهد عبدالعزيز بن محمد ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، المختار : ٨١/١ .

(٢) الريكى : ٥٢/٥٣ .

(٣) ابن بشر : ٢٢٦/١ .

أما عن الأمن بين البدو وأنفسهم فقد نعم البدو الخاضعون لحكومة الدرعية بأمن لم يروا أو يسمعوا بمثله سواء كان ذلك في نجد أو خارجها ، فيذكر المؤرخون أنه في عهد الامام الامام سعود بن عبدالعزيز كان أعراب قاطنون على ماء قرب الطائف من الهقوم والشلاوى وعتيبة وفي القوم شعراء فقال شاعر من الشلاوى :

نبا نقضى اللازم ونركب ركايبنا : وأهلنا من الجوبة الين القطانيه
نبا شاعر منكم الى الصبح يطربنا : قمر عشر واضح والثريا رقابيه (١)

فقال الشاعر الثاني وهو من عتيبة :

أنا خايف ان العلم ياصل معزبنا : يشيله طريقي على كور عمليه
تضيعون في نجد وحنا يعاقبنا : وحنا على الما لاش نجعه ولانيه (٢)

وتدل هذه الحادثة على توفر قدر جيد من الأمن في أوساط البدو فقد خاف الشاعر وهو قرب الطائف من امام الدرعية لأنه على علم بأن استمرار المساجلة في الشعر قد يتطور الى ملحمة حربية بعد أن كان ملحمة شعرية تثير ما في النفوس من حزازات واحن ورثتها غارات بعض القبائل على بعضها الآخر (٣) .

---

(١) نبا نقضى اللازم : أي نريد أن ننهي أمرنا هنا وهو السقي ، الركائب : الابل المعدة للركوب فصيحة ، الجوبة : هي الحفرة والمكان الوطئ فصيحة والمقصود بها هنا جوبة ركبة قرب الطائف ، الين عامية بدوية من الى والقطانية بئر يردها البدو في وادى قطان في الجهة الجنوبية منه ، قمر عشر : قمر ليلة عشر ، وقابية : أي يرقب الثريا من السهر (الفيروزابادى : ٤٩/١ ، ٧٥ ، وعن القصة والابيات ابن بليهد : صحيح الأخبار : ١٣١/٢ ، ١٣٢) .

(٢) العلم بالخبر ، ياصل : يصل ، معزبنا : من التعزيب وهو القيام بالخدمة ذات أصل فصيح والمقصود ولى أمرنا وهو الامام سعود بن عبدالعزيز ، يشيله : يحمله أو ينقله فصيحة ، طريقي : تصغير طرقي وهو المتجه من جهة الى أخرى ذات أصل فصيح فالمطاريق القوم المشاة ، كور : فصيحة وهي شداد البعير أو رحله ، عملية : فصيحة قال في القاموس : "ناقة عملة بكسر الميم بينة العمالة فارهة" ، وتطلق في شبه الجزيرة على نوع من نجائب الابل سميت عملية لاستعمالها وارسالها في الأمور الهامة ، حنا : عامية من نحن ، لاش : أي لا شئ ، نجعه : جاهزة معدة للأكل فصيحة ، وتطلق على الطعام الآدمي والحيواني ، نيه : بكسر النون وتشديد الياء عكس النجعة ، (الفيروزابادى ١٠٤/١ ، ١٣٠/٢ ، ٨٧/٣ ، ٢٥٧ ، ٤٠٤ ، ٤٠٤ ، ٢١/٤ ، ابن بليهد : المرجع السابق ١٣٢/٢) .

(٣) ابن بليهد : ١٣٢/٢ .

ويمكن القول ان نعمة الأمن التى كان يعكرها قسم من أبناء البادية قبل الدعوة قد استفادت منها حاضرة نجد وذلك بأمنها فى بلدانها أو فى خروجها عبر الصحراء للامتيار أو الأعشاب والرعى فى أوقات الربيع ، كما استفاد منها قسم كبير من أبناء البادية ممن كانت ظاهرة السلب والنهب تقع عليهم بالدرجة الأولى علاوة على أن البدو عموما قد استفادوا من ذلك بما عوضتهم حكومة الدرعية عما فقدوه من تركهم لهذه الظاهرة من مزايا اقتصادية بحيث أصبحوا يحصلون على مصدر شريف غير مخوف للرزق عبر الغزو المنظم وعبر حقهم الشرعى فى بيت المال ، وتعدت هذه الاستفادة بالأمن لتصل الى من هم خارج منطقة نجد من الحجاج والتجار الذين يمرون بمنطقة نجد الى الحجاز أو مناطق شبه الجزيرة الأخرى والذين لم يكونوا يحلمون بالعودة الى بلادهم سالمين فضلا عن أن ترد اليهم أموالهم مهما كانت زهيدة.

وما من شك فى أن شيوع هذا القدر الجيد من الأمن يرجع الى أسباب متعددة أبرزها تطبيق هذه الدولة الدقيق والشامل لأحكام الشرع ، واشراف امام الدرعية نفسه وأحيانا الشيخ محمد بن عبد الوهاب على دقة تنفيذ الاجراءات الأمنية وسرعتها (١).

٢ - الخوة وأثر الدعوة فيها :

اذا كانت حكومة الدرعية قد قضت على الخوة من جانبها الاقتصادى باستبدالها باجراء المرتبات النظامية لرؤساء القبائل وتوزيع الزكاة فى مصارفها الشرعية علاوة على أوجه الصرف الأخرى سواء كان من بيت المال أو من غيره ، اذا كان ذلك كذلك فان هذه الحكومة قد وجهت الخوة من جانبها الاجتماعى الذى مر بيانه نحو الوجهة الاسلامية

---

(١) د : عبد الرحيم عبد الرحمن : ٢٢٨، ٢٢٩ .

والقضاء على ما بين القبائل من احـــن وخلافات بالتآخي فيما بينهـــا باشراف الحكومة وتوجيه العلماء .

وتذكر المصادر الغربية المعاصرة للدولة السعودية الأولـــى أن الامام سعود بن عبد العزيز قد قاوم أسلوب الثأر ونجح في ذلك (١) ، وتتفق هذه المصادر مع المصادر المؤيدة للدعوة التي تذكر أحداثـــا تؤكد ذلك وأن أئمة هذه الدولة اذا شموا رائحة القبلية والتناحر بين القبائل ولو باللفظ فانهم يقضون عليها باسرع وقت ممكن حتى لا تستفحل فتقضي على أي مجهود وحدوي تكرس الدعوة السلفية كل جهودهـــا لتحقيقه .

وفي هذا المجال يذكر بن بشر حادثة وقعت بين فيصل بن وطبان الدويش رئيس قبائل مطير (٢) ، والحميدي بن عبد الله بن هذال رئيس قبائل عنزة (٣) ، وكانت هاتان القبيلتان من اشد القبائل عداوة فيما

---

(١) د : العجلاني عهد سعود ١٧٩ نقلا عن بركهارت .

(٢) هو فيصل بن وطبان الدويش تولى أمارة مطير بعد أبيه الذي كان أميرا لمطير في عهد الامام عبد العزيز، والدوشان من علوا، وقد اشترك فيصـــل هذا في معركة الجمانية ضد الشريف كما مر، ولكنه سنة ١٢٣٥هـ/١٨١٩م اشترك مع محمد بن معمر الذي طمع في خلافة آل سعود بعد سقـــوط الدرعية، وكان له دور كبير مع ابراهيم باشا حينما حاصر الرس ثم والى القادة الأتراك فقدم مع خليل أغا الذي سجن مشاري بن سعود وأصبـــح بعد ذلك يغير على البلدان النجدية بمساعدة هؤلاء القادة ويأخـــذ أموالها كما حدث سنة ١٢٣٧هـ/١٨٢١م، وانهزم سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م أمام جموع من عنزة بقيادة ابن هذال شر هزيمة وفي سنة ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م توفي وخلفه على امارة مطير ابنه محمد الملقب بالحميدي (ابن بشر ١/١٣٥ ، ١٧١ ، ٢٣٧ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٧ ، ٢/١٧ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٥٨ ، د :العجلاني عهد عبد الله بن سعود ٨١ ، ٨٢ ، لوريمر : دليل الخليج العربي القسم التاريخي ٣/١٦٢٠) .

(٣) هو محمد أو الحميدي بن عبد الله بن هذال من آل هذال الذين هم مـن العبلان من الجبل من العمارات من عنزة وفيهم امارة عنزة فكان أميرا لعنـزة

=

بينهما قبل الدعوة كما مر ذكر جانب من ذلك فى البابين السابقين ،ففى احدى غزوات الامام سعود بن عبد العزيز التقيا فيما بينهما فتنابزا بالألقاب وتنازعا بالألفاظ وأظهر كل منهما نخوته ، فقال أحدهما للآخر: احمد الله على نعمة الاسلام وسلامة هذا الامام الذى اطال الله عمرك بسببه ، وكساك الشيب بعد أن كان آباؤكم لا يشيبون ولا ينتهون الى حده بل نقتلهم قبل ذلك ، ثم قال الآخر: احمد الله على نعمة الاسلام وسلامة هذا الامام الذى كثر الله بسببه مالك وسلم عيالك ، ولولا ذلك لم تملك ما هنا لك ، ولا نزلت فى تلك الديار ولا استقر بك فيها قرار، وكان الامام سعود يسمع كل هذا الجدال فانتهض اليهم وزجرهم وذكرهم ما انعم الله به عليهم من هذا الدين والجهاد فى سبيله والاجتماع على الصلوات والدروس التى يتلقونها من العلماء ، وما أغدقت عليهم الحكومة من الأرزاق ، وأمان الطرق فيما بينهم، وشدد عليهم فى ذلك مما جعلهم يكفون عما هم فيه ويشكرون الله على ما أزاله عنهم من العداوات والبغضاء (١) .

ان فى هذه الحادثة لأقوى دليل ضد الذين يقولون بأن أئمة الدولة السعودية الأولى كانوا يفتنون القبائل ويلقون المشاجرة بينهم خشية أن يتفقوا على نقض حكم من الاحكام الصادرة ضد بعض أفرادهم (٢) ، اذ لو كان أئمة هذه الدولة يريدون التفريق بين

= عهد عبد العزيز وابنه سعود ،اشترك مع الامام سعود سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م فى غزوة الحناكية ضد جموع من قبيلة حرب ، ثم ضد الحامية التركية فى المدينة . (ابن بشر ١/١٧١، ٢١٥، ٢٣١ صلاح الدين المختار ١/١٢٦ وعن آل هذال: حمد الجاسر : معجم قبائل المملكة ٨٧٨/٢) .

(١) ابن بشر ١/٢٣١، ٢٣٢،د : العجلانى عهد سعود ١٧٥، ١٧٦ .

(٢) الويكى ٥٦ .

القبائل ـ على طريقة فرق تسد ـ لا ستغل الامام سعود هـــذا الجدال ليغذيه مع مرور الزمن علما أنه لا يحتاج الى تغذية فمجرد تركه لهم يتجادلون كفيل باشعال نار الحرب بينهم ، لكنه رحمه اللـه لم يدعهم ينساقون وراء عصبيتهم بل وقف وقفة الحاكم المسلم ولسان حاله يقول لهم : دعوها فانها منتنة ، كما أن قصة الشلاوى والعثبان التى مر ذكرها فى هذا الفصل دليل آخر على حرص أئمة هذه الدولة على حسم كل ما من شأنه العودة الى أسلوب العصبية والقبلية .

وان فى شهادة الشيخ عثمان بن سند (١) على المؤاخاة الـتى أقامها أئمة الدرعية بين القبائل لأكبر دليل على حرصهم وتأكيد هـــم

---

(١) هو الشيخ عثمان بن سند الوائلى النجدى البصرى يلقب ببدر الديـن ينتمى الى عنزة مؤرخ وأديب ولد بنجد سنة ١١٨٠هـ/١٧٦٦م كـان هو والشيخ رسول الكركوكلى صاحب دوحة الوزراء من ضمن المدرسين فى عهد داود فى بغداد ، وله وجاهة فى البصرة ونواحيها وكلامه مقبـول لدى عامة البصريين ، من كتبه : الغرر فى وجوه القرن الثالث عشر ، مطالع السعود بطيب أخبار الوالى داود وهو ليس كتابا تاريخيا فحسب بل يضم شعرا ونقدا أدبيا ، وينكشف موقف ابن سند من الدعوة السلفية مـن قراءة هذا الكتاب ، وله كذلك : سبائك العسجد فى أخبار أحمد نجـل رزق الأسعد . قيل توفى سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م وقيل غـيرهـا . للتفصيل : (عثمان بن سند : مطالع السعود: مخطوط من ١٠٣-١٠٥ رسول الكركوكلى : دوحة الوزراء فى تاريخ بغداد الزوراء ، نقله عـن التركية موسى كاظم نورس مطبعة كرم بيروت ، نشر دار الكتاب العربـى . بيروت ، مكتبة النهضة . بغداد ص ١٠ خليل مردم بك : أعيان القـرن الثالث عشر ط (٢) مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ص ١٦٩ ، الزركلى : الأعلام ٤/٢٦٧ ، يوسف عز الدين : داود باشا ط (٢) ، مطبعة الشعب بغداد ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ص ٥٢ ، د : عبد العزيز نوار داود باشا والى بغداد طبع دار الكاتب العربى نشر وزارة الثقافـة القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ص ٣١١ ، ٣١٢) .

بحسم وانهاء كل أسباب الفرقة والخلاف كما أن فيها أقوى مستند لوجود تأثير قوى للدعوة على الخوة لدى بدو نجد وتوجيهها نحو الاخاء الاسلامي ، ولو أن ذلك كان بالقوة والحزم ، ويزيد من أهمية هذه الشهادة كون الشيخ عثمان معروفا بعدم ولائه للدعوة وحكم آل سعود .

يقول الشيخ عثمان : " ومنعوا - أى السعوديون - غزو الاعراب بعضهم على بعض وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم من حضرموت الى الشام كأنهم اخوان أولاد رجل واحد وهذا بسبب تأديب القاتل والسارق والناهب الى أن انعدم هذا الشر في زمان ابن سعود وانتقلت اخلاق الأعراب المتوحشة الى الانسانية، وتجد في بعض الأراضى الخصبة - وقصده الرياض المنتشرة في نجد التي يكثر فيها العشب أوقات الربيع- هذا بيت عنزى وبجنبه بيت عتيبي وربما مطيرى ويقربه بيت حربي ، وكلهم يرتحون اخوانا ، ولا تجد أحدا يقول هذه ديرتى ولا يطأها الغريب " (١) .

ومن المعتقد أن قدرا جيدا من أهداف اقامة الصلاة جماعة فى ايجاد نوع من العلاقات الاجتماعية الطيبة قد تحقق ، فأصبح قسم من البدو يحل الأخوة الاسلامية محل تلك الأخوات والصدقات القائمة على منافع دنيوية ، ومن هنا يمكن فهم تأكيد أئمة الدعوة على أداء الصلاة جماعة باعتبار وجوبها شرعا وباعتبار المعطيات الاجتماعية المثالية التى تتحقق من وراء ذلك (٢) .

واذا كان في قول ابن بشر " والرجل يجلس ويأكل مع قاتل أبيه وأخيه كالاخوان ولا يلقى صاحب الدم غريمه الا بالسلام عليك يافلان (٣)

---

(١) ابن سند : مطالع السعود، مخطوط ورقة ١٣٠ .
(٢) د : العجلانى : عهد سعود الكبير ٢٤٢، ٢٥٢ .
(٣) ١/١٤ .

اذا كان في ذلك بعض المبالغة فانه يشم منه أن أى قضية تعرض على الحكومة التى تحسم بما يرضى الطرفين أو ينصف المظلوم من الظالم غالبا مما أوجد نوعا من الانضباط لم تعرفه نجد من قبل ،لان ابطال أسلوب القوة والثارات فى حسم الخلافات التى تقوم بين الناس وخاصة البدو ، واحلال الحكم الشرعى محل الاحكام العرفية، من المؤكد أنه سيجعل كل فرد يأخذ حقه من الآخر بطريقة منظمة أضفت الرضاء والقناعة بين كل متخاصمين ، وحدت من وقوع الحوادث وتكررها (١) .

وحين انتشرت الدعوة السلفية فى المجتمع النجدى أصبح لدى البدوى النجدى الاستعداد لأن يحل الأخوة الاسلامية محل الافتخار بالأخوة العرقية أو بالعشر والقبيلة ، وكل هذا نتيجة للجهود التى بذلتها الدعوة والدولة لتحقيق هذه الأخوة بوجهتها الصحيحة ، اذ بعد ما كان البدوى اذا أراد أن يقدم على عمل مهم انتخى بقوله : أنا أخو فلان أو فلانه أو ابن فلان أو بنى فلان أصبح يقول : أنا اخو من طاع الله حيث صار ذلك مثلا بعد انتشار الدعوة فى البادية ، وأصبح شعارا للجميع متضمنا الاعتراف بأخوة المؤمنين المطيعين لله ولو كانوا من قبائل أو أجناس شتى (٢) .

ومن المعتقد قدم هذه النخوة ولو أن من المتبادر للذهن أنها من نتاج الحركة السلفية فى صورتها الأخيرة فى عهد الملك عبد العزيز

---

(١) حسين خلف خزعل : حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٣٢٨ .

(٢) محمد العبودى : الأمثال العامية ٢١٦/١ ، ٢١٧ مثل رقم ٣٠٦ ، عبد الكريم الجهيمان : الأمثال الشعبية ٦٨/٣ مثل رقم ٢٣٢٧ ، ويروى المثل : خيال التوحيد أخو من طاع الله ،وقد بقى الانتخاء بالأخت أو الأخ أو سائر افراد الأسرة والقبيلة موجودا الى الوقت لدى بادية نجد وحاضرتها على نطاق محدود .

غير أن ذلك لا يبعد وأن يكون استعادة لنخوة دينية كانت من آثار الدعوة السلفية في مرحلتها الأولى ، ويمكن أن يستأنس المرء بهذه الأدلة على قدم هذه النخوة وإن لم ترد بنصها في المصادر المعاصرة :

أ ـ أن ابن بشر وغيره قد أشاروا الى تآخي القبائل البدوية أو أفراد منها على الأقل كما مر فمن الطبيعي أن يصدر في مصاحبة هذا التآخي ألفاظ تؤكد عمقه ، واذا كان هذا قد حصل بالفعل فان انتخاء البدوي بمثل هذه اللفظة أمر يسير عليه وقد حقق التآخي فعلا في نفسه بل من المتوقع أن يكون انتشار اللفظ واسعا ولو لم يدل على حقيقة الحال والاقتناع بهذا التآخي فقد يدخل في سبيل الترضية للحكومة والعلماء (١) .

ب ـ أشار بعض الباحثين الى قدم هذه اللفظة وأنها كانت متزامنة ـ الى حد ما ـ مع لفظة الوهابية التي أطلقت على السلفيين في فترة متقدمة من بداية الدعوة (٢) .

جـ ـ أن الأمثال ما هي الا ثمار لتجارب الأمم وما تتعرض له أوضاعها الاجتماعية من تغيير فمن المتوقع أن تكون هذه اللفظة ـ وقد سارت مثلا ـ نتاجا للتغيير الاجتماعي بعد انتشار الدعوة السلفية في مرحلتها الأولى ، وأن يكون ما حدث بعد ذلك صدى للتغيير الأول .

وعلى أي حال فمن الطبيعي أن تطبق هذا المثل بعض القبائل التي آمنت بالدعوة وأن تبقى بعض القبائل الأخرى على عصبيتها لقبيلتها ، كما أن من المشكوك فيه هل كان ايمان القبائل التي آمنت

---

(١) ابن بشر ١/١٤، ١٧١، ٢٣١ ، ابن سند : المصدر السابق والورقة السابقة .

(٢) محمد انعم غالب : من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي ٢٩ .

به شاملا كما هو مفهومه أو أنها تطبقه على الموالين للدعوة من قبيلتها أو أحلافها .

كما أنه من غير المعروف هل غير هذا القول من نظرة البدوى للحضرى بشكل طبيعى ، أو غيرها تحت سطوة الحكم الحازم من أئمة آل سعود ، أو أنه لم يغير من هذا شيئا فاستمر البدو على احتقارهم للحضر ، وبقى الحضر على نفورهم من البدو ، ويبدو أنه قد غير مستويات محدودة من الفريقين لفترة محدودة عادت العصبية والتناحر والنظرة السيئة بين الفريقين جذعة ليفقد هذا القول دلالته ، ويصبح مثلا يتندر به البدو فيما بينهم ، ويتندر به الحضر على البدو ، يؤكد هذا تلك الغزوات التى تعرضت لها البلدان النجدية من بادية نجد بعد سقوط الدرعية ، وتلك الغزوات بين القبائل البدوية نفسها فى آن واحد .

٣ _ أثر الدعوة على التحرك الجماعى وزعامة القبيلة :

لقد مر بنا فى فصل مواقف بادية نجد من الدعوة السلفية ذكر أحداث أدت الى تحرك جماعى لبعض قبائل نجد الى خارجها نتيجة لهذه المواقف ، كما مر بنا ذكر أحداث أدت الى تغيير قيادى فى بعض القبائل البدوية النجدية .

ومن الطبيعى والدعوة السلفية حركة اسلامية تجديدية هدفها التغيير الاجتماعى ليتمشى مع مبادئ الاسلام أن تصطدم بقوى معارضة من بادية نجد وأن تلجأ هذه القوى فى النهاية بعد عجزها عن الاستمرار فى مناوأتها الى الجلاء عن نجد حتى تعيش حياتها كما تريد بعيدا عن منطقة نفوذ الدعوة والدولة ، وأن ترغب هذه القوى والدعوة فى آن واحد فى تحقيق الجلاء لما يعود بالنفع لكل منهما بحسب الهدف والوجهة التى هو موليها .

ولما كانت قبيلة الظفير من أوائل القبائل البدوية النجدية معادا ة للدعوة رغم وجود ولاء من بعض أفخاذها في فترات محدودة فقد كانت من أوائل القبائل جلاء عن منطقة نجد وبتحرك جماعي اكبر من القبائل الأخرى ، وقامت في هذا التحرك على مرحلتين كبيرتين (١) .

ففي المرحلة الأولى واثر المعارك الأولى من الدعوة ضد هــذه القبيلة رحل قسم منها وقطن جنوب غربي العراق الا أن قسما من هـذه القبيلة بقي في نجد وعلى عدم ولائه للدعوة وان كان ذلك مذبذبا على فترات محدودة (٢) .

ويبدو أن هذا القسم الذي بقي في نجد لم يتقبل المتغــيرات الاجتماعية التي واكبت انتشار الدعوة بل لم يقبل أن يؤدي بعــض فرائض الدين اعتقادا منه أنها ترمز الى الولاء للدعوة والدولة ، ومــا من شك أن حكومة الدرعية لا يمكن أن تسكت بتطور عدم الولاء الــى هذه الدرجة خصوصا وأن هذه القبيلة قد ضمت اليها ابواء المناوئين للدعوة واضافتهم وامدادهم بما يتمكنون به من مواصلة هذه المنــاواة وبهذا تضيف هذه القبيلة عاملا آخر لا يقل أهمية عن العوامل السابقة في نطاق مناوأتها للدعوة مما دفع بها وبالدعوة في آن واحد الــى تكثيف غزواتهما التي أدت الى كسر شوكة هذه القبيلة والتقليل مــن دورها الرئيسي في نجد نتيجة لرحيلها الى البلدان المجاور وتوغلود القسم القليل الذي بقي منها في نجد الى التحضر والدعة (٣) .

---

(١) انظر فصل الحياة الدينية لدى بادية نجد قبل الدعوة من البــاب الثاني ، وفصل مواقف بادية نجد من الدعوة من الباب الثالث .

(٢) ابن بشر ١/١٥٠ ، حسين خلف خزعل ٣٠٢ . والفصل السابــق من الباب الثالث من هذا البحث .

(٣) ابن بشر ١/١٨١ ، ١٨٢ .

وتعتبر غزوة سعود بن عبد العزيز لهذه القبيلة فى أوائل حكمه سنة ١٢١٩هـ/١٨٠٤م تلك الغزوة التى انتهت لصالح سعود كما مر، تعتبر هذه الغزوة بداية المرحلة الثانية والكبيرة لجلاء هذه القبيلة عن نجد أو بمعنى أصح بداية النهاية لوجودها الكبير ودورها الرئيسى فى نجد ، فيبدو أن هذه القبيلة قد آثرت بعدها الانتقال بجماعات كبيرة الى خارج منطقة نجد فى شمال شرقى شبه الجزيرة العربية وجنوب العراق وجنوب غربيه ، وقد شكلت من مرابع القسم الأول الذى جلى عن نجد ، كما شكلت من منازل قبيلة المنتفق نواة لموطنها فى هذه المناطق كما كانت من كبارها سابقا فى نجد (١) .

وما من شك فى أن رحيل قيادة هذه القبيلة الى هذه المناطق قد دفع بتلك الجموع الكبيرة الى الرحيل اليها حتى أصبحت الظفير قبيلة عراقية أكثر منها نجدية، ويجد الباحث التفصيل فى أفخاذ هذه القبيلة وزعمائها وأخبارها فى كتب التاريخ العراقى فى مقابل الشح فى كتب التاريخ والأنساب النجدية ، وهذا يؤكد لنا أن رحيل هذه القبيلة الى هذه المناطق كان بكميات أكبر من القبائل المناوئة الأخرى وأنها حددت وجهة واحدة تقريبا لنزوحها بعكس بعض القبائل الأخرى كما سيأتى بيانه بعد قليل (٢) .

أما عنزة فقد كانت تشكل الطرف الآخر فى الثنائى الظفيرى العنزى الذى وقف من الدعوة موقف العداء كما قرر ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكما دلت على ذلك الغزوات الكثيرة بينها وبين الدعوة.

---

(١) ابن بشر ١/٥٨، ١٨٢ .

(٢) عبد الجبار الراوى : البادية ٢٣٦ - ٢٤٢ وقد فصل الكلام عن هذه القبيلة وأفخاذها وزعمائها وانظر لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٨٢ ،والى وقت قريب والمنتفق والظفير يغيرون على قبائل نجد حاضرة وبادية أو يتعرضون لها فى طريق امتيارها من العراق. (الريحانى :نجد وملحقاته ٣٠٥، ٣٠٦) .

ولا شك أن هذه الغزوات قد أدت الى جلاء قسم من عنزة الى بادية الشام والعراق ، على أن وجود هذه القبيلة فى هاتين المنطقتين كان متقدما جدا عن مجيئ الدعوة وذلك فى نطاق تحرك الموجات البشرية المتتالية التى حفل بها تاريخ القبائل العربية والتى تحركت من قلب شبه الجزيرة تحت عوامل شتى من جدب وحروب وتغييرات اجتماعية (١) .

واذا كانت عداوة عنزة للدعوة وبخاصة بيت آل هذال قديمة (٢) فان آل هذال قد خضعوا للدعوة فى أوج قوة دولتها (٣) على أن رحيل هذه الأسرة الى جنوب العراق كان هو الآخر متقدما (٤) ولكنه لم يؤثر على كثافة رحيل تلك القبيلة من نجد كما حدث من الظفير فرغم وجود قسم كبير من عنزة فى الشام والعراق منذ فترة متقدمة فقد بقى قسم كبير منها فى نجد والى الدعوة ولم يتأثر بموقف آل هذال أو القسم المناوئ للدعوة من القبيلة ، ويمكن رصد أوجه الخلاف فى التحرك الجماعى بين القبيلتين فيما يلى :

أ - كان رحيل عنزة بكثافة أقل من الظفير حيث بقى وجود عنزى حضرى وبدوى فى نجد أكثر من الظفير التى لم يبق منها الا فئات قليلة فى نجد ، ويشكل عدد من الأسر البدوية والحضرية ثقل الوجود العنزى فى نجد .

---

(١) البديرى : حوادث دمشق اليومية ٨٨ ، ١٠١ ، ١٨٦ ، لونكريك ١٠٤ الراوى ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ .
(٢) الريحانى ٤٥ .
(٣) كما مر ذكره فى الفقرة السابقة وكذلك فصل مواقف بادية نجد من الدعوة .
(٤) الراوى ٢٢٩ .

ب ـ اذا كانت الظفير قد حددت جهة واحدة لتحركها القبلى فان عنزة قد تحركت باتجاهين هما بادية الشام وبادية العراق حيث الوجود العنزى متقدما فى هاتين المنطقتين .

جـ ـ لم تتأثر الفئات الباقية فى نجد من عنزة برحيل زعيمها فبقيت فى منطقتها على حين رحل قسم كبير مع ابن سويط زعيم الظفير الى جنوب غرب العراق وشمال شرقى الجزيرة ، ويبدو أن قوة زعماء الأفخاذ تختلف درجته فيما بينهما .

ويبدو أن الوجود العنزى متساويا الى حد ما بين بادية الشام وبادية العراق على حين يقل ذلك فى بادية نجد الا ما كان فى شمالها المتصل بهاتين الباديتين ، أما الحاضرة فتكثر فى نجد منذ فترة متقدمة (١) .

وتملك قبيلة شمر هى الأخرى وجودا متقدما فى بادية الشام والعراق فمنذ سنة ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م عندما رحل فارس الجرباء الأول (٢) بجموع كبيرة من شمر الى الجزيرة العراقية بسبب محل أصاب نجدا واستقر به المقام وطاب أرسل الى جموع أخرى من قبيلته لتقدم اليها حيث المرعى الجيد ثم أخذ يوسع منطقة نفوذه حتى أصبح لشمر مكانة كبيرة تهابها القبائل المحيطة بها ويحسب العابرون لمنازلها ألف حساب، ومن هنا تحول قسم من شمر لبادية الشام، وقصة أول قدوم لشمر للعراق ليس هنا مجال التفصيل فيها (٣) .

---

(١) للتفصيل فى قبيلة عنزة وأفخاذها وأمرائها وأخبارها فى التاريخ العراقى الراوى : البادية ٢٢٨ - ٢٣٦ ،لونكريك ٥٦ ، ١٠٤ ، ٢٤٢ ، ٢٩٠ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٦٩ .

(٢) تمييزا له عن فارس الثانى الذى قتل سنة ١٢٣١هـ/١٨١٥م وبالجملة فاسم فارس يكثر فى أسرة الجربا كما يكثر فيها اسم صفوق وفرحان .

(٣) للتفصيل فى ذلك وفى أخبار شمر فى العراق : الراوى ٢٤٤ - ٢٥٦ ، لونكريك ١٠٤ ، ١٢٠ ، ١٨٩ ، ٢٤٢ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥ ، والكتاب بمجمله يضم أخبارا كثيرة عن شمر .

ورغم ما سبق بيانه من أن ولاء قسم من شمر للدعوة كان متقدما فان هذا القسم قد رجع عن ولائه كما سبق علاوة على أن القسم الآخر قد بقى على عدم ولائه للدعوة مما دفع بحكومة الدرعية الى شن غزواتها عليها كما ذكرت بعضها فى الفصل الأول من هذا الباب تلك الغزوات التى أثمرت ولاء شمريا حضريا وبدويا للدعوة ولكنه غير شامل للقبيلة كلها .

ولما كانت أسرة الجرباء ممثلة فى مطلق بن محمد الجرباء هى التى كانت تتولى زعامة شمر قاطبة (١) وكانت قد رحلت الى العراق منذ فترة متقدمة ، وتعتبر أبرز أسرة شمرية تناوئ الدعوة خصوصا بعد مقتل مصلط بن مطلق على يد جيش الدرعية، لكل هذه الأسباب ، فقد دفع مطلق بجموع شمرية كبيرة الى بادية الشام والعراق ، على أن صاحب اللمع ذكر أن الامام عبد العزيز هو الذى أجلا قسما من شمر بزعامة مطلق بسبب ما بدر منه من خلاف بعد أن أيد الدعوة لفترة محدودة (٢) ولعل هذا الخلاف هو اغارته على القسم الحضرى من شمر والذى أيد الدعوة واشتكى من ذلك، أو تأييده للقوى السياسية المناوئة للدعوة واشتراكه فى غزواتها ضد الدرعية سواء تلك التى انطلقت من العراق أو من الحجاز كما سبق تفصيل ذلك فى الفصل الأول من هذا الباب .

وسواء كان مطلق هو الذى جلى بقومه عن مناطق نفوذ الدعوة رغبة فى عدم الولاء لها ، أو أن الامام عبد العزيز هو الذى جلاه مع قومه فان دفعه بتلك الجموع الشمرية خارج منطقة نجد قد أثر على

---

(١) فهد المارك : من شيم العرب ١/٨٦ .

(٢) الريكى ٦٢ ، ١٠٠، حسين خزعل ٢٩٩ .

حجم القبيلة فيها كما أثر على ذلك تلك التحركات الجماعية من هذه القبيلة قبل الدعوة ،أو أثناء حكم آل رشيد للجبل ، أو بعد ذلك .

وتتفق شمر مع عنزة فى بقاء قسم كبير منها فى نجد بعد كل تلك التحركات الجماعية التى قامت بها ، وفى تحركها باتجاهى بادية الشام والعراق ، وفى عدم تأثر الفئات الباقية فى نجد أو تلك التى رحلت الى الشام بتحديد رحلة زعيمها وأسرته الى جنوب العراق .

وقد شكل الثلاثى الظفيرى الشمرى العنزى الذى كان يعقد تحالفا فى بعض الاحيان بزعامة الجرباء ، شكل قوة قبلية فى جنوب العراق شرق نهر الفرات وغربه ، وساهمت هذه القوة فى أكثر الحركات السياسية والاجتماعية التى مرت بها المنطقة ، على أنه يحدث بينها أحيانا نزاعات على عادة القبائل العربية ، وقد بز الوجود الشمرى حليفيه فى ذلك التأثير السياسى والاجتماعى ولكنه كان أحيانا أيضا وانفردت شمر وعنزة بالوجود فى بادية الشام (١) .

ويمكن القول ان الدعوة بما أحدثته من متغيرات دينية واجتماعية وسياسية فى المجتمع النجدى حاضرة وبادية بتوجيهها هذه النواحى نحو الوجهة الاسلامية الصحيحة قد أثرت بشكل مباشر ورئيسى فى هذه التحركات الجماعية لهذه القبائل الثلاث ، على أن هذا لا يعنى عدم وجود تحرك جماعى من قبائل أخرى لم تسعفنا المصادر المعاصرة بشىء عنه ، وبهذا تكون الدعوة قد ساهمت بدور رئيسى فى اثراء الوجود العربى فى هذه المناطق بغض النظر عن مناوأة النازحين لها وتأثير هذه المناوأة على درجة انتشار الدعوة اذ أن ذلك هو السبب الرئيسى وراء هذا الاثراء .

---

(١) الراوى ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٢ ، الطارك ١/ ٨٦ .

وكما كان لانتشار الدعوة وتحقيق كيانها السياسي دور في تلك الهجرة لأقسام من بعض القبائل النجدية خارجها ، فقد كان لها دور في هجرة معاكسة لأفخاذ من قبائل البلدان المجاورة باتجاه نجد اذ اتخذت هذه القبائل سواء بمناوأتها للدعوة واشتراكها في الغزوات ضدها في مبدأ الأمر أو موالاتها بعد ذلك ، اتخذت من ذلك مجالا للدخول لمنطقة نجد وتكثيف وجودها السابق فيها كما حدث من حرب وعتيبة .

ويبدو أن اشتراك عتيبة في الجيش الذي بعث به الشريف غالب سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م لمنازلة قحطان المؤيدة للدعوة كان من ضمن دوافعه بالنسبة لعتيبة منافستها لقحطان على أهم مناطق نجد الرعوية وهي عاليتها مما يجعل هذه الغزوة وما شابهها تدخل في نطاق الغزوات التي دفعت الى التحرك القبلي شبه الجماعي من قبائل الحجاز باتجاه نجد (١) .

على أن دخول قسم كبير من عتيبة في الدعوة كان عاملا من العوامل التي دفعتها الى التسلل الى عالية نجد أيضا والاستيلاء على أهم مرابعها بغض النظر عن كون ذلك أحد الأسباب الكامنة وراء هذا الدخول في هذه الطاعة أولا ، فالمهم في هذا أن ولاء عتيبة للدعوة استتبعه طرد قحطان من قسم كبير من مرابعها والتحضر والسكنى في بعض البلدان النجدية ، ووراء ذلك كله اخلاص من هذا القسم العتيبي في الايمان بالدعوة بعد ذلك لا يقل عن اخلاص قحطان (٢) .

---

(١) دحلان : خلاصة الكلام ٢٦٣ .

(٢) تعتبر عتيبة من القبائل التي أيدت الدعوة باخلاص فيما بعد ، واندمجت في المجتمع النجدي الحضري حيث تشكل الأسر المتحضرة العائدة الى عتيبة قسما من حاضرة نجد .

أما حرب فان وجودها كان كبيرا فى نجد قبل الدعوة الا أن الباحث يمكن أن يعتبر موالاتها للدعوة والدولة مجالا لتكثيف وجودها فى نجد بصرف النظر عن كون ذلك أحد الأسباب الكامنة وراء هذا الولاء أم لا ، وبهذا تكون نجد قد عوضت الفراغ السكانى الذى خلفه رحيل الظفير وقسم من عنزة وشمر .

أما أثر الدعوة على التغيير القيادى للقبيلة فى نجد فيتمثل فى التغيير القيادى الذى طرأ على قبيلتى قحطان والدواسر اللتين أمدتنا المصادر المعاصرة بمعلومات تبين كيفية هذا التغيير ومدى استمراريته والظروف التى واكبته ، وتدل على اقتصار هذا التغيير على هاتين القبيلتين تقريبا .

ولقد كانت مبايعة هادى بن غانم الجحدرى الملقب بهادى بن قرملة للشيخ محمد بن عبد الوهاب والامام عبد العزيز بن محمد سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٦م على السمع والطاعة والجهاد هى بداية التغيير القيادى فى هذه القبيلة ، ولم يكن هادى هذا من كبار قادة قحطان الا أنه يعتبر أحد أفراد فخذ الجحادر وهو فخذ كبير فى قحطان له أهميته وقد يكون من وجهاء هذا الفخذ ولكن لم تشر المصادر الى ترؤسه هذا الفخذ ، الا أن صفات القيادة القبلية موجودة لديه فيما يبدو فاجتمعت فيه مع الصدق والاخلاص فى الولاء للدعوة والدولة السعودية حتى استطاع أن يضم قحطانا الى طاعة هذه الدولة وأن ينال الثقة منها فى توليته زعيما عاما لقحطان نجد (١) .

ولم تشر المصادر الى زعيم قحطان فى تلك الفترة ويبدو أن سلطة رؤساء الأفخاذ قد فاقت فى قوتها سلطة زعيم القبيلة كما لم تشر الى اختلاف قحطان عليه مما يبدو معه أن مشائخها كانوا يدينون له

---

(١) ابن غنام ٢/١٣٠، ١٣١ .

بالطاعة على أساس أنه ممثل الدعوة ودولتها فيهم ، ومن هنا يمكن القول ان هذا التغيير القيادى فى قحطان لم يلق معارضة تذكر منها فاستمر هادى على زعامته لها حتى اذا توفى خلفه ابنه محمد بن هادى الذى ظل على ولائه وزعامته للقبيلة طيلة بقية عهد الدولة السعودية الأولى والثانية ، وقد أثمر هذا التغيير القيادى ظهور قيادات عسكرية من هذه الأسرة القحطانية تمثلت فى هادى ، وابنيه مبارك ومحمد ، وأخيه سعد علاوة على ولاء قحطان الشامل للدعوة السلفية (١) .

أما الدواسر فقد بدأ التغيير القيادى فيها عندما بايع ربيع وبدن ابنا زيد الدوسرى رئيس المخاريم سنة ١١٩٩هـ/١٧٨٤م ، ولما كانت الدواسر من القبائل المناوئة للدعوة حتى هذه السنة فقد آثرت حكومة الدرعية أن تولى ربيع قيادة قبيلة الدواسر كلها حاضرة وبادية مما أثار حفيظة بقية الدواسر خاصة الرجبان والوداعين فابرزوا معارضتهم لامارة ربيع فى عدة أساليب وفى فترات متعددة ، على الرغم من أن ربيع يختلف عن هادى فى كونه أمير فخذ أو ابن أمير ، الا أن الدواسر استنكفوا أن تكون امارتهم العامة بيد المخاريم على أن المصادر لا تبين لنا فى أى الأفخاذ الامارة العامة ومن هم اسم الأمير قبل ربيع ، وقد مر بنا فى الفصل الأول والثانى من هذا الباب صور من معارضة الدواسر لامارة ربيع الذى عرفت الدرعية له مكانته ودوره فى نشر الدعوة فى الجنوب واخضاع الدواسر لطاعة الحكومة فأبقته على امارته العامة ليخلفه ابنه قاعد بعد ذلك .

---

(١) ابن بشر ١/١٠٠ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ٢١١ ، ٢/٤٨ ، ٩٠ ، ١٤٧ ، ١٧٤ دحلان : ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

ويمكن رصد أوجه الخلاف في التغيير القيادي بين الدواسر والقحطانيين استنادا لما سبق فيما يلي :

أ ـ أن هادي بن قرملة لم يكن زعيما قحطانيا قبليا الدعوة بينما كان ربيع زعيما وابن زعيم دوسري .

ب ـ لم يلق هادي معارضة تذكر أو على الأقل لم تكن بالدرجة التي لقيها ربيع .

جـ ـ ثبات مركز ربيع في وادي الدواسر بحاضرته السليل لكونه أميرا بدويا حضريا بينما كان هادي زعيما بدويا اذ لم يتحضر قسم كبير من قحطان في تلك الفترة .

د ـ استمرار امارة قحطان بيد هادي وابنه حتى نهاية الدولة السعودية الثانية بل حتى الآن بينما لم تشر المصادر الى استمرار امارة ربيع وابنه الا الى نهاية عبد الله بن سعود وذلك بلا شك راجع الى قوة معارضة الدواسر لربيع وابنه (١) .

ومن تتبع سلسلة زعماء القبائل التي والت الدعوة في الدور السعودي الأول ـ ولو لفترات متقطعة ـ يتضح عدم وجود تغيير في هذه القيادات اذ بقيت القيادة العامة في الأسرة التي كانت قبل الدعوة والتي استمرت بعدها كذلك فيما عدا هاتين القبيلتين اللتين يمكن أن يكون لعدم بروز قيادة عامة لهما في تلك الفترة، أو عدم الولاء الشامل السريع دور رئيسي في ذلك التغيير (٢) .

---

(١) كان أمير الدواسر في عهد الامام تركي بن عبد الله هو سلطان بن قويد ولم يتبين لي هل هو من أسرة ربيع بن زيد أم لا (ابن بشر ٢/٤٨)

(٢) ذكر العجلاني في عهد سعود بن عبد العزيز ص ٣٢٣ نقلا عن مانجان سلسلة زعماء القبائل النجدية على تحريف في الأسماء، وأبرز ما في التحريف خزيم بن لحيان زعيم السهول الذي يرسمه خزين، وكذلك قاعد بن ربيع الذي رسم قائد بن ربيعان ، وكذلك محمد بن هادي بن قرمله الذي رسم محمد بن عاملة .

والخلاصة أن تلمس آثار الدعوة السلفية في هذا الجانب لم يظهر لي الا في هذه الجوانب الثلاث وهي :

أ - التحركات الجماعية لبعض القبائل الى خارج منطقة نجد كما حدث من الظفير وشمر وعنزة .

ب - التحركات الجماعية لبعض القبائل باتجاه منطقة نجد كما حدث من عتيبة وحرب .

جـ - التغيير القيادي لبعض القبائل كما حدث من الدواسر وقحطان (١)

٤ - أثر الدعوة على بعض أساليب الحياة العامة والعادات والتقاليد لدى بادية نجد :

لقد وقفت دولة الدعوة في وجه العادات والتقاليد البدوية السيئة كما كيفت - الى حد ما - أساليب الحياة العامة بما يتمشى مع مبادئ الدين ، ومن أبرز ما تم القضاء عليه أووجه توجيها اسلاميا ما يلي :

أ - نظام الدخيل والربيط :

لقد بادرت هذه الدولة بالقضاء على نظام الدخيل بصورته الجائرة التي سبق بيانها في الباب الثاني ، والتي كانت أسلوبا من أساليب تكريس الظلم ، واحقاق الباطل وابطال الحق ، وخرجت بالاجارة المشروعة

---

(١) أفادني أحد القحطانيين أن امارة قحطان العامة قبل هادي بن قرملة بيد العماج - واسرته لا تزال معروفة وقد أسست هجرة العماج قرب الرياض وامارتها فيها - ولعل العماج كان كبيرا في السن أو ضعيفا أو عقيما ، وكان هادي من كبار رجاله ولكنه ليس مشهورا بالزعامة ، فخلف العماج على الامارة وكان قد بايع الشيخ محمد والامام عبد العزيز وقد بنى هادي بعد فتح الحجاز مسجد اقرب قصر السقاف لا يزال يسمى مسجد هادي ، وخلفه على الامارة ابنه محمد وكان عقيما فخلفه أخوه عمرو امارة قحطان العامة في عقبة الى الآن وهم يسكنون هجرة الرين قرب القويعية ، وانظر :(ابن جنيدل : عالية نجد ٢/٦٤٧).

عن هدفها الخير ، وفى هذا السبيل الزمت الدولة رؤساء القبائل بتسليم أى مجرم يلجأ الى شخص آخر الى الدولة لتنفذ فيه أحكام الشرع ويؤدب المجير أو يوجه من قبل رئيس القبيلة أو أمير البلدة لئلا يجير مجرما بعد ذلك (١) .

على أن الدولة كانت تشجع نواحى الخير فى الدخالة كما اشارت الى ذلك قصة الشبرمى (٢) أمير سميراء فى عهد الامام سعود بن عبد العزيز ، وهى قصة تحمل فى مضمونها عفو الدولة عن اجارة الشبرمى تحت تأثير ابنته لفريق من حرب نهبوا مواشى من القصيم عندما اطمأن الامام سعود لهدف الشبرمى الخير من وراء تلك الدخالة (٣) .

---

(١) د : العجلانى عهد سعود بن عبد العزيز ٣٣٠ .

(٢) الشبارمة يرجعون الى شبرمة من بنى وهيب من بنى تميم يوجد منهم أسر فى سميراء والقصيم ويرجع اليهم بعض الأسر النجدية الأخرى سواء فى نجد أو الزبير أبرزهم آل مانع وآل شيحة وآل حبيب فى سدير والسواكت فى الزلفى والقصيم ، وآل أبا حسين فى أشيقر . (حمد الجاسر : معجم الاسر المتحضرة (١ / ٤٤١ ، ٤٤٢) .

(٣) ملخص القصة أن فريقا من حرب أخذوا ابلا لأهل القصيم فبعث فى اثرهم حجيلان بن حمد سرية لحقت بهم حتى وصلت سميرا وهددت الشبرمى ان لم يسلم الحروب مع مواشيهم فحاول تسليمهم تحت تأثير ابنه الا أن ابنته - وكانت شاعرة - عابت عليه ذلك ، وطلبت منه أن يسلم لأهل القصيم ما اخذ منهم من المواشى فقط ، ولكن الشبرمى - وقد نفذ ما أشارت به ابنته - خاف من سطوة حجيلان فاشارت عليه بالقدوم على الامام سعود بن عبد العزيز وعرض الوضع عليه فلما قدم على الدرعية واخبر سعودا بذلك غضب عليه عدم اطاعة أوامر حجيلان ، الا أن أحد جلساء الامام انصف الشبرمى واثنى على رأى ابنته الصائب فأعجب الامام بها وخطبها من أبيها وأمره أن يرجع راضيا مرضيا وكتب الى حجيلان بعدم معارضة الشبرمى بعد ذلك وأن يجهزه وابنته للقدوم الى الدرعية فقدموا اليها وتزوجها الامام سعود ، وليس من المعروف هل أنجبت له أولادا أم لا ، وكانت الشبرمية قد قالت أبياتا

=

ومن المعتقد أن الدولة قد قضت أيضا على نظام الربيط الذى كان من اسباب اشعال الفتن بين القبائل لنهب هذا الربيط أو ذاك ، أما من كان لديه ثأر أو أى من الحقوق فانه يلجأ الى الدولة التى تقيم له القصاص ان كان عمدا أو الدية ان كان شبه عمد أو خطأ ، وتأخذ لكل ذى حق حقه .

ب ـ وضع المرأة :

اذا كانت المرأة البدوية تعيش قبل الدعوة فى حرية وكرامة ، فقد اكدت الدعوة استنادا لمبادئها الاسلامية على تكريم المرأة وعدم غمطها حقها مما أضفى على ذلك الوضع التكريمى قبل الدعوة نوعا من التنظيم وابراز بعض الحقوق التى كانت تفتقدها المرأة البدوية قبل الدعوة وقد حفلت الرسائل الوعظية التى كان يوجهها ائمة الدرعية بالحث على تكريم المرأة (١) .

= تنعى فيها الرأى القائل بتسليم الحروب منها :

بعذر السحاب لوتز برولا هل ويعذر ولى العرش لوما سقانا
أخذ القصير وزا بن البيت ما حل لولاه يا من جالنا ما نصانا
المرة الاخرى يجنب الى ذل يلقى الدروب مفتحات بلانا
تحزموا يا الغوش ترى ما لكم دل ولو مرشد حي بسيفه حمانا

ويروى الشطر الثانى من البيت الثالث : (ما ضاقت الدنيا عليهم احذانا) كما يروى الشطر الثانى من البيت الرابع (ولو والدى حى بسيفه حمانا) ومعنى هذا أنها ليست بنتا لأمير سميرا الذى ألجأ الحروب وربما كانت أخته . للتفصيل فى القصة ورواياتها : (عبد الله اللويحان روائع من الشعر الشعبى ط (٢) مطابع القوات المسلحة السعودية ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، ابن ردا س : شاعرات من البادية (٢١١ ، ٢١٢) .

(١) د : العجلانى عهد سعود بن عبد العزيز ٢٥٤ .

ومن الطبيعي والدعوة السلفية دعوة تجديدية أن تولي المرأة جانبا من اهتمامها ، وأن تجعل من توجيهاتها انصاف المرأة والدفاع عن حقوقها التي كفلها لها الله ورسوله ، بل يمكن القول ان من أسس دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذا الانصاف والتكريم للمرأة ، ومحاولة الرفع من مكانتها الاجتماعية بالقدر الذي تسمح به الأوضاع الاجتماعية السائدة ولا يتعارض مع تلك المبادئ التكريمية (١) .

واذا كانت الأوضاع العامة في البادية قبل الدعوة قد أعطت المرأة - في نطاق تكريمها - الحرية الكاملة في التصرف بالشئون العامة للأسرة واستقبال الضيوف لدى بعض القبائل ، اذا كان ذلك كذلك فان الدعوة قد أرادت تهذيب هذا التكريم لينسجم مع طبيعة المرأة التي خلقها الله عليها .

وقد نظر علماء الدعوة في أهم قضية كانت تعاني منها المرأة البدوية وتقف حجر عثرة في سبيل تكريمها وهي قضية التحجير أو التحيير أو التحيين التي مر تفصيلها في الباب الثاني فأفتوا بتحريم ذلك وشددوا النكير على فاعله ، واذا كان العلماء في ذلك لم يقضوا على هذه الظاهرة قضاء تاما فقد أصبحت تمارس على نطاق أقل من السابق وان كان ذلك الى وقت قريب (٢) .

وقد راعت الدعوة جهل كثير من البدو باحكام النساء فأفتى بعض العلماء بالتماس العذر بالجهل لمن تزوج في عدة الطلاق جاهلا ، ولكن يفرق بينهما حتى تنقضي العدة الأولى من الطلاق الأول ثم تعتد من وطئه في عدتها فاذا انقضت العدتان حلت للازواج وهو

---

(١) حمد الجاسر : المرأة في حياة امام الدعوة . بحث قدم لأسبوع الشيخ محمد عبد الوهاب ص ١ .

(٢) ابن قاسم : الدرر السنية ٦/٣٢١ .

واحد منهم ، ولا شك أن هذه الفتوى قد سرت ابن البادية وجعلته يتقبل الدعوة بيسر وسهوله خصوصا اذا علمنا أن هذه الفتوى قد ردت في مضمونها على من قال ان حكم المتزوج في عدة الطلاق حكم الزاني (١) .

جـ ـ الملبس :

لقد وهم قسم كبير من البدو الذين أعلنوا ولاءهم للدعوة أن هذا يقتضي منهم الاقتصار على نوع معين من اللباس ، الا أن علماء الدعوة وأئمتها كانوا لايرون الاقتصار على نوع معين من الأزياء ما دام مباح العادة ليس حريرا كاملا أو مشوبها به ، ولم يقصد به التشبه بالكفار ، ساترا للعورة غير مسبل ، وليس خاصا بأهل دين معين (٢) .

وحتى العمامة التي كان أهل البادية يعتقدون بأن لبسها كان دليلا على الدخول في الدعوة ، ويوالي على ذلك ويعادي عليه ، قد بين علماء الدعوة بأن ليس في السنة ما يفيد بأن لم يلبس العمائم فقد أثم ، بل اللباس على أي كيفية من المباحات وموافقة الرسول صلى الله عليه وسلم ليس في الاقتصار على لبس العمامة التي هي زي مثل أي زي آخر ، لانه ليس للمؤمنين شيء يتميزون به في الظاهر من الأمور المباحات فلا يتميزون بلباس دون لباس ـ اذا كان مباحا ـ بل يلبسون ما جرى العرف بلبسه ، والرسول صلى الله عليه وسلم لبس جميع أنواع الألبسة الموجودة في عهده والمتوافرة لديه ، واللباس كما يقال عادة وليس عبادة اذا كان متمشيا مع القواعد العامة في المجتمع وتوفرت فيه الشروط الشرعية السابقة (٣) .

---

(١) ابن قاسم : المصدر السابق ٣٢٨/٦ .

(٢) عبد الرحمن بن سليمان الرويشد : الوهابية حركة الفكر والدولة الاسلامية ط (٢) ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م دار العلوم للطباعة القاهرة ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) للتفصيل في رأي علماء الدعوة باللباس : ابن قاسم : العدد ٤/ ١١٥- ١٣١ ، وانظر ابن تيمية : الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان ط (٤) المطبعة السلفية القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ص ٢٣ .

وقد التزم أئمة الدعوة بهذه المبادئ فلم يؤثر عن أحد منهم أنه تعمم ، وحتى الامام عبد العزيز وهو أشدهم تمسكا بمبادئ الدعوة لم يتعمم ، بل كانوا جميعا يلبسون ملابس ترى فيها آثار نعمة الله من الثراء والبساطة وأبرز ما كانوا يلبسون على الرأس العصائب التى تشبه العقل وتقوم مقامها ، على اختلاف بينهم فى التزام جانب البساطة أو الترف المحدود فى ذلك (١) .

ويؤكد علماء الدعوة بشكل عام على عدم الخيلاء فى اللباس والتزام البساطة فى هذا المجال مع ابراز نعمة الله سبحانه على المسلم فى الثوب الحسن والنعل الحسنة لان الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على خلقه ، ولهذا فقد كانوا لا يرون العبى ملبوسا خاصا بأهل التقى والورع كما تصور كثير من الناس فى بداية انتشار الدعوة فيما يبدو (٢) .

د - المشرب ورأى الدعوة فى بقية العادات :

لقد مر بنا أن مشروبات البادية لم يجد عليهما جديد يستدعى النظر وابداء الرأى الشرعى فيها ما عدا القهوة والتبغ ، وقد رأينا طرفا من رأى العلماء فى نجد فى هذين المشروبين .

ولما كانت الدعوة تسير نحو تحقيق أهدافها السلفية وفق الأسس العقدية والتشريعات الاسلامية التى تتبع المبدأ القائل : " يجد للناس من الأقضية ما يجد لهم من القضايا " فانها قد قامت ببحث كل ما يجد ويحدث من العادات والتقاليد المكتسبة لتحدد موقفها منها بما يتفق مع أحكام الاسلام المستحدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح ، ومن هنا فقد نظر

---

(١) الريحانى ١٧٢ .

(٢) Burckhardt. Nots. 1/102.

علماء الدعوة في هذين المشروبين وأصدروا فيهما من الأحكام ما يتلائم مع طبيعتهما استنادا الى مبادئ الاسلام وتشريعاته .

أما التبغ فانه اذا كان علماء الأمة الاسلامية قد بحثوه من الناحية الفقهية واختلفوا فيه ما بين مبيح ومكره ومحرم، فان علماء نجد قبل الدعوة كان فيه كلام طويل خلصوا فيه الى التحريم كما مر بيان ذلك عند مشرب البادية قبل الدعوة .

ولما رأت الدعوة في التبغ ـ استنادا الى طبيعته والى آراء العلماء فيه قبل الدعوة ـ تبذيرا واضاعة للمال ، واضرارا بالصحة، وشيئا من التخدير والتفتير وافساد الأمزجة فانها لم تقف فيه عند حد الرأى الفقهي بل أوعزت للدولة بملاحقته في كافة المناطق التابعة لها وتأديب من كانوا يتعاطونه عن علم بمضاره وحكمه ، وانه لفخر يسجل للدعوة ودولتها في ملاحقة هذا المشروب الضار منذ مائتي سنة سابقة في هذا الحملات التي تقوم بها وزارات الصحة والمنظمات الصحية الدولية والاقليمية للحد من انتشاره (١) .

ولما كان التبغ قد انتشر في البادية قبل الدعوة كما مر ، وأصبح لدى بعضها عنوانا للرجولة والشهامة والكرم كما سلف ، فان الدعوة قد حاربته في مبدأ الأمر بالحكمة والموعظة الحسنة، ولما كان ابن البادية يحب البساطة في الأمور الدينية ،وتعليل الأحكام فان اشعاره بمضار التدخين وتحريمه على أساس هذه المضار كان كافيا لاقلاع قسم كبير من البدو عنه ممن وقر الدين في قلوبهم، بل محاربته من منطلق العارفين به مذكرين ابناء البادية الآخرين بأضراره ،ولقد كان من مظاهر الولاء للدعوة السلفية بعد أداء أركان الاسلام

---

(١) عبد الرحمن الرويشد : المرجع السابق ص ٢٥ ،وقد أوصت منظمة الصحة الدولية مؤخرا بمنع زراعة وتصنيع التبغ ،والقيام بكافة اشكال الدعاية والاعلان له ،وتشجيع الذين يقلعون عنه . (انظر صحيفة الجزيرة عدد ٣٧٠٢ الاثنين ٢٢ محرم ١٤٠٣هـ/٨نوفمبر١٩٨٢م ص (١) .

الاقلاع عن التدخين الذى أصبح يلقى عقوبة تعزيرية قد تصل الى أربعين جلدة أو أكثر أو أقل ولكنها لا تصل الى مستوى عقوبة الخمر فى شدة الضرب وهذا يدل على سبق فى مكافحة هذه الآفة الضارة (١)

وقد أصدر أبناء الشيخ وتلاميذه تحريمهم للتبغ لا على أساس أنه بدعة كما ذكر ذلك بعض الكتاب الغربيين بل على أساس مضاره ، وهم فى الوقت نفسه قد نعوا على العلماء قبلهم أو المعاصرين لهم عدم تحريمهم لهذا المشروب الضار ، وما من شك أن هذا وعى فقهى توفر لعلماء الدعوة بسبب صفاء المنهل الذى يستمدون منه أحكامهم (٢)

وقد اعتبر بعض المعارضين للدعوة السلفية من الفئات الاسلامية الأخرى تحريم التدخين والعقاب على شربه مطعنا من المطاعن على الدعوة ، على أن هذه العقوبات لم تكن من أوليات الدعوة بقدر ما هى مقارنة لهذا المشروب بغيره من المشروبات التى ورد الدليل بتحريمها وتحديد عقوبتها ، ثم انه من سخف الحاقدين على الدعوة أن يركزوا على منع التدخين الذى يعتبر حسنة من حسنات هذه الدعوة المباركة (٣) .

وعلى أى حال فقد ظل البدو طوال عهد الدولة السعودية الأولى يحتفظون بمظهر من الولاء للدعوة فيما يتعلق بالتدخين ، فقد امتنع رؤساؤهم على الأقل عن تعاطى شربه ، أما بعض عامة البدو

---

(١) ابن قاسم: الدرر ٤/٤٥٣، ٤٥٤، د ماضى : المرجع السابق ١/٦٢، Burckhardt . Nots.1/102.

(٢) ابن قاسم: الدرر ٤/٤٥٣ ، د عبد الله العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٤٤ .

(٣) محمد جواد مغنية: هذه هى الوهابية ط (١) بيروت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ص ٧ ، محسن الأمين العاملى : كشف الارتياب فى اتباع محمد بن عبد الوهاب. ط (٣) مطبعة بن زيدون بدمشق ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

فانهم يشربون التبغ بالخفاء يساعدهم عليه جو الصحراء الفسيح ، وكراهية الدولة للتجسس ، لكنهم يكنون للدعوة والدولة كل مظاهر الولاء والاحترام بحيث أنهم اذا شموا اطلاعا من الدولة على شربهم يمتنعون عنه وقد يكون هذا نهائيا فى اكثر الحالات (١) .

أما القهوة فلم يذكر عن علماء الدعوة فى تلك الفترة أو بعدها كراهتها فضلا عن تحريمها بل انهم كانوا يتعاطونها فى مجالسهم ولم ينكروا على من يشربها أو يكره تعاطيها مزاجا لا شرعا .

وقد ألف أحد علماء الدعوة رسالة فى اباحة القهوة ورد الشبه التى اعترضت من كرهها أو حرمها التى سبق بعضها فى مشرب البادية قبل الدعوة سواء من العلماء قبل الدعوة أو بعدها ، وما من شك فى أن هذا الموقف قد سر أبناء البادية الذين يعتبرون القهوة عنوانا للرجولة والكرم معتبرين هذا الموقف من الأدلة على واقعية الدعوة التى تستلهم مبادئها من أحكام الاسلام الواقعية ، والتى تبيح كل نافع وتحرم كل ضار (٢) .

واستنادا الى رأى الدعوة فى القهوة فقد كانت حكومتها تدعم هذا المشروب خاصة فى شهر رمضان المبارك حيث يشرب مع الافطار ، وفى العشر الأواخر حيث يتطلب القيام بالليل الترويح عن النفس بشرب القهوة مع السماع للذكر واصبحت هاتان العادتان من أبرز عادات النجديين فى هذا الشر الكريم حتى الآن ، ومن الطبيعى أن يشمل هذا الدعم البدو حيث كان يتمثل فى ارسال أكياس البن ، أو بعث

---

(١) تقرير جان ريموند ص ٣ ، Burckhardt, NOts. 1/106.

(٢) من الغريب أن يشن المعارضون حملة على الدعوة على أنها حرمت القهوة علما أن موقف الدعوة فى هذا واضح كل الوضوح ولم يستطع بعض الباحثين المناوئين انكاره . (عبد الرحمن الرويشد ص ٢٥ ، محسن العاملى ١٤٦) .

نقود يشترى بها بنا للأغراض السابقة توزع فى كل المساجد والنواحى والبوادى التى يوجد فيها تجمعات سكانية (١) ولا شك أن هـذا شجع النجديين بادية وحاضرة على ادخال هذه الاغراض ضمن مشاريع الخير فى رمضان ، وشجعهم كذلك على التمسك بعادة شرب القهوة وتقديمها لكل ضيف قادم مهما كان صغيرا أو كبيرا .

وقد نظر بعض علماء الدعوة فى بعض المعتقدات الطبية لدى البادية والتى لها أصل قديم عند العرب، فقد تواتر لدى قسم كبير من بادية وحاضرة نجد منذ زمن متقدم أن دم البرزان (٢) يشفى من داء الكلب (٣) ، وقد أفاد بعض هؤلاء العلماء بأن ذلك لا أصل له فى الشرع وأن التداوى بالنجس ـ كالدم ـ حرام .

ولم ينكر هؤلاء العلماء دعوى نفعه لداء الكلب بالتجربة اذا فتوا بأن هذه الدعوى لا تبيحه ما دام أن التداوى بالدم أصلا حرام،

---

(١) ابن بشر ١/١٧٣ ، ٢٣٠ .

(٢) ذكر الشيخ ابن قاسم فى الدرر ٤/٢٤٧ الحاشية أن البرزات من سبيع وهو يقصد البرزات الذين هم من السهول على الرأى القائل بأن السهول يرجعون الى سبيع ، ولكن المقصودون بعلاج داء الكلب هم البرزان أحد ألفاد بريه من مطير والنسبة اليهم برازى . (حمد الجاسر: معجم قبائل المملكة ١/٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٢٧٥) .

(٣) داء الكلب ويسمى رهبة الماء : مرض خطير يصيب الحيوانات عادة وخاصة الكلاب والقطط والذئاب والثعالب سببه فيروس يصيب الجهاز العصبى ويوجد فى اللعاب من الحيوان المصاب ومن ثم ينتشر بالعض ومن اعراضه الشراسه والضراوة وسرعة الانفعال ثم الوهن والكآبه فالشلل والموت ويخاف الانسان المصاب به من الماء لانه مرتبط بالغطس فالموت ، وله علاجات وأمصال معروفة طبيا : للتفصيل (الموسوعة العربية الميسرة ٧٧١ مادة داء ، وصحيفة الجزيرة عدد ٣٨٨٥ الثلاثاء ٢٧ رجب ١٤٠٣هـ/١٠ مايو ١٩٨٣م ص ٣١، عدد ٣٩٦١ الاربعاء ٢٤ شوال ١٤٠٣هـ/١٣ أغسطس ١٩٨٣م ص ٧) .

ومعنى هذا أن هؤلاء العلماء قد أطلعوا أو سمعوا من ثقات شهوت نفعه لهذا الداء (١) .

ورغم ما حدث من نقاش حاد حول هذا الموضوع مؤخرا بين ناف لذلك ومعده خرافة من الخرافات التي حفل بها تاريخ الطب عند العرب ، ومن مؤكد له سواء من أبناء هذه القبيلة الذين أبدوا استعدادهم لتطبيق التجربة على مرأى من أهل العلم والنافين له أو من غيرهم ممن يؤكدون نجاح هذه التجربة معهم (٢) ، رغم كل هذا فمن الصعب نفي نجاح التجربة أو تأكيد صحتها وفرق بين ذلك وبين صحة الاقتناع بها والتي ما من شك في أن أول أسبابها ناحية نفسية واجتماعية لا أقل ولا أكثر (٣) ، اذ من المعروف أن الحاجة أم الاختراع ، والبدو في صحرائهم ينقصهم الكثير من المستحضرات والمساحيق الطبية ومن هنا فقد تفتقت أذهانهم عن علاجات جيدة وغير جيدة واقتنع النجديون حاضرة وبادية بتلك العلاجات الجيدة حتى الآن اذ مازالوا يعتقدون بأن هناك أمراض لا ينجح معها الا الطب الشعبي المشتهر لدى البدو وتلك ناحية نفسية قد تأصلت في نفوس النجديين ، ولعل لما عرف عن هذا الفخذ من صفات الكرم والرجولة والشهامة أصل في هذا اذ أن اغاثة الملهوف ومعالجة المريض بنفس رضية وما شابه ذلك أمور تبين أصالة معدن القائم بها والاقتناع بالتالي بما يمارسه من صنوف الاستطباب ، على أن هذا

---

(١) ابن قاسم : الدرر ٤/٢٤٧ .

(٢) حفلت الصفحة ما قبل الأخيرة من صحيفة الجزيرة بهذا النقاش في أعداد كثيرة منها ٣٧٨١ ، ٣٨٢٢ ، ٣٨٧٠ ، ٣٨٧٢ ، ٣٨٧٤ ، ٣٨٧٩ ، ٥٨٨٥ ، وأبرز المناقشين فيه الشيخ حمد الجاسر .

(٣) صحيفة الجزيرة عدد ٣٨٨٥ ص ٣١ من مقال للدكتور سعد الصويان .

لا يمنع بتاتا أن يكون لدى هذا الفخذ حصانة ضد هذا المرض بأى سبب من الأسباب (١) . ولعل عدم نفى علماء الدعوة له - رغم التحريم الصادر منهم دليل على صحة وقوعه وثبوت نفع تجربته ، وكأنهم - فيما يبدو - يرون البحث عن علاجات أخرى فاذا لم يتيسر ذلك وخشى على المريض الهلاك عولج بذلك .

واذا كان جو الصحراء الفسيح قد فرض على البدوى نوعا من الحرية مما جعله يستجيب لكل ما تمليه عليه مشاعره سواء كان ذلك وهو يرعى الابل أو الغنم ، أو وهو يعيش حالات الغرام أو الحزن ليعكس هذه الاستجابة بالغناء بالربابة (٢) أو بدونها اذا كان ذلك كذلك فان الدعوة تدخلت لتهذب هذا الاسلوب وتجعله ينسجم مع الوضع الدينى الجديد الذى يجب أن يعيشه البدوى ، وهو الانصهار فى بوتقة تعاليم الدين والتى تجعله يعيش حياة جادة لا تخلو من بعض الترويح البرئ الضرورى للنفس ، وفى هذا المجال

---

(١) صحيفة الجزيرة عدد ٣٨٧٩ ص ٣١ من مقال بقلم محمد الأحيدب من كلية الصيدلة بجامعة الملك سعود .

(٢) الربابة أو الرباب بفتح الراء ، قال فى القاموس آلة لهو يضرب بها ، ومعدود بن عبد الله الواسطى الربابى يضرب به المثل فى معرفة الموسيقى بالرباب ، وقد أختلف فى أصل تسميتها ، فقيل ان أصلها عبرى من لابب وابدلت اللام بالراء ، وقيل ان أصلها فارسى ، ولعل أرجحها كونها عربية الأصل ، وقد عرف المجتمع الاسلامى فى عصوره المختلفة سبعة انواع من الربابة ، والمشهور لدى بادية نجد هو النوع المربع أو المستطيل وهو يتألف من هيكل خشبى مربع أو مستطيل ، وجلد مشدود على الوجه والظهر ، وعنق اسطوانى من الخشب كذلك ، وله وتر واحد أو وتران يستمدهما البدوى من شعر الخيل يجربهما أو بأحدهما ، وهى ابلغ ما يطرب البدوى ويثير شجونه ويخفف من أحزانه ، وقد قل أثرها فى بادية نجد بعد الدعوة ، ويفرق فهد المارك بينها وبين ربابة الصلب التى يقول عنها : انها آلة هزلية تحترف بها فئة سافلة لتنشر أخلاقا منحطة ، للتفصيل : (الفيروزابادى ١/٧١ ، فهد المارك : من شيم العرب ١/٤٢ ، ٤٣ الحاشية ، دائرة المعارف الاسلامية ١٠/١١ - ١٨) .

حرمت الدعوة على أتباعها من البدو الغناء بالربابة وغيرها ولكنها أباحت لهم أن يحدوا على ابلهم أو اغنامهم ، أو يجلو أحدهم ما بخاطره بأبيات لا تشتمل على محرم يصوغها بالحان لا تشتمل على اسفاف أو مجون (١) .

وعلى هذا الأساس فان الغناء والموسيقى والرقص والألعاب المشروطة على جعل كلها محرمة فى هذه الحياة الجادة الجديدة ، ورغم أن البدوى قد تمسك بالغناء كأسلوب من أساليب الترويح عن النفس فى هذه الصحراء المقفرة فانه كان على استعداد لتلقى مبادئ الدعوة فى هذا المجال ، ومحاولة تكييف حياته عليها بالتقليل من ممارسته لهذه الأشياء ولو كمظهر من مظاهر الولاء للدعوة ودولتها عند بعض البدو (٢) ، اذ ما من شك فى أن اشتهار البدوى بالربابة جعل قسما من البدو يعودون الى ممارسة الغناء عن طريقها بعد سقوط الدرعية عندما انعدمت الرقابة الحكومية لتنفيذ مبادئ الدعوة (٣) .

---

(١) ابن قاسم : المصدر السابق ٦/٣٦٠ .

(٢) Burckhardt. Nots. 1/103, 106.

(٣) ابن بشر ١/٢٨٣ .

الخاتمة

سأتناول هذه الخاتمة أبرز النتائج التى خلصت اليها من خلال الموضوعات التى لها صلة مباشرة بعنوان الرسالة صارفا النظر عن الموضوعات غير المباشرة المبثوثة فى ثنايا البحث حيث سبق أن قدمت عرضا عاما عن العناوين التفصيلية لهذه الرسالة فى مقدمتها ، وغنى عن البيان أن هذه النتائج أو غيرها من تلك التى مرت فى هذه الرسالة ليست كلها تتسم بطابع الجدة فبعضها معروف لدى النجديين سواء كانوا باحثين أو غير باحثين ، وقد عرضت لى ــ كما قد تكون عرضت لغيرى ــ أثناء الاطلاع على المصادر و المراجع المكتوبة أو السماع للروايات الشفوية ، الا أن جمع مثل هذه المرويات من مصادرها المحلية و غير المحلية و تحليلها و عرضها قد يكون شيئا جديدا ، ولا يمكننى بأى حال من الأحوال اعتبار ما توصلت اليه من نتائج قضايا مسلمة و تعبر تعبيرا صادقا عن المجتمع البدوى النجدى سواء قبل الدعوة أو بعدها ، فبالرغم من الجهد المبذول فى هذه الرسالة ، فان شأنه شأن أى عمل بشرى يعتوره النقص و الخلل ، الا ان لى من ملاحظات أستاذى المشرف السابقة و اللاحقة و الأساتذة المناقشين ومن يطلع على هذه الرسالة بعدهم ما عساه أن يسد بعض جوانب النقص كما أن أى نقد لأى وضع اجتماعى سواء كان قبل الدعوة أو زامنها أو أتى بعدها لا يمكن الا أن يعد صفحات من التاريخ ولا يعبر عن أى اتجاه " تلك أمة قد خلت لها ما كسبت و لكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون " .

و بصورة عامة فان أبرز ملامح التحولات القبلية التى مرت ببادية نجد منذ العصر الجاهلى و حتى قيام الدعوة السلفية هو تعرض هذه البادية لموجة التحضر بدرجة متفاوته فيما بينها ، هذه الموجة التى حولت قبيلة كبيرة الحجم متعددة الأفخاذ كتميم من قبيلة بدوية خالصة قبل الاسلام الى قبيلة حضرية بأكملها حيث لا يوجد بين أفخاذها

أو أفراد ها رُحّل قبيل قيام الدعوة السلفية و حتى العصر الحاضـــر ، بينما حافظت قبيلة كبيرة الحجم متعددة الأفخاذ كذلك مثل طئ على درجة كبيرة من بداوتها خلال تلك الفترة حيث اتصفت أفخاذ منهـــا بالطابع البدوى أكثر من الطابع الحضرى حتى العصر الحاضر ، وقـــد تكاثرت هذه القبيلة ببروز بعض أفخاذ ها قبل القرن العاشر الهجـــرى و بعده حتى سيطرت على أغلب المناطق الرعوية فى نجد كما حصل مـــن أفخاذ لام الطائية .

ومن أبرز مظاهر الوضع القبلى لبادية نجد منذ ما قبل الاســـلام و حتى العصر الحديث اختفاء الأسماء القبلية القديمة و ظهور أسمـــاء أخرى لأفخاذ قوية فى القبيلة أخذت زمام السيطرة فيها دون بقيـــة الأفخاذ الأخرى ، كما أن من أبرز مظاهر هذا الوضع هو اختفاء قبائـــل أو أفخاذ معينة كانت لها الصولة و الجولة فى مضمار التنافس فى البادية نتيجة لقوة قبائل أو أفخاذ أخرى اما أن تكون قد قدمت نجدا من مصدرى الامداد البشرى فى شبه الجزيرة (الحجاز أو اليمن) أو قد تكون مـــن القبائل أو الأفخاذ النجدية نفسها تمكنت ـ تحت عوامل عدة ـ مـــن فرض سيادتها القبلية على أغلب بادية نجد ، و طردت من كانت تتسنـــم ذروة الزعامة القبلية قبلها .

ان اعتبار الباحث الصُّلَب " الخلاوية " فئة بدوية و أن الســـبب الرئيسى له احتواء الصلب القرى و البدان و العيش فى الصحراء " الخـلاء " ـ كما يرـ عاما كاحتواء البدو وان اختلفت أساليب المعيشة و العادات و التقاليد و الصفات الجسمية و الأصل الاجتماعى بين هاتين الفئتيـــن البدويتين ، فان احتماء الصُّلب بالقبائل البدوية و عقدها معها مايشبه الحف و الجوار من أجل الحماية لقاء اتاوة معلومة ، يؤكد ماذهبنا اليـه

من أن البحث فى الحياة الاجتماعية لدى الصلب يمكن ادراجه ضمن البحث فى الحياة الاجتماعية لدى البدو الصحراء، هذا بالاضافة الى بروز الطابع القبلى لدى الصلب حيث تتفرع هذه الفئة الى مجموعة كبيرة من القبائل تضم عددا من الأفخاذ والعشائر والبطون كما مر .

وما من شك فى أن اختلاف الآراء فى أصل الصلب الاجتماعى انما يعود الى الأدوار الاجتماعية المتعددة التى تقوم بها هذه الفئة فى أوساط المجتمع النجدى من أغلب النواحى الحياتية ،ويبدو أن جذورا تاريخية من تلك النظرة الاجتماعية من التى كانت موجودة لدى عرب الجاهلية تجاه أرباب الحرف تعد من أهم العوامل فى وجود تلك النظرة النجدية تجاه الصلب وتعدد تلك الآراء فى أصلهم الاجتماعى .

ان استنكاف مؤرخى نجد عن الاشارة الى الوضع الاجتماعى للصلب قد أوجد فرصه كبيرة أمام الباحثين الغربيين للخوض فى تفاصيل الحياة العامة لهذه الفئة حينما وجدوا هؤلاء المؤرخين والى حد كبير علماء الدعوة السلفية ـ عدا اشارة بسيطة أوردتها فيما سبق ـ قد تركوا الباب مفتوحا امام هؤلاء الغربيين كل يدلى بدلوه فى تفاصيل تلك الحياه مما أوقعهم فى بعض الاخطاء فى كثير من نواحى تلك الحياة رغم موافقة بعض ما ذكروا لما تواتر لدى النجديين ، ويلمح الباحث أو المطلع على أبحاث هؤلاء الغربيين وضوح جانب كبير من التخرصات فى حديثهم عن الحياة الدينية لدى الصلب حيث حفلت هذه الأبحاث بذكر عدد كبير من المعتقدات الدينية لدى هذه الفئة كما مر ، واذا كان من الممكن القبول بوجود بعض هذه المعتقدات فلا يمكن القبول بوجود هذا الزخم الهائل منها ، ولعل بعض هؤلاء الباحثين الغربيين قد أوردوا مثل تلك المعتقدات وخاصة النصرانية فى محاولة منهم لاضفاء الأصل الصليبى على هذه الفئة النجدية التى عدها علماء الدعوة من ضمن كفار البوادى

قبل الدعوة ، والمهم هنا أنه لولا التعتيم المطلق على أخبار هـــذه الفئة من المؤرخين المحليين لما تمكن هؤلاء الغربيون من الخوض فـــي تفاصيل الحياة العامة لها دون الرجوع الى ما كتبه أبناء المنطقة عنها .

وقد وضح لنا في الحديث عن الجانب الديني من الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد قبل الدعوة بجانبها الديني بعد هذا الجانب عن الدين الصحيح ، وكونه ـ في الوقت نفسه ـ قد جعل من نفوس أبناء الباديـــة أرضا بكرا لا لقبول مبادئ الدعوة السلفية فحسب بل للدفاع عنها ونشرها داخل نجد وخارجها ، وقد تمكنت من خلال تحليل الشيخ محمد بـــن عبد الوهاب رحمه الله لبعض جوانب الحياة الدينية لدى البادية قبـــل الدعوة التعرف على ملامح هذه الحياة بسواء بشكل عام أو ببروز بعـــض المعتقدات السيئة لدى بعض القبائل التي ذكرها الشيخ نفسه ، ورغـــم أن تحليل الشيخ الذي سبق التفصيل فيه في الفصل الأول من البـــاب الثاني يعتبر أوفى تحليل عن الحياة الدينية لدى البادية الا أنه لا يخلـــو من بعض النقص في اعطاء الصورة الكاملة عن هذه الحياة وقد سدت الاشارات التاريخيـة والشعر العامي بعض هذه الثغرات مما يمكن الباحث مـــن الخروج بتصور لا بأس به عن الحياة الدينية لدى بادية نجد قبل الدعـــوة وهو ما حاولت أن أقوم به في ذلك الفصل .

وبصورة عامة فانه يمكن النظر للحياة الاجتماعية لدى بادية نجـــد قبل الدعوة من زاويتها السلبية والايجابية مثلها في ذلك مثل ظواهــــر الحياة الاجتماعية لدى أي فئة أو مجتمع فيه الجوانب المشرقة وفيـــه الجوانب السيئة ، وأبرز ظواهر هذه الحياة تلك النظرة السيئة مــــن البدوي للحضري كما سلف الا من الضروري الاشارة هنا الى أن هـــذه النظرة ليست موجودة لدى البدوي فقط بل كانت متبادلة بين البـــدوي والحضري ، ومن هنا فان ما قد تجره من نتائج يتحمل أضرارها كـــلا

الفريقين ، وقد حفل التاريخ الاجتماعي لحاضرة نجد بالعديد من الاشارات التى تبين أن هذه النظرة كانت متبادلة بين الحاضرة والبادية ولم يكن البدوى النجدى فى تلك الفترة بدعا فى وجود مثل تلك النظرة لديه فقد كانت متأصلة فى البدوى العربى منذ القدم ، وهى موجودة فى المجتمعات الأخرى كذلك بل ان الذين يعيشون حياة مخضرمة بين البادية والحاضرة كبعض سكان القرى والأرياف ينظرون النظرة نفسها لأبناء المدن ، على أن مجال العلاقات الاجتماعية بين البادية والحاضرة فى نجد فى تلك الفترة قد حفل بوجود جوانب مشرقة تمثلت فى الصداقات العميقة بين أفراد من الفريقين مرت اشارات لبعضها فى ثنايا البحث ، ثم ان التكوين الاجتماعى فى بعض القبائل النجدية بوجود حاضرة وبادية فيها يفرض وجود علاقات طيبة بين أقسام كبيرة من الحاضرة والبادية ويجعل من الجوانب السيئة لتلك النظرة غير ذات تأثير عميق فى مجال العلاقات الاجتماعية بين الفريقين الا فى فترات الفوضى وغياب السلطة السياسية .

ومن بين النتائج التى توصلت اليها فى هذه الرسالة وضع المرأة فى مجتمع بادية نجد قبل الدعوة كان وضحا جيدا لولا وجود قضية العضل "التحجير"، وبهذا يتبين لنا أن المرأة البدوية قد بزت زميلتها المرأة الحضرية فى كثير من مظاهر التكريم الذى تفتقده كثير من نساء الحاضرة بغض النظر عن وجود نساء فرضن وجودهن على عالم الرجال من خلال بعض الصفات التى جعلت بعض الرجال يفسحون المجال أمامهن للقيام ببعض الأدوار الاجتماعية ، وما من شك فى أن اضفاء هذا الطابع التكريمى للمرأة البدوية وملازمته ـ فى الوقت نفسه ـ لوجود ظاهرة التحجير قد أوجد اختلالا فى درجة التكريم التى تلقاها المرأة البدوية ، ولا يبعد

أن يكون قد نجم عنه بعض النتائج السيئة التى لازمت هذا التكريم فى بعض القبائل أو أفخاذ منها على الأقل ، وقد بلغت درجة التكريم هذه حدا جعلت البدوى يخاف على زوجته من الحسد خاصة اذا كانت شابة أو جميلة أو ذات صفات أخرى ممتازة فيصفها بأنها عجوز درءا لعين الحُسَّد (١) .

ويقف الباحث معجبا بنظرة البدوى النجدى للرقيق والخدم الذين حظوا بوضع تكريمى ربما لم يتسن لأمثالهم فى المجتمعات الأخر أو حتى لدى الحاضرة فى نجد ، ولعل أبرز مظاهر هذا الوضع التكريم اللائق طيلة الرق أو الخدمة ثم اتاحة الفرصة للعتق وتهيئة كافة الوسائل للعيش الكريم بعدها ، وبغض النظر عن الهدف وراء الاكثار من العتقاء فى اضفاء نوع من الابهة تبعا لكثرة الحاشية فان الانعام على اعداد كبيرة من الأرقاء بالعتق قد أتاح للمجتمع النجدى الاستفادة منهم فى مجالات العمل المتعددة فيه وخاصة تلك التى يستنكف منها أبناء القبائل البدو أو الحضر ، ولقد كان من لم يتمكن من الأعتاق أو يمتنع عن ذلك فى حياته يضع بندا مهما فى وصيته يتضمن اعتاق أكبر قدر ممكن من أرقائه .

وكما مر بنا فقد كان الكرم علامة مميزة بل شمعة مضيئة بين مظاهر الحياة الاجتماعية لدى البدو واذ تعتبر هذه الظاهرة من أعرق المظاهر الاجتماعية البدوية حيث تأصلت فيه منذ القدم ، ولم تزدها الأيام الا رسوخا ، وزاد من رسوخها وتأصلها تشجيع الاسلام على انتشارها ، ومن هنا فلا غرابة أن يتجاوز البدوى فى تمسكه بهذه الظاهرة أسلوب الكرم الحاتمى الى أسلوب الكرم الابراهيمى الذى ورد ذكره فى القرآن

---

(١) جاكلين بيرين ١٢٦ وهذا الخوف متأصل فى البدوى منذ القدم ولازال موجودا لديه حتى العصر الحاضر .

الكريم كما سلف ، والبدوى فى اتباعه أسلوب الكرم الابراهيمى بل جمعه بين هذين الأسلوبين الذين يكمل أحدهما الآخر انما يهدف الى الوصول لقمة الكرم ، وهو فى هذا النطاق على استعداد لتسخير كافة مظاهر الحياة الاجتماعية الأخرى لخدمة الكرم سواء كان ذلك فى المشرب باد خال ما كان معروفا أو ما يجد من مشروبات أخرى كالقهوة والتبغ مثلا ضمن مظاهر ذلك الكرم على اختلاف بين البدو فى درجة اعتبار التبغ مشروبا تكريميا ، أو سواء كان ذلك بتكييف العادات والتقاليد الأخرى لتتمشى مع هذه الظاهرة كالمأكل حيث يهتم البدوى باشباع ضيفه ولو أدى ذلك الى استدانته ، وكتكييفه أسلوب الغزو بل حتى السلب والنهب والربيط والدخيل بحيث يحرص البدوى وهو يمارس مثل هذه العادات أن لا تتعارض مع ما اشتهر عنه من الكرم، ومن أبرز مظاهر هذا التكييف - كما مر - أنه لا يجوز أن يسلب من المخيمات أو من القبائل الصديقة بل يسلب من الأعداء فقط ، وفى حرب مكشوفة، كما أن سلب النساء يعد أمرا معيبا فى أوساط المجتمع البدوى ، وهذا بلاشك يلتقى من قريب أو بعيد مع ظاهرة الكرم التى يمكن اعتبارها جماعا لكل خلق أصيل ، واذا حدثت تجاوزات لهذين الأمرين فى بعض الأحيان فأن ذلك يلقى المقت من عقلاء البدو وحكمائهم، ومن هنا يمكن اعتبار الكرم بجانبيه المادى والمعنوى هو الموجه الغالب لكثير من تقاليد البدو وعاداتهم .

أما الخُوّة من جانبها الاجتماعى فيمكن اعتبارها أساسا للعلاقات الاجتماعية سواء بين البدو أنفسهم من قبيلة واحدة أو نتيجة حلف أو جوار أو تحت مظلة الصداقة ، أو معبرة عن لون من ألوان العداء ، أو بين البدو والحضر الذين قد يجتمعون مع البدو فى أصل أو حلف أو جوار أو يتعاملون معهم تعاملا عاما كما أن أقساما من الفريقين قد

يضمر العداء للفريق الآخر ، ولكنهم تحت ضغط الظروف القاهرة قد يلجأون للتعامل الاجتماعي مع بعضهم البعض، وفي هذه الحال تنطبق عليهم علاقات العداوة التي مر ذكرها ، والمهم في هذا أن الخوة من جانبها الاقتصادي تخضع لنوع العلاقة التي تتم بها الخوة من جانبها الاجتماعي التي تجاوزت بعلاقاتها المتعددة لتشمل كافة الفئات الاجتماعية في نجد كالصلب مثلا الذين رغم أنهم لا يتعرضون غالبا لاعتداء من القبائل البدوية فقد يمنحهم بعض البدو - بمقابل أو بدون مقابل - جوارا ، على أنهم قد يقومون بنوع من أنواع الخوة وهو الدلالة في الطريق الذي رغم أنه لا يوفر الحماية لمجتاز الصحراء لعدم استناده الى ركن شديد من قبيلة قوية ، أو عدم توفر السلاح مع الصلب ، فانه قد يوفرها بطريقة أخرى نتيجة معرفة الصلب بمفاوز الطرق ومسالكها الآمنة ، ومن هنا فانه يمكننا القول ان الخوة بجانبيها الاجتماعي والاقتصادي تعد أهم ركيزة يقوم عليها المجتمع النجدي بشكل عام والبدوي بشكل خاص ، وكانت هي النمط الاجتماعي المنظم للحياة في الصحراء أثناء غياب السلطة السياسية ولهذا فقد كان العابرون نجدا والقادمون اليها يضمنون في أوليات رحلتهم الاستفادة من خوة احدى قبائلها الموهوبة ، ويرصدون لذلك ما يتطلبه من مرتبات أو جوائز مقطوعة حيث كانت تشكل موردا ماليا جيدا لابن البادية ، ومن هنا كانت الخوة بجانبيها الاقتصادي والاجتماعي بعلاقاته المتنوعة تشكل موردا ماليا داخليا وخارجيا للمجتمع النجدي ، كما تقوم بكافة أنواع العلاقات الداخلية والخارجية بما توفره من أموال من النجديين ، وغيرهم ، وبما توفره من فرص الاحتكاك والاتصال بين فئات المجتمع النجدي ، وبين المجتمع النجدي والقادمين اليه من البلدان الأخرى ، وهذا ما يسمح لنا بأن نطلق عليها " دبلوماسية البدو " حيث تقوم بكافة مهام الدبلوماسية بأنواعها الهادئة والعنيفة .

أما آثار الدعوة السلفية على الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد فقد تطلبت مني القيام باستعراض تاريخي لمواقف القبائل الرئيسية في نجد في تلك الفترة من الدعوة السلفية ، وهذه المواقف كانت مبنية على وجود عدد من الغزوات التي قامت بها حكومة الدرعية ضد هذه القبائل أو أفخاذ منها سواء بمفردها أو بالاشتراك مع قبائل أو أفخاذ أخرى أو قوى سياسية نجدية أو غير نجدية مناوئة للدعوة ودولتها ، كما كانت مبنية على وجود عدد من الغزوات التي قامت بها هذه القبائل أو هذه الأفخاذ ضد الدعوة سواء كان ذلك بمفردها أو بتحزبها مع قبائل وقوى سياسية أخرى ، كما كانت مبنية أيضا على محاولات الدعوة السلمية الدخول الى قلوب هؤلاء البدو وعلى الاستعداد النفسي من بعض هذه القبائل رغم بعض المناوئات السابقة على الدخول في الدعوة ، وقد وضح لنا أن هذه المحاولات الحربية والسلمية قد أثمرت ولاءً شبه جماعي بين كثير من القبائل بل أثمر استعدادا نفسيا لدى بعضها لنشر هذه الدعوة داخل نجد وخارجها ، والتصدى للقوى السياسية سواء كانت بدوية أو حضرية نجدية أو غير نجدية تلك التي كانت تتربص بالدولة الوليدة الدوائر ، ورغم الملابسات التي اكتنفت بعض هذه المواقف في وجود غزوات من الدولة ضد بعض القبائل المعروف ولائها التي يمكن أن يدرجها الباحث تحت المراحل الأولية لهذه المواقف أو أن ذلك نتيجة عدم وجود ولاء جماعي في هذه القبيلة أو تلك ، رغم هذه الملابسات فان المرء يمكنه - بالاطلاع على مصادر البلدان المجاورة ، والمراحل المتأخرة لعلاقات هذه القبائل بالدولة - أن يخرج بتصور شبه دقيق عن هذه المواقف تمثلت في تفاني بعض القبائل في الولاء للدعوة ودولتها كسبيع وقحطان والدواسر وأفخاذ من مطير وعتيبة وحرب وعنزة وشمر ، كما تمثلت في مناوأة بعض هذه القبائل للدعوة ودولتها كالظفير وأفخاذ من شمر وعنزة ، على أن أقساما من تلك القبائل المناوئة قد اتخذت من أسلوب التحضر والدعة وسيلة للدخول

فى طاعة الدولة السعودية الأولى ، وبغض النظر عما تبع ذلك من نقض كبير من هذه القبائل لهذه الطاعة حينما بدأ الانهيار يحل بالدولة السعودية الأولى نتيجة حملات محمد على عليها ، فانه يمكننا القول بأن هذه الدولة فى أوج قوتها — فى عهدى الامامين عبد العزيز بن محمد وابنه سعود — قد استطاعت أن تحدد مواقف تلك القبائل الرئيسية من الدعوة السلفية ، وكان من المنتظر انه لو مد الله فى عمر هذه الدولة — بالقوة نفسها — لتمكنت من تحضير قسم كبير من البادية النجدية — وهى فى مرابعها — وحملتها على الاستمرار فى تلك المواقف المؤيدة للدعوة ودولتها ، ومن هنا فانه يمكننا التماس الاسباب فى عدم ثبات بعض القبائل أو الأفخاذ على الولاء للدولة السعودية حينما تعرضت لحملات محمد على فى أنها لم يتح لها الانصهار فى بوتقة تعاليم الدعوة ، ولم تستطع استيعاب المحاولات التنظيمية التى قامت بها حكومة الدرعية لقصر مدة هذه الحكومة ، ولما ران على هذه القبائل من سنى الفوضى والقبلية الممقوتة اذ لم تعرف نجد حكومة منظمة منذ عهد الراشدين وحتى قيام الدولة السعودية الأولى ، رغم خضوعها للولايات التابعة للخلافة الاسلامية ، ولبعض الحركات الثائرة والدويلات المنفصلة التى لم تترك تأثيرات اجتماعية على البادية النجدية من تلك التى تركتها الخلافة الراشدة والدولة السعودية الأولى على اختلاف بين هاتين الدولتين فى درجة قوة ذلك التأثير واستمراره .

ولما كانت المؤثرات الدينية هى التى توجه الحياة الاجتماعية ، وهى ما كانت تقوم به الدعوة السلفية ، فكان لا بد من استعراض لآثار هذه الدعوة على الحياة الدينية لدى بادية نجد ، حيث تمثلت هذه الآثار فى تطبيق بعض القبائل البدوية لأحكام الاسلام ومبادئه السلفية تطبيقا جيدا اذ أتاحت هذه القبائل لمبادئ الدعوة السلفية الدخول

فى حياتها الدينية ، و سمحت للبعوث الدينية التى كانت تبعثهـــا حكومة الدرعية بالتجوال فى مرابعها و توجيه حياتها العامة بما يتفق مع أحكام الاسلام ، كما تمثلت فى بعض مظاهر عدم الاستجابة السريعـة لدى بعض القبائل أو أفخاذ منها ، هذه المظاهر التى كان أبرزهـا رفض تأدية الزكاة للأمير القبلى المعين أو المؤيد من حكومة الدرعيـة اذ تنظر هذه القبائل أن دفعها يعنى الخضوع لحكومة منظمة تلغـى مشيخة القبيلة أو ما يصدر عنها من أعراف و تقاليد ، و يبدو أن هـذه القبائل ما كانت ترفض دفعها لانها ركن من أركان الاسلام الا بقدر ما كان يصاحب قبضها من قسوة بعض الامراء القبليين أو جباة الزكاة ، علـى أن دفعها لحكومة منظمة يعتبر من الأشياء الجديدة على حياة البـدوى الذى يتطلب شيئا من الترويض و التوعية كما أن ذلك الرفض قد يدخـل فى باب الاحتقار لبعض الأمراء القبليين الذين تم تعيينهم أمراء عاميـن على بعض القبائل بتأييد من حكومة الدرعية نتيجة اتباعهم مبادىء الدعوة السلفية و تفانيهم فى خدمة الدولة السعودية ، و هم لم يكونوا أصحاب رصيد قيادى قوى فى قبيلتهم كربيع بن زيد أمير الدواسر كما مر .

ومن مظاهر عدم الاستجابة السريعة للدعوة السلفية امتناع بعـض الأفخاذ أو أفراد منها على الأقل عن تأدية الصلاة سواء بالكلية أو جماعة فى المساجد وهى أمور ما كانت تقبل حكومة الدرعية التنازل عنها للأمـر الشرعى بذلك و للمعطيات الاجتماعية المثالية التى تتحقق من أدائهـا جماعة ، و يبدو أن الامتناع عن تأدية الصلاة هو الآخر يدخل فى نطاق عدم الانصياع للحكومة اذ يعتقد بعض أفراد البدو أن ذلك يعـنى الخضوع للأمير القبلى ، و بالتالى الخضوع للحكومة المركزية و تـرك أو اضعاف سلطة شيخ القبيلة عليه ، وقد مرت بنا اشارة عن هذه الظاهرة

فى قبيلة الدواسر صراحة فى الأرجوزة التى مرت ، وفى قبيلة الظفير تحت لفظة عامة ذكرها ابن بشر بقوله : " تضييع بعض فرائض الدين "(1) وعدا هاتين الظاهرتين اللتين يمكننا اعتبارهما حالات خاصة فى الأفراد أو الأفخاذ على الأكثر ، كما يمكننا ادراجهما تحت عدم الفة البدوى النجدى للتنظيمات الحكومية و جهله المطبق بتعاليم الدين ، عدا هاتين الظاهرتين فقد استطاعت مبادئ الدعوة التغلغل فى نفوس كثير من أبناء البادية و رغم أن هذا التغلغل لم يكن شاملا أو عميقا فقد شكل أرضية جيدة للمحاولات التوجيهية و التنظيمية التى حصلت للبدو من الدولة السعودية الثالثة كما سلف ، ومن هنا يمكن القول ان صعوبة مراس البدوى فى عدم سرعة تقبله للمبادئ التنظيمية و التعاليم الدينية يقابلها تفان قوى و تحمس شديد فى اتباع هذه المبادئ و الاعتقاد بتلك التعاليم اذا رضى بالقيادة السياسية و اعتقد بصدق تطبيق تلك القيادة لهذه المبادئ و التعاليم .

و كنتيجة طبيعية جاءت آثار الدعوة السلفية على بعض مظاهر الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد مستمدة من تلك المواقف و التأثيرات الدينية ، ولعل من أبرز تلك الآثار ان لم يكن أبرزها على الاطلاق هو دور الدعوة و دولتها فى تحقيق قدر جيد من الأمن فى أوساط المجتمع البدوى استفادت منه البادية النجدية كما استفادت منه الحاضرة بقدر ما استفاد منه العابرون لنجد و القادمون اليها من البلدان الأخرى ، وما من شك أن هذا الدور كان محصلة طبيعية لفقدان الأمن قبل الدعوة و للحاجة الماسة اليه بل معاناة المجتمع النجدى ومن يمر بنجد من فقده ، ومن هنا فقد كان شغل الدولة الشاغل تحقيق هذا الدور من

---

(1) ١/١٨١

الأمن عبر تهيئة السبل المؤدية لتحقيقه ، و تجفيف بل سد المنافذ المؤدية الى الفوضى ، وقد أثمر هذا تخفيف حدة السلب و النهب بين القبائل و البلدان النجدية و المارين بها ، علاوة على تحسن النظرة السيئة المتبادلة بين البادية و الحاضرة هذا التحسن الذى كان من أوضح معطياته عدم التعرض للحاضرة بأى لون من ألوان العداء حتى وهم يجاورون البدوفى مرابعهم أيام الربيع ، و اذا كان هذا التحسن قد يكون نتيجة الرهبة من سطوة السلطة الحاكمة فانه قد أثمر علاقات اجتماعية جيدة بين الفريقين التى أبرزها زوال الحاجز النفسى الذى كان يقف حائلا بين قيام علاقات طيبة بين بعض البدو و بعض الحضر .

ولقد كان من أبرز مظاهر استتاب الأمن العناية بضوال الماشية أو " الهمل " تلك العناية التى استمدتها الدولة السعودية من تنظيم الاسلام للقضاء فى بهيمة الأنعام الضالة ، و تأتى أهمية هذه العناية من تعدد الأدوار التى تقوم بها الماشية فى المجتمع النجدى ، و معاناة الحاضرة و البادية من فقدان مواشيهم أو استيلاء اللصوص عليها قبل قيام الدعوة .

ولعل من أبرز ما استفاد من استتاب الأمن فى السبل النجدية هم الحجاج الذين كانوا يعانون من فقدانه فى السابق ، وكان لا تباع الدولة عدة سبل لتحقيق استفادة هؤلاء الحجاج من هذا الأمن دورا كبيرا فى تحقيق مثل تلك الاستفادة ومن أهم تلك السبل أخذ الدولة العهد على رؤساء القبائل ووجهائها بعدم التعرض للحجاج و تسليم من يقوم على ذلك الى الحكومة بسرعة ، علاوة على ترتيب سقاية و اطعام للحجاج المارين بالدرعية على طريق مدن الحجاج الآن حيث يتم فى أثناء ذلك التعرف على أحوال الحجاج و مرئياتهم حول الحالة الأمنية ،

والاستماع الى شكواهم ، كما يتم فيه تعريفهم بمبادئ الدعوة السلفية ليكون من يقتنع بها أداة لنشرها فى بلده ، وقد مرت بنا فى ثنايا البحث أحداث تؤكد سهر الدولة على تحقيق قدر جيد من الأمن عبرطرق نجد المؤدية الى الحجاز مما يتوقع معه وجود زيادة مطردة فى أعداد الحجاج عن الفترة التى سبقت قيام الدعوة السلفية ، على أن دخول الحجاز تحت الحكم السعودى قد أضفى زيادة أخرى على هذه الأعداد اذ لم يكن هم الحاج وشغله الشاغل الا أمنه وسلامته فى طريقه، وفى الأماكن والمشاعر المقدسة ، وما من شك فى أن دخول بعض القبائل المحيطة بمكة والمدينة فى طاعة الدولة السعودية كأفخاذ من حرب وعتيبة وجهينه قد سهل مهمة التحكم فى مسألة أمن الحجاج وسلامتهم اذ أن أحداث التعرض للحجاج كانت من هذه القبائل غالبا وخاصة فى منطقة الحجاز أو ما بين نجد والحجاز ، وفى المقابل فأن ولاء القبائل النجدية كان من أبرز مظاهره مساعدة الدولة فى التحكم فى أمن الطرق النجدية الموصلة للحجاز ، ومن تكرار القول أن ذلك التحكم كان نتيجة طبيعية لتطبيق الدولة الدقيق والشامل لأحكام الشرع واشراف أئمة آل سعود وأحيانا الشيخ محمد بن عبد الوهاب على تنفيذ الأحكام الشرعية بدقة وحزم وسرعة ، ومن هنا فان أثر الدعوة ودولتها على استتباب قدرجيد من الأمن الشامل فى منطقة نجد يعتبر أهم الآثار الاجتماعية للدعوة على بادية نجد التى كان لها الدور الأكبر فى تعكير صفو الأمن قبل قيام الدعوة السلفية ، ويمكن اعتبار الآثار الأخرى آثارا جانبية له الا أن قصر مدة هذة الدولة وخاصة فترة قوتها يجعلنا لا نفرط فى تصوير مدى قوة هذا الأمن واستمراره اذ لم يتسن للبدوى النجدى استيعاب محاولات الدولة وجهودها فى هذا السبيل الا فى فترة قوتها خوفا من الدولة وتأديبها لمن يخل بالأمن .

ولقد كانت جهود الدولة فى احلال الأخوة الاسلامية محل الخوة من جانبها الاجتماعى فى علاقاتها المتنوعة القائمة على القبلية والمصالح المشتركة فقط جيدة الى حد ما حيث تشير الأحداث التى مر ذكرها على حرص الدولة على قطع دابر أى علاقة يشم منها العودة الى الخوة القبلية والتعامل الاجتماعى على أساسها ، ونتيجة لذلك فقد خفت أساليب الثأر والتنابز بالمظاهر القبلية الممقوته اذا لم يكن ذلك تحت مظلة الاخاء الاسلامى فعلى الأقل للحفاظ على الأمن والخوف من الدولة ، على أن قسما من البدو قد رضى باحلال الأخوة الاسلامية محل الاخوة السابقة وبعض هذا القسم كان رضاه هذا عن اقتناع، والبعض الآخر قد جامل الدولة فى حرصها على الأخوة الاسلامية ،ولم يكن على اقتناع بجدوى مثل هذه الأخوة ،وكان تمثله بها ظاهرا أمام الدولة والعلماء ، ورضى من هذا التمثل بالتشدق بألفاظ يرضى بها ولاة الأمر وعلماء الدعوة حتى اذا سقطت الدرعية أعاد الخوة ــ فى علاقاتها المتنوعة ــ كأسلوب للتعامل الاجتماعى الذى يعتقد به .

وكما أوضحت فقد تركت الدعوة ودولتها آثارا واضحة فى نطاق التحرك الجماعى لبعض القبائل ، والتغيير القيادى فى بعض القبائل ، فقد حدث أن جلت أقسام من عنزة وشمر والظفير ــ بدرجة كبيرة ــ الى شمالى الجزيرة وجنوبى العراق والشام نتيجة عدم تأقلمها مع الوضع الاجتماعى الجديد مما ساعد على اثراء الوجود العربى البدوى فى تلك المناطق وتحضر بعض الاقسام الباقية فى نجد وأتاح للدعوة ودولتها الانطلاق فى تنفيذ أهدافها الاجتماعية الاصلاحية ، كما أن تدخل الدولة فى تعيين بعض شيوخ القبائل قد أوجد بعض المؤثرات الاجتماعية تجاه الدعوة ودولتها سواء من ناحية سلبية فى وجود بعض مظاهر التحدى لدى بعض الدواسر ، أو من ناحية ايجابية فى وجود ولاء عام

وشامل فى القبيلة كما فى قحطان ، ولا يبعد أن يكون مثل هذا الولاء فى هذه القبيلة أو غيرها قد دفع بعجلة التحضر قدما عن طريق الاقامة فى بعض القرى والبلدان النجدية ، أو تأسيس بلدان جديدة ، على أن الدعوة كما تركت آثارا اجتماعية عن طريق جلاء بعض الأفخاذ البدوية وتحضر بعضها فقد أتاحت لأفخاذ من قبائل أخرى ذات وجود قبلى محدود فى نجد قبل الدعوة تكثيف وجودها فى نجد كما حدث من عتيبة وحرب القبيلتين الحجازيتين النجديتين .

وبالاضافة الى تلك الآثار السابقة فقد تركت الدولة آثارا اجتماعية كقضائها على نظام الدخيل والربيط بعدم اجارة أى مجرم، مع تشجيع لنواحى الخير فى الاجارة — فى الوقت نفسه — بما لا يتعارض وأهداف الدولة فى ملاحقتها المجرمين وقطع دابر الجريمة ، كما نظر علماء الدعوة فى أهم قضية تعانى منها المرأة البدوية وهى التحجير فأفتوا بتحريمها وحفلت الرسائل الوعظية الصادرة من أئمة الدرعية بالحث على تكريم المرأة ، كما أفتى علماء الدعوة بعدم التنطع باللباس الذى كان متد ينو البدو يعتقدون أن له هيئة خاصة فى الحياة الاجتماعية الجديدة وقد أكد علماء الدعوة بجواز لبس ما جرت العادة بلبسه مادام مباح العادة ، وغير مشبه للباس الكفار ، وساترا للعورة وغير مسبل ،كما بحث علماء الدعوة فى أهم مشروبين جدا على حياة البدوى والنجدى عموما وهما التبغ والقهوة فحرموا الأولى — استنادا الى أضرارها — وأباحوا الأخرى بل دفعوا بالدولة الى تشجيع انتشار شربها واعتبارها من علامات الكرم فى نجد ، وبالجملة فقد كانت آثار الدعوة على الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد ذات مستوى جيد من الاصلاح ولو قدر للدولة عمر طويل لتمكنت من زيادة مثل هذه الآثار وتقويتها وقد أمكننى تلمس بعض هذه الآثار فى محاولات الدولة الاصلاحية ، وآراء العلماء الذين

يلقون من الدولة كل تقدير واحترام ، وتتبنى الدولة آراءهم وتنشرها في أوساط المجتمع النجدي حاضرة وبادية في كافة مجالات الحياة الاجتماعية .

وبعد : فان قيام دراسات متخصصة عن المجتمع البدوي في نجد أمر ضروري في كافة مجالات الدراسة وعبر فترات التاريخ المتعاقبة حتى لا نقع فيما وقع فيه مؤرخونا السابقون من اغفال لهذه الفئة الرئيسية في المجتمع ، ومن المؤسف أن يدرك الباحثون الغربيون السابقون والمعاصرون هذه الأهمية دون غيرهم ، على أن بعض الباحثين من البلدان المجاورة قد أدركوا جانبا من هذه الأهمية حيث أخرجوا بعض الكتب والأبحاث عن جوانب بوادي مناطقهم ، وهم في هذا قد تأثروا بما كتبه الغربيون الذين يعتبر بحق رائدا في هذا المجال رغم مايشوبه من عدم وضوح الرؤية عند الحديث عن تلك الأوضاع البدوية علاوة على وجود بعض الأهداف المريبة لدى بعض هؤلاء الغربيين ، ولا شك أن جودة ما كتبه هؤلاء قد جاء نتيجة معاناتهم الشخصية في العيش بين البدو ودراسة أحوالهم مما أوجد بينهم مجموعة من الباحثين المتخصصين في الأوضاع البدوية قديما وحديثا ، وان اطلاعا عاما على الأعمال الاستشراقية لتؤكد هذه الحقيقة ، اذ يوجد بينهم من تخصص في عادات وتقاليد البدو ، ومن تخصص في لهجات البدو ، بل ان بعضهم قد قام بأصدار موسوعات خاصة عن البدو شاملة لتاريخهم ، ومعالم الحضارة لديهم ، وقبائلهم في مناطقهم العربية ، ومن هنا فان تولي الجامعات للدراسات البدوية وتوجيه جانب من أبحاثها نحو هذا الغرض يعد من واجباتها الأولى ، ولا شك أن المجالات المتعددة لتلك الدراسات ستثري البحث في أي جانب منها ، في محاولة لاعطاء هذه الفئة الرئيسية

حقها من البحث و الدراسة ، وعدم ترك هذا المجال قاصرا على الغربيين أو على وسائل الاعلام المختلفة التى رغم جهدها الملموس فى هذا الصدد فلم تستطع أن تؤدى الدور المطلوب تجاه هذه الفئة ، و هذا عائد لوضعها المحدد فى أعطاء معلومات قصيرة عن الموضوعات العامة التى قد تتطرق اليها .

ان تشابه أساليب الحياة العامة البدوية القديمة و الحديثة يعطى البحث فى البادية عمقا تاريخيا اذ يستطيع الباحث عقد مقارنات بين بعض نواحى الحياة فى قبيلة معينة كبنى تميم أو طىء مثلا و رصد المتغيرات الكاملة أو الجزئية التى مرت بها عبر فترات التاريخ ، ومن هنا فان دراسة الحياة العامة لقبائل بادية نجد لا تنفك عن دراسة القبائل البدوية القديمة لوجود مثل ذلك التشابه ، فعلى سبيل المثال تعتبر النظرة البدوية للحياة الحضرية ، و الاغارات وما يندرج تحتها من غزو و سلب ، و أسلوب الكرم وما ينضوى تحته من عادات و أخلاق كريمة ، ظواهر اجتماعية يمكن عقد مقارنة بين البدو قديما و حديثا فيها ، على أن هناك مجالات دقيقة يمكن عقد مقارنة فيها كوسم المواشى مثلا وهو أسلوب لحفظ هذه المواشى يختلف من قبيلة لأخرى بل من فخذ لآخر أحيانا ، و هذا الأسلوب متأصل فى البدوى منذ القدم و حتى العصر الحاضر .

ان عدم الاهتمام بالدراسات البدوية المتخصصة من شأنه اهمال جانب كبير و أصيل من تاريخنا المحلى بل من تاريخنا الاسلامى العام نظرا للدور الأكبر الذى قام به قسم كبير من بدو شبه الجزيرة فى نشر الاسلام فى مراحله الأولى ببروز قبائل معينة فيه كبنى تميم و باهلة و طىء مثلا ، ولا غرابة فى ذلك فالبدو مادة الاسلام كما قرر ذلك الخليفة

الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وان نظرة فى أحداث التاريخ الاسلامى ، وكتب الأنساب لتؤكد هذا الدور سواء على مستوى القادة العسكريين أو على مستوى العلماء ، ومما يؤسف له أن هذا هو الآخر قد لقى بعض الاهتمام من الغربيين على حين غفلة وعدم اهتمام من الباحثين المحليين .

هذه بصورة عامة أهم الأفكار التى ضمها هذا البحث فى أبوابه وفصوله الرئيسية وأبرز النتائج التى أسفر عنها هذا العرض ، وكما سبق أن قلت فان بعض هذه النتائج جاءت تأكيدا لاجتهادات باحثين سابقين ، وبعضها الآخر قد أسمح لنفسى بوصفه بالجدة نوعا ما ، وفى نهاية هذه الخاتمة أرجو أن أكون قد قدمت صورة شبه واضحة عن أبرز معالم الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد وأثر الدعوة السلفية فيها حتى سقوط الدرعية ، وكلى أمل فى التماس العذر لى فى بعض الأخطاء والنواقص التى حفل بها هذا البحث من أساتذتى المناقشين ومن يطلع بعدهم على هذه الرسالة لشح المصادر فى هذا السبيل ، وعدم وضوح الصورة فى المتوفر منها ، وما توفيقى الا بالله والحمد لله رب العالمين .

الفهارس

أ- المصادر والمراجع:

أ - المصادر والمراجع:

أولا : المخطوطات :

١ - الألوسي : محمود شكري (١٢٧٣هـ/ ١٨٥٧م - ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م) .
أخبار بغداد وما جاورها من القرى والبلاد ، مكتبة المتحف العلمي العراقي رقم ١٠١٤٦ .

٢ - ابن بسام : عبد الله بن محمد بن عبد العزيز (١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م - ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) .
تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق ، نقله عن الأصل نور الدين شريبة سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م .

٣ - ابن حميد : محمد بن عبد الله (١٢٣٢هـ/ ١٨١٦هـ - ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م
السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ، نسخة مصورة عن مخطوطة خدابخش بتنه .

٤ - ابن سند : عثمان النجدي البصري (١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م - ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م) .
مطالع السعود بأخبار الوالي داود ، كتبه ابراهيم الدروبي عام ١٣٦٢هـ مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، وله صورة في مكتبة المتحف العلمي العراقي رقم ٤٩٩ .

٥ - الذكير : مقبل بن عبد العزيز (١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م - ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م) .
طوق الحمامة في أخبار اليمامة ، مكتبة الدراسات العليا كلية الآداب جامعة بغداد رقم ٥٦٩ .

٦ - " : العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية ، المكتبة السابقة ٥٧٠ .

ثانيا : المطبوعات:

٧ - أبا بطين : عبد المحسن بن عثمان
المجموعة البهية من الأشعار النبطية، ط(٣) نشر مكتبة الرياض الحديثة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.

٨ - ابراهيم : محمد حافظ (١٢٨٧هـ/ ١٨٧١م - ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م).
ديوان حافظ ابراهيم، تصحيح وشرح أحمد أمين وزميليه، ط(٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٩ - ابن الأثير : أبو الحسن على بن محمد (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م - ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م).
الكامل فى التاريخ، ط(٢) دار الكتاب العربى - بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

١٠- أبو العلا : محمود.
جغرافية شبه جزيرة العرب، ط(٣) مؤسسة سجل العرب القاهرة ١٩٧٥م.

١١- أسد : محمد (ليوبولد فايس سابقا).
الطريق الى مكة، ترجمه عفيف البعلبكى تحت اسم الطريق الى الاسلام ط(٢) دار العلم للملايين بيروت ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

١٢- الأصبهانى : أبو الفرج على بن الحسين القرشى.
الأغانى، تحقيق ابراهيم الابيارى، طبعة دار الشعب ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٣- الأصفهانى : الحسن بن عبد الله (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).
بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر، د. صالح العلى، ط(١) نشر دار اليمامة الرياض ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م على خلاف بينهما فى نسبة الكتاب فبينما يقول الجاسر: انه للأصفهانى يقول العلى : انه للأصمعى، والله أعلم.

١٤- أغاريد السعودية : شاعرة شعبية رمزت لاسمها بهذا اللقب
صدى الذكرى : ديوان شعر ، ط(١) المطابع الاهلية للأوفست ، نشر دار الناصر الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٥- الألباني : محمد ناصر الدين
سلسلة الأحاديث الصحيحة ط(٢) المكتب الاسلامي بيروت، دمشق ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٦- الأمين : عبد الامير محمد
المصالح البريطانية فى الخليج العربى (١٧٤٧م/١١٦٠هـ ١٧٧٨م/١١٩٢هـ) ، ترجمة هاشم لازم ، مراجعة مكي المؤمن مطبعة الارشاد بغداد نشر مركز دراسات الخليج العربي البصرة ، توزيع الدار الوطنية . بغداد ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

١٧- أنيس : محمد
الدولة العثمانية و الشرق العربى ، ط دار الجيل ، نشر مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة .

١٨- أولندر : جونار
ملوك كندة من بنى آكل المدار ، ترجمة و تعليق د . عبد الجبار المطلبى طبع دار الحرية ، و مطبعة الحكومة بغداد ، نشر جامعة بغداد ١٣٥٢هـ/١٩٧٣م.

١٩- البسام : عبد الله بن عبد الرحمن
علماء نجد خلال ستة قرون ، ط(١) مؤسسة الخدمات الطباعية بيروت ، نشر مكتبة النهضة الحديثة . مكة المكرمة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٢٠- البسام : محمد (ت١٢٤٦هـ/١٨٣٠م)
الدرر المفاخر فى أخبار العرب الأواخر ، تحقيق سعود العجمى ، ط(١) ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢١- ابن بشـــر : عثمان بن عبد الله (١٢١٠هـ/١٧٩٥م - ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م)
عنوان المجد في تاريخ نجد ، تحقيق و تعليق عبد الرحمن ابن عبد اللطيف آل الشيخ ، ط(٣) طبع و نشر وزارة المعارف السعودية ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

٢٢- ابن بطوطة : محمد بن عبد الله (٧٠٣هـ/١٣٠٤م - ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)
رحلة ابن بطوطة طبعة دار صادر بيروت

٢٣- البغدادي : عبد المؤمن بن عبد الحق (٦٥٨هـ/١٢٦٠م - ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة و البقاع، ط(١) دار المعرفة بيروت ، نشر دار الباز. مكة المكرمة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

٢٤- البكـــري : عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)
معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع ، تحقيـــق مصطفى السقا ، ط(١) لجنة التأليف و الترجمة و النشـــر القاهرة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

٢٥- البـــلادي : عاتق بن غيـــث
معجم معالم الحجاز، ط(١) دار مكة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٢٦- : نسب حرب، ط(٢) دار مكة المكرمة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٢٧- بلانـــت : الليدي آن
رحلة الى بلاد نجد ، ترجمة محمد أنعم غالب، ط(١) نشـــر دار اليمامة . الرياض ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.

٢٨- ابن بليهـد : محمد بن عبد الله (١٣١٠هـ/١٨٩٢م - ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)
صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، راجعـــه و ضبطه و صنع فهارسه محمد محيي الدين عبد الحميـــد ط (٢) ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٢٩- بند قجـــي : حسين حمـــزة
جغرافية المملكة العربية السعودية ، ط (٢) المطبعـة الفنية الحديثة ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية . القاهـرة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٣٠- البهلـــول : أحمد بن حسين (ت ١١١٣هـ/١٧٠١م)
ديوان البهلول ، مراجعة و تحقيق أحمد الزاوي الطرابلسي ط (٤) نشر مكتبة القاهرة . بالقاهرة ، المكتبة الاسلامية بالبحرين ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٣١- البهوتـــي : منصور بن يونس (١٠٠٠هـ/١٥٩١م -١٠٥١هـ/١٦٤١م)
شرح منتهى الارادات ، نشر مكتبة الرياض الحديثة . الرياض

٣٢- بيريـــن : جاكليـــن (ولد سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م)
اكتشاف جزيرة العرب ، ترجمة قدري قلعجي ، دار الكاتب العربي . بيروت ، مكتبة النهضة . بغداد .

٣٣- الترمانينـي : عبد الســلام
الرق : ماضيه و حاضره ، سلسلة عالم المعرفة ، مطابع اليقظة . الكويت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٣٤- الترمـذي : محمد بن عيسى (٢٠٩هـ/٨٢٤م -٢٧٩هـ/٨٩٢م)
الجامع الصحيح ، المعروف بسنن الترمذي ، نشر دار الفكر بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٣٥- توتيشـــل : ك ، س ، ادوارد جورجي
المملكة العربية السعودية و تطورات مصادرها الطبيعية ، ترجمة شكيب الأموي ، دار احياء الكتب العربية . القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

٣٦- ابن تيميـــة : أحمد بن عبد الحليم (٦٦١هـ/١٢٦٣م -٧٢٨هـ/١٣٢٨م)
الفرقان بين أولياء الله و أولياء الشيطان ، ط (٤) المطبعة السلفية . القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٣٧- الشيرى : محمد بن أحمد
الفنون الشعبية فى الجزيرة العربية ، المطبعة العمومية بدمشق ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٣٨- الجاسر : حمد بن محمد
مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، ط(١) نشر دار اليمامة الرياض ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٣٩- " : مقدمة المعجم الجغرافى للبلاد السعودية ، ط(١) مطبعة نهضة مصر ، نشر دار اليمامة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٤٠- " : شمال المملكة ، ط(١) المطبعة العربية الحديثة . القاهرة نشر دار اليمامة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٤١- " : فى شمال غرب الجزيرة ، ط(١) مطبعة المتنبى . بيروت نشر دار اليمامة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٤٢- " : أبو على الهجرى وأبحاثه فى تحديد المواضع ، ط(١) نشر دار اليمامة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٤٣- " : معجم أنساب الأسر المتحضرة فى نجد ، ط(١) مطبعة نهضة مصر . القاهرة ، نشر دار اليمامة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٤٤- " : معجم قبائل المملكة العربية السعودية ، ط(١) المطابع الأهلية . الرياض ، نشر نادى الرياض الادبى ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٤٥- " : المنطقة الشرقية ، ط(١) مطبعة نهضة مصر ، نشر دار اليمامة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٤٦- " : المرأة فى حياة امام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بحث قدم لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب . الذى عقدته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٤٧- ابن جبير : محمد بن أحمد الكنانى الأندلسى (٥٤٠هـ/١١٤٥م - ٦١٤هـ/١٢١٧م)
رحلته المسماة " تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الأسفار" طبع دار صادر ودار بيروت ، نشر دار الباز . مكة .

٤٨- الجزيرى : عبد القادر بن محمد (٨٨٠هـ/١٤٧٥م -٩٧٧هـ/١٥٧٠م)
درر الفوائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، المطبعة السلفية . القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٤٩- الجميل : مكى
البداوة والبدو فى البلاد العربية ، مطابع الشركة الثلاثية . عمان.الأردن ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

٥٠- ابن جنيدل : سعد بن عبد الله
عالية نجد ، مطبعة نهضة مصر ، نشر دار اليمامة ضمن المعجم الجغرافى للمملكة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٥١- الجهيمان : عبد الكريم
الأمثال الشعبية فى قلب جزيرة العرب ، ط(٢) دار الثقافة بيروت ، نشر دار أشبال العرب . الرياض ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٥٢- الحاتم : عبد الله بن خالد
خيار ما يلتقط من الشعر النبط ، ط(٣) نشر دار ذات السلاسل . الكويت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٥٣- أبو حاكمة : أحمد مصطفى
تاريخ الكويت ، مطبعة حكومة الكويت، نشر لجنة تاريخ الكويت ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧م.

٥٤- " : تاريخ شرقى الجزيرة العربية ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت .

٥٥- الحربـــي : ابراهيم بن اسحاق (١٩٨هـ/٨١٥م ـ ٢٨٥هـ/٨٩٨م) المناسك وأماكن طرق الحج و معالم الجزيرة، تحقيـــق حمد الجاسر، مطبعة المتنبي . بيروت . نشر دار اليمامة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٥٦- ابن حـــزم : محمد بن على (٣٨٤هـ/٩٩٤م - ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف . القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

٥٧- حســـن : حسن ابراهيـم تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط (٧) مطبعة السنة المحمدية . القاهرة ، نشر مكتبـة النهضة المصرية . القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٥٨- " : وبالاشتراك مع أخيه على النظم الاسلامية ، ط(٤) مطبعة السنة المحمدية، نشـر مكتبة النهضة المصرية ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٥٩- ابن حسـين : محمد بن سعـد الشيخ بن عبد الله بن بليهد وآثاره الأدبية ، ط (١) مطابع اليمامة . الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٦٠- آل حســين : محمد بن عبد الله (١٣٠٨هـ/١٨٩٠م - ١٣٨١هـ/١٩٦١م) الزوائد في فقه الامام أحمد بن حنبل ، ط(٢) مطبعـة البيان ، و مطبعة الفجالة الجديدة . القاهرة .

٦١- الحقيـــل : حمد بن ابراهيم كنز الأنساب و مجمع الآداب ، ط(٥) ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م

٦٢- الحـــلاق : أحمد البديـرى حوادث دمشق اليومية (١١٥٤هـ/١٧٤١م ـ ١١٧٥هـ / ١٧٦٢م) تنقيح الشيخ محمد سعيد القاسمي ، تحقيـــق

د . أحمد عزت عبد الكريم ، ط (١) مطبعة لجنة البيان العربي . القاهرة ، نشر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

٦٣- الحموى : ياقوت بن عبد الله (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م - ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)
معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت .

٦٤- الحميدان : عبد اللطيف الناصر
امارة العصفوريين ، بحث مستل من مجلة كلية الآداب جامعة البصرة عدد ٥ السنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. مطبعة جامعة البصرة .

٦٥- ابن حنبل : الامام أحمد بن محمد الشيباني الوائلي (١٦٤هـ/ ٧٨٠م - ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)
المسند ، ط (٢) دار الفكر ، والمكتب الاسلامي . بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

٦٦- " : رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تعليق اسماعيل الانصاري ، مطابع القصيم ، نشر دار الافتاء السعودية ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٦٧- الخربوطلي : علي
الحضارة العربية الاسلامية ، المطبعة العربية الحديثة ، نشر مكتبة الخانجي . القاهرة .

٦٨- خزعل : حسين خلف
حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ط (١) مطابع دار الكتب بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٦٩- الخطيب : عمر عودة
نظرات اسلامية في مشكلة التمييز العنصري ، ط (٢) مؤسسة الرسالة ، نشر الشركة المتحدة بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٧٠- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (٧٣٢هـ/١٣٣٢م - ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مؤسسة الأعلمي .
بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٧١- ابن خميس : عبد الله بن محمد
المجاز بين اليمامة والحجاز ، نشر دار اليمامة
١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٧٢- " : معجم اليمامة ، ط(١) مطبعة الفرزدق ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٧٣- " : راشد الخلاوي،نشر دار اليمامة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٧٤- " : الأدب الشعبي في جزيرة العرب ، ط (٢) مطابع الفرزدق
الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٧٥- " : من أحاديث السمر ، ط (١) مطابع شركة حنيفة للأوفست
الرياض ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٧٦- " : الدرعية . العاصمة الأولى ، ط(١) مطابع الفرزدق ١٤٠٢هـ/
١٩٨٢م .

٧٧- الخويطر : عبد العزيز العبد الله
عثمان بن بشر : منهجه ومصادره، ط(٢) مطابع اليمامة
الرياض ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٧٨- ابن خياط : خليفة (قيل ولد سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م- ٢٤٠هـ/٨٥٤م)
تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق د . أكرم العمري ، ط (٢)
مطبعة محمد الكتبي نشر دار القلم ومؤسسة الرسالة .
بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٧٩- أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢هـ/٨١٧م-
٢٧٥هـ/٨٨٨م)
السنن، تعليق عزت الدعاس ، وعادل السيد ، ط(١) نشر
وتوزيع دار الحديث . حمص سورية .

٨٠- دحـــلان : أحمد زيني (١٢٣٢هـ/١٨١٧م - ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م)
خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام ، تصوير عن الطبعة الأولى . المطبعة الخيرية مصر ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م.

٨١- دوزي : رينهارت بيتر آن (١٢٣٥هـ/١٨٢٠م - ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م)
تاريخ مسلمي أسبانيا ، ترجمة د . حسن حبشي ، دار المعارف القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

٨٢- ديكســون : هـ . ره ب .
الكويت وجاراتها ، ط(١) نشر جاسم الجاسم ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٨٣- ديورانـــت : و . ل .
قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، ط(٣) لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ، نشر الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٨٤- الــــراوي : عبد الجبـــار
البادية ، ط (٣) ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٨٥- الربيعــان : فهد المحمــد
العربينات ، مطابع البادية الرياض ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٨٦- السيد رجب : عمر الفاروق
دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية ، ط (٢) شركة الخدمات الصحافية والطباعية . بيروت ، نشر دار الشروق . جدة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٨٧- ابـن رداس : عبد الله بن محمد
شاعرات من البادية ، دار اليمامة . الرياض .

٨٨- الريحاني : أمين بن فارس(١٢٩٣هـ/١٨٧٦م - ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م)
نجد و ملحقاته، ط(٤) مؤسسة الريحاني . بيروت
١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٨٩- الرويشد : عبد الرحمن بن سليمان
الوهابية : حركة الفكر و الدولة الاسلامية ، ط(٢) دار
العلوم للطباعة . القاهرة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٩٠- الريكي : حسن بن جمال بن أحمد
لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق
د . أحمد أبو حاكمة ، مطابع بيبلوس الحديثة ، بيروت
١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، نشر دار الثقافة . بيروت .

٩١- ريموند : جان
مذكرات في أصل الوهابيين ، تقرير مقدم الى ديه شامباني
وزير الخارجية الفرنسي في عهد نابليون ، كتب سنة ١٢٢٣هـ/
١٨٠٨م ، وهو مستخرج من محفوظات تلك الوزارة، و مترجم
الى العربية و مطبوع على الآلة الكاتبة .

٩٢- الزبيدي : محمد مرتضى بن محمد الحسيني الواسطي (١١٤٥هـ/
١٧٣٢م - ١٢٠٥هـ/١٨٩٠م)
تاج العروس من جواهر القاموس ، نسخة مصورة عن الطبعة
الأولى . المطبعة الخيرية مصر سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م نشر
دار مكتبة الحياة . بيروت .

٩٣- الزركلي : خير الدين بن محمود (١٣١٠هـ/١٨٩٣م - ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م
الأعلام . قاموس تراجم، ط(٣) بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٩٤- " : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ط (٢) دار العلم
للملايين بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٩٥ - زيدان : جورجي بن حبيب ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١ م - ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)
طبقات الأمم، دار التراث . بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٩٦ - السباعي : أحمد
تاريخ مكة ،ط (٤) دار مكة للطباعة نشر نادى مكة الثقافي ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٩٧ - السديري : محمد الأحمد
أبطال من الصحراء ،مطابع دار الكتب . بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٩٨ - ستودارد : لوثروب
حاضر العالم الاسلامي ، ترجمة عجاج نويهض، اضافات شكيب أرسلان ،ط (٤) دار الفكر . بيروت ، القاهرة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٣م .

٩٩ - السعدي : عبد الرحمن بن ناصر (١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م - ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م)
تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تحقيق محمد زهري النجار، مطابع الدجوى . القاهرة، نشر المؤسسة السعيدية . الرياض .

١٠٠ - أبو السعود بن محمد العمادي (٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م - ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م)
ارشاد العقل السليم مزايا الكتاب الحكيم، تحقيق عبد القادر عطا ، مطبعة السعادة . القاهرة ،نشر مكتبة الرياض الحديثة . الرياض .

١٠١ - سعيد : أمين
سيرة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،طبع سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

١٠٢- سعيد : أمين
الخليج العربي ، مطابع الغد ، نشر دار الكاتب العربي بيروت .

١٠٣- السليمان : علي بن حسين
العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة ، توزيع دار حراء . القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١٠٤- السمعاني : عبد الكريم بن محمد التميمي (٥٠٦هـ/ ١١١٢م - ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)
الأنساب ،ط (٢) نشر محمد أمين دمج بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م صدر منه حتى الآن ١٠ أجزاء بتحقيق عدد من الباحثين والعلماء كل جزء بتحقيق واحد أو مجموعه منهم.

١٠٥- السويدي : محمد أمين بن علي (ت١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م)
سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، نشر دار احياء العلوم . بيروت .

١٠٦- شاكر : محمود
شبه جزيرة العرب (نجد) المكتب الاسلامي . بيروت دمشق ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

١٠٧- " : قفقاسيا ،ط مؤسسة الرسالة ،نشر الشركة المتحدة للتوزيع . بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٠٨- الشبل : عبد الله بن يوسف
تاريخ نجد والدولة السعودية، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

١٠٩- الشبل : عبد الله بن يوسف
محمد بن عبد الوهاب . حياته ودعوته ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، نشر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١١٠- " : أهم المصادر النجدية لتاريخ الدولة السعودية . دراسة تحليلية . رسالة دكتوراه من جامعة الاسكندرية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م لم تنشر بعد .

١١١- الشريف : عبد الرحمن
جغرافية المملكة العربية السعودية ، ط (١) مطبعة نهضة مصر ، نشر دار المريخ . الرياض ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١١٢- شلبي : أحمد
مقارنة الأديان (المسيحية) ، ط(٥) نشر مكتبة النهضة المصرية ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١١٣- الشوكاني : محمد بن علي (١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م- ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م)
فتح القدير ، ط(٢) مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

١١٤- آل الشيخ : عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م- ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م)
فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، نشر وتوزيع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد الرياض .

١١٥- آل الشيخ : عبد الرحمن بن عبد اللطيف
مشاهير علماء نجد وغيرهم ، ط(١) دار اليمامة الرياض ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١١٦- آل الشيخ : عبد اللطيف بن عبد الرحمن (١٢٢٥هـ/١٨١٠م - ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م)
الرسائل المفيدة ، تصحيح عبد الرحمن الرويشد ، دار العلوم للطباعة . القاهرة .

١١٧- الصابوني : محمد علي
صفوة التفاسير ، ط(١) شركة الطباعة العربية السعودية العمارية . الرياض ، نشر دار القرآن الكريم بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

١١٨- الصالح : صبحي
النظم الاسلامية . نشأتها و تطورها ، ط (٤) دار العلم للملايين . بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

١١٩- الصاوي : محمد اسماعيل
شرح ديوان جرير ، ط(١) المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م .

١٢٠- الصقري : عبد الله بن سعود
من نوادر الأشعار ، ط(١) مطابع الرياض ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

١٢١- ابن صقيه : عبد الله بن علي
بنو تميم في بلاد الجبلين ، المطابع الأهلية للأوفست ودار اليمامة الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

١٢٢- الصياد : محمد محمود
الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية في القرن التاسع ، بحث قدم للندوة الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية . مطابع جامعة الملك سعود ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

١٢٣- الطاسي : ابراهيم بن سليمان
نزهة النفس الأدبية في القصص والحكايات الغريبة ،
مطبعة كرم / دمشق ١٣٨٤ / ١٩٦٤م.

١٢٤- الطبري : محمد بن جرير (٢٢٤هـ/ ٨٣٩م - ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)
تاريخ الأمم والملوك ، تصوير دار الفكر . بيروت
١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م عن طبعة المطبعة الحسينية المصرية .

١٢٥- الطعيس : صالح بن ناصر
مدينة حريملاء ، مطابع المجد . الرياض .
١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٢٦- العاملي : أحمد رضا
قاموس رد العامي الى الفصيح ، ط (٢) دار الرائد
العربي . بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٢٧- العاملي : محسن الأمين
كشف الارتياب ، ط (٣) مطبعة ابن زيدون . دمشق
١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م .

١٢٨- عبد الحميد : سعد زغلول
في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار النهضة العربية .
بيروت ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

١٢٩- ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله (٣٦٣هـ/ ٩٧٣م - ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)

الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ط (١) مطبعة السعادة
مصر ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م.

١٣٠- ابن عبد ربه : أحمد بن محمد الاندلسي (٢٤٦هـ/ ٨٦٠م- ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)
العقد الفريد ، دار الفكر . بيروت ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م .

١٣١- عبد الرحيم : عبد الرحيم عبد الرحمن
الدولة السعودية الأولى ، ط(٢) مطابع دار نافع
نشر معهد البحوث جامعة الدول العربية
١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

١٣٢- آل عبد المحسن: ابراهيم بن عبيد
تذكرة أولى النهى والعرفان ، ط(١) مطابع مؤسسة
النور . الرياض .

١٣٣- ابن عبد الوهاب: الشيخ محمد (١١١٥هـ/١٧٠٣م - ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م)
مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، مطابع
الرياض نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
فى أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب
١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٣٤- « : الرسائل الشخصية ، جامعة الامام محمد بن سعود
الاسلامية ،أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

١٣٥- العبودى : محمد بن ناصر
الأمثال العامية فى نجد ، المطابع الأهلية للأوفست
الرياض . نشر دار اليمامة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٣٦- « : بلاد القصيم ، مطبعة نهضة مصر القاهرة ،نشر دار
اليمامة ١٤٠٠هـ/١٩٨١م .

١٣٧- ابن عتيق : سعد بن حمد (١٢٧٩هـ/١٨٦٢م - ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م)
مجموعة رسائله ، نشر دار الهداية - الرياض .

١٣٨- العثيمين : عبد الله الصالح
الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،مطبعة نهضة مصر. القاهرة
نشر دار العلوم . الرياض .

١٣٩- العجلاني : منير
تاريخ البلاد العربية السعودية في دورها الأول باجزائه الأربعة .

١٤٠- عز الدين : يوسف
داود باشا ونهاية المماليك في العراق ، ط (٢) مطبعة الشعب . بغداد ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

١٤١- العسقلاني : أحمد بن علي بن حجر (٧٧٣هـ/ ١٣٧١م - ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)
الاصابة في تمييز الصحابة ، ط (١) مطبعة السعادة مصر ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م.

١٤٢- " : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، مراجعة وتعليق طه عبد الرؤوف سعد وزميليه ، شركة الطباعة الفنية ، نشر مكتبة الكليات الازهرية . القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٤٣- العشي : عرفات كامل
رجال ونساء أسلموا ، ط (١) الدار الكويتية . الكويت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

١٤٤- العصامي : عبد الملك بن حسين (١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م - ١١١١هـ/١٦٩٩م)
سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي ، المطبعة السلفية . القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

١٤٥- العقاد : صلاح
رحلة كارستن نيبور ، بحث قدم للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ شبه الجزيرة العربية بجامعة الملك سعود . مطابع جامعة الملك سعود ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٤٦- العقيقي : نجيب
المستشرقون، ط(٤) دار المعارف. القاهرة
١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٤٧- أبو علية : عبد الفتاح حسن
الدولة السعودية الثانية، مؤسسة الانوار للنشر والتوزيع
الرياض.

١٤٨- العمري : جلال الدين
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ترجمه عن الأردية
محمد أجمل الاصلاحي، شركة الشعاع. الكويت.

١٤٩- العنزي : عبد الله
ديوان الوائلي. شعر وأنساب قبائل عنزة، مطابع
النرجس. الرياض.

١٥٠- ابن عيسى : ابراهيم بن صالح (١٢٧٠هـ/١٨٥٣م -
١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)
تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، نشر دار اليمامة.

١٥١- غالب : محمد أديب
من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي. دار
اليمامة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

١٥٢- الفرايبة : عبد الكريم
قيام الدولة السعودية العربية، مطبعة الجبلاوي، نشر
معهد البحوث العربية بجامعة الدول العربية
١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

١٥٣- ابن غنام : حسين بن أبي بكر (ت ١٢٢٥هـ/١٨١٠م)
روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الامام وتعداد

غزوات ذوى الاسلام ، ط (١) شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابى الحلبى و أولاده بمصر ، نشر المكتبة الأهلية بالرياض ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

١٥٤- الفاخرى : محمد بن عمر (١١٨٦هـ / ١٧٧٢م — ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م)
الأخبار النجدية ، دراسة و تحقيق الدكتور عبد الله الشبل ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلاميه نشر لجنة البحوث و الترجمة و النشر بالجامعة . الكتاب رقم (١٠) .

١٥٥- الفاسى المكى : محمد بن أحمد الحسينى (٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م) — ٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م)
العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة السنة المحمدية . القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

١٥٦- أبو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن على (٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م — ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)
المختصر فى أخبار البشر ، دار المعرفة . بيروت .

١٥٧- الفراء : أبو يعلى محمد بن الحسين الحنبلى (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م- ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)
الأحكام السلطانية ، تعليق محمد حامد الفقى ، ط (٣) . مكتبة و مطبعة البابى الحلبى . القاهرة .
١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

١٥٨- الفرج : خالد بن محمد (١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م — ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م)
ديوان النبط ، المطبعة العربية . القاهرة ، نشر المكتبة الأهلية . الرياض .

١٥٩- : عبد الله الفرج في شعره العامي النبطي ، منشورات دار ذات السلاسل ، الكويت .

١٦٠- فروخ : عمر
تاريخ الجاهلية ، مطابع دار الكتب ، بيروت ، نشر دار العلم للملايين ، بيروت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

١٦١- الفيروز ابادى: محمد بن يعقوب (٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م - ٨١٧هـ/ ١٤١٥م)
القاموس المحيط ، نشر دار العلم للجميع ، بيروت .

١٦٢- ابن قائد : عثمان بن أحمد النجدى (ت١٠٩٧هـ/ ١٦٨٥م)
هداية الراغب لشرح عمدة الطالب، تحقيق الشيخ حسنين محمد مخلوف ، مطبعة المدني المؤسسة السعودية القاهرة .

١٦٣- قاسم : جمال زكريا
الدوافع السياسية لرحلات الأوربيين الى نجد والحجاز خلال القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ، بحث قدم للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، مطابع جامعة الملك سعود ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٦٤- ابن قاسم : عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدى (١٣١٩هـ/ ١٩٠١م - ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)
الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ط(٢) مطبوعات دار الافتاء السعودية ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

١٦٥- القاضي : محمد عثمان
روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين ، مطبعة الحلبي القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٦٦- قطب : سيد (١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م - ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)
في ظلال القرآن ، ط(٥) دار أحياء التراث العربي بيروت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

١٦٧- دى قوصيل : بيير
الحياة فى العراق منذ قرن (١٨١٤م - ١٩١٤م)
ترجمة أكرم فاضل ، ط المؤسسة العامة للصحافة والطباعة . بغداد ، نشر وزارة الأعلام والثقافة العراقية . سلسلة الكتب المترجمة رقم (٤) ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

١٦٨- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبى بكر (٦٩١هـ/ ١٢٩٢م — ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)
زاد المعاد فى هدى خير العباد ، مراجعة وتقديم طه عبد الرؤوف طه ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده . القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

١٦٩- ابن كثير : أبو الفداء اسماعيل بن عمر (٧٠١ هـ/ ١٣٠٢م - ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م)
البداية والنهاية ، ط(٣) مكتبة المعارف . بيروت. ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٧٠- " : التفسير ، ط(١) دار الفكر . نشر مكتبة الرياض الحديثة الرياض ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٧١- كحالة : عمر رضا
معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط(٢) دار العلم للملايين . بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

١٧٢- كرد على : محمد بن عبد الرزاق (١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م — ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م)
الاسلام والحضارة العربية ، ط(٣) لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

١٧٣- الكركوكلى : رسول بن حساوى (ت. ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م)
دوحة الوزراء فى تاريخ وقائع بغداد الزوراء ، نقله عن

التركية موسى كاظم نورس ، مطبعة كرم ، بيروت ، نشر دار الكاتب العربي ، بيروت ، و مكتبة النهضة ببغداد .

١٧٤- الكرملي : الأب أنستاس ماري (١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م — ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م)
خلاصة تاريخ العراق الى يومنا هذا ، مطبعة الحكومة . البصرة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م .

١٧٥- كشك : محمد جلال
السعوديون و الحل الاسلامي ، ط (٣) شركة مودى جرافيك ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

١٧٦- كمال : محمد سعيد
الأزهار النادية من أشعار البادية ، صدر منها حتى الآن سبعة عشر جزءاً صغيرة ، ط (١) مطابع دار الكتاب العربي . القاهرة ، نشر مكتبة المعارف . الطائف .

١٧٧- كيلي : جون . ب .
بريطانيا و الخليج (١٧٩٥م - ١٨٧٠م) ترجمة محمد أمين عبد الله ، مطبعة عيسى الحلبي . القاهرة نشر وزارة التراث القومي و الثقافة بسلطنة عمان .

١٧٨- ابن لعبون : حمد بن محمد (ت ١٢٥٥هـ/ ١٨٢٩م)
تاريخ ابن لعبون ، ط (١) مطبعة أم القرى . مكة المكرمة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م .

١٧٩- لوبون : غوستاف
حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، ط (٣) دار احياء الكتب العربية القاهرة ، نشر دار احياء التراث العربي بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

١٨٠- لوريمـــر : جون غــورد ون
دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ترجمة مكتب الترجمة بديوان أمير قطر . الدوحة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

١٨١- لونكريك : ستيفن هيمسلي (ولد سنة ١٣١١هـ/١٨٩٣م)
أربعمائة سنة في تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط تحت اسم أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ط(٥) نشر مكتبة التحرير . بغداد .

١٨٢- اللويحـــان: عبد اللـــه
روائع من الشعر الشعبي ، ط(٢) مطابع القوات المسلحة السعودية ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٨٣- ابن ماجــه : محمد بن يزيد (٢٠٧هـ/٨٢٢م - ٢٧٥هـ/٨٨٨م)
السنن ، تحقيق و تعليق محمد فؤاد عبد الباقـــي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٣٩٥هـ/١٩٧٨م.

١٨٤- المـــارك : فهد (ت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)
من شيم العرب ، ط(٣) ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٨٥- ماضـــي : محمد عبد اللـــه
النهضات الحديثة في جزيرة العرب، ط(٢) نشـــر دار احياء الكتب العربية ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.

١٨٦- مالك بن أنـــس (الامام) (٩٣هـ/٧١٢م - ١٧٩هـ/٧٩٥م)
الموطأ : رواية يحيى بن يحيى الليثي ، اعداد أحمد عرموش ، ط(٥) دار النفائس بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٨٧- قطعة أخرى برواية ابن زياد ، تقديم و تحقيق محمد الشاذلي النيفر ، ط (٣) دار الغرب الاسلامـــي . بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

١٨٨- المانع : محمد
توحيد المملكة العربية السعودية ، ترجمة د . عبد الله الصالح العثيمين ، ط(١) مطابع المطوع. الدمام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٨٩- المختار : صلاح الدين
تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها و حاضرها ، ط (١) منشورات دار الحياة بيروت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

١٩٠- مجموعة مستشرقين :
دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة محمد ثابت الفندى وزملائه ، نسخة مصورة عن طبعة عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م انتشارات جهان طهران .

١٩١- مجموعة باحثين عرب : باشراف محمد شفيق غربال
الموسوعة العربية الميسرة ، صورة طبق الأصل عن طبعة دار الشعب ، و مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر . القاهرة ١٩٦٥م.

١٩٢- مدكور : ابراهيم ، و نخبة من أساتذة علم الاجتماع
معجم العلوم الاجتماعية ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، نشر اليونسكو ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

١٩٣- مرسى عباس : السيد أحمد
فهارس عنوان المجد لابن بشر ، ط(١) مطبعة المدينة الرياض ، نشر دارة الملك عبد العزيز . الرياض ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

١٩٤- مردم بك : خليل
أعيان القرن الثالث عشر ، ط(٢) مؤسسة الرسالة. بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١٩٥- المغيري : عبد الرحمن بن حمد
الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب ، مطبعة المدني
القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م ، نشر الشيخ علي بن
عبد الله آل ثاني .

١٩٦- المسعودي : علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط (٤) مطبعة
السعادة ، نشر المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة
١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

١٩٧- " : التنبيه والاشراف ، نشر دار التراث بيروت .
١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

١٩٨- مسلم بن الحجاج القشيري (٢٠٤هـ/٨٢٠م - ٢٦١هـ/٨٧٥م)
صحيح مسلم بشرح النووي ، ط (٢) دار الفكر. بيروت
١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

١٩٩- المصراتي : علي مصطفى
ابن غلبون مؤرخ ليبيا ، ط (٢) دار العودة ، مطبعة
المتنبي . بيروت ، نشر دار الفكر، طرابلس ليبيا
١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٢٠٠- مغنية : محمد جواد
هذه هي الوهابية ، ط (١) بيروت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٢٠١- ابن منقذ : أسامة بن مرشد
(٤٨٨هـ/١٠٩٥م - ٥٨٤هـ/١١٨٨م)
المنازل والديار، ط (١) المكتب الاسلامي . دمشق
بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٢٠٢- المنقـــور : أحمد بن محمد (١٠٦٧هـ/١٦٥٦م - ١١٢٥هـ/١٧١٣م)
تاريخ المنقور ، تحقيق و نشر الدكتورعبد العزيزالخويطر
ط (١) مطابع الجزيرة الرياض ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٢٠٣- " : الفواكه العديدة في المسائل المفيدة ، ط (٢) نشر دار الآفاق الجديدة . بيروت .

٢٠٤- " : جامع المناسك الثلاثة الحنبلية ، تحقيق محمد زهير الشاويش ، ط (٣) المكتب الاسلامي . بيروت ، دمشق ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٢٠٥- مهـــران : محمد بيومـــي
دراسات في تاريخ العرب القديم ، المطابع الأهليـــة للأوفست . الرياض ، نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية . المكتبة التاريخية (١) ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

٢٠٦- مؤلف مجهول :
كيف كان ظهور شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق د . عبد الله الصالح العثيمين ، مطابع دار الهلال الرياض . نشر دارة الملك عبد العزيـــز ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٠٧- الميدانـــي : أحمد بن محمد (ت٥١٨هـ/١١٢٤م)
مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط مطبعة السنة المحمدية . القاهرة ، نشر و توزيـــع دار الباز . مكة المكرمة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

٢٠٨- نافـــع : محمـــد مبروك
تاريخ العرب . عصر ما قبل الاسلام ، ط(٢) مطبعـــة السعادة . مصر ١٩٥٢م .

٢٠٩- النـدوى : مسعود
محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم و مفترى عليه ،
ترجمة عبد العليم البستوى ، ط(١) مطبعة زمزم
مكة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٢١٠- النسائي : أحمد بن على بن شعيب (٢١٥هـ / ٨٣٠م — ٣٠٣هـ / ٩١٥م)
السنن الكبرى ، شرح جلال الدين السيوطى ، وحاشية
الامام السندى ، نشر المكتبة العلمية بيروت، مكتبة
الباز . مكة المكرمة .

٢١١- ابن نفيسة : سعد بن محمد
اضمامة من التراث ، نشر دار الوطن . الرياض .
١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢١٢- نـوار : عبد العزيز سليمان
داود باشا والى بغداد ، دار الكاتب العربى ، نشر
وزارة الثقافة . القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٢١٣- ابن الوردى: عمر بن مظفر(٦٩١هـ/١٢٩٢م - ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)
تتمة المختصر فى أخبار البشر، اشراف أحمد رفعت
البدرى، ط(١) دار المعرفة . بيروت
١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

٢١٤- ابن الوزير: الحسين بن على المغربى (٣٧٠هـ/ ٩٨٠م — ٤١٨هـ / ١٠٢٧م)
أدب الخواص فى المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها
وأنسابها وأيامها ، أعده للنشر حمد الجاسر، المطابع
الأهلية للأوفست . الرياض ، نشر نادى الرياض الأدبى
باشراف دار اليمامة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٢١٥- ويلسون : أرنولد . تالبوت
(١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م - ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م)
الخليج العربي . ترجمة د. عبد القادر يوسف ، مؤسسة المرزوق الصحفية الكويت ، نشر مكتبة الأمل الكويت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢١٦- ابن هشام : عبد الملك (ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م)
السيرة النبوية . تحقيق مصطفى السقا وزميليه ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

٢١٧- الهمداني : الحسن بن أحمد (٢٨٠هـ/ ٨٩٣م - ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)
صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد الأكوع ، نشر دار اليمامة الرياض ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢١٨- هولفريتز : هانز
اليمن من الباب الخلفي ، تعريب خيري حماد ، نشر المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر . بيروت .

ثالثا : الدوريـــــات :

١ - مجلة الحرس الوطني السعودى . الرياض

٢ - مجلة الدارة . الرياض

٣ - مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية . الكويت

٤ - مجلة العرب . الرياض

٥ - مجلة العربى . الكويت

٦ - مجلة قافلة الزيت . الظهران

٧ - مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود (الرياض سابقا)

٨ - مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية . الرياض .

٩ - مجلة الكويت . الكويت

١٠ - صحيفة الجزيرة السعودية . الرياض

١١ - صحيفة الرياض السعودية . الرياض

١٢ - صحيفة السياسة الكويتيــة . الكويت

رابعا : الكتب الأجنبيـــة :

1- Bu Khardt, John, Lewis
Note on the bedouins, and, Wahabys, London. 1831

2- Winder, R.B.,
Saudi Arabia, in the ninteenth Century,
New York, 1965.

3- Al-Thenayan, Mohammed.
History. writting in Nagd (A.H. 1000-1150/ A.D. 1591- 1737)
A thesis submitted to the University of Exeter, for the Degree of
Doctor, of Philosophy, 1976.

ب ـ محتويات الرسالة :

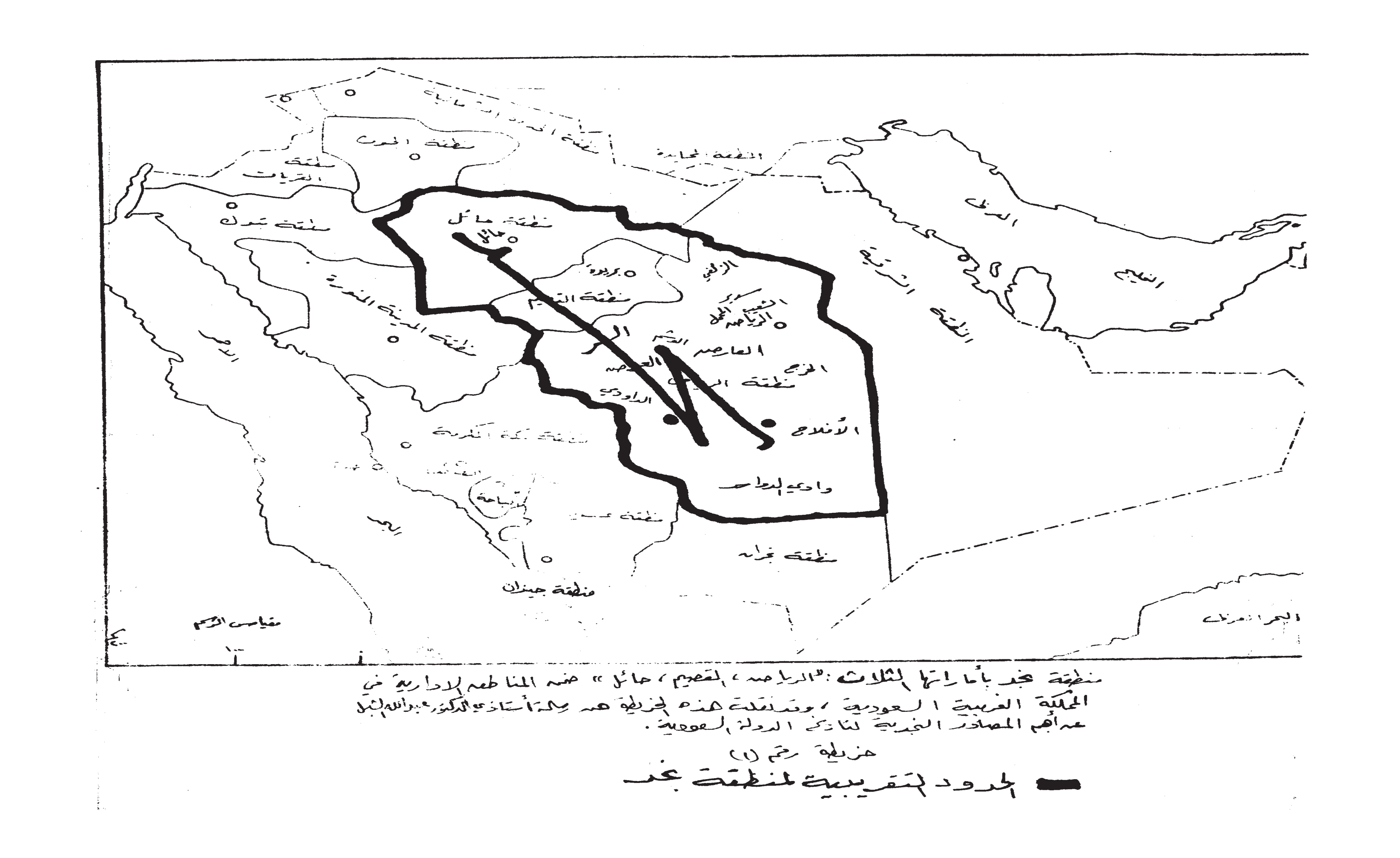
الخرائط والصور

١- أقاليم نجد وموقعها ضمن المناطق الإدارية في المملكة العربية السعودية في العصر الحاضر.

٢- أهم البلدان والقرى النجدية الواردة في هذه الرسالة.

٣- أماكن تواجد القبائل الواردة في العصر الحاضر.

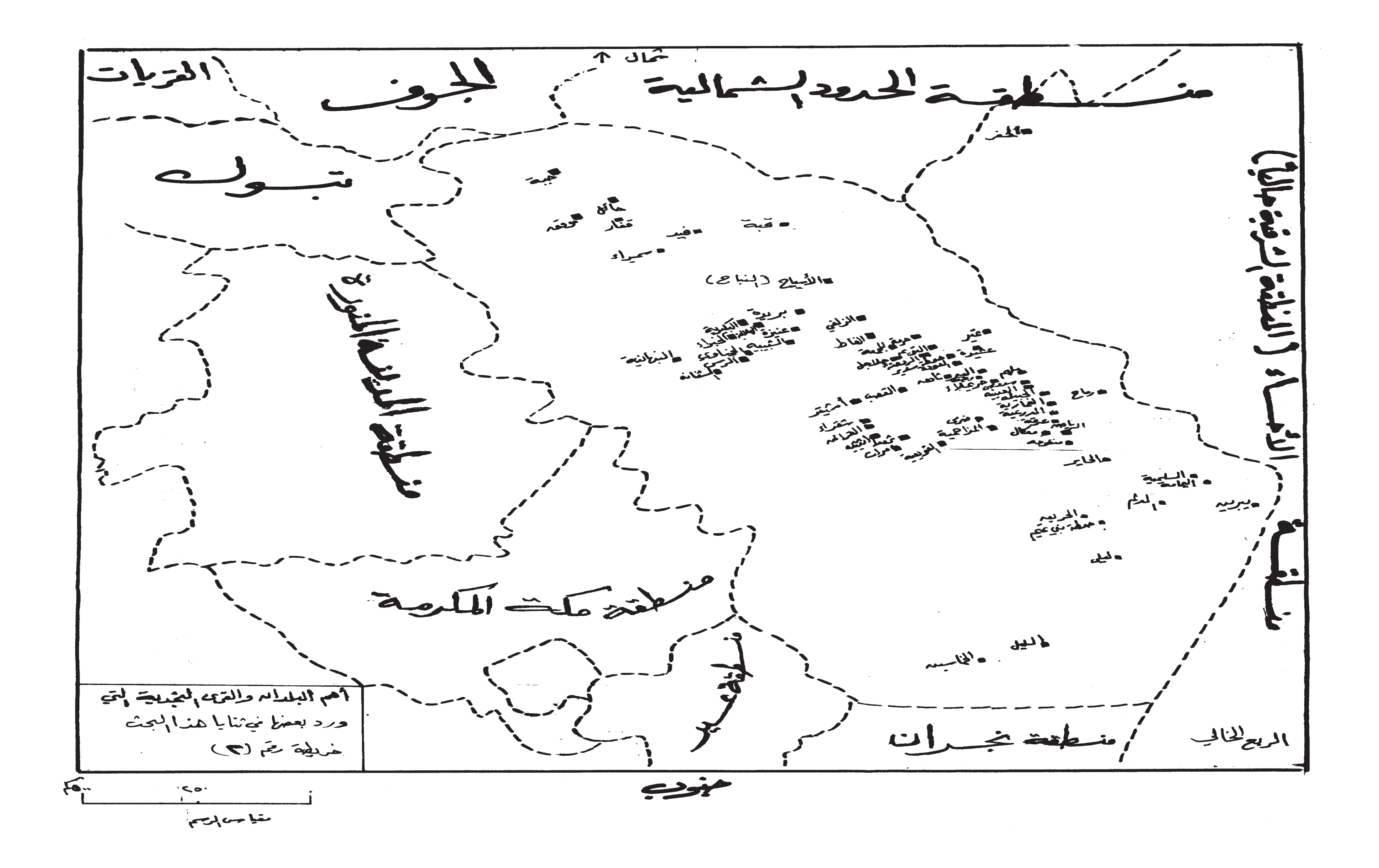
٤- المشخص: صورتان لإحدى مراحل السك التي مر بها.

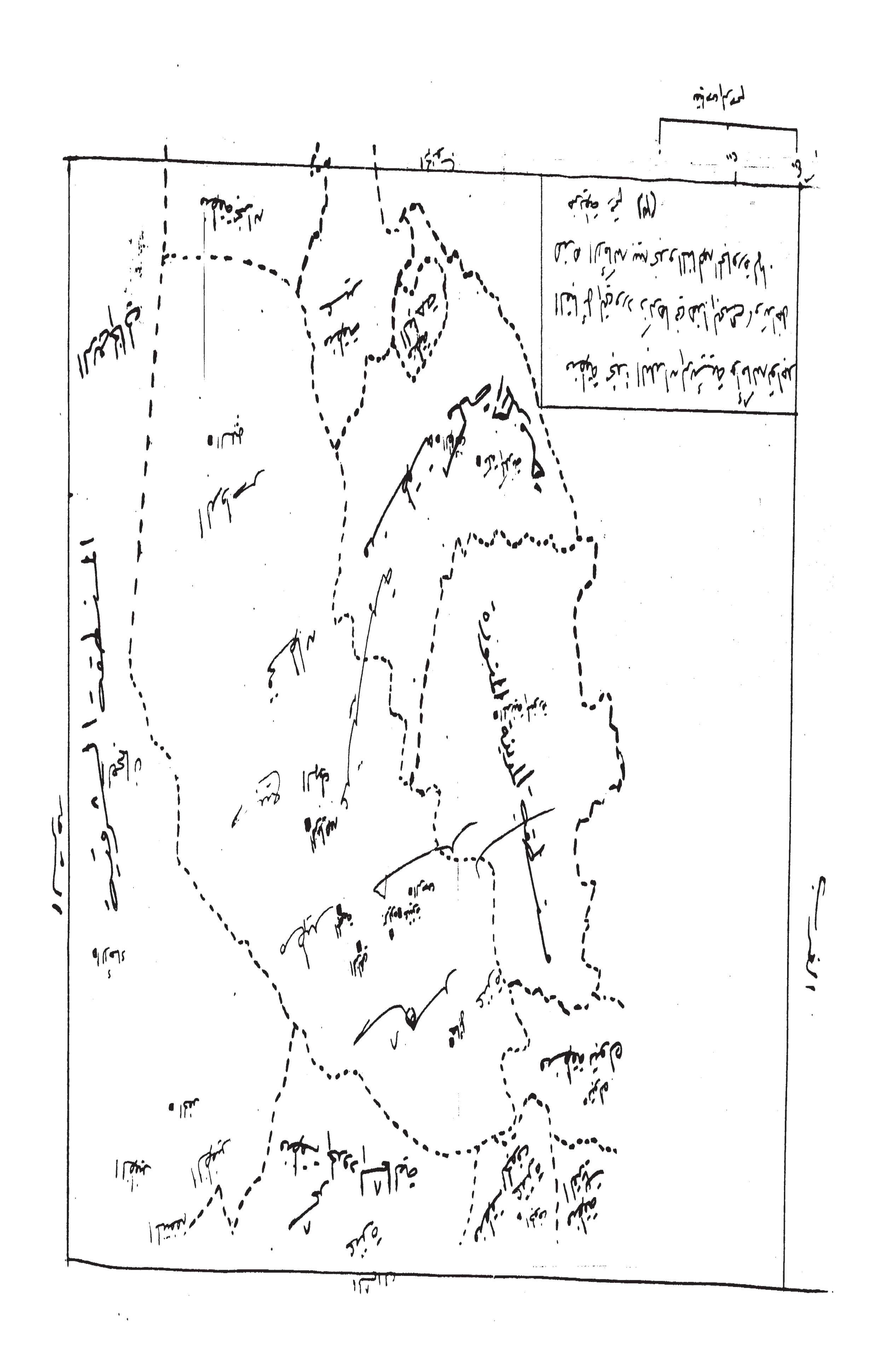


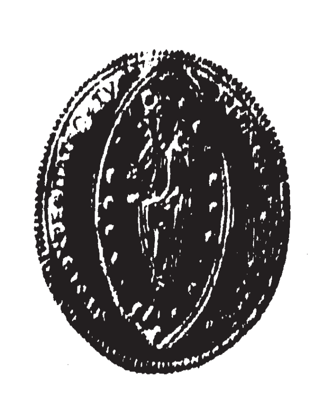
منطقة نجد بأماراتها الثلاث: «الرياض، القصيم، حائل» ضمن المناطق الإدارية في المملكة العربية السعودية، وقد نقلت هذه الخريطة من رسالة أستاذي الدكتور عبدالله الشبل عن أهم المصادر النجدية لتاريخ الدولة السعودية.

خريطة رقم (١)

▬ الحدود التقريبية لمنطقة نجد


منطقة الأحساء (المنطقة الشرقية حالياً)
منطقة الحدود الشمالية
شمال
الجوف
القريات
تبوك
منطقة المدينة المنورة
منطقة مكة المكرمة
منطقة عسير
منطقة نجران
الربع الخالي
جنوب
حائل
قبة
فيد
سميراء
الأسياح (النباج)
بريدة
عنيزة
الزلفي
الحفر
الخرج
ليلى
السليل
أهم البلدان والقرى النجدية التي
ورد بعضها في ثنايا هذا البحث
خريطة رقم (٣)
٢٥٠
مقياس الرسم







نقلت هاتين الصورتين من كتاب «عبد الرحمن الجبرتي: دراسات وبحوث» من مقال الدكتور عبد الرحمن فهمي بعنوان «النقود المتداولة أيام الجبرتي» رقم الصورة [١٦] وهما [illegible] للنقد البندقي أو الدوكات التي تعرف في [illegible] والمناطق المجاورة لها بالمشخص والتي ورد التعريف بها في حاشية ص ٣٥٤ .